١٤٢

تاريخ المصريين

مذكراتي في نصف قرن

أحمد شفيق باشا

الجزء الرابع





الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٩

اهداءات ٢٠٠١

المستشار/ رابح لطفي جمعة

القاهرة

مذكراتي في نصف قرن

أحمد شفيق باشا

الجزء الرابع



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٩

تقـــديـــم

يسرني أن أقدم للقارئ العزيز هذا الجزء الرابع من مذكرات أحمد شفيق باشا التي صدرت تحت اسم: «مذكراتي في نصف قرن»، وهو في الأصل الجزء الثالث.

وكان قد سبق لنا أن أصدرنا، تحت اسم الجزء الثاني والثالث، الجزء الثاني من المذكرات الذي قسمه أحمد شفيق باشا إلى قسم أول وقسم ثان.

والفضل في طبع هذا الجزء يعود إلى الصديق الفنان أسامة عباس الذي كان يملك نسخة من هذا الكتاب، وعرض عليَّ مشكوراً إعارته لي لإصداره في سلسلة «تاريخ المصريين»، عندما عرف من مقدمتي للجزء الثالث بتعذر حصولي عليه من دار الكتب ونفاده من السوق.

وبإعادة طبع هذا الجزء نكون قد استكملنا إعادة طبع مذكرات أحمد شفيق باشا كاملة، وهي المذكرات التي كان العثور عليها شاقاً

على الباحثين والمثقفين، ويتطلب الحصول عليها نفقات باهظة.

وكل ذلك في إطار السياسة التي اتبعتها في هذه السلسلة المجيدة، وهي إعادة طبع الأعمال التاريخية المهمة التي نفدت طبعاتها، خدمة للدارسين وللدراسة التاريخية، فضلاً عن نشر الرسائل العلمية التي صدرت في تاريخ مصر من الجامعات المصرية، والتي كان مكانها من قبل هو أرشيف الجامعات، فأصبحت اليوم ترى النور، وتراها جماهير شعبنا المتطلعة إلى معرفة تاريخها، والاطلاع على أحدث ما صدر من أعمال تضيء مساحات عريضة من تاريخ مصر، بأقلام باحثين جادين، وتحت إشراف أكبر أساتذة التاريخ في مصر.

وقد كان من دواعي سروري ما تبين لي من عدد من المؤرخين الأجانب من أن هذه السلسلة التاريخية قد أصبحت اليوم في نظر الباحثين الأجانب بارومتر الحركة التاريخية في مصر وقياس تقدمها، بعد أن صدر منها إلى اليوم نحو ١٤٢ كتاباً، وهو ما لم تصدره سلسلة تاريخية في تاريخ مصر الطويل إلى اليوم، وما لم تفلح في إنجازه أية هيئة علمية أو ثقافية منذ بداية هذا القرن!

والجزء الذي بين يدي القارئ يتناول مذكرات أحمد شفيق باشا في الفترة من عام ١٩١٥ إلى عام ١٩٢٣، وقد أعطاه عنواناً فرعياً هو: «عباس والحرب العظمى» وقد قدم له الأستاذ عباس محمود العقاد بمقدمة مهمة جديرة بالقراءة.

والله الموفق،،،

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

مذكراتي في نصف قرن

بقلم



الحاج احمد شفيق باشا

رئيس الديوان الخديوى ووكيل الجامعة المصرية الأهلية سابقا

وخريج مدرسة العلوم السياسية وكلية الحقوق بباريس

الجزء الثالث

عباس والحرب العظمى

١٩١٥ — ١٩٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

اهـــــداء

الى مصر

الوطن الذى فيه نشأت ، وإياه أحببت ، وله أخلصت ووفيت — أقدم هذه المذكرات لأشهد أبناء الجيل الحاضر صفحة من أعمال الجيل الغابر فى غير تزييف ولا التواء ؛ وما أخشى غير الله هو حسبي .

احمد شفيق

صاحب السعادة احمد شفيق باشا

لما نعهده فيكم من الإخلاص لذاتنا والولاء لعرشنا وبما لكم من الدراية بأعمال ديواننا الخديوى [illegible]
سبق لكم رئاسته اقتضت ارادتنا تعيينكم فى وظيفة ناظر الديوان المذكور برتبة [illegible]
[illegible] اعتبارا من اول اكتوبر الجارى [illegible] دائما فى اعمالكم [illegible]



صدر بسراى عابدين فى ٢٩ اكتوبر [illegible]

أمر تعييني ناظراً للديوان الخديوى فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩١٧

مقـــدمة

بقلم الكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد

كل عمل يتولاه الانسان له أناس مطبوعون عليه وأناس يصنعونه تكلفا أو مجاراة للعرف والعادة ، ومن ذلك ولا شك كتابة المذكرات الخاصة والتعليقات اليومية

فالمطبوع على كتابة مذكراته يهتم بتسجيل كل ما يعرض له من الحوادث والخواطر كما يهتم الشاعر المطبوع بتسجيل معانيه وأحاسيسه فى القصيد ، وكما يهتم المصور المطبوع بتسجيل مرئياته واختباراته النفسية فى الصور والتماثيل ، وكما يهتم كل فنان بتسجيل ما يدور بنفسه ويعلق بحسه ، فالباعث هنا هو باعث الايحاء الفنى الذى لا اختيار للانسان فيه ، واخلاص المرء فى هـذا العمل كاخلاصه فى الافضاء بأسراره وهمومه ووقائع أيامه ولياليـه إلى الصديق العطوف الموثوق بأمانته وترحيبه بما يسمع من شواغل صديقه ، فانه ليستريح بعد هذه المكاشفة كمن ألقى عن صدره عبئا ثقيلا يرين عليه وأفرغ من ضميره قلقا دخيلا يعتلج فيه ، وقد يتحرج من السهو والتحريف كما يتحرج الشاهد التقى من الحنث فى يمينه والاخلال بشرفه ، ويذكر ماله كما يذكر ما عليه كأن هناك رقيبا حيا عالما بما فى السرائر يحاسبه على ما يذكره وما ينساه . فالمذكرة الخاصة عند صاحبها هى ذلك الصديق الصدوق وهى ذلك الرقيب المطلع على الغيب ، ومن لم يكن مطبوعا على تدوينها فمن المستحيل عليه كل الاستحالة أن ينظر اليها هذه النظرة ويشعر بها ذلك الشعور ، وأن يستريح إلى مناجاتها كما يستريح الصديق إلى مناجاة الصديق . لأن المطبوعين وحدهم هم الذين يشغفون حباً بأعمالهم ويعطونها جزءاً من قلوبهم وضمائرهم وينفثون فيها قبساً من حياتهم ، فهم حريون بعد ذلك أن يعاملوها معاملة الأحياء مذ كانوا يشعرون بها شعورهم بالأحياء الذين يتعاطفون ويتكاشفون ويتجاوب بينهم الاحساس

وعندى أن هذا هو التعليل الوحيد الصالح لتفسير جميع الملاحظات المستغربة

التى لاحظها النقاد على كبار كتاب المذكرات المشهورين في التاريخ ، وعلى رأسهم السياسى الانجليزى صمويل بيبز (Samuel Pepys) الذى نشأ فى القرن السابع عشر ولا تزال مذكراته موضع البحث والاستقراء بين دارسى التاريخ والمعنين بالطبيعة الانسانية

لقد كان هذا الرجل نائبا وموظفا كبيرا فى وزارة البحرية ورئيسا لمجمع العلوم ومغرما بالموسيقى والتمثيل ، وترك بعده مذكرات مستفيضة لاتزال كما قلنا موضع البحث بل موضع الحيرة عند بعض النقاد ، فلا هم قادرون على أن يجزموا بأنه كتبها لنفسه لأن الانسان لا يكتب كل هذه المجلدات وكل هذه الحوادث ليطلع عليها وحده ، ولا هم قادرون على الجزم بأنه كتبها للأجيال المقبلة لأنه كشف فيها أسراراً عن سيرته وسيرة اقربائه كان معروفا أنه يخفيها أشد الاخفاء ويود لو يتعقبها بالمحو والنسيان

مثال ذلك أنه حكى يوما عن زميل قديم له من زملاء الدراسة تغدى معه وتذاكرا أيام التلمذة فقال له الصديق : إنك كنت ياصمويل يومئذ من أنصار كرمويل وخصوم الملك !.. قال صمويل في مذكرته . « فارتعبت لأننى خشيت أن يكون زميلى ذاكرا ما قلته له يوم قتل الملك » . . . ومن حق القارىء أن يفهم بعد هذا أن الرجل الذى ارتعب لخوفه من ذكريات زميله سيحرص أشد الحرص على كتمان ما قال ، ولكن القارىء لا يلبث أن يقرأ بين قوسين اعترافا بما قاله صمويل يومذاك ، وهو أنه لو ألقى عظة عن قتل الملك لجعل عنوانها إن « ذكرى الاشرار لا بد أن تعطب وتبلى ! »

ومثال آخر :انه اشترى كتابا من الكتب الشائنة فتعمد أن يختاره من الطبعة الرخيصة لأنه عول على احراقه بعد الاطلاع عليه .... اذن يحق للقارىء أن يفهم انه لن يذكر هذا الكتاب ولن يشير اليه فى حديث ولا كتابة ، ولكن الواقع انه أثبت فى وقائع ذلك اليوم انه اشترى الكتاب وانه كتاب خبيث وانه اشتراه من الطبعة الرخيصة لانه لا يحب أن يرى فى مكتبته

ومثال ثالث: ان مسألة من المسائل البيتية كدرته فأتلف جميع أوراقها وأسانيدها ثم عاد إلى مذكراته فدون فيها جميع تلك الأوراق والأسانيد بأقصى ما استطاع فى اسهاب وتفصيل

فكيف يتسنى لنا تعليل ذلك إلا بان الرجل كان منقاداً لايحاء الطبع الذى لا اختيار له فيه ؟؟ إننا نستطيع أن نعرف علة صناعة الصانع الذى ليس بالمطبوع ولا الموهوب ، فان المنفعة التى ينالها أو السمعة التى يحظى بها كافية لتفسير أعماله ومصنوعاته ، ولكن لا المنفعة ولا السمعة كافية لتفسير أعمال المصور الذى ينقاد فى تصويره بدافع من سليقته ووجدانه ، فانه قد يخسر المال والسمعة جميعاً بل قد يجازف بحياته وعافيته ومستقبله ليثبت على لوحة التصوير ما ثبت منه فى صفحة الحس وطيات الضمير .

وكذلك الرجل المطبوع على تدوين مذكراته لا يدونها لتزينه ولا لتشينه ، وليس من همه أن يدخرها لنفسه أو يعرضها لغيره ، وإنما هو كاتب لها لأنه يستريح إلى كتابتها كما يستريح المرء إلى المكاشفة والثقة بمن يكاشفه ولو حاق به الضرر من جراء ذلك فى كثير من الأحوال .

هذه سليقة نافعة تفيد الثقافة الانسانية كما تفيدها كل ملكة مطبوعة وخليقة حية ، تفيدها فى درس النفس البشرية ، وفى تحقيق الحوادث التاريخية ، وفى تمحيص عادات الأمم وآداب المجتمعات . ولعلنا لا نخطئ إذا قلنا إن تاريخ بنى الانسان فى جملته لا يحتاج إلى المزيد من أصحاب الملكات الفنية والقرائح الشعرية لأنهم يظهرون بمقدار الحاجة إليهم فى كل فترة من الزمن وكل شعب من الشعوب ، ولكن الملكة التى يحتاج فيها تاريخ بنى الانسان إلى المزيد هى ملكة اليوميات والمذكرات ، لأنها لا تزال منذ القدم أندر من القدر المطلوب ، ولا سيما بين رجال المناصب الذين اضطلعوا بالأعمال السياسية واتصلوا بدخائل الأمور .

ويدلنا على مبلغ هذه الندرة أن تاريخنا المصرى الحديث لم يشتمل على أكثر من مؤرخين اثنين فقط يرجع إليهما الباحث فى هذه الناحية ، وهما الشيخ عبدالرحمن الجبرتى وصاحب السعادة الحاج أحمد شفيق باشا صاحب هذه المذكرات . وإنما نذكر الجبرتى فى هذا الصدد من باب التساهل والمقارنة . لأنه رحمه الله لم يكن « أولا » ممن شغلوا المناصب التى تتيح لهم الوقوف على ما وراء الأخبار الشائعة ، ولأنه من الجهة الأخرى كان مصروفاً إلى نوع آخر من الكتابة غير نوع اليوميات الخاصة والمذكرات الشخصية والفرق بين النوعين أن الجبرتى كان يدون أخبار أبناء عصره التى يصح أن تقع تحت عنوان الأخبار التاريخية من الوجهة العمومية

وإن تحدث فيها عن أشخاصهم وعلاقاتهم الخصوصية . أما النوع الآخر ، وهو نوع اليوميات والمذكرات ، فهو أشبه باعترافات الانسان عما يعمله وما يراه وما يتصل به مباشرة من الحوادث والأنباء ، وهنا موضع الحاجة إلى الملكة الخاصة والاستعداد المطبوع ، لأن مشاهدة الحوادث وتدوينها قلما تحتاج إلى تلك الملكة أو ذلك الاستعداد . أما الاعتراف بكل ما يصنعه الانسان وإثباته على القرطاس بينه وبين نفسه فذلك هو الباعث النفسي الذى يندر بين المؤرخين .

ومن ثم يكون الحاج أحمد شفيق باشا هو المؤرخ الوحيد فى التاريخ المصرى المطبوع على تدوين اليوميات ومكاشفة القرطاس بما يجرى له وينطوى فى ضميره : يكتبها فى عهد الحداثة كما يكتبها فى عهد النضج والاكتمال ، ويكتبها وهو آمن فى بلده كما يكتبها وهو مغترب فى الديار الأجنبية ، ويكتبها فى أيام السلم والطمأنينة كما يكتبها فى أيام الحرب والفزع وهو محاط بالجواسيس وقناص الأخبار وأصحاب الدسائس والمشاغبات ، ويعنى بالمحافظة عليها أشد من عنايته بالمحافظة على حقائب الجواهر والمصوغات ، ويعلم أن سمو الأمير الذى يعمل معه قد عرف سر هذه اليوميات فلا يثنيه ذلك عن المضى فيها والمثابرة عليها ، ولم يكن يشغله عنها ، كما قال فى مقدمة الجزء الأول: «عمل ولا لهو . وما كانت مشاغلى الخاصة لتحول بينى وبينها . بعد أن غدت جزءاً لا يتجزأ من برنامج حياتى . فكنت أدونها أثناء الدراسة بين كد الدرس والمذاكرة ولا أفتر عن تقييدها أثناء أسفارى خارج مصر سواء للمهام أو للرياضة . ذلك أن تدوينها كان فى ذاته سلوى لى ، لأنه يتصل بعامل خفى فى نفسى ، هو الشغف بتسطيرها ثم استجناء مسرة استعراضها وما آنسه فى ذلك من لذة معنوية » .

هذا الشغف أو هذه اللذة المعنوية هى الخصلة التى يمتاز بها المؤرخ المطبوع على تدوين يومياته ومذكراته . وهى التى نعنيها حين نقول إنها ملكة فنية كملكة الشاعر الذى يسجل إحساسه واختباره فى قصيده ، أو المصور الذى يسجل إحساسه واختباره فى لوحاته وتماثيله .

لقد كان صمويل بيبز الملقب بامام اليوميين وأستاذ كتاب المذكرات (Master Diarist) يدون أسراره ونوادره بالخط المختزل فلا يقرؤه إلا من عرف مفتاح اختزاله . أما صاحب هذه المذكرات فانه يكتبها بالعربية الصريحة السهلة ولا يبالى أن يستثنى

منهما سراً من الأسرار ولا خطرة من الخطرات ، وإنما يحذف منها عند الطبع ما تقضى بحذفه الضرورات الاجتماعية والسياسية وما يشير بحذفه الأصحاب والأصدقاء . وهو — علم الله فى سريرة نفسه — آسف جد الأسف على كل بتر واستثناء من هذه المذكرات التى لم يبالغ حين قال إنها « غدت جزءاً لا يتجزأ من برنامج حياته » .

* * *

عند ما قرأت هذه المذكرات عرفت منها ما كنت أود أن أعرفه ، ووجدت فيها كذلك ما لم أكن أنتظره ولم يقع فى حسبانى ، لأنه بعيد — على ما يظهر لأول وهلة — من نطاق المذكرات فى زمانه ومكانه وأشخاص المشتركين فيه .

فصورة عباس الثانى — مثلا — واضحة فى خلال هذه الصفحات وضوحا لا يشوبه أقل لبس أو تمويه : واضحة من وراء المراسم والمظاهر ودواعى الحيطة والتجمل ، واضحة فى علاقاته بشعبه وحكومته ، وعلاقاته بأبنائه وإخوته وآله ، وعلاقاته بأصحابه وأتباعه وأعوانه وموظفيه ، وعلاقاته بمن يرجوهم ويخشاهم من ذوى الجاه والسلطان . ولا نظن أن كتاباً من الكتب يعرض لنا صورة نفسية لعباس الثانى أوضح ولا أوفى من صورته فى هذا الكتاب .

كذلك الرجال الذين عاشرهم وعاشروه واتصل بهم واتصلوا به ولو لحظات معدودات . فان الحديث المروى فى هذه الصفحات بين عباس وغليوم يعرفنا بالشىء الكثير من دخائل غليوم ومطامعه الاستعمارية وأساليبه فى مخاطبة الناس واستمالتهم إلى ما ينويه ويفكر فيه .

وعلى هذا المنوال نعرف كثيراً عن الصدر الأعظم سعيد حليم وعن طلعت وأنور وجمال ، وعن فريد وجاويش ولبيب ، وعن سائر الرجال المصريين وغير المصريين الذين عرض ذكرهم هنا فى حادث من الحوادث أو مناسبة من المناسبات

وعلى هذا المنوال أيضاً نعرف ما أحاط بالحملة التركية على مصر من أسباب الفشل والتعطيل ، تارة من جراء الدسائس الشخصية ، وتارة أخرى من جراء المآرب السياسية ، وتارة غير هذه وتلك من جراء التضارب والتناقض بين مطامع الترك ومطامع الألمان فى هذه البلاد . وتنجلى لنا أثناء ذلك إدارة الحكم التركى وكيف تدور وتسكن ، وتقديرات الحكومة الألمانية وكيف تخطىء وتصيب بين

آراء الساسة وخطط العسكريين ، وغير ذلك من ملابسات الحرب التى لها مساس بمصر من جانب وبدول أوربا الوسطى من جانب آخر ، وبانجلترا والحلفاء من جانب ثالث غير يسير .

وكذلك نطلع أثناء هذا كله على مغامرات الجاسوسية وأساليب الوقوف على المساعى الخفيه ، وما كان يتوخاه الانجليز من تقديم المسائل أو تأخيرها لتعليق الأطماع بهم حينا بالتسويف فى تقرير ولاية العهد ، وحيناً بالاشارة من بعيد أو قريب إلى مصادرة أموال المغتربين وأملاكهم وقطع علاقاتهم بذويهم ووكلائهم ، وحينا بفتح باب العودة لمن يشاء واستدراج من يسهل استدراجه إلى الخدمة والموالاة ؛ وندرك الشيء الكثير من أسرار السياسة الانجليزية التى ظاهرها الرحمة والانصاف واحـــترام الحقوق والأموال ، وباطنها الكياسة والأناة والانتفاع بالفرص وتأجيل الأمور إلى أوقاتها لاستغلالها أتم استغلال .

كل هذا مما يخطر على بال القارئ أن يلم ببعض مناسباته وملابساته فى سياق هذه المذكرات ، لأنها مذكرات رجل لازم الخديو إبانــ الحرب العظمى فى الاستانة وسويسرة ، وساح معه فى النمسا وألمانيا وقام له بالمهام التى يقوم بها المعين الأمين المؤتمن على ما يسمع من المقاصد والأسرار . ولكن الشيء الذى قلما يخطر على بال القارئ وهو يتصفح هذه المذكرات أنه سيعلم منها نبأ عن قضية مدام « كايو » التى كانت لهـا ضجة عالمية فى حينها ثم كانت لهـا نتائج خطيرة فى تقلب الوزارات الفرنسية . فى استعراض حوادث سنة ١٩١٥ يقول صاحب المذكرات « تعرف الخديو بباريس فى صيف سنة ١٩١٤ برجل فرنسى يسمى بولو بواسطة يوسف صديق باشا،وهو ينتمى إلى موسيو كايو الوزير الفرنسى السابق الذى عرفه الخديو كذلك عندما كان فى باريس . وحدث أن أحد محررى جريدة الفيجارو ويدعى كالمت (شقيق الآنسة تالبوتيه معلمتى الفرنسية فى أثناء دراستى وقد عرفتنى به) نشر مقالات يتهم فيها مسيو كايو بالاختلاس وخيانة وطنه لسعيه فى خدمة ألمانيا . فما كان من زوجته إلا أن ذهبت لهذا المحرر وأطلقت عليه رصاصة من مسدسها أردته قتيلا ، فقدمت للمحاكمة الجنائية . وقد طلب موسيو كايو من الخديو أن يبذل نفوذه لدى رئيس محكمة الجنايات لانقاذ قرينته ، وعرف سموه به فى مأدبة خاصة ، فسعى بجميع الوسائل لديه ، ومن ذلك أن وعده بالانعام عليه بنيشان كان

يطمح إليه ، وكانت النتيجة براءة مدام كايو ، وأصبح كايو من هذا الوقت يود أن يقدم خدمة لسموه رداً لجميله . . . » .

وإن الانسان ليذكر الآن ما كانت تنشرة الصحف عن أسباب هذه الجناية وماحام حولها من الشبهات الغرامية ، ثم ينظر فيما رواه صاحب المذكرات فيتبادر إلى ذهنه قول القائل « ويأتيك بالأخبار من لم تزود » ، ويتدبر كيف تستفيض الاشاعات وتختلف التعليلات ، وتحتاج الحقائق إلى المضاهاة بين أقرب المصادر وأبعدها على السواء .

ويتفق أن تبدأ اليومية من اليوميات وأنت لا تتوقع أن تقرأ فى هذا السياق شيئاً إلا أن تكون محادثة عرضية فى زيارة عرضية مما تقضى به المجاملات ويقطع به السكوت ، فاذا أنت — على غير انتظار — أمام خبر من الأخبار التى تتعلق بها مصائر الأمم ، وتريك كيف يتحول مجرى التاريخ . ففى الرابع عشر من يناير سنة ١٩١٨ يقول صاحب المذكرات : « حضر اسماعيل باشا فاضل من رجال الحربية القدماء وكان مرافقاً للسلطان عبد الحميد . وبعد أن زار الخديو جلس عندى » . ثم يقول على أثر ذلك ، وهو الخبر الذى جاء عرضاً فى الطريق : « وذكرنا شؤون مصر والاحتلال فقال لى إنه ملم ببعض أطراف المسألة المصرية ، وروى لى أنه عندما ثار عرابى على توفيق باشا كانت الدولة عزمت على إرسال حملة لاخماد الثورة وصدرت الأوامر باستعداد عساكرها التى كانت فى كريت للسفر إلى مصر ، وأمرت فرقة من الأستانة بالذهاب إلى كريت لتخلفها . إلى أن يوسف رضا باشا رئيس لجنة إسكان المهاجرين رفع تقريراً إلى السلطان يحذره من إخلاء العاصمة من العساكر لئلا يخلعه الشعب كما خلع السلطان عبد العزيز . فخاف على نفسه واستعاض عن الحملة العسكرية بارسال درويش باشا سعياً للوفاق بين العرابيين وتوفيق باشا » .

ولا يسع الانسان وهو يعبر هذا النبأ الصغير الذى جاء فى عرض الحديث إلا أن يسائل نفسه : ترى إلى أى مصير كانت القضية المصرية منتهية لو حضر الجيش العثمانى وتولى إخماد الثورة العرابية ؟ وإلا أن يعجب للحوادث الكبرى كيف تتوقف فى بعض الأحيان على كلمة يوعز بها رجل غير مسئول عنها ، وقد يكون فيما أوعز به موعزاً إليه .

وفى المذكرات كثير من أمثال هذه الأحاديث العرضية التى يطالعها القارئ على غير انتظار، وكثيراً ما تفاجئنا بطرائفها إذا هى لم تفاجئنا بموضوعاتها. فالتعريف بالخديو مثلا موضوع منتظر من بداية المذكرات. ولكن النوادر التى تعرفنا به هى الشىء الطريف الذى لا يدور فى الحسبان. وقد يسعى طلاب الدراسات النفسية إلى العثور على نوادر من هذا القبيل لاحصاء النقائض الخلقية فلا يظفرون بها إلا بعد عناء.



الأستاذ عباس محمود العقاد

هذه النوادر الشخصية هى مزية اليوميات الخاصة التى من أجلها كانت عظيمة القيمة للتاريخ والدراسات النفسية، لأنها تعرفنا بأبطال الحوادث التاريخية أضعاف ما تعرفنا بهم المظاهر الاجتماعية والأعمال العامة والكتابات العلنية، فقد يتجملون بهذه المظاهر أمام الناس وهم فى الحقيقة عاطلون من جمالها، وقد تنسب إليهم الأعمال العامة وهم لا يساهمون فيها، وقد تراعى فى الكتابات العلنية مصلحة موقوتة أو

مجاملات مفروضة . أما النوادر المرتجلة التى تبدو من صاحبها عفو البديهة فهى هى الصورة الصحيحة بلا مبالغة ولا تجميل

* * *

ومن الامور الحقيقة بالتنويه فى هذا المقام ذلك الحديث الذى جرى بين صاحب السمو الملكى الأمير محمد على والقائد مكسويل في بداية الحرب العظمى فقد اقترح الامير إعلان استقلال مصر وقال للقائد : « أرى أن الفرصة سانحة للانجليز لاعلان استقلال مصر ، وبهذه الوسيلة يمكنكم أن تجهزوا جيشاً من المصريين للدفاع عن استقلال بلادهم وتتفقوا معنا على أن تتركوا مصر بعد مدة تحددونها . فان صنعتم ذلك تكسبوا ثقة المصريين وغيرهم فى البلاد العربية »

نعم . هذا هو الرأى الصواب ، ولو أصرت عليه الوازرة الرشدية وأخذ به الانجليز لاتقينا كثيراً من المحظورات ، ولكن « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » . . . فان مطالبة المصريين باستقلال بلادهم وثورتهم التى ثاروها فى سبيل هذه المطالبة هى فى ذاتها غنيمة من الغنائم الأدبية التى تستفيد منها الشعوب وتجعل للاستقلال شأناً غير شأن العطاء الموهوب .

* * *

وعلى الجملة نرجو أن تقوم هذه المذكرات بحصتها المشكورة القيمة في تاريخ هذه البلاد ، فقد جاءت فى أوانها لاتمام العلم بتاريخنا القريب قبل أن تترامى به الأيام وتحول الحوائل دون المراجعة والتمحيص ، وجاءت فى أوانها من الجهة الأخرى لأن العصر الحديث في أوروبا يوشك أن يكون عصر المذكرات والمشاهدات الشخصية وإن لم يكن لها بعد نصيب من الشيوع فى بلادنا ، وقد تعود القوم هناك أن يضاهوا بينها ويقابلوا بين رواياتها ويلتمسوا فيها من مصادر الحقيقة ما لا يتاح في غير هذا النوع من التأليف ، وربما كانوا مدينين بمعظم ما يعرفون عن رجالهم وأقطابهم لما يدونه عنهم كبار الصحفيين والسائحين في أمثال هذه المذكرات ، ولعل مذكرات شفيق باشا أن تكون فاتحة لانتشار هذا النوع من التأليف فى العالم العربى فيكون له فضل فى التقدم والتشجيع إلى جانب فضل التأريخ والتدوين .

عباس محمود العقاد



عباس والحرب العظمى

سنة ١٩١٥

امبراطورا النمسا وألمانيا والانقلاب — الموظفون بالمعية والاقتصاد — السندات والتحف التى استحضرها الخديو من مصر — عيد الجلوس الخديوى بالاستانة زياراتى لاعضاء العائلة الخديوية وما سمعته منهم — الارادة الشاهانية وتجريد حملة على مصر — اخبار عن الحالة فى مصر — نيات الاتراك نحو السلطان حسين — طعن الصدر فى الخديو — فشل الحملة التركية على قناة السويس — مشروع خطير لفصل فرنسا عن انجلترا فى الحرب العظمى — سفرى الى برلين ومهمتى بها — احاديث الحرب — تنظيم مخابرات مع مصر وتدبير ثورة ضد الانجليز — الاعانات والمرتبات التى تقررت للبرنسات والحاشية — الشريف فيصل ومهمته فى الاستانة للتوفيق بين العرب والاتراك — الخلاف بين الخديو ورجاله وخروجه من النمسا الى السويسرة — توجيه انذار لعباس — شؤون مختلفة .

امبراطورا النمسا[1] وألمانيا[2] والانقلاب : أرسل الخديو فى صباح يوم أول يناير سنة ١٩١٥ برقتين للتهنئة برأس السنة لامبراطورى ألمانيا والنمسا متمنياً لهما الظفر على أعدائهما . وكذلك أرسل برقية تهنئة لملك ايطاليا

وفي يوم ٢ منه توجه لمقابلة امبراطور النمسـا فى قصر شنبرون ، فلما مثل بين يديه حيا سموه تحية لطيفة ، وأظهر له أسفه لتصرف الانجليز معه ، فأجاب سموه : « إننى في مدى ثلاثة وعشرين عاما حكمتها فى مصر ، كنت أعمل بنصائح جلالتكم ، التى تلقيتها عند مبارحتى مدرسـة التريزيانوم لتولى الخديوية المصرية سنة ١٩٠٢ . فقد قلتم لى جلالتكم إننى سأجد صعوبات في الحكم . كما وجدتم جلالتكم في النمسا ،

---

(١) صور ج ٢ ق ١ ص ٢

(٢) صور ج ٢ ق ١ ص ٢٦٩

وإنه يجب على الصبر والجلد فى تذليل الصعاب . وبالفعل صادفتنى صعوبات شديدة فى معاملة الانجليز للمصريين ولشخصى ؛ فكنت أدافع عن صوالح بلادى ، على قدر إمكانى ؛ ولهذا كانوا يعدوننى غير مخلص لهم . ولما نشبت الحرب ، حاولوا إقناعى بالسفر الى إيطاليا ، لأنها ، أقرب لمصر من الآستانة » ! ولو أنى أطعتهم ما عزلونى . ولكن التربية التى تلقيتها فى الترزيانوم تحت رعاية جلالتكم ، والتى هى مؤسسة على الصدق فى القول والعمل وحفظ الكرامة ، وعزة النفس ، هى التى منعتنى أن أقبل نصائح الانجليز ؛ وأرجو أن تكون نتيجة الحرب ، نصراً لجيوش جلالتكم وحلفائكم فينتصر الحق على الباطل »

وكان الامبراطور يصغى لحديث الخديو مسرورا . فلما انتهى رد عليه قائلا : « إن شاء الله نفوز بالنصر ولو أن أعداءنا أشداء » .

وقد وردت فى اليوم نفسه برقية من جلالته بالشكر للخديو مع تمنيه أن يفوز الحق على الباطل . وكذلك وردت برقية أخرى بالشكر فقط من امبراطور ألمانيا والعنوان في البرقيتين « عباس حلمى الثانى خديو مصر »

وحتى يوم ٣ يناير لم يرد رد ملك إيطاليا وسافرت أنا إلى الإستانة

الموظفون بالمعية والاقتصاد : رأى الخديو بمناسبة الحالة الجديدة ، التى لا يعرف مداها أن يجرى اقتصادا فى النفقات ، فأمرنى بالسفر للاستانة ومعى أوامر للمستخدمين الملكيين والعسكريين و « الخدمة السائرة » فى جبوقلى والعلمان لتنفيذها بواسطة عبد الله افندى البشرى ، وهى تتلخص فى أن كل من أراد منهم الرجوع لمصر يرحل إليها ، وأن يعود ألماس أغا لمصر فيرسل الخادمات اليونانيات والتركيات اللواتى فى قصر القبة إلى رودس [1] بلدهن ، وأن أكلف جلال الدين باشا قبو كتخداى الخديو وصهره أن يقتصد في نفقات داخل الحريم ، أما موظفو القبو كتخدائية فانه إذا ورد للبنك العثمانى أمر من مصر بقطع مرتباتهم فمن يرد الرجوع لمصر منهم يرحل إليها . وأن أخبر عارف باشا رئيس الديوان التركى بأن وظيفته أصبحت ملغاة نتيجة للانقلاب الذى حصل في مصر حتى تعبر الجنود العثمانية القنال وأن أصرف له خمسين جنيها

وفى يوم ٣ يناير سافرت لتنفيذ هذه الأوامر فوصلت الآستانة يوم ٦ منه

(١) ولكن ألماس أغا لم يستطع السفر لهذه المهمة

ولما قابلت ألماس أغا وأبلغته الأمر الخاص به تردد فى الذهاب ، وأخيراً أظهر القبول إذا لم يكن هناك مانع من الحكومة المصرية ، فقلت له : إننا سنسأل عن ذلك بواسطة سفير أمريكا

وساطة سفير أمريكا في عودة بعض الموظفين لمصر : وفى يوم ١٠ يناير قابلت السفير ، وحادثته فى الوساطة لرجوع بعض الموظفين المصريين الملحقين بالخديو لمصر ، فوعد ببذل السعى اللازم

وفى يوم ١٤ منه جمعت فى جبوقلى الضباط والملكيين وسألتهم عما إذا كانوا قد تشاوروا بينهم فيما يلزم عمله لصالحهم ؟ وطلبت منهم إبداء رأيهم دون أن يجول في خاطرهم أن الغرض هو التخلص منهم ، أو استثقال وجودهم ، وأن كل من لا يود الرجوع لمصر يبقى على الرحب والسعة وسراى الخديو هى منزلهم ، وسموه يخصص لكل منهم شيئا من النقود لنفقاته الخاصة

وبعد الأخذ والرد اقترحت عليهم أخذ رأى سفير أمريكا فى ذلك ، فاتفقوا على أن يكلفونى القيام بهذه المهمة ، وأن اسلم له بيانا بأسماء الموجودين منهم هنا وفى الضلمان . فاذا رخص لهم من مصر في الرجوع ، ومنعت الحكومة العثمانية سفرهم فانهم يراجعون السفير فى ذلك ، ليخطر مصر وبذلك يحفظون حقوقهم

وفى يوم ١٥ منه قابلته وسلمته بيان الأسماء ، فوعد بالمخابرة فى شأنها

وفى يوم ١٧ منه أخبرنى بنجاحه فى «مخابرة» مصر والترخيص لمن يريد السفر منهم فى العودة . وبعد أن سافر ثلاثة منهم وردت أوامر أخرى ببقائهم فى الاستانة الى نهاية الحرب

وقد كان لهذه المساعى أثر طيب بالنسبة لهؤلاء الموظفين ، لحفظت لهم حقوقهم مدة الحرب ، وسلمت لهم مرتباتهم فيما بعد رجوعهم ، وحسبت لهم فى المعاش ، وحفظوا لى هذا الجميل

السندات والتحف التى استحضرها الخديو من مصر : كلفنى الخديو وأنا مسافر للاستانة يوم ٣ يناير أن أرسل له مفاتيح الصناديق التى أحضرها معه لفينا من الاستانه وفيها أسهم البنك العقارى واسهم البيان فون وشركة الازبكية المصرية البلجيكية (وكان سموه استحضرها من مصر بعد سفره) . والغرض من أخذها فى فينا هو إيداعها البنك السويسرى فى برن

وقد كان مطلوبا كذلك إصلاح تركيبات « الشبوكات » وهى من الكهرمان (الكهرباء) المرصع ، لأن بعض الفصوص محلولة

فكلفت عند وصولى للاستانة عبد السلام ظافر افندى معاون القبوكتخدائية أن يخبر جلال الدين باشا ليرسل المفاتيح ؛ وأن يقوم هو بأصلاح التركيبات المشار اليها وإرسالها

عيد الجلوس الخديوى: فى يوم ٨ يناير كان عيد الجلوس الخديوى فاجتمع ضباط المحروســــة ومستخدموها والياوران وعارف باشا وجلال الدين باشا ومستخدمو القبوكتخدائية ويوسف ضيا باشا (١) (رئيس الياوران سابقا) فقيدنا أسماءهم ، وأرسلناها لدولة الوالدة مع تمنياتنا بأن نهنىء سمو الخديو فى السنة الآتية بسراى عابدين ؛ فردت دولتها بالشكر

ثم أرسلت ليوسف صديق باشا (٢) فى فندق امبريال بفينا ، البرقية التالية :

« إن المصريين الكثيرين من الضباط والملكيين احتفلوا هنا بهذا اليوم ، وبالاصالة عن نفسى والنيابة عنهم أقدم إخلاصنا للعتبات الخديوية »

وفي يوم ١٢ منه تلقيت من الشيخ على الغاياتى (٣) خطابا من جنيف بتاريخ ٨ جاء فيه :

« يذكرنى هذا اليوم بعادتى فى كل عام من تقديم عبارات التهنئة والاخلاص إلى مولانا العباس ؛ ولكنى أذكر بملء الأسف ما قضت به الأقدار فى هذا العام مما لم يكن فى الحسبان ، من التغيير الكبير فى شكل الحكومة الحاضر ، الذى سنسير ولا محالة من طريقه إلى الاستقلال التام في يوم من الأيام .

إلا أنى كنت أود أن يكون سموه على رأس هذه الحكومة سلطانا عظيما على وادى النيل ، يجدد لنا فى عهده أيام السلاطين العظام ، ويعمل بما عهد فيه من الذكاء والغيرة على تقدمه واستقلاله .

ولا ريب أن السلطة المحتلة ، وعظمة السلطان الكامل ، وجميع ذوى الشأن فى مصر ، كانوا يودون ما كنت أوده لسموه حفظه الله ، حتى لا يحدث تغيير ولا تبديل فى شخص ولى الأمر الأعظم ؛ ولكن قضت السياسة بما قضت ؛ وكان لوجود سموه

(١) صور ج ٢ ق ١ ص ٢١

(٢) صور ج ٢ ق ١ ص ١٩١

(٣) صور ج ٢ ق ٢ ص ٢٣١

بالاستانة في تلك الظروف تأثير كبير في الحالة الحاضرة ، لأسباب لا تخفى . وعلى كل حال فالحمد لله على ما بقى من السلطة العليا فى بيت محمد على ، مصلح مصر الكبير ؛ فان فى ذلك تعزية كبرى ، وأملا عظيما سيتحقق بارتقاء عظمة السلطان حسين الأول على العرش العلوى ، وبيقاء الأمر فى يد هذا البيت الكريم ، ومولانا العباس أعرف بذلك ، وأولى بتقديره والعزاء به ؛ فان حق الأسرة من حيث هى ، قد روعى وزيد فيه ، ومصلحة البلاد لم تنل سوءاً قط ، والأمل فى المستقبل قد ترعرع وأزهر ؛ وما كان يرجى من الأمير قد أصبح يرجى من السلطان . ولا بقاء فى الحقيقة للأشخاص ، وإنما البقاء للأعمال ؛ فلسموه خير تعزية قلبية .

« ولا غرو إن هنأته مع ذلك بانتهاء الأمر على هذه الصورة المرضية . وعلى أية حال فانني أكرر تهنئتي لذاته المحبوبة بماضيه المجيد ، وبما سلف من جميل أعياده ومشهود أيامه ؛ وأسأل الله أن يهبه الصحة والطمأنينة ويوفقه للرضاء بالمقادير » .

زيارتى لأعضاء العائلة الخديوية : فى يوم ٨ ينساير زرت منزل البرنس على بك فاضل . وتركت له بطاقة أبلغته فيها تحيات الخديو ، ثم مررت بأسرة البرنس عمر طوسن وأرسلت سلام الخديو لها ، وسألت عنه وعن أخباره ، فردت شاكرة وقالت : إن « أخباره طيبة » . وقد أبلغتها أن الخديو كان قد فكر فى إرسال مندوب لمرسيليا للاطمئنان عليه ، ولكن خشى أن يناله مكروه بسبب ذلك ، لأن الخديو معتبر عدواً لفرنسا الآن .

ثم قابلت البرنسيس فاطمة اسماعيل وفائقة هانم أفندى ، وأبلغتهما تحيات سموه فتلقتا السلام بالشكر والدعوات الصالحة ، وقالت البرنسيس فاطمة إنها مرتاحة لوجود الخديو فى أوربا ، وأنه سيبقى فيها حتى يتم الصلح .

وبعد ذلك توجهت إلى البرنس إبراهيم باشا حلمى ، وأبلغته سلام الخديو ، وتحذيره له من الكلام بشىء من خطط سموه أمام حاشية الصدر ، لأن رجالها جواسيس الانجليز ، والكتاب الأبيض الانجليزى شاهد بذلك .

وفى ١١ منه كنت على موعد معه ، فقابلته فى ميركون . وفى هذه المقابلة أظهر لى استياءه مما سمعه من عقيل بك يسرى ، من أن الخديو قال له إنه فى هذه الأوقات الحرجة ، لم يجد بين « البرنسات » من هو أخلص وأصدق له من على بك فاضل ، فتألم البرنس إبراهيم حلمى من هذا التصريح ، لأنه يعتقد ، بحق ، أنه هو الذى أظهر

الاخلاص والصداقة الحقيقية لسموه . ثم قال البرنس : إن عقيل بك أبلغه كذلك أن الخديو لا يفكر إلا فى شخصه ، وأنه حصل على أربعة آلاف جنيه بواسطة عبد الحميد بك شديد فى روما ، فطمأنته وقلت له : إننى أعرف من عقيل بك بحقيقة إحساسات الخديو ، وأنه لو لم تكن لسموه ثقة تامة بدولته ما عزم على تعيينه قائمقاماً له فى الحملة على مصر

وفى ١٦ منه قابلته منفرداً ، وأفهمته أن عقيل يسرى حضر عندى أمس . وأكد لى أنه قال : إن البرنس على بك فاضل ، أصدق البرنسات من عائلة مصطفى فاضل ، لأن الكلام كان دائماً حول البرنسين حيدر وكامل فاضل ، وأنه لم يتكلم بشىء عن الخديو كما يدعون عليه . فقال دولته : إننى سمعت هذا الكلام من عبد الرءوف بك يسرى .


عبد الرءوف بك يسرى

وفى يوم ١١ فبراير توجهت الى بيك فقابلت الوالدة نحو ساعة . أخبرتها فى خلالها بتأكيد سفير ألمانيا مسألة عودة الخديو لعرشه ، وبقرب صدور إرادة شاهانية تحفظ امتيازات مصر ، فسرت بذلك ثم قالت : « وبما أن الصدر يتوقع حصول أمور من أفندينا تغضب المصريين فعلينا أن نتلافى ذلك ؛ وأن يترك الأمور التى تخلق له خصوماً ، ويلتفت للبلد» . فقلت لها : « يا سيدتى ، أنا أقسم لك أنه إذا لم يفعل كما تأمرين ، فاننى أترك خدمته » . فتأوهت وقالت: «فليراع شيخوختى وشدة تأثرى بما يصيبه حتى أستريح وأموت راضية» . ثم قلت لها : «إن لى رأياً ، وهو أن يطلب الخديو من الحكومتين الألمانية والنمساوية بعض الأخصائيين لاستخدامهم مستشارين فى النظارات ، وينتخب نظاراً مقتدرين ومخلصين ، وفى مدة الاحتلال التركى يترك لهؤلاء الرجال التصرف ، ولا يتدخل سموه فى شىء ، حتى لا يقال عنه إنه عمل كذا وكذا . لأن الوقت الحرج هو وقت وجود الجيش التركى فى مصر » . فوافقت على رأيى ، ثم دعت للخديو بالتوفيق ، وكلفتنى حمل تحياتها له وتقبيل وجنتيه .

وفى يوم ١٥ منه كنت قد عدت لفينا وقابلت الخديو ، فأبلغته تحيات الوالدة والبرنسيسات ، والبرنس ابراهيم حلمى

وقد لاحظ سموه أن الوالدة تركت نفسها بدون نقود كافية ، وكان يمكنها أن ترسل احدى «القلفوات» لمصر لتخبر الوكيل بأن يبعث لها ورق بنكنوت مصرياً إلى أوربا ، أو بواسطة بنك دى روما ، ليحول المبلغ إلى فرنكات ، ويصرف للوالدة فى الاستانة ورق بنك نوت تركيا . فقلت لسموه : وهل هى تلم بهذه الأمور ؟ قال : كان على وكيلها أن يتدبر الامر . ثم قال بتهكم : ها هى ذى الحكومة المصرية تصرف لها وللسيدة خاتم افندى (زوجته) مرتباتهما ! فسألت سموه ، من أين علم بهذا ، فأجابنى ، من ابراهيم بك راتب ، الذى طرده الانجليز فحضر للاستانة ، وقال . إن السلطان حسينا زاد مرتب البرنس عزيز حسن إلى مائتى جنيه شهرياً بدلا من مائة . ثم أظهر استياءه من أعضاء العائلة بمصر وهم البرنسان حيدر وكامل فاضل والبرنسيسان فاطمة فاضل وزهرة حليم ، فانهم يحمدون ويشكرون على هذا التغيير ! الذى حصل بمصر ، والاخيرة تقول : «لم يصنع لنا الخديو عباس شيئاً نحمده عليه» ،

ثم أخبرنى الخديو أنه كتب الى البرنس ابراهيم حلمى رسالة لطيفة لتطييب خاطره ، مما سمعه من عقيل يسرى

الارادة الشاهانية وتحرير مسهمة الحملة على مصر : فى يوم ٨ يناير قابلت البرنس ابراهيم حلمى ، فسألنى عما إذا كان الخديو يقبل العودة للاستانة ومنها يذهب لمرافقة الجيش العثمانى بصفته سردارا ، لأن الأتراك فهموا الآن ضرورة ذلك بعد الانقلاب الذى حصل في مصر ، وتبذل الآن مساع من محمد عزت باشا زوج فائقة هانم بواسطة جاويد بك لذلك . فقلت : ما أظن الخديو يرضى بأن يرأس الحملة ، والأحسن ترك هذه المساعى ، لتصنع الحكومة العثمانية ماتراه صوابا ، خصوصاً وقد فهمت أن الصدر غير راض بذلك ، وأن الأصوب تعيين قائمقام خديوى لمرافقة الحملة خوفا من أن تطلب الحكومة العثمانية من الخديو



محمد عزت باشا

تعيين جمال باشا القائد العام قائمقام لسموه . فطلب منى البرنس أن أقابله بعد غد ليتكلم معى مرة أخرى ، بعد أن يروى الفكر فيما دار بيننا من الكلام

ارادة خديوية بتعيين البرنس ابراهيم حلمى قائمقام مرافقا للحملة : وفى يوم ١٠ منه قابلته ، وأطلعته على صورة الارادة الخديوية بتعيينه قائمقام خديوياً ليرافق الحملة نائباً عن سموه . فوافق عليها . ثم قال لى : إنه فكر فيما قلته له فى المقابلة الأولى وأنه يجب التعجيل بصدور هذه الارادة ، وأما مايحتمل من انتقام الانجليز منه فى أملاكه بمصر فهو أمر لايهمه . ثم قال : « ولو أننى كنت أشرت عليك بسفر سمو الخديو مع الحملة ، إلا أننى الآن بعد ماعرفته من الحوادث الماضية ، وبعد ماسمعت من ثلاثة أشخاص أن فى النية القضاء على حياته ، لا أرضى له بأن يلقى بنفسه فى التهلكة»

الارادة الشاهانية : ثم تحدثت مع دولته فى ضرورة استصدار ارادة شاهانية بتحديد مهمة الحملة على مصر ، بأن ينص على أنها مرسلة لارجاع الخديو لعرشه ، ولارجاع مصر إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال ، مع احترام الفرمانات . فقال : إن الأتراك لا يعملون عملا بطيبة خاطر ، ومن اللازم أن يتكلم الخديو مع الألمان ليجبروهم على إصدار هذه الارادة » . ثم ضرب مثلا لذلك : إجبار الألمان لهم على التصريح للخديو بالسفر من الآستانة إلى فينا وقد سبق ذكر ذلك

مقابلتى للصدر وشعوره نحو الخديو والسلطان حسين : وفى اليوم نفسه قابلت الصدر فلم أجد منه غطرسته وخشونته المعتادة مع رجال المعية الخديوية ، وتحدث معى ساعة كاملة ، وقد ابلغته تحيات الخديو وتهنئته بانتصار العساكر الشاهانية فى القوقاس فتشكر وقال : « إن الحكومة التركية مهتمة بالحملة على مصر وكادت المعدات اللازمة لاجتياز القنال تتم ، وعما قريب سيعود الخديو لبلاده معززاً مكرماً » وسألنى عن صحة سموه ، فأخبرته بتفاصيل حالته الصحية ، ثم قلت له : « ان الحفاوة التى يلاقيها سموه فى فينا تنسيه أكداره ، ولا سيما بعد الانقلاب » فقال الصدر: «نعم إن النمساويين أهل ذوق !» ثم سألنى عن رأيى فى قبول البرنس حسين كامل للسلطنة ، فأجبت بأنه لا بأس من ذلك للمحافظة على الأريكة الخديوية فى عائلة محمد على ، وربما هددوه فى حالة عدم قبوله بضم مصر لانجلترا ، أو تولية غريب عن العائلة ، كما سمعت أن « أغاخان الهندى » كان مرشحاً لهذا المنصب . قال: «لا . هذا

خطأ ، ولا يمكن اجراء هذا العمل من جانب انجلترا ، والروسيا نفسها حتى الآن لم توافق على الحماية . ثم قال : « الحقيقة هي أن الأمير مدين، وقبل هذا المنصب لسداد ديونه فقط »

وفي النهاية سألني عما إذا كان الخديو ينوى الحضور للاستانة ، فأجبت بأني لا أعرف ، فعقب على هذا بقوله : « سيعود إن شاء الله » ثم ودعته وانصرفت .

مقابلتي لسفير ألمانيا واقتراحي باصدار إرادة تحدد مهمة الحملة : وفي يوم ١٥ منه قابلت سفير ألمانيا ، ومكثت عنده ثلاثة أرباع الساعة ، أبلغته في أثنائها تحية الجناب العالى ، وأخبرته بكل معلوماتي عن الحالة السياسية ، وبارتياح الخديو لوجوده في فينا ، وصلاته بسفيرى ألمانيا والدولة وناظر خارجية النمسا ، ومادار في الحديث بينه وبين امبراطور النمسا ؛ ثم تفاهمت معه بصفة شخصية في ضرورة إصدار إرادة شاهانية ، يصرح فيها بأن الحملة السائرة الى مصر، إنما تذهب لارجاع السلطة الخديوية دون المساس بالامتيازات التي نالتها مصر من قبل ؛ وما ينتجه هذا التصريح من الطمأنينة ، ومن انجاح الحملة في مهمتها ومساعدة المصريين لها فوافقني السفير قائلا : « نعم إن هذا ضرورى وأعضاء الحزب الوطني بجنيف يلحون في ذلك ؛ وقد تحدثت مع الصدر في هذا الموضوع ، ونحن متفقون عليه » ثم طلب منى مقابلة الصدر والالحاح عليه في ذلك . فقلت له : « لا . أعفني من هذه المهمة لأن الأتراك لايحبون التدخل في شؤون حكومتهم ؛ وربما قالوا « ماهذا الذى يريد أن يعطينا درساً ؟ ! » قال السفير : « إذا كان الأمر كذلك فقل للصدر إنني كلفتك ذلك » . فقبلت . ثم أفهمته أن الانجليز يخدعون المصريين ويقولون لهم . هانحن أولاء قد جعلنا مصر سلطنة ، وسنعطيكم الحرية والدستور ، أما الأتراك ، إذا دخلوا مصر ، فانهم ينهبونها ويسلبونها ويهتكون أعراضها ، فاذا صدرت الارادة برجوع الحالة الى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢ وبرجوع خديوهم المحبوب لبلاده ، فانهم لايعبأون بخداع الانجليز . وبعد هذا سألني السفير عما إذا كان الشعب المصرى يثور على الانجليز ، فأجبته بأن ذلك محتمل إذا نجح


البارون ونجنهيم
سفير ألمانيا

الأتراك في عبور القنال، لأنه في هذا الحالة يضمن الثائرون النتيجة، ويأمنون الانتقام منهم. أما الآن فلا يجرءون على ذلك

وفي النهاية سألني عن أيام مكثي في الآستانة؛ فأخبرته أن المنتظر أن أظل هنا حتى يلحق البرنس ابراهيم حلمي بالحملة نائباً عن الخديو، فاستصوب ذلك بحماس قائلا «برافو»! ثم استأذنت وانصرفت.

مقابلتي للصدر ورده على اقتراحي: في يوم ١٦ منه ذهبت ومعي جلال الدين باشا وعارف باشا لمنزل الصدر في استامبول؛ فوجدنا عنده البرنس ابراهيم حلمي فقدمت للصدر نسخة من جريدة الأهرام فيها صور المخاطبات التي دارت بين شتهام متولي أعمال الوكالة البريطانية في مصر، وحسين رشدي باشا رئيس النظار بخصوص الانقلاب الأخير، مع ترجمتها بقلم عارف باشا، فأخذها شاكراً.

ثم قلت له: «إن سفير المانيا تحادث معي في ضرورة صدور ارادة شاهانية تحدد مهمة الحملة على مصر، وطلب مني أن أذكر فخامتكم بذلك». وما كدت أنتهي من هذه الجملة حتى قال بحدة: «مالي أراكم تستعجلون هذا الطلب يامصريون؟ فمن منذ شهرين وأنتم تلحون علينا!» قلت: «إن هذا في صالح الحملة حتى يطمئن الأهالي في مصر» فقال «بل في صالحكم أنتم!» ثم قال: «هذه الارادة ستصدر في حينها». فتحدث عارف باشا وجلال الدين باشا في وجوب إصدارها. فقلت: «مادام فخامته قد وعد بأنها ستصدر في الوقت المناسب فنحن نكتفي بهذا الوعد» وذلك لأسجل عليه ماقال، وخرجنا.

مقابلتي لسكرتير جمعية الاتحاد الترقي:

بعد خروجنا توجهت انا وعارف باشا إلى نادي جمعية الاتحاد والترقي، وقابلنا مدحت شكري بك السكرتير العام، فأبلغته سلام الخديو وتهنئته بانتصار الدولة، وشرحت له حالة إيطاليا والنمسا، والحفاوة التي لقيها الخديو فيهما بعد سفره فشكرني على هذه المعلومات. ثم تطرق الحديث إلى الحملة التركية على مصر لحادثته في ضرورة إصدار



مدحت شكري بك

ارادة شاهانية تحدد مهمة الحملة حتى يطمئن أهالى مصر ، ويزول خوف ايطاليا كذلك ، فقال : « نعم هذا ضرورى ويجب إجراؤه »

مقابلتى الثانية لسفير ألمانيا : وفي يوم ٢٥ منه قابلت سفير ألمانيا فأخبرته بأننى أبلغت الصدر تكليفه لى فيما يختص بأمر الحملة ، فوجدت منه امتعاضاً ؛ وكنت أتوقع ذلك كما أخبرته ، أعنى السفير . فضحك وقال : « اما أجابك بأن الارادة ستصدر لامحالة فى وقتها المناسب » قلت : « والآن أنسب وقت ، لأن الجيش على حدود القنال » . وعرضت عليه صورة مشروع للارادة الشاهانية ، حضرته بناء على طلبه في المقابلة السابقة وهو :

أولا : « نظرا لكون إنجلترا منعت الجناب الخديوى من الرجوع لمصر بدون حق ، فهمة الجيش إرجاع سموه لعرشه . وثانيا : مهمة الجيش أيضا اخراج الانجليز من مصر واعادتها إلى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢ . وثالثاً : تعلن الحكومة العثمانية أنها لاتبتغى من زحف جيشها ضم مصر لولاياتها ، ولا احتلال البلاد ، بل احترام الفرمانات التى خولتها استقلالها الداخلى » وبعد الاطلاع عليها أعادها لى قائلا : « أبقها لوقتها ، وأننى سأقابل الصدر وأطلب منه الأسراع فى إصدار الأرادة » . وأخيراً أخبرته أن الأمر الخديوى بتعيين البرنس ابرهيم باشا حلمى لمرافقة الحملة ، قد أرسلت صورته للجناب العالى لتوقيعه .

ثم حادثنى عن حالة الجيش العثمانى فى القوقاس ، وأنها غير حسنة ؛ والجنود كانوا غير منتظمين حتى ذهب اليهم مدد منظم أخيراً ، ثم عرج على حملة مصر فقال : « إنها بعكس ذلك » .

نفقات القائمقام : وفى أول فبراير وصلت إلى أوامر من فينا بالبريد من بينها حجز ألف جنيه من المبلغ الموجود بالخزانة لنفقات سفر البرنس ابرهيم حلمى ، وأنه أرسلت لجلال الدين باشا صورتان موقع عليهما من الأرادة الخديوية ؛ إحداها للبرنس بانتدابه ، والأخرى للصدارة لاخبارها بهذا الانتداب

وقد ظن جلال الدين أنه مأمور بتوصيلهما ، مع أن الأوامر الواردة لى تقول بابقائهما عندى حتى يتقرر سفر دولته من لدن الحكومة العثمانية ، خوفا من امتناعها فى آخر وقت ، فلا يكون من المستحسن عدم تنفيذ أوامر الخديو ؛ خصوصاً وأننا سمعنا من فريد بك ، أن رئيس مجلس النواب لايرى ضرورة لهذا الانتداب

ولما قابلت جلال الدين باشا أخبرني أنه سلم صورة للبرنس ابرهيم حلمي ؛ ولما سمع بالأوامر الواردة لي، تقرر أن نذهب ومعنا عارف باشا لمقابلة دولته، وإخباره بالأوامر، وبالفعل قابلناه فرد لنا الصورة التي تسلمها.

معارضة الصدر في تعيين القائمقام : ثم تقرر أن يذهب دولته للصدر لجس نبضه فيقول له : «ان الجناب الخديوي لما علم بقرب وصول الجيش للقنال سيرسل الارادة بتعييني مندوباً من قبله، فهل يرى الصدر مانعا من ذلك ؟ » ويرى كيف يكون رده !

وفي اليوم التالي تقابلنا، فأخبرنا أن الصدر لا يرى مانعا، ولكنه يلاحظ أن هذا العمل قد فات أوانه ، لأنه كان يجب قبل حدوث الانقلاب حينما كان للخديو قائمقام في مصر، فكان يجوز له عزله وإقامة الأمير مقامه. أما الآن فانه يوجد في مصر سلطان مناظر له، فالواجب أن يسير بنفسه مع الحملة. فأجابه البرنس : «بأن الخديو كان قد عزم على مرافقة الحملة وأرسل رجاله ومعداته، ولكن الحكومة التركية أرجعتهم ثانية. فقال الصدر «نعم حصل هذا لأن الوقت لم يكن قد حان. أما في هذه المرة فسيطلب الخديو للسفر في الوقت المناسب». ولما سأله دولته عما إذا كان سيشار إلى ذلك في ارادة تصدر من السلطان ؟ قال : «نحن لا نقبل شروطا مطلقا، ونحن لا نرجو الخديو، وفقط عندما يحين الوقت نكلف سفيرنا في فينا بأن يطلب منه الحضور للاستانة للحاق بالحملة، فان قبل كان بها، وإلا فيعرف صالحه ونعرف صالحنا ! . أما إذا كان يعتقد بأنه يركب وابوراً من تريسته ويذهب لمصر كما حصل عند تعيينه فهذا لا يكون» ! . ثم سأل البرنس عما إذا كان في النية ترك المصريين المرافقين للحملة الآن، والذين هم أعداء للخديو، أم ارجاعهم؟ فرد الصدر بأن هذه مسائل ثانوية تافهة، لا يلزم ادخالها في الشؤون الهامة. وانقطع الحديث بينهما بعد ذلك لدخول أحد رجال جمعية الاتحاد الميالين للخديو وهو عبد الحق بك الكاتب المشهور

ولما أخبرنا البرنس بهذا الحديث فكرنا في الأمر، ثم قررنا أولا : أن جلال الدين باشا يكلف مالك بك المعين من قبل الجناب العالي للاتصال بجمعية الاتحاد — وهو من أعضاء مجلس إدارتها — أن يستعلم عما قررته الجمعية في صدد سفر الخديو فاذا عرفنا أن ما قررته مثل ما قاله الصدر سافرت إلى فينا لعرض الأمر على سموه ثانياً : نكتفي بما قدمته من البيانات بشأن الارادة . ثالثاً : السعي لدى المانيا والنمسا

لتأييد ما نطلبه ، ومن التوسط فى ارجاع المصريين المرافقين للحملة الذين هم ضد الخديو وقد بعثت للخديو بالتفاصيل

وفى يوم ٧ فبراير قابلنا مالك بك ، فعلمنا منه أن الجمعية لم تقرر شيئا بخصوص سفر الخديو ، فأخذت فى الاستعداد للعودة إلى فينا ، وللتفكير فى طريق آخر

المقابلة الأخيرة لسفير ألمانيا بشأن الارادة : وقبل السفر قابلت سفير ألمانيا ، وسألته عن الارادة الشاهانية ، فقال : « إنها ستصدر مختصرة ، وموجهة إلى المصريين يقول فيها السلطان : إنه أرسل الحملة لتخليصهم من يد الانجليز وإرجاع الحالة إلى ما كانت عليه مصر قبل الاحتلال »

فسألته عما إذا كان سيشار فيها إلى رجوع الخديو لأريكته فقال : « لا . لأن هذا قررناه مع الصدر » ثم قال : « وقد قلت له إننى باعتبارى سفيرا لألمانيا اتفقت مع سموه ومع أنور باشا على ذلك ؛ فلا محيص عن تنفيذ هذا الاتفاق ، لأنه لم يكن هزلا ولا لعبا » . فقال الصدر : « إنما أخشى ألا يسير سيرة طيبة حينما يجد نفسه بدون مراقبة ، فيسىء إلى المصريين فيتظلمون » .

قال السفير « وأنا قلت له ذلك ، لأننى أعرف أن الصدر يدعى وجود اتفاق بينى وبين الخديو ، فأردت بكلامى هذا أن أطمئنه من جهة ، ومن جهة أخرى أن يعرف تصميمنا على إرجاع الخديو لمنصبه ، وأنا متحقق من ذكائه واقتداره وهمته » ثم سألته عن رأيه فيما إذا طلبت الحكومة العثمانية سمو الخديو لمصاحبة الحملة فهل يقبل ، مع العلم بوجود بعض خصومه من المصريين معها ؟ فأجاب : « أما كلام الصدر للبرنس ابراهيم حلمى وتهديداته ، فلا معنى لها ، ولا يعول عليها ، ولا بد أنه طامع فى الخديوية » قلت : « هذا أمر معلوم إنما أسأل : هل الخديو يقبل مصاحبة الحملة ؟ » فقال : « قل له من طرفى : إنه يوجد من يحافظ عليه ويحب له الخير » قلت : « إن الأحسن إذا طلب من سموه السفر مع الحملة أن تبذل مساع فى ألمانيا ، للتأثير على الحكومة هنا ، بارجاع أعداء سموه » فقال السفير : « ما على الخديو إلا أن يقبض عليهم ويشنقهم فى مصر » ! فقلت : إن سموه لا يحب خلق مشاكل بينه وبين القائد العام بمجرد دخوله عاصمة بلاده » ؛ وأخيراً كرر على أن أقول لسموه : « إنه يوجد من يحافظ عليه » وأن أقدم له احترام السفير

العودة إلى فينا : وقد سافرت فى صباح يوم ١٢ فبراير ومعى جلال الدين باشا .

ووصلنا إلى فينا يوم ١٥ منه وقابلنا سموه ، واقتصر الحديث على ابلاغه التحيات التى كلفت إبلاغها له ممن قابلتهم بالآستانة

وفى اليوم التالى حضر جنابه إلى غرفتى ، فقصصت عليه بالتفصيل كل ما أحمله من الأخبار ؛ وهو منتبه أشد الانتباه ؛ وقد سر لما عرف أن الارادة ستتضمن النص على ارجاع مصر لحالتها قبل سنة ١٨٨٢ ، وان لم يأت ذكر لسموه فيها

صدور الارادة : وأخيراً صدرت الارادة الشاهانية ، ونصت فقط على تحديد مهمة الحملة بارجاع حالة مصر لما كانت عليه قبل الاحتلال ، والاحتفاظ بالامتيازات التى خولتها لها الفرمانات

أخبار عن الحالة فى مصر : فى يوم ١٧ من يناير توجهت لزيارة قاضى مصر التركى ، الذى عزل من منصبه ، وحضر للاستانة ، فعلمت منه أن الأهالى فى مصر مستاءون من هذا الانقلاب ، حتى إنه عندما يدعو الخطيب فى يوم الجمعة للسلطان الجديد لا يؤمنون على الدعاء ؛ وأنه صدر الأمر إلى الخطباء باسقاط اسم الخليفة من الخطبة ، والاكتفاء بالدعاء « لخليفة المسلمين » دون ذكر اسمه ، كما كان المتبع ، وأن أول جمعة صلاها السلطان كانت فى مسجد السيدة زينب ، مع أنه كان ينوى الصلاة فى مسجد سيدنا الحسين ؛ وفى اللحظة الأخيرة بلغه وجود مؤامرة ضده ، فحول قصده ، وبقى رجال البوليس فى طريق سيدنا الحسين لايهام الناس أنه سيمر من هذا الطريق ؛ وأن رجال الحزب الوطنى الذين كانوا ضد الخديو ، قد أصبحوا فى صفه ، حينما تأكدوا أنه مضطهد من الانجليز ؛ وأن طلبة المدارس لبسوا أربطة رقبة سوداء إعلانا للحداد ؛ وأن الشيخ هارون من هيئة كبار العلماء أفتى بتحويل نظارة الأوقاف الخديوية إلى السلطان الجديد ؛ وأن الانجليز آذوا أحمد بك صادق لاتهامه بتبديد أموال الأوقاف

وفى يوم ٢٠ منه كنت فى بيك فقابلت الدكتور مصطفى حسنى مورو ، الذى حضر من مصر بمساعدة قنصل أمريكا بها ، فعلمت منه أن السنوسيين استبدلوا بأسرى الطليان أسلحة ، واستعدوا للزحف على مصر ، ولهذا وضع الانجليز على الحدود من السلوم إلى بنى سويف جنودا انجليزية ؛ ثم توجه الجنرال مكسويل للفيوم ، وقابل مشايخ العرب ، وطلب منهم أن يحلفوا يمين الطاعة فلم يقبلوا أن

يؤديها إلا للحكومة المصرية ، فاستاء الجنرال منهم وأمر المدير بحبسهم ، ولكنه أفهمه أن لكل شيخ من هؤلاء أتباعاً بين المائة والمائتين ينتظرون عودتهم ، فاذا علموا بحبسهم حدث ما لا تحمد عقباه ، فاضطر أن يأمر باخلاء سبيلهم . ولكن السلطان حسين فى يوم تتويجه تلقى وفد مشايخ العربان بشدة ، وقال لهم إنهم صاروا مصريين لأن لهم عقارات وأطياناً ووظائف بالحكومة ، فهو من الآن لا يعرف عرباً وفلاحين ، لأن الكل سواء فى نظر القانون، فساءهم ذلك وأن الانجليز انتخبوا البرنس حسيناً حتى يستعينوا بسلطته على

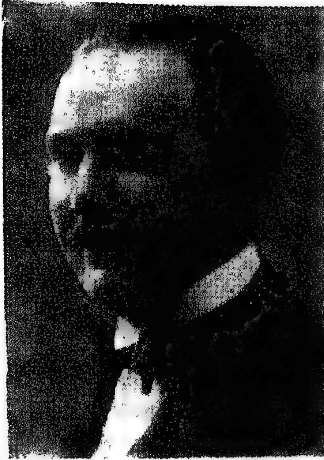


أمين بك الرافعى

استخدام الجيش المصرى للدفاع عن مصر ، ولكن لم يقع ذلك ؛ وأن الأهالى يستغربون قبول نظار الخديو للانقلاب والعمل مع السلطان حسين ؛ وأن عظمته طلب الأستاذ أمين الرافعى ، وكلفه أن يصدر جريدة الشعب ، فاعتذر بأنه لا يمكنه ذلك إلا إذا صدر أمر مجلس إدارة الحزب ؛ وأن السرايات الخديوية لم تفتش لأن الانجليز علموا أن الخديو أخذ جميع المستندات والأوراق المهمة ، ولم تصادر أملاك سموه لأنها مرهونة ؛ وأن المصريين يعتقدون أن الأتراك يصلون للقناة فى آخر يناير وأن الخديو اتفق معهم على استقلال مصر استقلالا تاماً ، وأنه سافر إلى فينا للعمل على مافيه صالح مصر مع الحكومة النمساوية والألمانية .

وفى يوم ١٥ فبراير علمت من الشيخ محمد عثمان أن إبراهيم بك راتب الذى حضر من مصر قابل سمو الخديو وأخبره أن الأمة المصرية بأجمعها تنتظر رجوعه بفارغ الصبر ، وأنها معه قلباً وقالباً ، وقال له بلهجة مؤثرة : « انت قاعد هنا ليه يا أفندينا ؟ أمتك كلها تنتظر حضورك . حرام عليك تفوتها وهى متعلقة بك ... » . فبعد أن كان سموه فى حالة يأس ، رجعت له قوته وأمله .

وفى يوم ٢٥ منه قابلت الدكتور حسين همت وكان فى الأوقاف الخديوية


ابراهيم راتب بك

والدكتور نصر فريد من الحزب الوطنى وعلمت منهما :

١ — أنه حدث حريق فى غرفة الاستقبال الكبرى فى عابدين ، أحدثه أحد الفراشين القدماء بقصد إحراق السراى كلها ومنع السلطان حسين من التمتع بها .

وأنه ألصقت إعلانات تهديدية للسلطان بداخل سراى عابدين .

نيات الأتراك نحو السلطان حسين: فى يوم ٥ فبراير علمت من البرنس ابراهيم حلمى أن الصدر قال فى معرض الكلام عن مصر : «إذا لاسمح الله لم ندخل مصر فاننا نطلب فى مؤتمر الصلح إرجاعها إلى ما كانت عليه بما فى ذلك عزل الأمير حسين ؛ وإذا دخلنا فاننا سنشنقه أمام ضوله بنجة . أما طلعت بك ناظر الداخلية فيرى أن هذا المكان ليس به مارة كثيرون ويستحسن شنقه على الجسر » !

بين الصدر والخديو : فى يوم ٥ فبراير قابلت البرنس ابراهيم حلمى فعلمت منه أنه دار كلام بين محمد عزت باشا والصدر ، الذى أكد عودة الخديو لعرشه ، ولكنه قال : « إنما أخشى أنه بمجرد أن يصل إلى قصره فى القبة يبتدئ فى أعماله التى تثير الحزازات ، فيأسى الأهالى على عهد الاحتلال الانجليزى » . فاجابه عزت باشا : هذا لا يمكن لأن الخديو ذكى ويفهم أن العهد الحالى ليس كالعهد الماضى . قال الصدر . أنا لست مطمئناً إليه ، وأتوقع حصول مخالفات تجرنا إلى نتائج سيئة .

وفى يوم ٢ أبريل قابلت البرنس فى ميركون فأخبرنى أن الصدر مستاء جداً ، لأن إبراهيم بك راتب قال له : « إن الجناب الخديوى يتهمه بأن الانجليز رشوه بمبلغ ١٤٢ ألف جنيه حتى تمتنع الدولة عن دخول الحرب ، وأن الانجليز مخطئون فى تعيين السلطان حسين على مصر ، ولو عينوا الصدر لأمكنه إثارة اليمن ضد الدولة » . وأن دولته أجاب على كلام الصدر بأن هذا لا يمكن أن يقع من الخديو ، فرد بأن قائل

هذا الكلام من المنتسبين لسموه وله علاقات بحاشيته . ثم إن الصدر أرسل لسفير الدولة فى فينا يطلب منه أن يسأل الخديو عما ينسبه إليه ابراهيم راتب ؛ فجاء الرد بنفيه وعلمت أن تقرير السفير كان فى صالح الخديو .

قال البرنس : والصدر يخلق الفرص للطعن فى الخديو ، وكان يوماً فى النادى الشرقى مع سفير ألمانيا وعزت باشا ، فدار الحديث عن المصريين فقال : « إنهم جماعة لا يساوون شيئاً » . وهو كثيراً ما يحتد ويصيح قائلا : « نعم هو الخديو الشرعى ، على رأسنا ! ، وأنه يعود إلى عرشه على رأسنا ولكن فى الوقت المناسب ».

وفى يوم ٩ منه كنت مع الدكتور نصر فريد والدكتور سيد كامل . وبينما نحن نتحدث حضر إبراهيم بك راتب ، ودار الحديث حول مصر والمخلصين لقضيتها والدسائس بين الخديو والصدر ، فوجهت الكلام لراتب بك فيما بلغ الصدر من حديث الخديو نقلا عنه ، كما أبلغنى البرنس ابراهيم حلمى ، فقال مستغرباً : « هل البرنس إبراهيم قال ذلك ؟ » قلت : « نعم . وربما كانت دسيسة ضدك حتى يبعدوك عن الخديو » . فلم يوافق على هذا الكلام ، واكتفى بالسكوت ، إلا أن عدم تصريحه بالنفى أرابنى من ناحيته . فقلت : « يسوؤنى أن أجد دسائس تقوم بين عظيمين يديران دفة مملكتين إسلاميتين مهمتين ، لأجل تفريقهما ، مع أننا فى وقت نحتاج فيه إلى الوفاق » ولعنت الدساسين الذين ليس من ورائهم إلا الخسارة . ثم قلت : « يوجد بين محبى الطرفين من يمكنه أن يزيل هذا الشقاق ، فلماذا لا نسعى للوفاق ؟ إننى أعمل لهذا » . فقال راتب بك : « أما أنت يا باشا فانه معلوم أنك تحب الوفاق ». قلت : « وأنا أعرف واحداً محباً للجانبين ، ومخلصاً لهما ، ويستطيع التوسط فى هذا الموضوع ، وهو عماد الدين بك . فليفعلْ » قال راتب : « إن من طبيعة الصدر أنه إذا رسخ فى ذهنه شىء عن إنسان فلا يمكن تحويله عنه » يعنى أن الصدر على ثقة أن الخديو ضده ، ولا يمكن تغيير اعتقاده :

وفى هذا اليوم قابلت سفير ألمانيا وساقنا الحديث إلى الكلام عن الصدر وما يشيعه من اتهام الخديو له ، فأبلغته نفى راتب بك للخبر ؛ فأخبرنى أن رجال الدولة والسلطان وزوجة الصدر نفسه ينتقدون خطته .

وفى يوم ١٣ منه أخبرت البرنس بحديثى مع راتب بك فاستغرب ، وقال : « هل الصدر إذن كذبَ فى ادعائه ؟ » قلت : « لا أظن . ولكن ربما لم يبلغه ما

بلغه من راتب رأساً ، بل بواسطة جعلت من الحبة قبة » . فقال : « إن هذا الشاب لما حضر للاستانة قال : « علمنا ونحن فى مصر أن الخديو متفق مع الخلافة ، ومتحد مع رجال الدولة ، ولكنى اسفت لما علمت عند حضورى بأنه فى شقاق مع الصدر الذى يقول عنه سموه كذا وكذا » . ثم أخبرته بما قاله لى سفير ألمانيا عن الصدر فقال إنه خرج عن حد الاعتدال ، حتى إنه أصبح يصيح بأعلى صوته أمام المأمورين فى الصدارة قائلا : « هل تقبلون أن يدعى الخديو على أننى ارتشيت من الانجليز ؟! » .

وفى يوم ١٨ تناولت الغداء مع محمد عزت باشا ، فأبلغته نفى إبراهيم بك راتب لما قيل من أنه هو الذى أبلغ الصدر كلام الخديو عنه ، فرد مؤكداً بأنه قال هذا الكلام شخصياً للصدر مرتين .

وفى يوم ٨ مايو كنت مع حسين حلمى باشا سفير الدولة فى فينا ؛ وجاء ذكر الشقاق بين الخديو والصدر ، فأظهرت له أسفى لهذا الشقاق فى وقت يجب فيه الوئام ، وأثنيت على السفير لأنه أرسل للصدر ينفى التهمة عن الخديو فى أسلوب لطيف، فقال: « أنا كتبت مرتين » . قلت« : إن الصدر الآن خفف وطأة الكلام ضد الخديو ، ومن الواجب على بصفة كونى مصرياً وعثمانياً أن أجتهد على قدر الامكان فى انتهاز الفرصة المناسبة للتأليف بينهما . والآن توجد فرصة مناسبة وهى أن الدولة قدمت مساعدات لبعض الموظفين وأرباب المعاشات بحاشية الخديو ؛ فيصح أن يكتب الخديو رسالة شكر للصدر ، أو أن يرجو دولة السفير إبلاغ شكره ، فتتحسن العلاقات » . فاستحسن كتابة رسالة خطية لأنها تكون أوقع . قال :



حسين حلمي باشا

« إن بعض الحاشية يتفوه أحياناً بكلام ليس من الحكمة التفوه به ، فيحسب أنه

صادر من الخديو نفسه ، وأنه ذكر لحاشيته هذه الانتقادات فرددتها . وأنا لم أسمع من الخديو شخصياً أي انتقاد ؛ ولا يمكن أن يقدم رجل ذكي مثله على اتهام الصدر بالرشوة ، وإلا كان مجنونا »

وفي يوم ٢٣ مايو كنت أحضر جلسة من جلسات اللجنة التي كانت قد شكلت للنظر في كل مايهم الخديو وهي مؤلفة مني ومن فريد بك ويوسف صديق باشا و «ى» بك والاستاذ فهمي والأستاذ سيد كامل، فعرضت فكرة التقريب بين الخديو والصدارة بكتابة رسالة الشكر التي سبق الحديث عنها مع السفير ؛ ثم حضر الخديو الجلسة ففاتحه فريد بك بالحديث في هذا الشأن ، وذكره أن هذا العمل يحسن العلاقات بينهما فأمنت على كلامه قائلا : « إن أفندينا يريد انتهاز الفرص من وقت لآخر للمخابرة بصفة كونه خديوياً مع الباب العالي ، وهذه هي فرصة مناسبة » وقال فهمي : « إن إظهار المودة ـ ولو ظاهرياً ـ ربما يمنع عنا ضرر حقده ـ أي الصدر ـ على المصريين » وأظهر « ى بك » أن من الضروري كتابة هذه الرسالة . فقال الخديو : « إنكم تعملون معي كما كان النظار يعملون . فانهم كانوا يقولون لي : ياأفندينا نحن نساير الأنجليز ونرضيهم لنمنع عنا ضررهم . وبعد أن أوافقهم ونعطيهم مايريدون ، يرجعون إلى قائلين : إنهم لم يمكنهم أن يستفيدوا من الأنجليز شيئاً »

فقال الأستاذ فهمي : « إن النظار ربما كانت لهم أغراض . أما نحن فأننا لانريد إلا خدمة البلاد »

وفي النهاية وعد الخديو على مضض بكتابة هذه الرسالة .

وفي اليوم التالي أمر سموه ثريا بك الألباني من المقربين له بعد الحاح مني أن يحرر رسالة الشكر ، وقد وقع عليها سموه شبه مكره .

وسافرت للاستانة يوم ٢٥ ومعي هذه الرسالة . وكان فريد بك قد سافر اليها كذلك ؛ وتواعدنا على زيارة الصدر ، فزرناه يوم ٣٠ مايو ، وأبلغته تحيات الخديو وقدمت له الرسالة التي أحملها ، فأخذها شاكرا ، وكنت أحس أنه مسرور ، وأنني أفلحت في مهمتي

فشل الحملة التركية على قناة السويس : جاء ذكر هذه الحملة في مذكرات سنة ١٩١٤ ، والخطوات التي خطتها إلى نهاية هذه السنة . والآن نعود اليها لتفصيل ما تم بشأنها في سنة ١٩١٥

في يوم ٨ فبراير قابلت سفير ألمانيا في الآستانة فعلمت منه أن الجيش العثماني

وعدده عشرون ألف جندى، تقدم إلى القناة على خمسة أقسام، ألقى أحدها جسراً نقالا فى نقطة بالقرب من الاسماعيلية ثم رجع إلى سينا تاركا خلفه ثلثمائة عسكرى

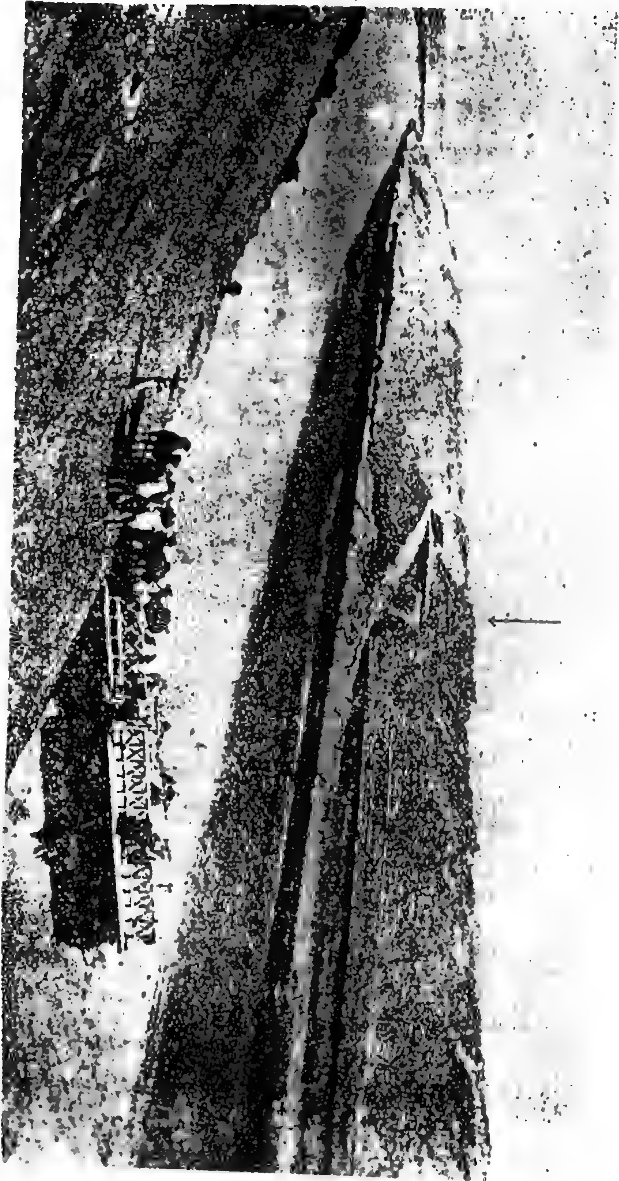


خريطة سير الحملة التركية (١)

لابد أن يكون الانجليز قد أخذوهم أسرى . وأن سبب الرجوع عدم كفاية القوة

---

(١) عن اللطائف المصورة



منظر قتلى الأتراك على القناة

العثمانية الهاجمة ، ولكنها تمكنت من أخذ موقع مرتفع على بعد سبعة أميال من القناة . وهذه التجربة تدل على أنه فى الامكان العبور فى المستقبل ؛ كما أن « أركان حرب » الحملة وقد عرف حالة الدفاع الانجليزى سيدبر أمره على حسب المعلومات التى حصلها ؛ وسنرسل مدافع من عيار ٢١ سنتيمترا . وأقول لك بصفة سرية : إذا احتاج الأمر سنرسل جنودا ألمانية ، لأننا صممنا على محاربة الانجليز إلى النهاية ولو تم الصلح مع فرنسا وروسيا . لهذا سنهتم بإتمام السكة الحديدية من برلين إلى القاهرة بين بوزانتى وقره قولاق لتسهيل النقل » ، ثم قال : « إن ألمانيا تعلق أهمية كبرى على هذه الحملة ولا بد من كسر الانجليز هناك » قلت « إنه ينتظر إذا هزموا أن يثور الشعب ضدهم فى مصر والسودان كذلك ، وأن الشيخ الطيب من أقارب قاضى الخرطوم أكد لى هذا العزم » فسر السفير لهذا الخبر .

وفى يوم ٢٥ منه علمت من الدكتورين نصر فريد وحسين همت من أخبار الحملة ما يأتى :



المرحوم الصاقول اغاسى الطوبجى
محمد افندى توفيق

١ — ان الضابط المصرى المدفعى محمد توفيق افندى الذى كان ببطارية الاسماعيلية طلب اعفاءه من أداء واجباته ، فقبل ضابط مصرى أن يحل محله ، ولما وقع القتال على القنال رفض الجنود المصريون استعمال المدافع ضد الأتراك ، فأخذ الضابط نفسه يستعمل المتراليوز ، ولكن أصابته قنبلة أماتته فى الحال ، ولم يقبل ضابط آخر أن يحل محله

٢ — يشاع أن الجرحى من الانجليز فى واقعة القناة نحو ثمانمائة والأهالى يقولون إن هذه مناوشة كشفية ، وأنها نجحت ، وأنه عند ماتتجمع قوى الاتراك لا يقوى الانجليز على دفعها ، ويهزأون بدعوى الانجليز أن الرمال كانت سببا فى تقهقرهم فى جهة الاسماعيلية



جثث الاتراك والمصريين بعد حادثة العريش فى سنة ١٩١٥

٣ـــ زار السلطان حسين جرحى الأتراك بمستشفى قصر العينى ، فسأل ضابطاً طرابلسى الأصل عن عدد جيش الأتراك ، فرد عليه قائلا : « وما مقدار قوة الانجليز ؟ فهل يمكنك أن تجيبنى ؟ » فقال : « لا » فقال : « وأنا كذلك لاأستطيع إجابتك ! » فسأله السلطان : هل أنت مستريح للطعام بالمستشفى ؟ فأجابه : « ماجئنا لنأكل وليتنى مت في الموقعة » !

٤ ـــ بعد موقعة القناة ابتدأ الأهالى يتخلون عن السلطان ، ويجاهرون بالعداء للانجليز والتجمع فى المقاهى على الرغم من وجود الجواسيس ، وأحس الانجليز خطورة مركزهم أمام الأهالى ، والبوليس المصرى يتظاهر بتنفيذ الأوامر ولكنه فى الحقيقه لا يعمل بها

مشروع انشاء مستشفى يحمل اسم الخديو : فى أثناء وجودى بالاستانة حضر الدكتور مورو اليها وفكر فى إنشاء مستشفى باسم « مستشفى الهلال الأحمر الخديوى » لمعالجة الجرحى الأتراك والمصريين من المصابين فى الحملة على مصر وغيرها

وقدعقداجتماع لبحث هذه الفكرة من بعض «البرنسات» المصريين والأعيان المقيمين بالاستانة ، وكنت حاضرا هذا الاجتماع تحت رياسة البرنس ابراهيم حلمى فاقترحت أن يتبرع جميع المصريين الذين يتناولون إعانات شهرية من خزانة الدولة بما يعادل ١٠ ٪ من مرتباتهم

وقد اعترض الدكتور صالح صبحى بك على المشروع بأن موارده المالية لا تسمح بتنظيمه والقيام بنفقاته ، واقترح أن تحول التبرعات للهلال الأحمر التركى ، وأورد محى الدين بك جلال اعتراضاً آخر على اسم المستشفى ، مشيراً إلى الخلاف القائم بين الاتحاديين والخديو ، وعدم استحسانهم لأن يحمل المستشفى اسم سموه

فأجبت على الاعتراض الأول بأن المستشفى سيكون فى إحدى سرايات جبوقلى حيث تتوفر الأسرة والنور الكهربائى والمياه الصالحة ، وهذا يوفر كثيرا من المبالغ

ورددت على الاعتراض الثانى بأن الاتحاديين لا يزالون معترفين بخديويه عباس ، ولذلك لن يعترضوا على تسمية المستشفى باسمه .

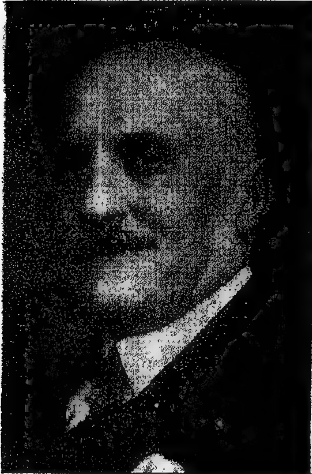
وأخيراً انتهى المشروع إلى الفشل

مشروع خطير لفصل فرنسا عن انجلترا فى الحرب العظمى :

تعرف الخديو بموسيو كايو وموسيو بولو : تعرف الخديو بباريس فى صيف



بولو باشا



الموسيو يوسف كايو

سنة ١٩١٤ برجل فرنسى يسمى « بولو » بواسطة يوسف صديق باشا وهو ينتمى إلى موسيو « كيو » الوزير السابق ، الذى عرفه الخديو كذلك عند ما كان فى باريس

وحدث أن أحد محررى جريدة الفيجارو ويدعى « كلمت » (شقيق الآنسة تالبوتيه معلمتى الفرنسية فى أثناء دراستى وقد عرفتنى به) نشر مقالا يتهم فيه موسيو « كيو » بالاختلاس وبخيانة وطنه لسعيه فى خدمة ألمانيا . فما كان من زوجته إلا أن ذهبت لهذا المحرر وأطلقت عليه رصاصة من مسدسها أردته قتيلا ، فقدمت للمحاكمة الجنائية .

وقد طلب مسيو « كيو » من الخديو أن يبذل نفوذه لدى رئيس محكمة الجنايات لانقاذ قرينته ، وعرف سموه به فى مأدبة خاصة . فسعى بجميع الوسائل لديه ، ومن ذلك أن وعده بالانعام عليه بنيشان كان يطمح إليه . وكانت النتيجة براءة مدام

« كيو » ، وأصبح زوجها من هذا الوقت يود أن يقدم خدمة لسموه رداً لجميله .

الخديو يعمل لحفظ العرش له أو للبرنس عبد المنعم : ولما نشبت الحرب رأى الخديو أن يستعين بموسيو « بولو » الذى أشار « كيو » على سموه باستخدامه ، للسعى فى لندن لدى « ربرتسون » أحد أصحاب النفوذ فى انجلترا للحصول على وعد من الحكومة الانجليزية بأنها تعيد الخديو لعرشه أو على الأقل تعامله معاملة حسنة بتعيين نجله البرنس محمد عبد المنعم بعد السلطان حسين

وقد قام « بولو » بهذا المسعى ، ولكنه أخفق فيه وقابله « ربرتسون » بخشونة ، وقال له : كيف تتحدث فى هذه الظروف فى شأن كهذا ؟ » وأمره بالرجوع من حيث أتى ، وإلا نبه الحكومة الانجليزية للقبض عليه .

تفكير بولو فى مشروع صلح انفرادى بين فرنسا وألمانيا : وفى ٢١ ديسمبر سنة ١٩١٤ كان « محمود خيرى بك » من الحاشية الخديوية بباريس ، فكلفه « بولو » أن يرسل برقية إلى « يوسف صديق » ليقابله فى جنيف

وفى ٢٩ منه تقابلا ونقل عنه يوسف باشا ما يأتى : —

إن حالة الجيش الفرنسى ليست على ما يرام ، ولكن يمكنه المدافعة مدة طويلة ، والألمان لا يرغبون فى محو فرنسا ، ولا يقصدون إلا القضاء على نفوذ الانجليز .

ولذلك فكر بولو فى مشروع خطير يقضى بتحسين العلاقات بين فرنسا وألمانيا للوصول إلى الصلح بينهما . وذلك باستمالة بعض أصحاب الصحف المهمة فى فرنسا وبعض كبار الفرنسيين مثل « بارتو » و « كليمانصو » و « بريان » ومساعدة موسيو « كيو » بنفوذه على أن يسير العمل سريا . ولهذا فكر فى انشاء بنك كاثوليكى يكون شقيق البابا « الكونت دى لا كيزى » مديرا له ، وهذا البنك يقوم بهذا العمل بأمواله التى ستدفع من ألمانيا . ولو علم أنه فعل ذلك فلا حرج لأن من وظيفة البابا أن يعمل لصالح الانسانية الذى يقضى بوقف

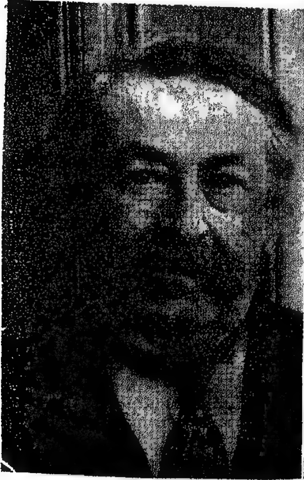


مسيو بارتو

الحروب . وطلب من « يوسف صديق » ألا يبوح الخديو بسر المشروع لأى إنسان وألا يتحدث فيه إلا مع امبراطور ألمانيا نفسه ، لأن الفرنسيين لو علموا الآن شيئا عنه لفتكوا به ، أما اذا تم فانهم يرفعونه فوق رءوسهم .



الموسيو كليمانصو



موسيو بريان

الخديو يعمل لمقابلة الامبراطور : وقد وافق الخديو على هذا المشروع الخطير وبدأ يعمل لمقابلة الأمبراطور وعرضه عليه ؛ ولكن رجال تركيا كانوا يعاكسونه ويعرقلون هذه المقابلة ، خوفاً من اتصاله رأساً بالأمبراطور .

ولما يئس من المقابلة ، أرسل إلى برلين لاستحضار «البارون أو بنهايم» المستشرق الألمانى ، وكان بقنصلية ألمانيا فى مصر ، وأسر اليه المشروع كما أسره للسفير الألمانى فى فينا ، ولكن الموضوع أهمل ، ولم يهتم به أحد فى المبدأ ؛ ولم ترسل وزارة الخارجية ردها على السفير .

العودة إلى التفكير فى المشروع : وكان الخديو قد تعرف فى فينا برجل ألمانى كبير اسمه « سمرى » فدعا سموه لمأدبة تضم سفير ألمانيا فى رومه سابقاً وكان الخديو يعرفه ، فانتهز هذه الفرصة وحادثه فى المشروع فأظهر اهتماما كبيراً به ، وخاطب وزارة الخارجية الألمانية ، فورد له الرد بأن ألمانيا تقبل مبدئياً هذا المشروع .

عندئذ أرسل الخديو « يوسف باشا صديق » لمقابلة « بولو » فى رومة حيث كان يمهد لانتخاب شقيق البابا مديراً للبنك الكاثوليكى وإخباره بهذا الرد ، ثم مقابلة البارون « أوبنهايم » فى برلين وتعريفه بنتيجة المسعى .

تكليفى بمهمة خاصة بالمشروع : وبعد سفره تقرر أن أسافر إلى برلين لمقابلته عند عودته من رومة إلى برلين ، وإفهامه أن يخبر « أوبنهايم » بعدم نجاحه فى مهمته عن مشروع البنك فى إيطاليا ، وأن يقابل ناظر الخارجية ويعرض عليه تفاصيل الموضوع دون أن أرافقه أنا فى هذه المقابلة .

وقال لى سموه : « إن يوسف صديق سيسلمك رسالة لى » . فقلت : « وهل لا يكفى طريق البريد العادى لحمل هذه الرسالة ؟ » فأجابنى بأنها ليست مما يرسل بالبريد ، وأنه سيخبرنى بالمسألة بعد ذلك (ولم أكن حتى الآن عرفت حقيقة المشروع) .

وقد سافرت فوصلت برلين يوم ١٧ فبراير وبقيت أربعـــة أيام أنتظر يوسف باشا .

وفى يوم ٢١ حضر وأخبرنى أنه فشل فى مهمته بايطاليا ، لأنه لما قابل بولو لابلاغه رد نظارة الخارجية وجد المسألة فشلت ، نظراً لسوء التفاهم بين البابا وألمانيا بمساعى فرنسا من جراء مسألة « الكردينال مرسينه » البلجيكى ... فأمر البابا شقيقه الذى كان قد اختير لادارة البنك بالانسحاب ؛ ولكن ألمانيا اجتهدت بعد هذا فى تسوية المسألة ولم يتم شىء بعد ذلك .

ثم ذهبنا لمقابلة « أوبنهايم » فأخبره « يوسف باشا » بفشله فى مهمته ، ولم يذكر اسم « بولو » بل قال : إن الواسطة هو أحد المعارف ، فقال البارون : « أليس هو الرجل المسمى بولو الذى قال لى عنه الخديو » ؟ فأجابه نعم ! ، ولكنه دهش لأن الخديو كان كلفه ألا يعرف البارون باسمه !

موافقة وزير الخارجية على المشروع : وفى يوم ٢٣ منه تقابل « يوسف باشا » لأول مرة مع موسيو « ياجو » وزير الخارجية وشرح له مشروع فصل فرنسا عن حلفائها ، وعمل صلح انفرادى مع ألمانيا ، فاهتم الوزير بهذا المشروع وحدد للباشا يوم ٢٥ منه للكلام فيه ؛ ولما رجع من الزيارة علمت منه هذا المشروع الذى كان الخديو كتمه عنى ، وأن « ياجو » قبله ، وصرح باستعداد ألمانيا لأن تنفق عليه من عشرة مليونات إلى خمسة عشر مليون مارك على أقساط شهرية فى مدة سنة ، وأ

يكون الدفع باسم الخديو على أحد المصارف بسويسرا، وهو الذى يتصرف حسبما يراه، بحيث لا يعلم أحد أن هذه المبالغ آتية من ألمانيا أو النمسا.

وقد فهم يوسف باشا، أن ألمانيا كانت قد وجدت إيطالياً يقوم بعمل كهذا ولكنه لم ينجح.

وقد أعد يوسف باشا الخطاب بما تم فى المشروع، وسلمه لى، فسافرت به.

ولما عرف الخديو بحضورى جاء إلى غرفتى فأخبرته بما لدى، وسلمته الرسالة. وبعد قراءتها ظهر عليه السرور وعندها أخبرنى بالمشروع.

وقد أعلمته أن يوسف باشا أفهم أوبنهايم أن المشروع قد فشل ورجوت سموه أن يكتم الأمر عن كل إنسان حتى الذين يثق فيهم ثقة خاصة ويخبر من علم به أن المشروع قد فشل.

وبعد التدبر قال سموه: «أنا لا أريد أن أكون مسئولا وحدى. وربما يلعب يوسف أو بولو بقصد الانتفاع، فلا بد أن أطلب وجود واحد موثوق به عند نظارة الخارجية، ليكون العمل والاتفاق باشتراكه معى

موافقة الامبراطور نهائياً على المشروع: وفى يوم ٢٧ فبراير عاد يوسف باشا وعرض على الخديو نتيجة مهمته، ثم أخبرنا أنه قابل ناظر الخارجية مرة أخرى وفهم منه أنه قابل الامبراطور فوافق على المشروع بتفاصيله السابقة مضافاً إليها أن الدفع يكون بواسطة أحد المصارف فى زوريخ، وأن النمسا قد تشترك فى النفقات.

تخوف الخديو من يوسف: وبعد خروج يوسف باشا خلا بى الخديو وأعاد علىّ ذكر تخاوفه من يوسف باشا، قائلا: «إنى أخشى من تلاعب يوسف، وأنا أعرفه ولا بد أن أقوم بهذا العمل بنفسى، وأفهم بولو ألا ينخدع بأقواله، وأن يقطع كل صلة به، ولكن كيف تمنعه من مقابلته قبل أن التقى به وأحذره؟»، فأجبته بأنى على استعداد لمساعدة سموه فى منعه بطريقة غير محسوسة، وما عليه ـ عند سفره إلى سويسرا للاجتماع ببولو ـ إلا أن يرسل لى برقية بالحضور اليها فوافقنى على ذلك.

سفرى إلى سويسرا: وبعد هذه الحادثة بيوم واحد سافرت إلى روما ومنها إلى سويسرا تمهيداً للاجتماع ببولو، فقصدت أولا إلى جنيف، وقابلت فيها على الشمسى بك والأستاذ فهمى.

وفى يوم ٨ مارس قمت من جنيف قاصداً زويرخ بناء على أمر الخديو للاستعلام عن المسائل الآتية :

أولا : هل يمكن المقيم فى زويرخ التوجه إلى مدينة روورشاخ والعوده منها فى نفس اليوم ؟

ثانيا : المدة والمسافة بين الذهاب والاياب ،

ثالثا : أحسن الفنادق فى روورشاخ .

رابعا : المواصلات بين روورشاخ وبريجنز (فى النمسا) — براً وبحراً — والاستفهام عن مسافة الطريق بالعربة والسكة الحديدية والبحر وعدد القطارات .

وقد قمت بهذه الاستعلامات . والغرض منها مقابلة بولو بعيداً عن يوسف صديق . وسافرت من زويرخ الى روورشاخ . وفى صباح يوم ٩ وردت إلى برقية بالرجوع إلى فينا حيث كان الخديو لا يزال بها . وعلى أثر ذلك جاءنى ضابط « ليتحرى » عنى وعن سبب حضورى نظراً لهذه البرقية ، وقد أعطيته كل المعلومات ؛ ولم أخبره بوظيفتى ولا رتبتى ؛ ثم سافرت من روورشاخ الى « بريجنز » ومنها إلى « انسبروك » ووصلت إلى فينا صباح يوم ١١ مارس ، فعرضت على الخديو معلوماتى .

وقد تقرر أن أعود الى جنيف ، فرجعت فى المساء مع أنى كنت متعباً ، ووصلت صباح يوم ١٢ منه . وهناك وجدت برقية إلى الدكتور همت أحد أطباء السراى وأحمد بك صادق الذى رافقنى إلى جنيف أن نسافر جميعاً إلى زويرخ وننتظر فى فندق سافوى . وقد سبقانى ، وبقيت بعدهما لبعض مهام عائلية حيث كانت تقيم عائلتى ، ثم لحقت بهما يوم ١٣ ، وهناك سلمنى أحمد بك صادق برقية من يوسف باشا فى « سان جال » فى سويسرا بأن أرسل صادق بك والدكتور همت وفخر الدين أغا الحارس الخاص للخديو إلى روورشاخ غداً حيث يحضر سموه ، وقد سافروا فى اليوم التالى ثم لحقت بهم .

حضور الخديو ومقابلة بولو باشا : حضر الخديو يوم ١٥ منه وفى اليوم التالى خلا بى وتداولنا فيما يجب عمله لمنع يوسف باشا من الاجتماع ببولو : فهل نذهب جميعاً إلى زويرخ أو نرسل لبولو بالحضور إلى سان جال ونقابله هناك ؟

وفى يوم ١٧ مارس أرسل الخديو يوسف باشا لمقابلة ناظر خارجية ألمانيا للتفاهم معه على طريقة العمل وصرف المال . فلم يعد هناك داع لمقابلة بولو بعيداً

عن زوريخ ـ فسافرنا من رورشاخ إليها ونزلنا فى فندق سافوى . وهناك حضر موسيو بولو ، وكان الخديو أمرنى بانتظاره فى الفندق ـ وأنا لا أعرفه ـ ولكنى رأيته يسأل قلم الاستعلامات فعرفته ، وأرسلت من يخبر الخديو بقدومه ،فنزل فى الحال ؛ ولما رآه بولو عانقه بحرارة ـ على الطريقة الشرقية ـ فجال فى نفسى أن هذا الرجل مخادع ، وأنه يتظاهر بهذا الاخلاص تظاهراً فقط لغرض فى نفسه .

فأخذ الخديو بيده وذهبا إلى الجناح الذى يقيم به ؛ وظل بعد ذلك يخلو به ليل نهار ، ولا يخرج إلا قليلا فى المساء .

وفى أثناء ذلك أطلعنى الخديو على رسالة من كيو يحملها بولو ، وفيها أنه يرسله لسموه ليكون تحت تصرفه ، وأن يعهد إليه بمباشرة مصالحه فى مصر (١) . وكلفت أن أرد على هذه الرسالة فكتبت رداً مختصراً بالشكر له على اهتمامه بشؤون الخديو ومصالحه دون الاشارة بشىء إلى بولو ومشروعه ، خشية أن يقع هذا الخطاب فى أيد أخرى ، ولكن لم يرقه هـذا الاختصار وعدم التصريح بمهمة بولو فلاحظت له . أن هناك خطراً فى التصريح إذا ضبط الخطاب؛ ومع هذا فقد حررت الرد بطريقة لا يستمسك فيها بشىء . فأخذ منى « المسودة » دون أن يكلفنى « تبييضها » فعلمت أنه لم يقتنع بالرد وكتبه بطريقة لا أعلمها .

تفكير الخديو فى إبعاد يوسف عن المشروع : وفى يوم ١٨ صرح لى بأن بولو يتضايق كسموه من يوسف صديق باشا ، وأنه كاد يهم بالتخلى عن العمل لولا الخديو ، وأن من رأيه إبعاده نهائياً . فلاحظت أن هذا العمل خطر وربما كان سبباً فى أن يفشى يوسف الأسرار ويحدث ما لا تحمد عقباه ، وأن الأفضل اتخاذ طريق غير محسوسة لابعاده . وقد كنت أتحدث مع الخديو بالعربية لحضور شخص أجنبى معنا ، كنا لانريد أن يكون معنا فى هذا الوقت . وهذا ما كنت أخشى منه أكثر من خشيتى يوسف .

وفى يوم ١٩ سافر بولو باشا وعدنا نحن جميعاً إلى فينا فوصلنا إليها صباح يوم ٢٠ .

وقد عاد يوسف يوم ٢١ من برلين وأخبرنا بما يأتى :

أولا : كان وزير الخارجية فى مقابلة سابقة معه قد طلب أن يشمل المشروع

(١) وقد أنعم عليه الخديو برتبة الباشوية .

تشكيل قلم مخابرة فى سويسرا لنشر أخبار ألمانيا ، والدعاية لها ، ومحاولة إدخال ذلك إلى فرنسا وانجلترا ؛ ولكن بولو لم يوافق على هذا وقال : إن الأمر لو عرف لأعدم باعتباره جاسوساً ، وبسبب اشتراكه فى المشروع ؛ وقد وافق الوزير على هذه الملاحظة أخيراً .

ثانياً : وكان الوزير قد عرض فكرة شراء أسهم فى الفيجارو والطان فلم يوافق بولو أيضاً قائلا : إنه لا أهمية لها ويخشى أن يتعرض لانتقاد ألمانيا من جراء ذلك فيما بعد ؛ وقد ترك له الوزير الحرية فى العمل .

ثالثاً : يرى بولو ضرورة إنشاء جريدة سياستها « راديكال سوسيال » (١) (Radical Social) فى باريس يتولى كتابتها محررون ينتخبهم هو ويعطيهم مرتبات ويختارون من أعضاء مجلس النواب الفرنسى أو مجلس الشيوخ .

رابعاً : إن خطة بولو ليست شراء الصحف ، بل شراء أصحابها ليكتبوا فيها مقالات بقصد بذر الشقاق بين فرنسا وانجلترا ، ثم التكلم بعد ذلك فى الصلح بغاية الاحتراس .

خامساً : طلب بولو أن يكون أول قسط مليونين ونصف مليون مارك . والثانى كذلك . وأما بقية الأقساط فتدفع مليوناً فى كل شهر فوافق الوزير .

مطامع يوسف باشا : وفى اليوم التالى تقابل معى يوسف باشا فتحادثنا فى الموضوع ، وجاء ذكر رجل اسمه «كافالينى» الطليانى الذى كان يرافق بولو وقد علم منه بالمشروع وله رأى يقضى بشراء بعض الصحف الإيطالية ، وهو من معارف محمد يكن باشا ، فقلت : « لا بد أن المسيو كافالينى سيأخذ من بولو نصيباً من المال فى مقابل قيامه بالعمل فى إيطاليا » . قال : « هذا ما لا شك فيه ، وطبعاً بولو سيأخذ لنفسه مبلغاً ، ولا أدرى لماذا نحن أيضاً لا ننتفع ؟ فانى أنا الذى تحادثت مع وزير الخارجية ، وأنهيت المسألة ! فاذا أخذنا نحن أيضاً ثلاثة آلاف جنيه فهى قطرة من بحر ، وأنا كنت عازماً على أن أحادثك فى هذا الموضوع لمفاتحة الخديو فيه » . ووعدنى بأنه إن حصل على مايطلب فانه يهدى إلى جزءاً منه . فلم أجبه بشىء

(١) أحرار يشتغلون بالمسائل الاجتماعية وأخصها مسألة العمال .

ولما كنت أعلم أن الخديو عازم على إعطائه مبلغ مائة الف فرنك — ولا بد أن هذا كان بالاتفاق مع بولو — فأنى وجدت من تحصيل الحاصل محادثة الخديو .

وكانت هناك شخصية استطاعت أن تقف على المشروع وقد قابلتنى وقالت لى : « إن يوسف باشا لا بد أن يطلب مبلغاً كبيراً » وحرضتنى على طلب مبلغ فأجبتها : بأنى لم أقدم على مثل هذا الأمر من قبل ولم أطلب شيئاً لى أو لأحد أقاربى : . فقالت « إذن أنت أبله» فضحكت وقلت : « فليكن ذلك وهو خير عندى من الطلب» .

وفى صباح ٢٣ مارس جاءنى يوسف باشا وقال لى : « سأطلعك على سر تعدنى بعدم إفشائه ؟ » فوعدته بذلك . فقال : « إن هذه الشخصية التى علمت بالمشروع أخذت تلعب ، وسيفشل المشروع لأنها تطلب هى أيضاً سمسرة مائة ألف جنيه وإلا أفشت السر . وما أظن أفندينا يرضى على نفسه أن يطلب من بولو مبلغاً لها لأنه عار عليه » . قلت : « وأنا أيضاً أستبعد صدور طلب كهذا منه » ..

الدفعة الأولى وكيف أنفقت : وقد أخبرنى كذلك يوسف باشا أن سفير ألمانيا طلب أن يقابله الخديو اليوم لتسلم الصك الأول بالدفعة الأولى ، ثم قال وسأطلب منه غداً صرف المبلغ لى ، وقد سافر الخديو إلى زوريخ للقبض ، وفيها قابله بولو لأخذه منه .

وحصل يوسف باشا على مائة ألف فرنك ، ذكر لى أنه سدد منها أربعين ألفاً للخاصة وأهدى إلى منها عشرة آلاف ! وكان يجول بخاطرى أن الخديو هو الذى أوعز ليوسف بذلك ، لأنى منذ الحرب لم أتسلم منه مرتبى بينما كان يوسف يتسلمه آخر كل شهر .

فشل المشروع : وقد علمت يوم ٩ مايو من يوسف صديق أن الدفعة الأولى استولى عليها بولو ، ولم ينفق منها إلا مائة ألف الفرنك التى سلمها له ، وأما الباقى فأعطى منه جزءاً لكافاليرى ، واشترى ضيعة له بنصف مليون فى باريس ، واحتفظ بما بقى بعد ذلك !

وأما الدفعة الثانية فأعطى منها مائة وخمسين ألف فرنك لرجل فرنسى فى مقابل كتابة بضع مقالات فى جرائد فرنسية من جرائد الأرياف ، ومبلغ نصف مليون وضع أمانة فى مصرف لشراء أسهم من جريدة الفيجارو ، وذهبت الأطماع بالباقى

وكان لهذا العمل أثره السيء في صلة الخديو بالألمان، وتشويه سمعته في نظرهم، وتصديق ما كان يشيعه عنه الانجليز من المساوىء . وكان له أثره السيء كذلك في صلة الخديو برجاله المصريين في السويسرة، فقد كنا نرى أن الواجب رد بقية النقود إلى ألمانيا خوفا من تشويه سمعة الخديو لدى الألمان. ولكن سموه كان يتألم منا عندما نفاتحه في هذا الموضوع حتى إنه في مرة من المرات قال لنا في حدة : « ياناس من قال عنى انني لص حتى أبدد نقود ألمانيا ؟ »

وفي يوم ١٢ نوفمبر تقابلت مع الشمسي بك وعلمت منه أن الخديو أرسل تقريرا إلى برلين قال فيه بصدد هذه النقود : إنه موجود عنده مليون فرنك تقريبا ولكن توجد بعض مبالغ لم يسو حسابها بعد وهو منتظر تسويتها

وبلغني منه كذلك نقلا عن الدكتور امستر الذى كان مدير مخازن الصحة بمصر واتصل في مدة الحرب بالخديو أن الألمان لأول مرة قالوا للخديو : « قبل التفكير في مقابلة الامبراطور يجب رد جميع المبالغ التى أخذتها من ألمانيا »!

وفي يوم ١٩ منه قابلت سموه في فندق ناسيونال (وكان قد انتقل للسويسرة كما سيأتي في فصل خاص) ثم حضر فريد بك قادما من برلين فقال : « إنه قابل وكيل الخارجية الألمانية ففاتحه في أمر النقود ، قائلا : « إنها هى الحائل بين الخديو وما يرجوه من مقابلة الامبراطور » وأن فريد كان يعتقد أن عباسا قد أعد الحساب وأرسله ولكن وكيل الخارجية نفى له ذلك . فقال الخديو : « لقد أرسلت مسيو امستر وسوى المسألة مع وزير الخارجية »!

سفري الى برلين ومهمتي بها : سافرت يوم ١٨ فبراير من فينا الى برلين لقضاء عدة مهام منها ما يختص بمشروع بولو لفصل فرنسا عن انجلترا في الحرب العظمى وقد ذكرته تحت العنوان الخاص به، ومنها أمور أخرى أذكرها هنا

المساعي لتسهيل زيارة الخديو للامبراطور : في يوم ١٨ فبراير قابلت موسيو الكساندر المالى المعروف ؛ وكنت قد تعرفت به في مصر حين أنشأ البنك الالماني الشرقي قبل الحرب، وهو عضو في عدة بنوك وله علاقة طيبة بالخديو، وأبلغته تحيات سموه فتقبلها بالشكر وقال لي « إن سموه اكتسب في برلين سمعة طيبة ؛ وأنا مستعد لقضاء ما يلزم سموه من الخدمات » ثم سألني عما إذا كان في نيته الحضور إلى برلين؟ فأجبته بأن ذلك ربما يحدث حينما يتقرر أمر مقابلته للامبراطور ، لأنه لا يمكنه

أن يصاحب الحملة قبل أن يشكر جلالته عنايته بمصر والمساعدة الكبيرة التى تبذلها ألمانيا لخروج الانجليز منها

فسألنى عما إذا كنت قد حضرت برلين لهذا السبب فأجبته : لا . ولكن يوسف باشا صديق مكلف أن يقابل وزير الخارجية الالمانية فى مهمة ؛ وأن يتكلم معه فى هذا الغرض . فطلب مقابلته قبل أن يذهب للوزير ، ليخبره بأهمية الاشخاص الذين يتحدث اليهم ، لأن « زيمرمان » وكيل الخارجية ذو نفوذ قد يفوق نفوذ الوزير

وقد كنت مكلفا من قبل الخديو أن ابلغ يوسف صديق باشا أن يتفاهم مع البارون أوبنهايم فى تسهيل هذه المقابلة قبل أن يسافر سموه لمصر ، لأن سبب تأخيرها أن سفير ألمانيا لم يجد ضرورة لها بسبب اضطراب أفكار الاتراك نحو سموه ، أما الآن وقد خلعه الانجليز فالافكار قد هدأت ، وتأكد رجال الدولة أنه معهم

وفى يوم ٢٣ فبراير كان يوسف ذاهبا لمقابلة وزير الخارجية فيما يختص بمشروع بولو السابق الذكر ، فاتفقت معه على أن يحادثه كذلك فى تسهيل زيارة الخديو للامبراطور ، ويقنعه بضرورة ذلك لأسباب منها

أولا : أنه لا يحسن أن يعرف المصريون أن خديويهم جاء إلى أوربا ولم يلتق بامبراطور ألمانيا مع أن سموه متحد مع جلالته ؛ والاتراك يؤولون عدم المقابلة تأويلا يضر بالحملة ؛ والانجليز كذلك يروجون اشاعات فى صالحهم .

ثانيا : أنه لايليق أن امبراطور ألمانيا لايقابله مع أن حليفه امبراطور النمسا قد قابله

ثالثا : أن اهتمام جلالته بمسائل مصر يستوجب أن يشكره سموه على هذه العناية

ومن جهة أخرى أن الأسباب التى كانت تمنع هذه المقابلة قد زالت بزوال الوحشة التى كانت بين سموه وبين رجال الدولة

وقد تحادث يوسف باشا مع الوزير فى ذلك فاقتنع ، واتفق معه على أنه عند ما يدعى سموه للعودة الى الآستانة لمصاحبة الحملة يطلب من سفير الدولة أن يخبر الصدارة بأنه سيرجع بعد مقابلة امبراطور ألمانيا . وعندئذ لاتستطيع الصدارة أن تمانع فى ذلك .

أما عن شخص الخديو فان الوزير قال ليوسف : « إنه وإن كان لم يتعهد تحريريا

أحاديث الحرب :

خطط هندبورج : فى يوم ٢٢ فبراير قابلت موسيو الكساندر مع يوسف صديق ، فحدثنا عن خطط هندبورج الحربية ، وهى أنه فى مدى شهر ونصف أو شهرين ، يكون قد أتم برنامجه ضد الروسيا ،وأجبرها على عقد الصلح ، لأن الجيش كله زاحف إلى الأمام : وفى عزمه أن يقطع المدد الذى يحضر من بطرسبورج بالحركات التى قرر اتخاذها مع النمساويين ، وبها يتمكن من كسر الروس فيدخل فرسوفيا

أما الحرب مع فرنسا فتستمر فى حالة دفاع من جهة الألمانيين ، حتى تنتهى الحرب مع الروس ؛ وبعدها يحول جزء من الجيش إلى فرنسا ويبدأ الهجوم

وهو يؤمل أن يصل إلى نتيجة حاسمة فى زمن قليل ، فيعقد الصلح مع الفرنسيين وبعد ذلك تستمر الحرب بين ألمانيا وانجلترا حتى تسحقها

موقعة الدردنيل وسفر الوالدة إلى بروسة : عند ما حدثت موقعة الدردنيل ، استولى الفزع على سكان الاستانة فسافرت الوالدة منها إلى بروسه . فكلفنى الخديو عند سفرى للاستانة أن أقابل دولتها ، وأبلغها أسفه لأن المفسدين أشاروا عليها بالسفر ، فأصبح الأتراك يدعون أننا نحن المصريين بعملنا هذا ، ندخل الخوف على سكان الاستانة

وفى يوم ٣١ مارس علمت من جلال الدين باشا أن البرنس عباس حليم هو الذى اقترح على الوالدة السفر إلى بروسة ،وصور لها الحالة بصورة مزعجة ، فأجرت باخرة ونزلت بها ، ولما كانت الريح جنوبية شديدة فقد عادت إلى الاستانة بعد ساعة ،وأخذت القطار من محطة حيدر باشا إلى مدينة داخل الأ...
سافرت بالعربات إلى بروسة ، فوصلت فى أكثر من يومين

وفى يوم ١١ ابريل زرت الوالدة مع جلال الدين باشا ، فأبلغتها احتر... الخديو ،وقلقه عليها لوجودها فى بروسة مع انتشار الحمى بها ؛ وأنه يأسف لـ... الذى يشر أقاويل الأتراك فقالت : « إن الزنابير فى الاستانة كادت تجننى ، وقد كنـ... خائفة ، أما أنتم فكنتم بعيدين عن الخطر » ثم سافرت على أن تعود دولتها للاستانة قريبا

وفى يوم ١٦ منه زرت أنور باشا فسألته عما إذا كان هناك خوف على الدردنيل فنفى ذلك قطعياً . ثم قلت له : « إن مولاى لم يستحسن سفر الوالدة لبروسة ،

وكانت أوامره لجلال الدين باشا ألا تترك الأستانة إلا إذا سافر منها السلطان » فقال : « وهذه هي زوجتي « سلطان افندى » لم تبرح اسلامبول » فأخبرته أنى أقنعتها بالعودة قريبا

تنظيم مخابرات مع مصر وتدبير ثورة ضد الانجليز : في يوم ٤ مارس أطلعنى الخديو على رسالة وبرقية من البارون مكس أوبنهايم بأنه سيصل الى فينا بعد غد فيقيم بها يوماً واحدا ، ثم يسافر الى الاستانة . وقال لى الخديو : « إن الأصوب أن تسافر معه ، وتحصل على ما لديه من المعلومات بصدد مهمته هناك وأن تحضه على السفر الى الشام لاستطلاع الأحوال بها »



البارون مكس اوبنهايم الملحق بسفارة المانيا بالاستانة فى مدة الحرب

وفى يوم ٢٦ منه حضر البارون وأخبرنى أنه سيقيم بالاستانة عشرة أيام وبعدها سيتوجه الى دمشق ، ويقيم فيها لنشر الدعاية الاسلامية ، وتوزيع منشورات فى مصر ، وأخذ أخبارها . وقد سأل عن اسماعيل بك لبيب ، فأخبرته أنه يقيم فى دمشق ، فقال : انى أريد أن أجمع حولى الرجال المخلصين للجناب الخديوى ، فشكرته ثم أخبرنى بما عاناه فى اختيار رجال للحصول على أخبار مصر وصحفها ، فقلت له : « إن الخديو كان اختار رسمى افندى الضابط لأمر كهذا ، ولكنه حتى الآن لم يأت بفائدة »

وفى يوم ٢٧ منه سافرنا للاستانة ، ومعنا سكرتيره الألمانى موسيو كندلر وهو يعرف العربية لأنه مكث مع البارون عدة سنوات فى مصر ، وعلى العنانى افندى سكرتيره العربى ، وهو مصرى تخرج فى دار العلوم ، وأرسلته الجامعة المصرية الى برلين لاتمام دروسه .

الاتحاد الاسلامى : ولما خلوت بالبارون قال لى : « إن مهمتى تنحصر فى نقطة واحدة ، هى جمع كلمة البلاد الاسلامية حول الخليفة ، على أن تكون كل مملكة

مستقلة استقلالا داخليا، ولكنها ترتبط بهذا المركز، وأن هذا الوقت هو أنسب الأوقات للقيام بالحركة، لأن الدول في وقت السلم تقاوم هذه الفكرة، أما الآن فلا يمكنها عرقلة المساعى »

انشاء صحيفة عربية للدعاية : ولتنفيذ هذا المشروع فكر فى تشكيل هيئة برياسة شيخ الاسلام بالاستانة للدعاية وإنشاء صحيفة عربية لأذاعة هذه الفكرة فى الممالك الاسلامية كلها، على أن تطبع هذه الصحيفة فى دمشق.

وسألنى عما إذا كنت موافقا على ان يشترى جريدة المقتبس ويوسع نطاقها، فقلت : « إن اسمها لايؤدى إلى الغرض الذى ترمى إليه، والواجب إنشاء صحيفة باسم جديد مثل « الاتحاد الاسلامى » فوافقنى على ذلك

ألمانيا تنفق على تنظيم المخابرات والدعاية . وقال : « إننى أحمل الأموال التى تلزم لذلك »

ثم طلب منى أن أساعده فى تحرير بيان بأسماء المصريين بالاستانة والشام وأوربا لانتخاب الأكفاء منهم فى التحرير أو الدعاية، وأن أبين له ميولهم السياسية وثرواتهم .. الخ

وأخبرنى أنه يريد أن يجعل للصحيفة مخبرين في أهم المدن التركية والعربية، وأن ينظم هيئات للدعاية فى الهند والعجم والأفغان، فنبهته إلى ان هذا العمل ليس يسيراً

ثم كاشفنى بأنه ينوى إسناد رياسة تحرير الصحيفة إلى الشيخ جاويش، ولكنى تمكنت من إقناعه بالعدول عن ذلك ، لأن الشيخ لم يعد مواليا للخديو بل يعمل ضده، وهو فى الوقت نفسه — كما علمت — غير محبوب من المصريين ولا السوريين ولا الأتراك، حتى أن جمال باشا أبعده عن مرافقة الحملة

ثم طلب منى أن أساعده كذلك فى انتخاب مندوبين فى روما ونابلى وأثينا لجمع المعلومات عن أحوال مصر، وتشكيل فلمين للمخابرة أحدهما فى نابولى والثانى فى بيروت، واستخدام بعضهم فى الاتصال بالمخلصين للخديو بمصر لاشعال الثورة وقت لزومها؛ وأنه يعتقد أن بين أصحاب الطرق من يقدر على ذلك . ولهذا طلب منى ما يأتى :

استخدام ارباب الطرق :

١ — كتابة تقرير عن مشايخ الطرق فى مصر وأمثالهم فى الشام والاستانة والحجاز

٢ — البحث فى مصر عن اشخاص أمناء يمكن أن ترسل اليهم الخطابات والنشرات ونسخ الصحيفة المزمع انشاؤها

وفى ١٢ ابريل زرت البارون ، ومعى الدكتور سيد كامل فقدمته له ، وكان قد حرر كشفاً بأسماء المصريين فى الاستانة والشام وأوربا وملاحظاتنا عليه ، وتركته للاستمرار فى العمل مع البارون ؛ وبعد ذلك اتفقنا على عمل برنامج يأخذ كل منا صورة منه . وقد أعددناه فعلا فى هذا اليوم مقسما إلى عدة فصول ، تتلخص فيما يأتى

تحديد مهمة الجمعية السرية فى مصر : تتلخص مهمة الجمعية فى الحصول على أخبار صحيحة عن مصر ، والقيام بثورة عامة فيها تستمر حتى انتصار الحملة التركية ، وابلاغنا أولا بأول عن أخبار هذه الثورة ، وإمدادها بالوسائل التى لا تستطيعها فى مصر .

نظام المخابرات مع الجمعية السرية بالاسكندرية:

١ — تكون « المخابرات » بين الوطنيين فى مصر والخارج بواسطة أحد المصريين المقيمين بالاسكندرية ، حيث يكون للجمعية مركز سرى

٢ — يتصل مركز فينا بمركز الاسكندرية ، وعليه ارسال التعليمات اللازمة ، وكذلك يجب البحث عن مندوبين لارسالهم إلى طرابلس وأتينا ونابولى .

٣ — يؤلف مركز بسفارة المانيا فى الاستانة يتصل به مركز فينا ويبلغه المعلومات التى ارسلت للاسكندرية ؛ وعلى السفارة الألمانية تزويد السلطات التركية والألمانية بالمعلومات

استعمال شفرة وحبر كيماوى :

٤ — يكون لدى المراكز الثلاثة بالاسكندرية والاستانة وفينا شفرة « صفر » بحبر خاص للمخابرات ، والمركز الأخير هو الذى يعدها باللغة العربية ؛ والأفضل وضع الشفرة بين أسطر المصحف ؛ ولا يعرف الوسطاء فى نقل الرسائل شيئا عنها

المندوبون فى الاسكندرية ونابولى واتينا وطرابلس : وقد فكرنا فى أن يكون عبد اللطيف المكباتى بك فى مركز الاسكندرية ، لأنه مخلص وله أساليب مرنة يتخلص بها من المراقبة ، وعند رفضه يختار احمد حلمى افندى

واخترنا أن يكون على الشمسى بك معتمدا فى نابولى إذا قبل صديقه المكباتى أن يكون معتمداً فى الاسكندرية : وفى حالة قبول الشمسى يقيم فى نابولى ، ويقابل جميع المسافرين الآتين من مصر لمعرفة أفكارهم عن حالة البلاد .

فاذا رفض المكباتى والشمسى ، يختار اسماعيل لبيب بك فى نابولى ، وهو صديق لاحمد حلمى افندى

ووقع اختيارنا على ابراهيم صادق افندى ، وكان ضابط مدفعية فى البحرية العثمانية ليكون معتمداً فى أتينا ؛ وعلى محمد سلام افندى الضابط بالمحروسة على الحدود الطرابلسية ، ليتسلم ما يرسل من أتينا ، ويسلمه لمعتمد الاسكندرية ؛ وعلى احمد أبو على افندى الضابط بالجيش العثمانى ليكون مراسلا للجهات الصحراوية

وأن يترك سفر المراسلين إلى طرابلس لتقدير اسماعيل بك لبيب الذى يتصل بأنور باشا ليأخذ منه خطابات توصية لشيخ السنوسيين ونورى بك شقيق أنور باشا

توصيل الرسائل : اتفقنا على أن يقوم احمد نور الدين افندى « بالمخابرة » مع المكباتى لاستطلاع رأيه فى القبول أو الرفض ؛ وذلك بأن يكتب لزوجته فى مصر ثلاث رسائل يقول لها فى كل منها : أن تزور المكباتى بك ، وتنبهه إلى أنه سيأتى له خطاب من أحد أصدقائه ، وانه لكى يقرأه يجب استعمال طريقة معينة (الشفرة)

وهذه الرسائل ترسل من جهات مختلفة مع بعض البحارة المسافرين لمصر ، وعند وصولهم يلقونها فى صندوق البريد

وبعد أيام يكتب على الشمسى بك بين أسطر المصحف رسالة عادية بالحبر الكيماوى، والشفرة التى ستستعمل لحل الرسائل ويرسله لأحد الطلبة فى مصر مع كتب أخرى ؛ ثم تذهب زوجة احمد نور الدين للطالب ، وتتسلم المصحف منه ، وتسلمه للمكباتى

وبعد ذلك يرسل الشمسى رسالة للمكباتى مباشرة بطلب رأيه ، فيحلها بواسطة الشفرة المرسلة فى المصحف

فاذا لم تنجح الشفرة فى المصحف ، تعاد فى رواية فرنسية تسلم لبحار ايطالى له المام باللغة الفرنسية ، فيوصلها إلى مصر

وكذلك فكرنا في طريقة أخرى لتوصيل الرسائل ، بأن توضع الرسالة بين نعلى حذاء ، أو طبقتى ثوب يلبسه رجل نأتمنه ليسافر إلى مصر عن طريق ايطاليا بأى سبب معقول ، ويسلمها للمكباتى . أو بواسطة سيدة ايطالية أو أمريكية تسافر لمصر بهذه المهمة ، وعلى مركز فينا أن يفاضل بين هذه الطرق الثلاث

أما تبادل الرسائل ، فالمرسل منها لمصر يستحسن استخدام مصرى لأخذه من نابولى ؛ فاذا لم يمكن يستخدم بحار طليانى . والمرسل من مصر للخارج يكتفى فيه بطريق البريد العادى . أما الرسائل المهمة فترسل مع رسول خاص

البريد عن طريق أثينا : كل التفصيلات السابقة تختص بارسال المخابرات عن طريق نابولى ؛ ويمكن فى المستقبل تنظيم المراسلات عن طريق أثينا إلى الاسكندرية وعلى مندوب أثينا أن يبحث فى الوسائل العملية لتنفيذ هذا المشروع باستخدام أهالى كريت من المسلمين لهذه الغاية ؛ ويسافرون بصفتهم أرواما مسيحيين

توصيل نقود ومفرقعات : إذا أمكن عمل هذه الأشياء فى طرابلس فعلى مندوبنا هناك أن يتسلمها ويوصلها إلى أقرب نقطة فى الحدود المصرية ، ويسلمها لمن يعينهم مندوب الاسكندرية

وإذا لم يمكن صنعها فى طرابلس ، فعلى مندوبنا فى أثينا أن يحصل عليها ويرسلها فى المراكب الشراعية المستعملة لاستخراج الاسفنج ، ويعهد بها إلى أشخاص موثوق بهم من أهالى طرابلس أو من مسلمى كريت لا يصال هذه الأشياء إلى طرابلس . أما خطا أثينا ونابولى إلى الأسكندرية فلا يجوز استعمالها لخطورتهما ، أما إرسال النقود إلى مصر فمركز فينا يتدبره

طرق الدعاية الوطنية فى مصر : تقوم الدعاية على الأمور التى تنفر المصريين وتستثيرهم من عدوان الانجليز عليهم وعلى دولة الاسلام ، وعلى الاسهاب فى شرح سياستهم المخربة للبلاد ، وايقاظ الحمية الاسلامية فى النفوس ؛ ولكن من الخطر إرسال منشورات كهذه بواسطة جمعيتنا السرية فى مصر ، فلو كلفنا رجالها وانكشفوا يقبض عليهم جميعا ، ويعدموا بمقتضى الأوامر العسكرية ، فيحسن أن تلقيها الطيارات مرتين فى الشهر أو ثلاثا

وبعد الاتفاق على أسس المشروع المتقدمة طلب البارون وضع ميزانية له فوضعها الدكتور سيد كامل ، وأطلعنى عليها ؛ وهى تبلغ نحو ٢٥٠٠ جنيه نصفها لمعاونة المندوبين فى البلاد مدة اقامتهم وهى ثمانية شهور ، والنصف احتياطى للنفقات اللازمة

تحليف المندوبين : وبعد ذلك اجتمعت فى جلسة مع البارون والدكتور سيد كامل واسماعيل بك لبيب الذى حضر من الشام ، فطلب البارون تخفيضها فخفضناها إلى مبلغ ١٧٧٨ جنيها

ثم عقدنا جلسة أخرى حضرها نور الدين افندى وسالم افندى مندوبا طرابلس وابرهيم صادق افندى مندوب أثينا ؛ وتوليت تحليفهم اليمين بالصدق فى الخدمة والأمانة فى العمل مع كتمان السر . ووافق البارون على سفر نور الدين افندى فى الحال .

بينما موسيو كندلي سكرتيره لم يكن ميالا لاستخدامه ، بسبب ظهور حركة منه لم تعجبه ، وذلك أنه أطلعه على صورة زوجته بلا داع ، فاستدل من ذلك على خفته ، وعدم لياقته لمهمة عظيمة كهذه .

وبعد ذلك عدت إلى فينا وتركت الدكتور سيد كامل مع البارون لاتمام العمل

تقرير الدكتور سيد كامل : وفى يوم ١٥ مايو أرسل الدكتور تقريره عن المشروع ، متضمنا الخطوات التى تلت ذلك ويتلخص فيما يأتى :

أن البارون حادث أنور باشا في المشروع فوافق عليه بالاجمال

وفى يوم ١٠ مايو اجتمع البارون والدكتور، واسماعيل بك لبيب ، واقترح الأول إدخال تعديلات على المشروع تقضى بعدم استخدام البحارة فى توصيل المراسلات إلا فى أحوال نادرة ؛ وأن تعطى التعليمات لمندوبينا فى أثينا ونابولى ليكونا مترقبين حركة الذهاب والاياب من مصر إليها بالبواخر لأخذ معلومات عن حالتها ؛ وأن سفر مندوب طرابلس يجب أن يتأخر حتى وصول خطاب القبول من مندوب الاسكندرية

وفى هذه الجلسة تناول البارون الميزانية بالتعديل فرأى أن يحذف منها ألف جنيه مقررة « احتياطاً » لنفقات المندوبين ، وأربعمائة جنيه كان مقرراً إرسالها لمندوب الأسكندرية ، بسبب صعوبة الأرسال ، ووجود من يدفعها في مصر من المخلصين للخلافة ، وحذف مبالغ أخرى ، وصلت بعدها الميزانية إلى ٨٧٨ جنيهاً فقط

ثم حادث البارون سفير ألمانيا فى المشروع حتى ينال موافقته ، ولكن السفير قال : إنه غير محقق النتيجة ، فلا يستطيع تحمل مسئولية نفقاته أمام الحكومة الألمانية قبل عرضه عليها

وعندئذ عرض الدكتور سيد كامل على البارون أن يرفع المشروع إلى الخديو ليتصرف بما يراه ، فأجابه قائلا : « إننى مافكرت قط فى أن أتخلى عن الاشتراك مع سمو الخديو فى عمل نافع لمصر ، وإنما نحن الألمان نحب دائماً أن نشترك مع سموه فى العمل ، كما نشترك مع أنور باشا فى الشؤون العثمانية » وكلفه أن ينسخ صورة من المشروع ليرفعها هو للخديو عن طريق السفارة الألمانية .

وفى يوم ١٢ مايو تقابل البارون وسفير ألمانيا ، وفهم منه أنه يوافق إجمالا على

المشروع ، وأن تكون سفارة ألمانيا فى الأستانة مركزاً من المراكز ، إلا أنه يرى ضرورة تقسيمه إلى قسمين : السياسى ويبقى على ماهو عليه ، والحربى الخاص بالقنابل والمفرقعات فيترك لأنور باشا . وعلى ذلك نقصت الميزانية إلى ٣٢٨ جنيهاً

والسبب فى تقسيم المشروع هكذا أن أنور باشا غير مستريح لتدخل الألمان فى شؤون الدولة العسكرية .

اسماعيل لبيب يفكر فى مشروع مستقل : ولما رأى اسماعيل بك لبيب هذه التقلبات التى لحقت بالمشروع ، عزم على الانفصال عن البارون ، وتنفيذ مشروع مستقل ؛ وذلك بأن اتفق بستة من الشبان المصريين فى كلية الطب والمدرسة الحربية الأعدادية بالأستانة ؛ وبث فيهم الروح الفدائية للقيام بأعمال وطنية في مصر ، واتفق مع أنور باشا على تعليم أربعة منهم صنع المواد المفرقعة ، وعلى أن يذهب الخامس للسويسرة الألمانية والثانى يذهب لمصر ، ويتلقى مراسلات من زميله ، وإذا أمكن دخول هذا الشاب إلى مصر أمكن التأكد من دخول الأربعة للقيام بأعمال تهديدية بالقاء القنابل والمفرقعات .

تقرير البارون : وفى يوم ٢٣ مايو وصل إلينا فى فينا تقرير من البارون أوبنهايم ، فاجتمعت اللجنة المؤلفة للنظر في كل مايهم الخديو لبحثه ، وبعد تلاوته تناقشنا فيما إذا كان الخديو هو الذى يتولى الانفاق على المشروع الأصلى ، أم يترك الأنفاق حسب التعديل الأخير للبارون ، فاقترحت أن نتركه إليه ، ونقول له : « إذا كان العمل والأنفاق عليه سيضر بمشروع جريدته ضرراً مالياً ، فالخديو يقوم بدفع المبلغ كما هو فى الميزانية الأخيرة » إلا أن الخديو رأى أن نقبل المشروع المختزل ، وأن يكون تنفيذه بواسطة الألمان مع استخدام رجالنا ، حتى إذا فشل لاتقع التبعة علينا ، وأشار بسحب الدكتور سيد كامل من خدمة البارون ، فقلت : « إن الأحسن إبقاؤه ، لئلا يقال إننا نفضنا أيدينا من الألمان » فوافق محمد بك فريد على ذلك ، وقال : « إن وجود الدكتور يفيدنا لأنه رجلنا ويمنع أى ضرر عنا ويخبرنا بكل ما يصنع البـارون »

فقال الخديو : « أنا حينما كنت أحضر مجلس النظار وأعارض فى مسألة ، وهم يخالفوننى فيها كنت أقول لهم : « الأغلبية فى جانبكم فأنا لاحيلة لى إلا ضم صوتى اليكم ، وأنا الآن أقول لكم ذلك »

السلف والمرتبات التي تقررت للبرنسات والحاشية : عند حضوري للاستانة يوم ٣١ مارس علمت ، أنه بذلت مساع لدى الداخلية والحربية ، انتهت بتقرير ستمائة جنيه شهرياً للبرنسيس فاطمة اسماعيل ، واربعمائة للبرنس ابراهيم حلمي ، ونصف مرتب لموظفي القبوكتخدائية ولعارف باشا

فسألت : ولماذا لم يعمم الصرف لجميع الموجودين بمعية الخديو ؟ فكان الجواب إن الصرف قد قرر لمن كان في الأستانة ، فقلت : « إن الأصوب أن يطرح هذا السؤال على المنوط بتسوية المسألة بالنسبة ليوسف باشا ، وكاوتسكي بك والشيخ محمد عثمان وأنا ، فاذا أمكن تعميم الصرف كان ذلك تخفيفاً عن الخديو ؛ وإذا لم يمكن يبلغ الأمر لسموه حتى لا يقول : « إن الذين في الاستانة فكروا في أشخاصهم ونسوا الآخرين »

وفي يوم ١٣ ابريل زرت عارف باشا ، فأخبرني أنه خاطب طلعت بك في ترتيب مرتبات لبقية الحاشية ، فطلب أن يكتب جلال باشا للصدارة مذكرة بهذا الطلب ؛ ولكن عارف خشي أن يرفضها الصدر ، فرجا طلعت أن تكتب المذكرة له هو ، فقبل ، لأن مبدأ الصرف سبق تقريره من الصدارة ، فقدم له المذكرة ، ووعد باحالتها على الحربية

وفي يوم ١٦ منه قابلت أنور باشا وأبلغته ما قاله طلعت بك لعارف ، ورجوته في الموافقة على الصرف حينما تحول المذكرة إليه ؛ ولما كنت على وشك العودة إلى فينا فأرجو أن يتيسر الصرف قبل سفري . فطلب مني أن أحضر غداً ومعي بيان بالأسماء وبمقدار المرتبات وهو يأمر بصرفها ، وعند ارسال الأوراق من الداخلية تشفع باذن الصرف . وقد تم ذلك وتسلمت مرتبي قبل سفري .

وقد أظهر أنور باشا استعداده لصرف ما يلزم للخديو شخصياً أو لنفقات سراي جبوقلي

وفي يوم ٢٣ مايو (وكنت قد سافرت الى فينا ثم عدت الى الاستانة) قابلت أنور باشا في منزله ، وأبلغته تحيات الخديو ، وشكره على المساعدات المالية التي قررتها الدولة للمصريين ، أما فيما يختص بالصرف لسموه فانه سيراجعه إذا لزم ذلك . فقال : « لا يحتاج الجناب العالي للمراجعة بل عليه أن يأمر بما يريد »

الشريف فيصل ومهمته فى الاستانة


الشريف فيصل

فى يوم ١٣ ابريل قابلت عارف باشا فأخبرنى أن الشريف فيصل بك (١) حضر إلى الاستانة من مكة ، يحمل من والده الشريف حسين شكوى من نادى الاتحاديين هناك ، لأنه ضبط جملة خطابات أرسلها النادى إلى المركز هنا يطلب فيها عزل الشريف حسين وتعيين الشريف على المقيم بمصر ، وذلك لأن الأخير استمال اليه أعضاء هذا النادى ومن بين هذه الخطابات خطاب مملوء بالشتائم للصدر . والشريف يهدد بالاستقالة إذا لم يبعد هؤلاء المفسدون

وفى يوم ٢٣ منه زارنى الشريف فيصل ، فعلمت منه أن العلاقات كانت بين والده والوالى السابق وهيب باشا سيئة ،


الشريف حسين


الجنرال وهيب باشا

(١) المرحوم الملك فيصل

وكان في معاملته له شديدا ، وربما كان متبعا لأوامر الاتحاديين في ذلك ، وأنه كانت هناك دسائس ضد والده من الشريف على بمصر والشريف حيدر بالاستانة

اتهام الشريف حسين بموالاة الخديو ثم الانجليز : وأن والده وفق للحصول على بعض مراسلات بين نادي الاتحاديين بمكة ومركزهم بالاستانة ، ورأى فيها أنهم كانوا يتهمونه من قبل بالتشيع للخديو ، والآن يتهمونه بموالاة الانجليز ؛ وأنه لما وصل إلى الشام أطلع جمال باشا على هذه الأوراق المضبوطة ، فطيب خاطره ؛ وحادثه في مساعدة العرب للدولة بالرجال عند تحرك الحملة على مصر ، وقد أظهر الشريف فيصل شعورا طيبا نحو الخديو .

عواطف العرب نحو الخديو : ثم قال : « ونحن العرب لو لم نعلم أن الدولة سترجع سموه إلى أريكته ما قبلنا مساعدتها ، ومما يؤسف له أن بعض المصريين يدسون الدسائس ضد خديوهم ، وقد رافقنى الدكتور احمد فؤاد من الشام إلى الاستانة ، وعلمت منه أنه ضد سموه ، ولكنه إذا لم يعتدل فاننا لا نبقى له أثراً »

ثقة أنور وطلعت بالشريف حسين : ثم ذكر لى أنه لما حضر إلى الأستانة وأطلع أنور باشا وطلعت بك على الرسائل المضبوطة أظهرا له أسفهما وثقتهما بوالده . فقال لهما : إن كانت ثقة الحكومة العثمانية به لاتزال فعليها أن تقدم الترضية . وقد أكد لهما أن والده مستعد للتخلى عن الامارة إن لم تكن الثقة به متوافرة ؛ أما إذا توافرت هذه الثقة فانه يرسل الرجال ، وعلى الدولة مساعدته بالذخيرة والسلاح والمال . . .

ولم يحدد لى مقدار من يستطيع والده تجريدهم للحرب ، ولكنى فهمت أنهم نحو عشرة آلاف . وقال لى عن عرب الشام : « إنهم طيبون ، ومتى شاهدو عرب الحجاز تشتد الحماسة في قلوبهم »

العمل مع فيصل واوبنهايم للتوفيق بين الشريف والأتراك : وقد اشتغلت بعد ذلك مع البارون أوبنهايم والشريف فيصل مدة أسبوع فى عمل اتفاق نهائى بين والده والحكومة العثمانية ، وكنا تارة نجتمع فى فندق بيرا بلاس ، وتارة عند الشريف فيصل فى منزله بأعالى بيوكدره وفى بعض الأحيان كنا نقضى السهرة عند البرنس ابراهيم حلمى ولا نرجع إلا بعد منتصف الليل ؛ وكان الشريف ناصر أخو الشريف حسين يحضر بعض الاجتماعات . وفى هذه الجلسات شرح لنا الشريف فيصل كل ما يختص بالحالة الحاضرة بين والده والأتراك وهى تتلخص فيما يأتى :



الشريف ناصر

١ - إن الحجاز يعتمد فى مؤونته على المحصولات الخارجية التى ترد إليه بواسطة السفن الأنجليزية ، لأن البلاد العربية تنتج محصولا قليلا وهى فى حاجة إليه موضعياً ، فلا تكفى محصولاتها لتموين الحجاز ؛ علاوة على أن الخط الحديدى الحجازى ينتهى بمكة وهو خط فردى غير مزدوج ، فلا يستطيع القيام بسد حاجات التموين من الداخل ، فاذا انقطعت الواردات من الخارج ، حصلت مجاعة تجر إلى ثورة العرب ، وهذا هو الذى يضطر الشريف إلى التعامل مع السفن الأنجليزية .

٢ - كانت العلاقات بين الوالى التركى وهيب باشا والشريف حسين يتخللها الجفاء وسوء الظن ؛ فكانت الحملات التى يجهزها الشريف فى بلاد العرب والعسير ليخمد بها حركات ضد السلطنة العثمانية ، تقابل بالريبة والحذر .

٣ - فيصل يلفت النظر للدسائس التى يقوم بها الأمير جعفر الأخ الأصغر للأمير على حيدر المشترك في نادى الاتحاد والترقى بالحجاز ؛ والذى يطمع فى عودة الامارة إلى أسرته .

٤ - بين الشريف فيصل دقة موقف والده فى أثناء الحج بين الأجناس المختلفة والمذاهب المتعددة . يقابل ذلك أن الشريف ومن حوله يتمتعون بدخل عظيم من الحجاج ، وإذا وقع الحجاز تحت الحكم الانجليزى ، فان نفوذه يهبط كثيرا . فهو من هذه الوجهة مرتبط بالخلافة لارتباط جميع المسلمين بها ضد العدو المشترك ، فيجب أن يثق به الاتراك ويبعدوا عن أذهانهم فكرة عزله ، وبذلك لا يدفعون به إلى اليأس حتى يستطيع أن يتظاهر أمام الانجليز بحياده التام فيضمن تموين الحجاز ويمنع عنه المجاعة والثورة . وبهذا يحفظ كيان الوحدة العربية

وقد انتهت هذه المداولات بيننا وبينه ، ثم بينى وبين أنور باشا وطلعت باشا

بالاتفاق على ترضية شريف مكة وتأمينه على مركزه . وسلم السلطان لفيصل سيفاً هدية لوالده ، وكتاباً من طلعت باشا يؤكد فيه ثقته به .

وبعد ذلك سافرت من الاستانة إلى جنيف لأمور عائلية ثم إلى فينا . وقد وصل إلى تقرير من الدكتور كامل جاء فيه عن هذا الموضوع ما ملخصه :

أنه بعد سفرى اجتمع الشريف فيصل بالبارون فى بيرا بالاس ، وحضر الدكتور الاجتماع ودار الكلام في تنظيم دعاية يقوم بها الشريف حسين فى البلاد الاسلامية لاثارة شعورها وحميتها نحو الدولة ، فأبدى الشريف فيصل أن هذا المشروع يشمل ارسال المندوبين إلى البلاد الاسلامية ، التى ليست فى حوزة الدولة وهذا العمل سهل . ولكن إذا أريد أن يتناول اشعال ثورات فى السودان المصرى والهند الشمالية والصومال الانجليزى فان وجه المسألة يتغير ، ويجب ملاحظة ما يلزم من النفقات لذلك العمل الكبير . ثم أظهر أن والده قادر على اشعال ثورات فى هذه الجهات . ولكنه هو لا يستطيع الآن أن يبين الطريق التى يسلكها لهذه الغاية ، كما أنه يقول هذا الكلام بصفة شخصية ، ولابد من تصريح والده بالقبول

ثم عاد فعدل عن كلامه مكتفياً بارسال مندوبين للدعاية وإذاعة الأخبار ولكن البارون تشبث بما عرضه فيصل ، وألح عليه فى بيان ما يلزم من النفقات . فأجابه بأن المبلغ يتراوح بين ثلاثين وأربعين ألف جنيه .

ثم قال الشريف : « إن أنور باشا دفع اليه خمسة آلاف جنيه لتجهيز قوة منظمة تلحق بالحملة الزاحفة على مصر ؛ وهو يخشى أن يمزج أنور بين هذا العمل الحربى ؛ والمشروع الذى يعرضه الآن ، والواجب التفرقة بينهما »

وبعد ذلك ذهب البارون لسفير ألمانيا البارون ونجهايم ، وأطلعه على ما عرضه فيصل ، فأظهر ارتياحه لذلك ، وكلفه بمقابلة أنور باشا ، لأخذ رأيه ، وصرح له بأن الدولة إذا لم تدفع المطلوب فان ألمانيا مستعدة لدفعه

وفى يوم ٨ مايو تقابل الدكتور مع الشريف على انفراد فسأله باعتباره أحد رجال الخديو المخلصين ، عن رأيه فى الخطة التى يتبعها مع رجال الدولة هو ووالده . فنصح له بألا يحدد مبلغاً معيناً خشية عدم كفايته ، وأن يترك ذلك لوالده ؛ وأنه يحسن عدم التعهد باحداث الثورات فى هذه البلاد من الآن ، حتى إذا لم يفلح المسعى اكتفى بالدعاية السلمية ؛ فوافق على نصائحه ؛ ثم طلب منه أن يبلغ البارون أنه يطلب لوالده

سلطة تامة فى كل ما يتعلق بالشؤون الحكومية فى الحجاز تسهيلا لهذا العمل ؛ وأنه فى حالة عدم النجاح والتشكك فى والده ، فهو يفضل الاكتفاء بالدعاية .

وقد أبلغ البارون هذين الطلبين ، فرفض الحديث فى الطلب الأول لأنه يعد تدخلا من الألمان فى شؤون الدولة ، ووعد بالكلام مع أنور باشا فى الطلب الثانى .

وقد تحادث البارون مع أنور ، فوافق على المشروع مبدئياً دون الدخول فى التفاصيل .

المشروع النهائى وانتهاء مهمة فيصل : وفى يوم ٩ مايو قابل الشريف أنور باشا فسلمه رسالة الترضية ، وفى طيها ورقة بالتركية تشمل نقط المشروع المراد تنفيذه وهى مختصرة تتلخص فيما يلى :

١ - تسيير أحد أنجال الشريف مع قوة منظمة للالتحاق بالحملة على مصر
٢ - إذاعة إعلان الجهاد فى البلاد الاسلامية الأجنبية
٣ - إرسال مندوبين لهذه البلاد وتوزيع الرسائل والمنشورات
٤ - السعى للفتك بمن يراد قتلهم من الأعداء
٥ - توصيل الأخبار التى تنمى الى الشريف من الخارج إلى تركيا
٦ - الاتفاق مع الوالى على النفقات اللازمة لهذه الأعمال .

وفى يوم ١٠ مايو سافر الشريف من الاستانة

تقرير أوبنهايم : وقد كتب البارون أوبنهايم تقريراً عن هذه المسألة سرد فيه كثيراً من الحقائق التى تقدم ذكرها وعما جاء فيه :

« لقد كادت مهمة فيصل تنتهى بالفشل ، فرأيت من الواجب تلافى الحالة محافظة على التفاف البلاد العربية حول الخلافة ، وكان من الظروف الطيبة وجود أحمد شفيق باشا معى فى هذا الوقت بالاستانة ؛ وقد كنت أعرفه من أيام وجودى بمصر ملحقاً عسكريا للقنصلية الألمانية ؛ وهو يعرف فيصلا من أيام حج عباس

« وشفيق باشا هو الذى دبر اجتماعاتنا فى بيرا بالاس بعد ما أخذ فيصل إذنا من طلعت فى أن يتفاهم معى .

« وقد وجدت أقواله التى أدلى بها مطابقة لمعلوماتى الخاصة التى جمعتها من تحرياتى

« وفى مبدأ الأمر كنت متشككا فى فيصل ثم وثقت به ، وتمكنت من إنهاء المسألة بمساعدة شفيق باشا الذى كان فى مركز يسمح له بإقناع الحكومة التركية بحسن نية فيصل ، وفسح المجال له ليتصرف »

« ومن الغريب أن التقارير التي قدمها سير مكماهون وسير ونجت ، عن الميدان الشرقي ، دلت على أنهما كانا يبذلان جهداً عنيفاً لفصل الشريف حسين من الأتراك ولكن لم يحصل شيء من ذلك في خريف سنة ١٩١٥ لأن فيصلا عاد من الأستانة مطمئناً .

« وكانت النتيجة أن حاصر الانجليز شواطيء الحجاز . ولو انضم الشريف اليهم في هذا الوقت الذي كان الاسطول يهدد الدردنيل لكانت ضربة قاضية على الاتراك ولكن فيصلا ظهر في الخريف بفريق من البدو إلى جانب الجيش الرابع الذي يقوده جمال باشا ؛ ولو أنه لم يكن لهذا العدد القليل أهمية عسكرية ، ولكن كانت له دلالة معنوية كبيرة

« واختار فيصل بناء على طلب جمال باشا أن يقيم في دمشق كأنه كان رهينة في يده»

خشونة جمال باشا تسبب انضمام العرب للانجليز : وفي أثناء حديث بينهما طلب فيصل أن يراعي جمال باشا عواطف العرب في الشام لأن اعدام بعض الوطنيين والمعاملة الشديدة التي عوملوا بها أثارت استياءهم فأجابه بحدة : « بأن ما عمله كان ضروريا ولو أن والده الشريف حسين حدث منه ما حدث من الوطنيين في الشام للاقى جزاءه مثلهم »

فاستاء فيصل لهذا الجواب الخشن وأضمره في نفسه ، وقرر أن يغادر الشام إلى الحجاز خفية .

وقد فعل وانتهت المسألة بانضمام شريف مكة للانجليز

الانجليز يعرضون ولاية العهد على عبد المنعم : علمت في يوم ٧ مايو من (ى . بك) أن الانجليز أوفدوا الى البرنس عبد المنعم ، شقيق قنصل الانجليز في جنيف ، فعرض عليه قبول ولاية عهد السلطنة المصرية فأجابه الأمير بالفرنسية :

"Pour qui vous me prenez, je ne suis pas un fils qui trahit son père „

وترجمتها « من تحسبني ؟ لست الولد الذي يخون والده » وبذلك انتهت المسألة

الخلاف بين الخديو وبعض الوطنيين وسفره الى السويسرة : في يوم ١٢ يونيو اجتمعت مع يوسف باشا ومحمد فريد والشمسي والدكتور سيد كامل ولبيب بك ، وقد

عاد إلى فينا بأمر عباس ، فلاحظ يوسف باشا أننا نسير بلا نظام في عملنا ، وأنه وضع أسئلة للبحث فيها وتقرير خطة معينة للعمل بعد الجواب عليها

بحث موقف الخديو من جميع الوجوه : وفى يوم ١٣ اجتمعنا للبحث فى الأسباب التى حملت المصريين الوطنيين عند إعلان الحرب الحاضرة على انضمامهم لتركيا وحلفائها ، وقررنا أن السبب ، هو الأمل فى تخليص مصر من الاحتلال الأنجليزى ، والقيام بالواجب نحو الدولة العلية .

وكان السؤال الثانى : هل كان المصريون الوطنيون يؤملون إعادة استقلال مصر الداخلى حسب الفرمانات وكان الجواب بالأيجاب

وبحثنا فى السؤال الثالث : وهو ما الضمانات التى أخذت للوصول إلى تحرير مصر من الانجليز مع حفظ امتيازاتها ، والجواب هو ما أعلن فى الارادة الشاهانية ويحسن الاستزادة من هذه الضمانات

وفى يوم ١٤ منه بحثنا فى الأسباب التى أدت إلى خروج الخديو من الاستانة فاستعرضنا هذه الوقائع واحدة فواحدة ، وبعد عدة جلسات كانت الآراء النهائية : أن ما حدث يدل على تحول فى السياسة التركية نحو مصر والخديو . ورأى ثان — وهو رأيى — أن هذا لا يدل على تحول بل ما حصل كان مجاملة للصدر الذى يحقد شخصياً على الخديو . ورأى ثالث باحتمال الرأيين السابقين . وعلى العموم فقد قررنا أن يتقرب الخديو من رجال تركيا وأن يعود إلى الاستانة لمناسبة شهر رمضان حسب دعوة السلطان ويقيم عدة مآدب يدعو إليها رجال تركيا

وفى يوم ١٦ اجتمعنا فى جلستين واقترح يوسف باشا أن يتبع الخديو خطة تهديدية للحصول على ضمانات لمصر ولشخصه ، وذلك بأن يهدد بتنازله عن عرشه واعلان ذلك لرجال تركيا وألمانيا والنمسا ، وهم يخشون تصريحاً كهذا يعرقل عمل الحملة ، ولكننا لم نوافق عليه ، واعتبرناه سلاحا ضدنا للصدر يقنع به الألمان بعداء الخديو ، فسحبه الباشا ولم يقيد فى المحضر

وبعد ذلك عملنا تقريرا وافيا بواسطة الدكتور سيد كامل ، وعرضناه على الخديو يوم ١٨ منه فوافق عليه ، ماعدا نقطة التقرب من الاتراك فانه تلقاها واجما ؛ وعندما سمع قرارنا بعودته إلى الاستانة فى رمضان ، جاهر باستيائه من هذا القرار

ألم الخديو من بعض القرارات : وفى اليوم التالى بينما كنت داخلا عند الخديو —

وقد عرفت أنه متوعك - سمعته يقول بعد التأوه - « لما كنت فى مصر كان الناس يقولون : إننى سبب الاصطدام مع الانجليز وسبب الارتباكات التى تقع ، والآن ها هم أولاء يقولون إنى سبب الشقاق مع الأتراك ، فأنا فى حيرة » . وقد هممت أن أصارح الخديو فى هذه النقطة برأيى لولا أننى وجدته متوعكا ، فأشفقت عليه ، وصمت .


عبد الله البشري افندى

خلاف الخديو مع رجاله : وفى يوم ٢٦ تقابلت مع « مدام روشبرن » صديقة فريد ، فأخبرتنى بأن الخديو صارحها باستيائه من قرارنا الذى يشير برجوعه إلى الاستانة لمناسبة شهر رمضان ، وقال إنه لن يعمل بهذا القرار . وكذلك سمعت من عبد الله البشرى افندى وكان قد وصل إلى فينا يوم ٢٩ منه أن الخديو متألم من قراراتنا ويقول عنا « هم يريدون انتحارى » !

سفر الخديو الى سويسرة : فى يونيو وردت لى برقية من عائلتى بجنيف لأسافر إليها ، فقلت ليوسف باشا : « إنى سأطلب أجازة بضعة أيام » فقال : « ولكننى أنا أيضاً طلبت أجازة » ورخص لى فيها ، فأجبته بأنه يجب ألا نترك الخديو وحده . لأنه قلق فى هذه الأيام وأفكاره مضطربة ، ثم إن الظروف التى تحيط به تجعله يتردد فى اختيار الطريق التى يسلكها ، ومهما يكن لهجته وأحواله معنا غير ملائمة فيجب أن نؤدى واجبنا نحو أميرنا .

رأى رجال الخديو فى موقفه : وقد اجتمعت هناك بالأستاذ فهمى وأطلعته على قراراتنا فوافق عليها .

وفى يوم ١٢ يوليو قابلنى على بك الشمسى ، وأخبرنى أنه كان فى « لوسرن » منذ أربعة أيام ، وأن الجناب الخديوى حضر إليها ، وعلم منه ما يأتى :

إن سفير تركيا فى فينا تكلم مع سموه فى السفر إلى الاستانة لقضاء شهر رمضان وقال له إنه بلغه من فريد بك أن جميع المصريين على هذا الرأى ، وأنه سيخاطب وزير خارجية ألمانيا فى ذلك ، فظن سموه أن الرأى سيتفق على إرساله إلى الاستانة رغب أم لم يرغب ، وخاف من ذلك ، فقال للسفير إنه الآن يغير الهواء وسيمر على كارلساد ، ومر عليها فعلا بالسيارة ، وحجز له غرفاً فيها ثم رجع إلى فينا دون أن يدخل الفندق . وتنقل من مكان إلى آخر فيها ، حتى جاء ميعاد القطار المسافر من فينا إلى « انسبروك » فركبه هو ويوسف صديق وعبد الله البشرى ، وجاءوا إلى لوسرن بجواز ألبانى حرره له ثريا بك معتمد ألبانيا فى فينا بصفة سموه ألبانياً (يعنى أنهم هربوا) .

وقد علمت أن هذا هو سبب غضب الخديو على وإرسال البرقية لى بالبقاء فى جنيف .

وأخبرنى الشمسى أيضاً أن سموه يقول : « سيقول رجال الحزب الوطنى ومن معهم (يعنى شفيق) إنى خائن . وهم لا يعلمون شيئاً من دخائل السياسة التى أعرفها ، وأعرف ما ترمى إليه أعمال الأتراك » .

وفى يوم ١٢ منه اجتمعت معه وتفاهمنا فيما يجب علينا نحن المصريين بازاء خروج الخديو بهذه الصفة ، ووجود إشاعة بأن سموه ينوى الاتفاق مع الانجليز على أن يتنازل عن الخديوية نظير إعطائه مخصصات سنوية قدرها ٢٠ أو ٢٥ ألف جنيه ، وتولية ابنه بعد السلطان حسين . وقد قلت للشمسى بك : « إننى لن أتقهقر أمام سموه عند مقابلتى له ، وسأسأله عن حقيقة نيته ، وإذا كان يريد التنازل فاننا نتخذ الخطة مع الأتراك والألمان لتولية البرنس عبد المنعم ، وهم يفضلون ذلك على رجوع الخديو إلى الاستانة » . ثم استقر رأينا على طلب فريد للتفاهم معه فى الأمر .

وفى يوم ١٥ منه اجتمعنا به وكان رأينا جميعا أن عمل الخديو يؤخرنا خطوات ، بعد أن كنا تقدمنا خطوة بالرسالة التى بعث بها إلى الصدر كما أسلفنا .

ثم حضر عندنا يوسف صديق ، فأخبرنا أن الخديو فى الأيام الأخيرة كان يخفى عنه أسراره ، ويتحادث فقط مع محمد باشا يكن ، وأنه برىء من الاشتراك فى تدبير أمر الخروج من النمسا ، وصرح لنا بعزمه على ترك خدمته .

وفى يوم ٢٨ يوليو زارنى عبدالله البشرى ، وعلمت منه أنه حضر لمقابلة يوسف صديق وابلاغه رسالة قال عنها : « إنها ثقيلة » فقلت : « إن الأحسن إذا شاء الخديو أن يتخلص من أحد رجاله أن يكون ذلك بالحسنى ، بدلا من الانفصال بضجة » فقال عبد الله افندى : « الظاهر أن افندينا راى طوبتها » وقال لى : « هلا تذهب لمقابلة الخديو ؟ » ففهمت أن عباسا هو الموعز بذلك ، فقلت : « إننى لا أذهب ما دام عندى أمر من جلال الدين بألا أحضر إلا بطلب »

تهديد تركيا للخديو بسحب الأوسمة وشكوى عباس للسلطان : وفى يوم ٢٠ أغسطس علمت أن ضيا بك قنصل جنرال الدولة فى جنيف قابل الخديو — ولم أعلم فى هذا اليوم ما دار بينهما — ولكن فى يوم ١٣ سبتمبر لقيت الأستاذ فهمى فأخبرنى أنه قابل الخديو فأظهر له تألمه من رجاله وأنهم خانوه ، فأبلغوا اسراراً قررت بينهم وبينه إلى سفير الدولة بفينا ، وهى الخاصة برجوعه إلى الاستانة فى شهر رمضان . ثم قال له « والآن يحضر قنصل جنرال الدولة فى جنيف ، ويهددنى بأننى إذا لم ارجع فان الدولة تسترد منى الرتب والنياشين . وفى أى شىء تنفعنى هذه الرتب ؟ وهل كان يصح أن يذهب شفيق وفريد ويخبرا سفير الدولة فى فينا بسر من أسرارنا ؟ »

ثم خاطب الأستاذ فهمى قائلا : « والظاهر أنك وافقتهم على فكرهم ولا أعلم ماذا قالوا لك حتى اقتنعت » فرد : بأنه موافق نعم على فكرة الرجوع إلى الاستانة فى رمضان ؛ فقال الخديو « وما هى الجريمة التى ارتكبتها فى مجيئى إلى سويسرا ؟ وهل يخطر على بال أحد أنه بمجرد خروجى من النمسا اعتبر قد عزمت على الاتفاق مع الانجليز كما يشيعون » ؟ !

وبعد خروج قنصل الدولة حرر الخديو الشكوى الآتية :

شكوى عباس من قنصل تركيا فى جنيف : مولاى ياصاحب الجلالة . أتشرف بأن أعرض على مسامع جلالتكم أن أسبابا شخصية أوجبت على منذ زمن وجيز أن أذهب إلى السويسرة

وبناء على الأوامر التى صدرت من الباب العالى إلى قنصل جنرال الدولة العلية والتى استغربت لها ، عرفنى بأن وجودى فى السويسرة غير مرغوب فيه ؛ وفى بلاغ آخر أمرنى بالرجوع إلى الاستانة فى الحال ، وطلب منى الاجابة اما بالقبول أو الرفض

بدون شرط ولا قيد . وفى ١٨ أغسطس أخطرت الباب العالى رداً على ذلك بأنه لم يدر بخلدى الامتناع عن الرجوع إلى الاستانة، وما كان حضورى إلى السويسرة إلا لأسباب اضطرارية وانني اكرر الاعراب عن اخلاصي لجلالتكم ، وولأنى منذ تبوأت عرش مصرسنة ١٨٩٢ للدولة العلية صاحبة السيادة ، وأن الحوادث الأخيرة لتدلكم على محبتى لجلالتكم واخلاصى لدولتكم، مما يفرضه على شعورى الدينى، ويوحيه إلى ضميرى

وقد مضت أربعة أيام بعد ارسال الرد المشار اليه ، وإذا بالقنصل يرى من واجبه أن يخطرنى بالرجوع بواسطة محكمة احدى المقاطعات السويسرية فحضر عندى موظف من قبل البوليس المدنى فى يوم ٢٤ أغسطس ، لكى يسلمنى شخصيا هذا الاخطار ، ومعه وصل طلب منى التوقيع عليه بما يفيد الاستلام، فلم يسعنى إلا أن أرفض رفضا صريحا ، لاجئا إلى بابكم العالى محتجا على أعمال هذا القنصل وانى لأسائل نفسى — وما كنت انتظر هذه المعاملة من بعض رجال الحكومة السنية — أى شىء اقترفته حتى استوجب هذه الشدة وهذه الغلظة ؟ إلا أن هناك أراجيف وأكاذيب اشيعت فى الاستانة فوجدت آذانا صاغية وقلوبا واعية ، وهذه الأراجيف وهذه الأكاذيب من بعض ذوى النيات الخبيثة ، والنفوس الدنيئة ، يريدون بها ارضاء حزب يدعى خيانتى للدولة، وأننى منفصل عن الغاية المنشودة ، وانني كنت متصلا ببعض الدول المعادية لها ، وما أكذب هذا الافتراء وهذه الأقاويل ؟ لقد حضرت إلى السويسرة أكثر من مرة ، دون أن يستوجب حضورى سوء ظن الباب العالى

ولو صح هذا الادعاء لكان الأولى به وقت وصول الجيوش الروسية إلى حدود أراضى المجر، والحملة على الدردنيل فى بادىء أمرها . مع أننى اليوم أرى أن الجنود الشاهانية تذود ببسالة عن حمى الدولة ، بينما جيوش الممالك المتفقة معها تنتصر فى الشرق انتصارات عظيمة متوالية؛ وأن الوقت لم يحن لانفصالى عن الغاية المقدسة المشتركة التى هى محور الرجاء وقبلة النظر ، وانني منذ صارت انجلترا وروسيا يداً واحدة لم أر نجاة للدولة العلية إلا فى تقربها من ألمانيا ؛ وتلك هى نظريتى التى لا يزال الزمن يؤكدها لى . وأختم شكواى لجلالتكم بأننى آمل غير الذى حصل وأرجو زوال الوساوس القائمة من شهور عدة بينى وبين الدولة العلية ، رغما عن

بذل مجهودى فى استئصالها ، والسبب فى كل هـذا هو سوء ظن الحكومة العثمانية بما لا أستحقه ، حتى استبعدت كل الاستبعاد منذ أكثر من عشرة شهور من مهمتى الحقيقية ، التى كان فى إمكانى أن أقوم بها لبلوغ الغاية العامة لبلادى وللدولة صاحبة السيادة ، وفى هذا الوقت العصيب أبدى لجلالتكم أننى أود أن أظل دائماً مخلصاً لجلالتكم صبوراً على تحمل الصعاب ، وإنى فى إنتظار النتيجة النهائية التى أرجو أن تحصل ، فى عظمة ورفاهية دولة جلالتكم .

بينى وبين الخديو : وفى يوم ٢٤ منه وردت لى رسالة من عبد الله البشرى يقول فيها إن الخديو أمره أن يكتب فى طلبى مع السرعة فى الحضور . فسافرت إلى لوسرن . وفى صباح ٢٥ منه لقيت الدكتور سيد كامل ، ثم عبد الله البشرى ، وتوجهنا لمقابلة الخديو ، وكان فى الرياضة ، ولما دخل سأل : « كيف أنت ياشفيق ؟ » فأجبته : « بخير » . وهممت بتقبيل يده فسحبها منى دلالة على أن فى نفسه شيئاً ، ثم جمعنى مع كل المصريين الذين كانوا فى لوسرن ، وكان يقصد أن يعاتبنى بمسمع منهم حتى لا أستطيع الرد عليه عليه بصراحة ، وهم : محمد باشا يكن ، والشيخ محمد عثمان، وعبدالله البشرى ، والدكتور سيد كامل ، وغيرهم ثم سألنى عن مقابلتى لسفير الدولة فنفيت ما نمى إليه من أننى أبلغت السفير شيئاً ، ودللت على كذب هذا الخبر بأن فريداً لم يكن معى مطلقاً كما يقولون . وكذلك بعد سفرى إلى الاستانة لم أتحدث إلا مع التحفظ فلما سئلت عما إذا كنتم سموكم ستزورون الاستانة فى رمضان أجبت : بأنى لا أعلم — وقد يقع ذلك إن شاء الله — وتلك هى رغبتنا جميعاً (وكررت هذه الجملة).

ثم خاطبت سموه بحدة قائلا : « يا أفندينا ، كل الذين يعملون معك لا يعرفون نياتك وخططك السياسية ، وكل منهم يخمن تخميناً فيما يريد ؛ وأنا أيضاً لم أفهم سياستك ولا أعرف الوجهة التى تقودنا إليها ؛ وأنا بصراحتى المعهودة لا أستطيع أن أكتم عنكم ما أعتقده صواباً ، ولست كهؤلاء الذين حولك فهم لا يجسرون على مصارحتك بآرائهم . ولقد تحالفنا مع الأتراك ، والآن إذا تركناهم فالى من نذهب بعد عدائنا للانجليز ؟ » فقال : « أما سياستى فهى الانتظار هنا حتى نعرف نتيجة الحالة » .

وبعد ذلك قال سموه : « وهناك مسألة أخرى غير مسألة السفير التركى ، وذلك أنك لم تدافع عنى عند ما هاجمنى محيى الدين بك جلال بخصوص فكرة المستشفى بالاستانة » . فرددت عليه بأنى لم أقصر فى الدفاع عن سموه ، وتأدية الواجب الذى يحتمه على ضميرى .

ثم تركته على أن أعود فى الساعة الثالثة والنصف بناء على طلبه. وبعد خروجنا قال الدكتور سيد كامل: «لنجتهد فى إرجاع الخديو إلى فينا». ولما اجتمعنا به حسب طلبه كانت المناقشة هادئة، وحاولت إقناعه بخطر الاقامة فى سويسرا إذ يفسر الأتراك ذلك بأنه عداء لهم، ويدخلون هذا فى روع الألمان ويزينون لهم ترك الخديو، والحملة فى طريقها إلى مصر؛ ووافق الدكتور على ما قلت. فرد سموه بأنه لا يأتمن الأتراك؛ ويعتقد أنهم لن يرجعوه إلى أريكته، وكذلك هو لا يثق بالألمان لأنهم يحابون تركيا، وقد كذبوا عليه كثيراً فى وعدهم له بمقابلة الامبراطور. فقلت: «يا مولاى، إن الألمان لا يريدون إغضاب الأتراك، وإنه نظراً لسوء التفاهم بيننا وبين رجال الدولة تحاشوا مقابلة سموكم للامبراطور، فاذا حسنا العلاقات مع تركيا تحسنت أيضاً مع ألمانيا».

ثم خرجت والخديو غير مقتنع إلا برأيه بالبقاء فى سويسرا.

سوء ظن الخديو برجاله: وقد ظلت الحالة تتحرج بين الخديو والرجال الذين يعملون معه، ويزداد سوء ظنه بهم يوماً بعد يوم، ويزيد ذلك فى بعدهم وتفرقهم من حوله. ومن ذلك أنه فى يوم ١٠ ديسمبر، وكنت بحضرته، قال عن فريد: «إنه كان مخلصاً ووطنياً ولكن لما اختلط فى أوربا بالطلبة فقد مزايا الرجولة، وأصبح يعتقد أن خلاص مصر إنما يكون بانشاء جريدة يكتب فيها كلام فى حين أن الكلام يذهب فى الهواء والواجب هو الجهاد والتضحية!»

وكان هذا بمناسبة عرض فريد لفكرة إنشاء جريدة فى سويسرا تدافع عن حقوق مصر ورفض الخديو ذلك فى الوقت الذى أنفق أموالا كثيرة على أشخاص لا يستحقونها.

توجيه إنذار لعباس: ونظراً لهذه الأحوال دعوت كلا من محمد فريد بك وعلى الشمسى بك واسماعيل لبيب بك والأستاذ محمد فهمى إلى منزلى، وتذاكرنا فى هذه الحالة ثم قررنا كتابة الانذار التالى لعباس:

«مولاى الخديو المعظم

«قامت الحرب الأوربية من نحو عام، وكان سموكم موجوداً بالاستانة العلية، ولما أردتم العودة إلى مصر مقر الأريكة الخديوية منعكم الانكليز من ذلك، عندئذ فكرتم فى الاتفاق مع تركيا. وقد تم ذلك بينكم وبين سعادة ناظر الحربية أنور باشا

وحضور ممثل دولة المانيا الفخيمة البارون وانجنهايم ، وقد رأى الوطنيون أيضا ضرورة اتفاق جميع طبقات الأمة المصرية على اختلاف احزابها ، والتفافها حول سموكم لانتهاز هذه الفرصة السانحة لتخليص مصر ، لذلك اجتمعنا بالاستانة وقررنا السير معاً للوصول إلى هذه الغاية الشريفة ، فلما شعر الانكليز بأن سموكم يعمل بالاتفاق مع رجال تركيا والوطنيين المصريين طلب سفيرها بالاستانة منكم السفر الى إيطاليا للاقامة بها ، حتى تضع الحرب أوزارها ، فرفضتم الانصياع لأوامر الدولة المحتلة وفضلتم تحمل كل ما ينجم عن ذلك من النتائج السياسية وغيرها ، وقد وقع هذا العمل موقع الاستحسان لدى المصريين والعالم الاسلامى أجمع ، وفي أول شهر نوفمبر خاضت الدولة العلية غبار هذه الحرب الضروس ، وفى ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٤ سافرتم إلى ويانة حسما للنزاع القائم بين جنابكم العالى ودولة الصدر الأعظم لأسباب أغلبها عائلية قديمة ، وفى ١٨ منه أعلنت انكلترا الحماية على مصر ، وقررت عزل سموكم وتعيين حسين كامل سلطاناً عليها .

وقد اجتمع الوطنيون في مدينة لوسرن من أعمال سويسرة تحت رئاسة جنابكم العالى ، فتقرر مبدئياً تعيين لجنة مركزية تعمل بالاشتراك معكم فى جميع الأعمال السياسية ، وفى اجتماع آخر فى ويانة تأيد هذا القرار ، ولكن نلاحظ مع الأسف إهمال تنفيذه . وفي شهر يونيه سنة ١٩١٥ اجتمع ممثلو الوطنيين بأوروبا مع بعض رجال حاشيتكم لبحث الحالة السياسية ، وتقرير الخطة الواجب اتباعها لتحقيق آمالنا الوطنية ، وبعد عدة جلسات تقرر بالاجماع ضرورة عودة سموكم إلى دار الخلافة حتى تكونوا بجانب جلالة الخليفة المعظم فى شهر رمضان على الأقل ليزول سوء التفاهم وتتحسن علاقتكم الشخصية مع بعض رجال الحكومة العثمانية . فرفضتم أولا ، وبعد إلحاح شديد أفهمتمونا بأنكم ستتروون فى هذا الأمر . بعد ذلك سافر كل منا إلى وجهته ، وسافرتم سموكم إلى كارلسباد بعد أن زرتم جناب ناظر خارجية النمسا وسفيرى الدولة العلية وألمانيا ، وعرفتموهم بأن ذهابكم إلى كارلسباد هو للاستشفاء ، ثم تعودون إلى ويانه .

أقمتم ثلاثة أيام فى كارلسباد ، ثم عدتم خفية إلى ويانه بعد أن خابرتم سعادة يوسف باشا صديق لانتظاركم ؛ ثم سافرتم ليلا إلى السويسرة بدون أن يعلم أحد من حلفائكم بتغيير وجهتكم . واستصحبتم معكم كل عفشكم ، وأتيتم إلى لوسرن بقصد الاقامة بها وعدم العودة كما ظهر لنا من أقوالكم أخيراً

ولما علمت الدولة العلية بمجيئكم إلى السويسرة بهذه الصورة غير المرضية داخلها الشك فى أن قصدكم من وجودكم فى بلد محايدة التمكن من مخابرة الأعداء للانضمام معهم ضدها وضد حلفائها ،فكلفت قنصلها فى جنيف بأن يبلغكم رغبتها في أن تعودوا للأستانة منعاً للشبه ، فوعدتم بأرسال الجواب على ذلك إلى الأستانة ؛ وفعلا كلفتم صهركم جلال الدين باشا الذى كان إذ ذاك بالأستانة بأن يقابل سعادة ناظر الداخلية طلعت بك ، ويخبره بعزم سموكم على العودة فى شهر سبتمبر ، وبعد أسبوع تقريباً عاد إليكم القنصل ، ومعه خطاب آخر يلح عليكم بالعودة فى أقرب وقت . فرفضتم استلام الجواب المذكور ، وأرسلتم جواباً إلى دولة الصدر ، وآخر إلى سعادة ناظر الداخلية طلعت بك مظهرا استياءكم من هذه المعاملة ، وقبل أن يصل إلى سموكم الرد على ذلك أرسلتم خطاباً آخر إلى جلالة السلطان مكررين الشكوى ومعلنين عزمكم على البقاء بسويسرة حتى نهاية الحالة الحاضرة ، التى تتمنون أن يكون ختامها في مصلحة الدولة

أثناء مجىء أحدنا اسماعيل لبيب بك من الأستانة قابل فى ويانة يوسف صديق باشا ، وسأله عن أسباب ذهابكم إلى السويسرة ، وصدور أمركم بقطع مرتبه ؛ فقال : « تركت الجناب العالى لأنه سائر فى طريق سياسى مضر به وبالبلاد ، ولأنه ممتنع عن أن يرد الى الحكومة الألمانية مبلغ مليون وستمائة ألف فرنك الباقى لديه من مبلغ خمسة ملايين فرنك ، كان أخذها ليصرفها فى فرنسا وإيطاليا لمشترى الجرائد وبعض النواب ورجال السياسة ، ولانه يتخابر الآن مع فرنسا وانكلترا لتحفظا له أملاكه فى مصر والواسطة فى ذلك باغوص نوبار باشا وأغاطون بك الأرمنيين ، وأنه كتب جواباً إلى بولو باشا الفرنساوى يفوضه تفويضاً تاماً فى مخابرة الأعداء فيما يختص بمصالحه الشخصية ، والمسألة المصرية ؛ وأن هذا الجواب محفوظة صورته الفتوغرافية فى نظارة خارجية فرنسا » . ولما أخبرنا اسماعيل بك بأقوال يوسف صديق باشا رأينا أن يسافر ليقابل جنابكم العالى ، ويتحقق منكم صحة ما ينسبه اليكم الباشا المذكور سافر إلى لوسرن ووجدهنا شفيق باشا ، فقابلا سموكم معاً ، وعرضا عليكم العودة إلى النمسا أو ألمانيا ، فاظهرتم عدم الرغبة فى ذلك مطلقا ؛ وكانت نتيجة المقابلة أن اعترف سموكم بقبض المبلغ وصرف أغلبه فيما كلفتم به ؛ وانكم ستردون الباقى بعد عمل الحساب . أما عن مخابرة الأعداء فنفيتموها ، واعترفتم فقط بتكليفكم أغاطون بك بالذهاب إلى مصر لملاحظة أشغالكم الزراعية ، وإفادتكم عنها . بعد ذلك يسافر إلى لوسرن

فريد بك وعلى الشمسى بك ، وقابلا سموكم أيضاً ،فكان جوابكم لهما كجوابكم لزميليهما ثم أطلعتموهما على صورة الجواب الذى أرسله جنابكم العالى إلى جلالة السلطان وسبق ذكره

« يلاحظ الموقعون على هذا بكل أسف ، أن سمو الخديو لم يحسن عملا فى قبوله التوسط لدى رجال الصحافة والسياسة فى فرنسا وايطاليا ،ووضع نفسه موضعاً لا يتفق مع كرامة سموه وشرف الأمة التى يمثلها جنابه العالى، كما أنهم يلاحظون أيضا أن سموه محاط بأشخاص من رعايا الدول المعادية ، وله بواسطتهم علاقات مع تلك الحكومات لا نعرف حقيقتها ، ونعرف من هؤلاء الوسطاء المسيو بولو (باشا) الفرنساوى والمسيو كافالينى الطليانى ، ومدام روشيرن الفرنساوية التى تحمل جوازين أحدهما فرنساوى والآخر ارجنتينى

«وقد استدعاها سموه إلى ويانه ثم ارسلها إلى فرنسا مأمورية كما تدعى،وهى معرفة أفكار الفرنسيين والانجليز نحوه ، وهل يوجد استعداد لديهم للدخول فى المخابرة معه ، وقد قالت إلى أحدنا الشمسى بك،إنها قابلت سكرتير سفارة انكلترا بباريس،فاظهر لها أن الحكومة الانكليزية لا تود مطلقاً الدخول فى مخابرات مع سموه لانها تعتبره كمية مهملة ، لأنه مجرد عن كل نفوذ حقيقى ؛ وإذا كان معه الآن الوطنيون الذين كانوا بالأمس ضده ، فما كان ذلك إلا لأنه سائر في طريقهم ، فاذا أراد الاتفاق معنا انفضوا من حوله . أما رجال السياسة فى فرنسا فقالوا إنهم مستعدون للتوسط بينه وبين الحكومة الانكليزية ، لضمانة أملاكه بعد أن يتنازل عن حقوقه في الخديوية ،وأن يعلن الأسباب التى حملته على ترك ألمانيا ،وتركيا بشرط أن تكون تلك الأسباب مشينة ،وتدل على خيانتهما له ؛ وقالت لغيره أيضا:«إن سموكم طلبتم منها الذهاب الى الاستانة ، وعمل المساعى اللازمة بواسطة من تعرفه هى من الضباط الاتراك للتوصل للذهاب إلى جناق قلعة لزيارة معاقل الدردنيل ،وتقديم تقرير عنها لسموكم،

« وبهذه المناسبة نذكر أن من ضمن ماقاله يوسف باشا إلى أحدنا اسماعيل بك لبيب إنكم قلتم له بأن لديكم معلومات ورسوماً مهمة جداً عن جهات الاناضول تريدون تقديمها إلى ايطاليا إذا دخلت الحرب ضد تركيا

« ورغما من أن اسماعيل بك حذر سموكم من هذه المرأة لما يحيط بها من الشكوك فانها في ثانى يوم حضرت إلى لوسرن ، وتشرفت بمقابلتكم مرات عدة ،وتدعى الآن أنكم ستدعونها قريبا لتقيم بجواركم

لذلك يرى الموقعون على هذا أنه من الواجب عليهم نحو سموكم، ونحو مصر العزيزة أن يلتمسوا من جنابكم العالى، أولا - رد ما يكون باقيا لديكم من نقود ألمانيا فورا. ثانيا - قطع كل علاقة مع هؤلاء الأشخاص بولو اخوان ومن على شاكلتهم. ثالثا - العودة إلى الاستانة أو على الاقل إلى إحدى بلاد ألمانيا أو النمسا. رابعاً - تنفيذ ما تقرر فى اجتماع لوسرن فى شهر ابريل الماضى، وتأيد فى اجتماع ويانه فى شهر يونيه، من وجود لجنة مركزية تمثل الوطنيين بجانب سموكم لتشترك معكم فى كل الأعمال السياسية الخاصة بمصر.

هذه هى طلباتنا يا مولانا، نقدمها بكل احترام إلى سموكم، راجين قبولها لأن فيها دون غيرها تحقيق آمالنا، وحفظ شرف خديوينا وكرامة أمتنا، وإننا نعد سموكم بأننا نعمل معكم إذ ذاك بكل إخلاص وصدق كما كنا للآن، وإلا فواجبنا الوطنى يحتم علينا أن نسلك طريقا آخر، يكون فيه تحقيق آمالنا، وسلامة وطننا العزيز

المخلصون لسموكم

محمد فريد — على الشمسى — اسماعيل لبيب
محمد فهمى — احمد شفيق


محمد فريد بك


على الشمسى بك



اسماعيل بك لبيب



الأستاذ محمد فهمى

وتقرر بيننا أن أرفع أنا هذا الانذار للجناب الخديوى ، ولكن لما علمنا أن الخديو سلك خطة مشرفة وسوى حساب باقى النقود الألمانية مع موسيو بادل — الذى انتدبته وزارة الخارجية الألمانية لهذا الغرض — عدلنا عن تقديم الانذار وانتزعنا إمضاءاتنا منه .

شؤون مختلفة :

محب باشا فى نظر الألمان : فى يوم ١٩ فبراير قابلت موسيو الكساندر فسألنى عن رأيى فى محب باشا ، وعما إذا كان مخلصاً للخديو ؟ فقلت : «الظاهر أنه مخلص» وأخبرته بما ورد فى كتاب رشدى باشا بقبول النظارة السلطانية فى مصر ، وخروج محب منها ، وأنه يفهم من هذا الكتاب عدم مشاركته للنظار فى تصرفهم . فقال الكساندر : « إن محباً أرسل الى الأستانة ثم إلى إيطاليا من قبل الانجليز للتجسس على المصريين الذين أبعدوا من مصر ؛ وسأنقل كل ذلك شفهياً للخديو ؛ ولو حضر محب باشا لبرلين ، وطلب منى أن أعطى معلوماتى بخصوصه فلا أقول إلا بمنعه من الأقامة وطرده منها » .

وفى يوم ٢١ منه سأل البارون أوبنهايم يوسف صديق عن محب ، فأجابه

بأنه يظن أنه مخلص للخديو ، ولو أن المصريين لا يرون ذلك ، لاعتقادهم بأنه صنيعة الانجليز .

وقد سألني البارون كذلك فأجبته بما أجبت به الكساندر ، وتبين لي أن سبب هذه الأسئلة أن البارون قابله ، وهو معجب بأفكاره ويريد التأكد من إخلاصه .

حفلة وداع لهندى كبير وخطبتى فيها : فى يوم ٢٢ أبريل دعانى محمد بركة الله افندى الهندى ، وكنت قد تعرفت إليه من قبل عند البارون أوبنهايم ، لتناول الشاى فى فندق شاهين باشا بالأستانة . وكانت هذه الحفلة قد أقيمت لوداعه قبل رجوعه إلى الهند للقيام بأعمال إسلامية . وقد حضرها نحو ثلاثين مدعواً من بينهم الدكتور نظمى ، وهو عضو مسلم فى جمعية الاتحاد ، وأسعد باشا الحكيم ، والشيخ الرئيس العجمى ، ومن المصريين الدكتور سيد كامل ، والدكتور أحمد فؤاد ، وحلمى مسلم وحضر كذلك البارون .

وبعد تناول الشاى ألقى بركة الله خطاباً بالعربية ، شكر فيه الحاضرين على تلبية الدعوة ثم ودعهم بأسلوب لطيف .

وقام بعده أحد الحاضرين فتمنى له سلامة الوصول ، ودعا للمسلمين ، والخليفة السلطان محمد رشاد .

ثم أعقبه البارون فقال بالعربية إنه هو وإخوانه الألمان مسرورون باتحاد العناصر الاسلامية لتقوى بالاتحاد ، وألمانيا تساعدهم لأن ذلك فى صالحها وصالحهم .

وبعد ذلك دعانى بركة الله لأقول شيئا فقلت : « ماذا أقول بعد ما سمعناه من الخطباء إلا الاعراب عن الغبطة والسرور بهذا الاجتماع ، وإلا أن نتمنى لبركة الله افندى السلامة فى السفر والاقامة ، والنجاح فى مهمته » . ثم طلبت إليه أن يهدى تحياتنا لاخواننا الهنود ويقول لهم : « إن الفرصة سانحة للمسلمين ليهبوا من رقادهم ، ويتحدوا قلباً وقالباً ، فيد الله مع الجماعة ؛ وينبغى أن نلتف جميعاً بحرم الخلافة لتكون لنا وجهة واحدة » .

وقد انفضت الحفلة ولم يخطب فيها أحد من الأتراك .

الاتحاد العربى : فى يوم ١١ مايو كنت مسافراً من فينا إلى جنيف لأمور عائلية . وقد لقيت البرنس محمد على وشكرى بك سكرتيره . ولما انفردنا قص على البرنس أموراً هامة عن بلاد العرب ، فقال : إنه فى العام الماضى شكلت لجنة سميت بالمؤتمر تحت

رياسة سموه وفيها من الأعضاء : طالب بك من البصرة ، ومندوبون عن الشام ومكة والادريسى وغيرهم . وكان الغرض من المؤتمر السعى إلى توثيق الاتفاق بين أمراء الجزيرة وإنشاء إدارة داخلية خاصة لكل منطقة يحكمها أمير عربى ، وأن تنتخب الدولة حكاما وقضاة يعرفون العربيـة . وأن تدرس اللغة العربيـة فى جميع المدارس بتلك البلاد .

ولكن لما كانت الضغائن بين أمراء العرب شديدة ، فكروا فى انتخاب الخديو للرياسة . ونظراً لمـا يعلمونه من تردده قر قرارهم على انتخاب البرنس محمد على .

ولمـا نشبت الحرب توقفت أعمال المؤتمر وقر القرار على توصية العرب بأن لايتمردوا على الدولة ، بل عليهم مساعدتها حتى تنتهى الحرب ، وبعد ذلك ينظر المؤتمر فيما يجب عمله



الأستاذ عبد العزيز الثعالبى

وقدعرفت فيما بعد من الوطنى الكبير الأستاذ عبد العزيز الثعالبى أنه تألفت لجنة عربية فى باريس لعقد مؤتمر عربى بها ؛ وفى يوم ١٨ يونيو سنة ١٩١٣ افتتح المؤتمر جلسته الأولى فى قاعة الجمعيـة الجغرافية برياسـة السيد عبد الحميد الزهراوى ، وشهده ثلاثة وعشرون مندوباً عن مختلف البلاد العربية . ثم عقدت ثلاث جلسات أخرى وانفض المؤتمر على القرارات الآتية :

١ ـــ إن الاصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية للمملكة العثمانية فيجب أن تنفذ بوجه السرعة .

٢ ـــ من المسلم به أن يكون مضموناً للعرب التمتع بحقوقهم السياسية ، وذلك بأن يشتركوا فى الادارة المركزية للمملكة اشتراكا فعليا .

٣ ـــ يجب أن تنشأ فى كل ولاية عربية إدارة مركزية تنظر فى حاجاتها وعاداتها

٤ ـــ كانت ولاية بيروت قدمت مطالبها بلائحة خاصة قبلت يوم ٣١ ينايرسنة

١٩١٣ باجماع الآراء، وهى قائمة على مبدأين أساسيين وهى توسيع سلطة المجالس العمومية، وتعيين مستشارين أجانب: فالمؤتمر يطلب تنفيذ هذين الطلبين وتطبيقهما

٥ — اللغة العربية يجب أن تكون معتبرة في مجلس النواب العثمانى، ويجب أن يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية رسمية فى الولايات العربية

٦ — تكون الخدمة العسكرية محلية فى الولايات العربية، إلا في الظروف والأحيان التى تدعو الى الاستثناء الأقصى

٧ — يتمنى المؤتمر على الحكومة السنية العثمانية أن تكفل لمتصرفية لبنان وسائل ماليتها

٨ — يقرر المؤتمر ويظهر ميله لمطالب الأرمن العثمانيين القائمة على أساس اللامركزية، ويرسل لهم تحياته بواسطة مندوبيهم، ويحيى العراق

٩ — يجرى تبليغ هذه القرارات للحكومة العثمانية

١٠ — وتبلغ هذه القرارات أيضا للحكومات الاوروبية. ويشكر المؤتمر الحكومة الافرنسية شكراً جزيلا لترحابها الكريم بضيوفها

وقرر المؤتمر كذلك قرارات داخلية أخرى هى :

١ — اذا لم تنفذ القرارات التى أقرها هذا المؤتمر، فالأعضاء المنتخبون فى لجان الأصلاح العربية يمتنعون من قبول أى منصب كان فى الحكومة العثمانية إلا بموافقة خاصة من الجمعيات التى ينتمون اليها.

٢ — تكون هذه القرارات برنامجاً سياسياً للعرب العثمانيين، ولا يمكن مساعدة أى مرشح في الانتخابات التشريعية إلا إذا تعهد من قبل بتأييد هذا البرنامج وطلب تنفيذه.

٣ — المؤتمر يشكر مهاجرى العرب على وطنيتهم فى مؤازرتهم له.

وقد حمل القرارات الأولى إلى وزير خارجية فرنسا وفد عن المؤتمر برياسة رئيسه فاستقبله الوزير بالترحاب، وألقى تصريحاً اتضح منه للأعضاء أنه يريد اتخاذ عمل المؤتمر ومساعيه سبباً للتدخل فى شؤون تركيا، فبادر أحد أعضائه بالرد على ذلك مؤكدا أن البلاد العربية لا تريد إلا تأييد فرنسا لها فى مطالبها الاصلاحية، مع إخلاصها للدولة، وتمسكها بالجنسية العثمانية

وقد أرسلت جمعية الاتحاد والترقى مندوبا تركيا وهو مدحت بك شكرى للاتصال بالمؤتمر فى باريس. وقد تم الاتفاق بينه وبين أعضائه على ما يأتى

١ — يكون التعليم بالدورتين الابتدائية والثانوية فى جميع البلاد العربيـــة باللغة العربية ، ويكون بالتركية فى الأقسام العالية .

٢ — يكون جميع رؤساء المصالح والموظفين ، ما عدا الولاة ، عارفين اللغة العربية. ويكون تعيين القضاة ، ورؤساء القضاء الذين ينصبون بارادة سنية في العاصمة . أما من عداهم من الموظفين فيعينون من الولاية .

٣ — تترك ادارة الأوقاف الموقوفة للجهات الخيرية المحلية لمجالس الجماعات المختلفة

٤ — تترك الأمور النافعة (الأشغال العامة) للادارة المحلية .

٥ — يخدم المجندون فى المناطق العسكرية القريبة من بلادهم ؛ ويختار الجند الذين تدعو الحاجة الى إرسالهم الى اليمن وعسير بنسبة عادلة من جميع أبناء السلطنة العثمانية .

٦ — مقررات المجالس العمومية تكون نافذة فيما هو من اختصاصها القانونى .

٧ — يكون مبدئياً فى الوزارة ثلاثة من أبناء العرب ، ويعين منهم عدد من المستشارين والمعاونين فى الوزارة ، ويكون منهم اثنان أو ثلاثة فى كل مجلس من مجالس شورى الدولة ، ومحكمة التمييز ، والمشيخة الاسلامية ، وبقية المصالح الأخرى ، ويكون منهم أربعة أو خمسة على الأقل فى الدوائر المختلفة من كل وزارة .

٨ — يعين خمسة ولاة على الأقل من العرب ، وعشرة متصرفين ، وينصف الذين لم يرقوا منهم . ويعاملون معاملة زملائهم من موظفى الملكية والحقانية والشرعية الترك .

٩ — يعين عدد من العرب فى مجلس الشيوخ بنسبة اثنين من كل ولاية .

١٠ — يستخدم مفتشون اخصائيون من الأجانب فى كل ولاية بنسبة الحاجة وتحدد وظائفهم واختصاصهم بنظام خاص

١١ — تكون المعاملات الرسمية فى البلاد العربية باللغة العربية على أن ينفذ ذلك تدريجياً .

وقد حمل المندوب العثمانى هذه القرارات إلى الاستانة ومعه أحد أعضاء المؤتمر بعد ذلك أعلنت الحكومة العثمانية عزمها على تنفيذ الاصلاحات ، فاستصدرت بذلك إرادة سلطانية فى ٣ اغسطس سنة ١٩١٣

وقد ارتاح العرب لذلك وعدوه خطوة طيبة في سبيل تحقيق مقاصدهم ولكن هذه الأصلاحات وقف تنفيذها نظرا لأعلان الحرب ، وماحدث بعد ذلك من الجفاء بين العرب والدولة

وقد أطلعت حضرة صاحب السعادة عزيز علي المصري باشا على هذا الموضوع؛ فقال:
« عقد هذا المؤتمر وأنا في بني غازي ، وكنت قد استقلت من الجيش العثماني أثر انعقاد الصلح مع ايطاليا ، لأداوم على الدفاع عن بني غازي ، وذلك بناء على رجاء رؤساء العشائر ، غير أني أتذكر أن نسخة من قراراته وردت إلي مصحوبة بكتاب يحثني على طلب تنفيذها من الدولة العثمانية وبقية الدول



عزيز علي المصري باشا

ولما كان هـذا الكتاب قد وصلني مع أخبار اندحار الجيوش العثمانيـة في البلقان ، ووصول البلقانيين إلى ضالجة ، فانني أجبت بأنه لا يمكنني تنفيـذ هـذه القرارات أو التفكير فيها ، في وقت انهزمت فيه الجيوش العثمانية هزيمة ترجع أسبابها في اعتقادي للاختلافات الحزبية البرلمانية التي شتتت آراء الجيش مع قوته .

وأرى أن واجب العرب في الوقت الذي هزم فيه الجيش العثماني أن يهبوا كرجل واحد لدرء هذا الخطر ، فيكسبوا بذلك ما يطلبونه ، مع ارتياح اخوانهم العثمانيين وتقديرهم

أما الاستفادة من هذه اللحظه الخطيرة أمام العدو المشترك فهي سياسة لا تتفق مع الشهامة الشرقية ، الأخلاق الكريمة الموروثة في العرب

على أن أكثر هذه القرارات لم يكن مخالفا لرأيي ، وما نفرت منها إلا لظروفها من جهة ولانعقاد المؤتمر في باريس ، مع ما هو معلوم من ميول فرنسا الاستعمارية في سوريا ، ولأن المؤتمر قدم قراراته لوزير خارجية فرنسا ، وهذا ما عددته خيانة للجامعة الشرقية

وبسبب موقفي هذا أصبح المرحوم الزهراوي ضدي ، ولهـذا أيضاً قررت انشاء « جمعية العهد » لمنع تلاعب بعض السوريين واللبنانيين مع الدول الاجنبية ، ولذلك كان عمادها الضباط . وكان أول موادها ما يأتي :

١ — الاتراك من ستمائة سنة يقفون في المخافر الأمامية تجاه الغرب ، فعلى العرب أن يكونوا احتياطيا لامداد هذه المخافر . . . الخ

وقد كنت أمليها على اليوزباشي طه الهاشمي (الفريق طه باشا الهاشمي) فلما فرغت من المواد قال لي : « ولماذا تجعلها سرية ؟ ولو أعلناها لفرح لها الاتراك لأن هذه الجمعية هي أضمن تشكيل للمحافظة على كيان الدولة » . .

سنة ١٩١٦

المصريون يختلفون مع عباس بسبب محاولة انشاء جريدة — عيد الجلوس الخديوى — كيف عشت فى السويسرة بعد انقطاع مرتبى من تركيا — الخلاف مع احمد بك صادق وقضية الأوقاف ضدى — ميلاد الخديو — مخابرات الخديو مع الانجليز ومناوراته ووساطة ملك البلجيك — تسديد النقود الألمانية والحجز على مبلغ يوسف صديق — بين الخديو ورجال الوطنيين فى السويسرة — العلاقات بين الخديو وحلفائه — القبض على يكن باشا وضبط أوراق الخديو — شئون مختلفة

المصريون يختلفون مع عباس بسبب محاولة انشاء جريدة :

محاولة إنشاء الجريدة : كان رجال الحزب الوطنى الموجودون بأوربا وفى مقدمتهم محمد بك فريد ، وكذلك الطلبة المصريون فى سويسرة ، فكروا فى إنشاء جريدة تكون لسان حال للمصريين فى أوربا ، وتدافع عن حقوق مصر ومصالحها ، وعقدوا اجتماعاً فى ١١ ديسمبر سنة ١٩١٥ لهذا الغرض ، وقرروا أن يطلبوا من الخديو مساعدتهم على إنشاء هذه الجريدة ، وسبق أن ذكرت فى مذكرات العام الفائت أن الخديو أخذ على فريدٍ اعتقاده أن خلاص مصر ، وحفظ حقوقها يكون بواسطة إنشاء جريدة .

وفى يوم ٧ يناير سنة ١٩١٦ حضر عندى يحيى الدرديرى افندى ومدكور افندى الطاليان ، ليستفهما منى عما إذا كان قد ورد لى بجنيف أوامر بشأن طلب انشاء الجريدة . فأخبرتهما بأنى ذاهب إلى لوزان لمقابلة الخديو وأجيبهما بعد رجوعى .

وفى ٨ يناير أبلغنى الدكتور سيد كامل ، أن سموه لا يقبل أن ينفق مليما واحداً ، لأن طلب المساعدة كان فى صورة تهديد ؛ وقد حدث فى الجلسة التى عقدت لهذا الغرض أن حسين شيرين بك وضع جنابه ويوسف صديق باشا فى كفة

واحدة حيث قال : « إن الخديو يساعد بمبلغ ، ويوسف صديق يساعد بمبلغ آخر » ، كما أنه قيل فى هذا الاجتماع : « إن النقود متوافرة ، ولكنها تصرف فى غير الطريق الشرعى وينتفع بها أناس لا فائدة منهم للخديو ولا للوطن » . وأن الخديو يقول : « إن هؤلاء الشبان (بما فيهم فريد والشمسى) إما أنهم معضدون من الألمان ، أو لا . ففى الحالة الأولى يستغنون عن نقودى ويأخذون من الألمان ؛ وفى الحالة الثانية كان يجب أن يطلبوا منى فى أدب وخضوع ، لا فى صورة تهديد كما حصل » .

وكذلك من الأسباب التى يقولها الخديو عن رفضه المساعدة إنه إذا تجمعت فائدة من الجريدة يكون سموه أسيراً للحزب الوطنى ، فيفعلون معه كما فعل الاتحاديون مع السلطان عبد الحميد فى تركيا ؛ وهذا علاوة على أنه لا يريد أن يعمل مع الطلبة بل مع الرجال الذين اعتاد العمل معهم .

وفى ١٣ يناير قابلت الشمسى بك ، فأنبأته برفض الخديو للمساعدة وبالأسباب التى بنى عليها الرفض ، فقال : « إن كلام أفندينا إنما هو لمجرد التخلص ؛ وحتى لو كان الالتماس على حسب ما يطلب لوجد حجة أخرى لعدم الدفع » . فقلت : « إن إحساسى غير ذلك ، وأننا لو طلبنا بخضوع واحترام لأجاب الطلب » . وتقرر أن نجتمع عنده فى الغد للبحث فى الموضوع بحضوره هو والأستاذ فهمى ؛ ولكنى لما توجهت وجدت هناك الدرديرى أفندى ، فاستأت لذلك وعجبت . وقد قال لى الشمسى عند دخولى : « إننى كنت أتكلم مع درديرى أفندى فى المسألة ، فتحدثت عن الأسباب التى أوجبت رفض الخديو ، فنفى لى ذكر اسم يوسف صديق واستدل على ذلك بأنه لا يعلم عن المشروع شيئاً حتى يقال إنه مستعد للمساعدة ، وقال : ربما قيل هذا خارج الجلسة » .

ولما أخبرتهم بأن الخديو لا يريد العمل إلا مع الرجال الذين عملوا معه ، لا مع الطلبة مع اعتبارهم أعوانه وأولاده — حدثت مشادة بينى وبين الدرديرى ، لأنه أراد أن يفسر كلامى بأن الخديو يحتقر الطلبة ، وهذا مالم أرده . فاستأت لهذا وهممت بالخروج ، لولا أن هدأنى فهمى والشمسى .

وعندئذ تناقشنا فى أن يذهب الشمسى بك لمقابلة الخديو ، نائباً عن الجمعية ليطيب

خاطره وينفى ما علق به من ناحية الطلبة ، فرفض ذلك ، واستحسن انتظار رجوع فريد بك من الآستانة ـ وكان قد سافر اليها ـ ليذهب بنفسة

وهنا قام يحيى الدرديرى وقال : « إذن سأجمع الطلبة وأخبرهم برفض الخديو للمساعدة » فقال الشمسى : « ما رأيك ياباشا ؟ » قلت : « إذا جمعت الجمعية فيشرح لها الاسباب التى ذكرتها ويقول لها . « إن الخديو يقول عن الطلبة انهم أولاده وأعوانه ، ولكنه مستاء من إهاناتهم إياه »

وقد خرج الدرديري غاضبا ، وخرج وراءه الشمسى ؛ ثم عاد فأخبرنى أنه أقنعه أن لا يقدم على شىء قبل أن يطلعه عليه . وهنا عتبت على الشمسى ابقاءه فى موعد حددته وعينت أشخاصه ، فاعتذر بأنه حضر بنفسه ؛ وكنت اعتقد غير ذلك ، وأفهم أن الشمسى أحضره ليسمع منى ما أقوله

وقد خرجت أنا وفهمى فأقنعته بأن يحول دون تشويش الدرديرى ، وإثارته سخط الطلبة فى هذا الوقت العصيب

توسطى بين رجال الحزب الوطنى والخديو : وفى ١٧ يناير استدعيت الدكتور سيد كامل إلى جنيف ، واطلعته على كل ما حدث ، وقلت : « إن الأفضل هو انشاء هذه الجريدة » . فقال : « ان كل سعى يا باشا منك أو منى لدى الخديو لا يجدى ، فيجب حضور فريد أو الشمسى للاعتذار أولا ، والعرض بطريقة محترمة فربما يقبل الخديو » . ثم قال : « وأنا أعمل فى مسألة أخرى وهى انشاء صندوق تعاون لطلبة لوزان بأن يضع كل منهم فرنكا واحداً فى الشهر ، والخديو يدفع مساعدة لهذا الصندوق ومتى وصلنا إلى هذه النقطة ، نلتمس مثل هذا لطلبة جنيف ؛ ومن ثم يمكن انشاء الجريدة دون أن يحتمل الخديو تبعتها ؛ فاذا نجحنا فى ذلك كان خيرا »

وفى يوم ١٨ منه قابلت الشمسى فأخبرنى أنه أقنع الدرديرى بعدم إثارة الطلبة ، وأن ينتظر حتى يعرض التماسا من جديد فى صورة محترمة ، ويزيل ما علق بنفس الخديو .

وقد قال لى الشمسى : « إن طالبا اسمه طاهر قدم من برلين الى جنيف لاستمالة الطلبة المصريين الى فكرة تأليف حزب برياسة الشيخ جاويش فى صالح سعيد حليم وأن رفض الخديو مساعدة الطلبة على اصدار الجريدة ربما مكن لطاهر فى نفوس الطلاب » واتفقنا ع أخبار لى الدكتور سيد كامل لمخاطبة الخديو فى ذلك وكتبت له

وفى يوم ١٩ منه وصل إلى خطاب منه هذا نصه : « وصلنى جوابكم بخصوص مقابلة أخينا على الشمسى بك لسعادتكم ، ورجائه بأن تتوسطوا فى التماس أن يتفضل الجناب العالى فيجيب بالقبول على ملتمسهم ، فاعتذرتم بعدم امكانكم السفر ، وقلتم له : « إن غاية ما يمكنكم عمله هو أن تكتبوا لى ، وأنا أعرض على الأعتاب هذا الالتماس بالصفة التى أراها »

« ولو أننى على الدوام أتمنى أن أكون قادراً على أى سعى يعود بالنفع على إخواننا المصريين ، إلا أننى آسف غاية الأسف لأننى فى هذه المناسبة لا أستطيع أن أقوم بالسعى الذى تشيرون اليه بأى حال من الأحوال ، لأن الظروف التى سبقت طلب هذا السعى من سعادتكم مباشرة ، لا تساعدنى مطلقاً على عرض أى شىء بخصوص هذا الملتمس ، من تلقاء نفسى ، بل ولا عرض أية رسالة شفهية فى هذا الموضوع ، لذلك أرجو سعادتكم أن تعفونى من هذا العرض ، وفى الوقت نفسه أرجو أن تعتقدوا بأننى أعرض على الأعتاب كتابة يريد أن يعرضها على بك الشمسى مباشرة بما يرغب ، إن شاء أن يفعل ذلك »

فأرسلت الخطاب مع الشيخ عبد الحميد تدا ليطلع الأستاذ فهمى ، وعلى بك الشمسى عليه

وقد اطلع عليه الأخير أولا فتغيظ ، وقال : « ان هذا إهانة لى » ثم رجع وقال : « ولكن عدم عرض التماس الطلبة بواسطة الدكتور سيد كامل يعد إهانة لهم وحدهم . وعليه سأنبىء الطلبة أن أفندينا يرفض ملتمسهم ، ويكون شفيق باشا هو المسئول عن النتيجة » . ولما قال له الشيخ عبد الحميد : « إن الباشا مستعد لمحادثتك أنت والأستاذ فهمى » أجاب : وما دخل فهمى فى هذه المسألة ؟ أما أنا فلا أذهب عند الباشا ، وإن كان يريد مقابلتى فيحضر عندى

ولما اطلع الأستاذ فهمى على الرسالة قال : « ان ما فيها لا يشتم منه رائحة الاهانة » واستغرب غضب الشمسى . وقد ظل هذا لا يزورنى عدة أيام ؛ وأخيراً حضر عندى ، واتفقنا على أن نجمع كلمتنا لازالة ما بنفس الخديو ، وإعادة الطلب ، وأرسلت بذلك رسالة الى الدكتور فجاءنى الرد التالى منه :

« أحيط سعادتكم علماً أن رسالتكم وصلتنى ، ولا أخفى عن سعادتكم أننى

دهشت لقبول فهمى أن ينضم إلى على الشمسى ، ويشترك معه فى مسعى لم يشترك فى الاجتماعات الموجبة له ، وخصوصاً فى اجتماع ١١ ديسمبر الماضى . على أن فهمى رجل مستقل ، وله حرية واسعة ، يقدر استقلاله فى اختيار الطرق التى يجب أن يسلكها ؛ ولكن دهشتى كانت أعظم لما رأيت أن سعادتكم أيضا قبلتم الانضمام مع الأول والثانى لعرض الملتمس المعلوم على أعتاب الجناب العالى . ووجه دهشتى راجع إلى ثلاثة أسباب : الأول — أنكم كنتم خارجين عنهم بالأمس ، وأنتم اليوم تقبلون أن تكونوا معهم فى نفس النقطة التى اعتبروكم فيها من الخوارج . الثانى — أنكم كنتم الواسطة فى سماع مطالب فريد بك ومن معه عقب هذا الاجتماع ، وكنتم الواسطة فى تبليغهم نطق الجناب العالى فى هذا الموضوع ، ولم يطرأ مايدعو إلى تغيير صفة هذه الوساطة بقبولكم الانضمام اليوم إلى من كنتم واسطة لهم بالأمس . الثالث — هو أن رفض الجناب العالى كان مبنياً على سببين تعلمونهما، وأظن أنه ما دام فى نفس سموه أثر للاستياء من العرض الأول فلا يسع سعادتكم أن تنضموا إلى من كانوا سبب هذا الاستياء ، ولو أن رغبتكم من هذا الانضمام طاهرة ، وهى حبكم أن يكون المصريون جميعاً يداً واحدة — أنا أحب أيضاً أن يكون المصريون متحدين ؛ ولكن المسألة ليست مسألة اتحاد المصريين أو افتراقهم ، إنما هى أن الجناب العالى استاء شديد الاستياء من الطريقة التى طلب بها من سموه دفع نقود إلى محمد بك فريد ومن معه ، فانه لم يلاحظ فى هذا الطلب : أولا — الاحترام الواجب لمقام سموه ، حتى أنهم جعلوا يوسف صديق فى مقام الجناب العالى من جهة طلب الاعانة منهما على السواء . ثانيا — إن الطلب جاء فى صيغة تهديد مبنى على واقعة ظهر كذبها وبهتانها . فقبل تجديد السعى للحصول على المال يجب ألا تنسى استياء الجناب العالى ، يجب ألا تنسى ضرورة إزالة ما فى نفس سموه من أثر هذا الاستياء وإزالة هذا الأثر لا يمكن فى اعتبارى الشخصى أن تكون ، مادام على الشمسى ينكر أنه لم تحصل أية إشارة فى اجتماع ١١ ديسمبر تفيد مساواة يوسف صديق بالجناب العالى ، ولا يمكن خصوصاً أن تكون مادام فريد بك الذى أشاع بين الطلبة هذه الواقعة المكذوبة لم يقل كلمة من الواجب أن يقولها فى هذا الخصوص . أنتم سمعتم أن على الشمسى قال : « إن فريداً أخطأ فى إشاعة هذه الواقعة المكذوبة » وسمعتم منه قوله : « إن الدرديرى يأسف لما حصل منه » ، ولعلكم تسمعون منه اقتناعه بأن مساواة يوسف صديق والجناب العالى حصلت فعلا فى الجلسة بشهادة الشيخ عبد الحميد إمام

على الشمسى وخلافه ، إنما هل يكفى أنكم تسمعون ذلك ؟ ألا تكون أول خطوة واجبة - إن كان الشعور بوقوع هذه الأغلاط حقيقياً - أن يكتب مثلا على الشمسى إلى الجناب العالى كتابة صريحة تفيد الاعتذار عن هذه الأغلاط بصفة صريحة والتماس أن يكون سموه راضياً ؟ أظن حصول الرضا من الجناب العالي هو الأساس قبل عرض أى شىء على سموه ، وأظن أن طلب هذا الرضا لا يمكن أن يكون من قبل سعادتكم ، ولا من قبل فهمى ، ولا من قبلى ؛ إنما يكون فقط من قبل فريد وعلى الشمسى اللذين كانا سبب اجتماع ١١ ديسمبر . ومع هذا أعرفكم أن هذا هو رأيى الشخصى ، بدليل أنى تسلمت رسالتكم وردت عليها فى الحال » .

وقد أرسلت إليه بالرد يوم ٢٢ يناير وقلت فيه : إن الذى قلته فى كتاباتك معقول ، فصحيح أن الالتماس كان خالياً من صيغة الاحترام ، وكان يشتم منه رائحة التهديد ، وصحيح أن أفندينا له الحق فى الاستياء ، وصحيح يجب علينا أولا إزالة هذا الاستياء من نفس سموه ، إنما لكونى أمرت بتبليغ الرد على هذا الالتماس فعلى الشمسى رجانى أن أكون واسطة خير فى تبليغ ولى النعم أن مسألة يوسف صديق لم تحصل ، وأنه لم يحصل فى جلسة الاجتماع القول بأن النقود موجودة ؛ ولكن لا تصرف فى وجهها الشرعى ، الذى ينفع الخديو وينفع البلد ؛ وقد رجانى الشمسى أيضاً أن أسعى فى إزالة هذا الاستياء ، والوصول إلى تنفيذ المشروع حتى لا يفلت الطلبة من يدنا ؛ فاذا كنت أفضيت إليك بهذا الالتماس لتبليغه فذلك لأنى كنت أنتظر أن يأتينى الرد منك بالصفة التى جاءت فى جوابك الأول ، وعلى أثر وصوله أطلعت الشمسى بك عليه ؛ وقد تميز منه غيظاً واعتبره رفضاً ، وقال : « إنه سيبلغه للطلبة وأنى مسئول عن النتائج » . وعلى رأى المثل العامى « ما ناب المخلص إلا تقطيع هدومه » .

« ليس لك الحق فى دهشتك منى ومن فهمى ، لأننا نحبذ المشروع ، فأنت تعلم رأيى فيه ، ولا بد أنك علمت أيضاً من فهمى فى لوزان رغبته فى هذا العمل ؛ إنما لا نريد أن نشترك فى التماس الطلبة لأن فهمى قال عند وجوده فى الجلسة التى جمعتى بعلى الشمسى والدرديرى إنه لا يضم صوته إلى صوت على بك فى عمل التماس جديد ، لأنه لم يشهد الاجتماع ولم يكن بين المندوبين . إنما الذى نرغب فيه أن يساعد أفندينا فى إنشاء الصحيفة بأية صفة كانت ، إما بأن تتولاه جمعية مصر بلوزان ، أو الدكتور

سيد كامل ومحمد يكن (وكان قد حضر من الاستانة والتحق بالخديو في السويسرة) أو أجنبي بمساعدة المصريين ، حتى لا يقال : «إن أفندينا لم يعمل عملاً في صالح مصر» . هذا هو رأيي . ولكن بي علمك أنني أعتبر المخاطبة انتهت . فلا أقابل الشمسي ، ولا أقول له شيئاً في هذا الصدد

وفي يوم ٢٣ منه زارني الأستاذ فهمي فقرأت عليه رسالة الدكتور سيد كامل فقال : «إن الذي أفهمه من ذلك أنهم (يعني الخديو) لا يرغبون في الاتفاق على جريدة ولهذا لا جدوى من تكرار الطلب بعد الآن» ، فأخبرته بملخص إجابتي على هذه الرسالة ؛ ومنها يتضح أنني قطعت الكلام في هذا الموضوع .

عيد الجلوس الخديوي : في يوم ٨ يناير سافرت إلى لوزان لحضور الاحتفال الذي عزمت الجمعية المصرية بها على إقامته لمناسبة عيد الجلوس الخديوي ؛ ولقيت في القطار الأستاذ فهمي ، والدكتور زاهر ، والشيخ عبدالحميد ندا ، وتوجهنا إلى فندق لوزان بالاس فاستقبلنا هناك منصور افندي القاضي رئيس الجمعية

وكان المدعوون نحو الثلاثين من مصريين وأتراك وعجم ، وبعض رؤساء جمعيات الطلبة الأجانب في لوزان ، وكان من بينهم أربع سيدات أفرنجيات ؛ وحضر كذلك جلال الدين باشا ، ونشأت باشا ، وثريا بك . والأخيران من الأليان المنتمين للخديو ، ومكاتب ألماني اسمه موسيو فروم

وقد جلسنا على موائد صغيرة أربعة أربعة ، وتناولنا الشاي ، وبعد ذلك عزفت الموسيقى بالسلام الخديوي فاستقبلناه وقوفاً ؛ ثم عزفت بأدوار شرقية أخرى تخللها خطاب رئيس الجمعية باللغة الفرنسية ، وخلاصته : عدم الاعتراف بالانقلاب الذي حدث في مصر ، وأن السلطان حسين كامل يعتبر غاصباً لمركزه ، وأن الأمة المصرية تنتظر بفروغ صبر طرد الانجليز من مصر على يد الجيش العثماني ، ورجوع الخديو عباس حلمي الثاني إلى عرش مصر المستقلة تحت سيادة الدولة .

كيف عشت في السويسرة بعد انقطاع مرتبي من تركيا : سبق أن ذكرت في سنة ١٩١٥ ، ما تم في تقرير الدولة مرتبات لرجال الحاشية المقيمين مع الخديو بعد انقطاع مرتباتهم من مصر

وفي يوم ١٠ يناير سنة ١٩١٦ وردت لي رسالة من توفيق بك فهمي الياور

بالاستانة ينبئني فيها أن الأتراك قرروا قطع نصف مرتبى . وأنه بذل المساعى كتابة وكلاماً لصرفه لى كاملا فلم يفلح ؛ وطلب منى أن أخاطب طلعت باشا فى هذه المسألة ، لأنه الرجل الوحيد الذى تجدى مخاطبته فى الموضوع

وقد صدر قرار عام يوم ٢٤ يناير بعودة جميع المصريين المقيمين فى أوربا إلى الاستانة وإلا قطعت المرتبات التى تدفع لهم من خزانة الدولة ، وكان الغرض من ذلك اجبارهم على العودة ، والانفضاض من حول عباس ؛ وبذلك يضطر هو إلى العودة ؛ وكنت إذ ذاك لا أستطيع الرجوع لأن وجودى فى بلد محايد ضرورى كى تتسنى لى مراسلة المحامى عنى في قضية الأوقاف ضدى (وسيأتى ذكرها تحت عنوان خاص)

وفي يوم ٢٨ يناير سافرت إلى برن وقابلت سفير الدولة بها ، وهو فؤاد بك سليم المصرى ، الذى عين حديثاً ؛ وكان من تلاميذى فى المدرسة العلية ، وأطلعته على المسألة ، ورجوته أن يطلب لى مهلة شهر أو شهرين حتى تنتهى القضية ؛ فرد قائلا : « ولماذا ياباشا تكلف نفسك الحضور إلى هنا ، وكان يمكنك مخاطبتى تليفونياً أو بالبريد ؟ » فقلت : « انى جئت لأزورك أولا ثم أعرض عليك هذا الموضوع » . فشكرنى ووعد بارسال برقية بطلبى وودعنى حتى السلم ؛ وقال : انه إنما يعاملنى المعاملة الجدير بسفراء الدولة أن يعاملوا بها رجال الخديو . مما دلنى على أنه غير منضو إلى لواء الصدر فى مناوأة عباس



فؤاد سليم بك

وفى يوم ٣٠ منه سافر عديلى مظهر بك قنصل جنرال الدولة فى فارس سابقاً إلى الاستانة ، فسلمته خطاباً إلى طلعت باشا ألتمس منه صرف مرتبى كاملا مثل زملائى ، لأننى أعتبر نفسى مديراً للأوقاف الخديوية

وفى يوم ٢٧ فبراير وردت لى رسالة من عديلى بأنه خاطب مستشار الخارجية بشأن إعطائى مهلة شهرين، فوعده أن يخاطب الناظر لعرض المسألة على مجلس النظار

وفي يوم ٢٨ أبلغنى أن المجلس لم يوافق على طلبي، وأن الرفض بلغ إلى فؤاد بك سليم، وأن الأصوب هو التعجيل بالعودة إلى الاستانة

فرددت عليه يوم ٣ مارس قائلا : « إن السفير فى برن لم يخبرنى بمسألة رفض طلبي، وأن قرار العودة ربما كان لا يشملنى وإلا لأبلغنى ذلك »

هذا وقد اتفق معى ابراهيم أدهم بك أحد الياوران في جبوقلى أن يدفع لى مبلغ ثلاثين جنيهاً شهرياً؛ وأن تستردها عائلته فى مصر من مالى بها. وكذلك توفيق بك فهمى



ابراهيم ادهم بك

وفى يوم ٦ مارس قابلت الدكتور سيد كامل فى لوزان، فسمعت منه أن الخديو يأخذ على مقابلتى لسفير الدولة فى برن مع أنى أكبر منه مقاماً، ثم قال: « وأنا أعتقد أن الخديو لا يتأخر عن مساعدتك مالياً إذا قطعت الدولة مرتبك » فقلت : « إن القليل يكفيني مع عائلتى وأنا أقنع بألف فرنك فى الشهر مع مبلغ الستين جنيهاً

الذى استبدله من ابرهيم بك أدهم وتوفيق بك فهمى ، وأنا لا أطلب من سموه شيئاً إلا إذا تأكدت من قطع مرتبى »

وفى يوم ١٤ مارس حضر نور الدين افندى من الاستانة وعلمت منه أن المرتبات ستدفع لمدة شهر آخر ، وأنهم يقولون فى الاستانة : « مابالنا ندفع لرجال الخديو ، مع أننا لانعلم هل سموه محب أوعدو لنا ؟ »

وذكر لى أن سبب قطع نصف مرتبى ، أن عارف باشا قدم بياناً بأسماء حاشية الخديو ، وأمام اسمى كلمة (متقاعد) وأنه من أجل ذلك يصعب إعادة صرفه كاملا

وفى يوم ١٢ ابريل وردت إلى برقية من توفيق بك فى الاستانة بأن الأتراك قطعوا مرتبى لأننى لم أرجع ؛ فاستأت لذلك القرار بعد ماعلموا عذرى فى البقاء بالسويسرة . . .

وقد أرسلت إلى الخديو هذه البرقية ، وقلت له : « إننى ألتجىء إلى سموكم بعد انقطاع مرتبى » . فقرر لى مبلغ ألف فرنك فى الشهر .

وفى يوم ٣ يوليو وردت إلى رسالة من يكن باشا يقول فيها : « حسب ماصدر به النطق الكريم مرسل لأخوتكم طى هذا مبلغ وقدره خمسمائة فرنك » فأخذت المبلغ وأنا فى دهشة لاقتطاع نصف المرتب الذى قرره لى الخديو ، وأخذت أتساءل عن السر فى هذه المعاملة .

وفى يوم ٦ منه قابلت الدكتور سيد كامل ، فأطلعته على هذه الرسالة ، فتأثر جدا وقال : « يخيل إلى أن أقول للخديو : أنا لست فى حاجة إلى مساعدتك إياى وأتركه » . فهونت عليه الأمر ونصحت له بالصبر

وقد استطعت أن أعيش مع حرمى وأولادى بمبلغ خمسمائة الفرنك وستين الجنيه المستبدلة مضافاً إلى ذلك مبلغ خمسين جنيهاً سمحت السلطة بترتيبها لحرمى من إيرادها فى مصر

التحقيق مع احمد بك صادق وقضية الاوقاف ضدى : فى يوم ٢٨ فبراير من العام الماضى (ونحن بالنمسا) علمنا أن احمد بك صادق حضر إلى ايطاليا من مصر بعد أن قبض عليه ، وأطلق سراحه ؛ وقد رغب الخديو أن أسافر للاحاطة بما لديه من المعلومات ، فسافرت إلى روما ، وقابلته ، وذكر لى أنه حبس نحو ثلاثة أشهر

قاسى فيها العذاب ؛ خصوصاً أيام حبسه بسجن الاستئناف فى غرفة صغيرة فيها فتحة بالسقف للإضاءة ، وأرضها أسفلت ، وقداستحضر سريراً بالأجرة وكوز ماء للشرب وغسل يديه ووجهه .

وكان سبب حبسه زيارة شيخ العرب حمد أبوسلطان له فى منزله ، وكان الخديو كلف صادق بأن يرسله للأستانة ؛ وحقق معه أولا هارفى باشا ثم فليبيدس ؛ وكانا يطلبان منه أن يعرفهما بمعلوماته عن الخديو ، فلم يخبرهما بشيء .

ولما أرادت السلطة العسكرية إخلاء سبيله ، طلبت النيابة إبقاءه محبوساً على ذمة التحقيق فى الأوقاف .

وكان طلاماس بك ومعه انجليزى آخر من المالية قد فتشا حسابات الأوقاف ، وقدم ابرهيم يوسف افندى رئيس الحسابات بها كشفين : أحدهما بالمبالغ التى صرفها أحمد بك صادق لنفسه لتوصيلها إلى محل لزومها ، والثانى بالمبالغ التى صرفتها أنا (شفيق) بالأمر ، وابتدأ التحقيق معه فى الكشف الأول ، وكان يلوح له أن الغرض هو الوصول إلى معرفة ماإذا كانت هذه المبالغ قد صرفها لنفسه ، أولغيره ومن هم ، وفى أى شيء ؟

فلما أبرز المستندات على أن البعض تسلمه أشخاص ، والآخر تسلمه الخديو لصرفه بمعرفته ، فى إحسانات أو على المهاجرين بدون إعطاء إيصالات من سموه ، سئل عن هذا الاهمال ، فأجاب بأن العادة من وقت إنشاء الأوقاف الخديوية جرت بهذا ؛ ووجد المحققون فعلا أنه فى إحدى سنوات إدارة خيرى باشا صرف لنفسه ٤٠ ألف جنيه . . .

وقد كان فى إحدى جلسات التحقيق ابراهيم بك نصار المحسوب على السلطان حسين ، فحرض احمد بك قائلا : « حط كله عليه » يعنى الخديو . وقبل أن يبرز احمد بك المستندات ، قال للمحققين : «إن أوجه صرف هذه المبالغ معلومة لرئيس الحسابات لأنه كان يأخذ مذكرة عن كل مبلغ بناء على اشارة شفيق باشا» ، ولكن ابرهيم افندى يوسف أنكر حالفاً بالطلاق . غير أنه من حسن حظ احمد بك أن رئيس النيابة المحقق وهو « محمد زكى الابراشى » (باشا) فى أثناء تفتيش منزله عثر بين أوراقه على مذكرة بهذه المبالغ ؛ وبعضها بخط ابراهيم افندى المذكور ؛ فثبت للمحققين أن رئيس الحسابات لم يقل الحقيقة

ويقول احمد بك : «أن طلاماس في جانبي (شفيق) وأنه يعرف أنني مدقق» . وقد كنت أود لو عرفت ما حواه كشف المبالغ المدعى بها على لأجيب عنه . وأنا في أوروبا ، فان المبلغ كله هو ١٨ ألف جنيه . وقد دل أحمد بك على أوجه صرف أغلبه ، والبعض الآخر دفعته بالأمر من الفوائد التي كانت الأوقاف تتقاضاها من بنك دي روما ، والبنك الشرقي الألماني ، في مطلوب البنك الأهلي واللاند بنك عن ديون المرحوم الشيخ على يوسف بضمانتي .

وفي يوم ٢٣ يناير سنة ١٩١٦ وردت الى جريدة الأهرام الصادرة في يوم ٦ منه ، فقرأت فيها أن الاوقاف السلطانية (الاوقاف الخاصة الخديوية سابقاً) رفعت دعوى مدنية أمام المحكمة المختلطة على الدائرة الخاصة لسمو الخديو السابق في شخص الحارس القضائي عليها وهو موسيو جانيه مدير البنك العقارى المصرى ، وضد أحمد شفيق باشا مدير تلك المصلحة السابق ، طلبة الحكم عليهما متضامنين بأن يدفعا مبلغ ٨٧٠٦ جنيهات و ٩٦١ مليما قيمة ما سحباه من خزانة تلك المصلحة مدة إدارتهما لها . من ذلك مبلغ ٧٥٨١ جنيها و ٩٦١ مليما سحبت بمقتضى اذون صرف موقع عليها من شفيق باشا لغاية ٢٠ أغسطس سنة ١٩١٤ يوم سفره الى الآستانة ومن ذلك مبلغ ٦٥٠ جنيها سحبها الباشا من بنك دى روما في ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٣ وهو قيمة فوائد أموال الاوقاف الخصوصية المودعة في ذلك البنك .

وفي يوم ٢٧ منه قرأت في الأهرام أن خيرى باشا وحسين محرم باشا كانا متهمين جنائيا : الأول عن مبالغ صرفت من الاوقاف الخديوية . والثانى عن مبالغ من دائرة سيف الدين التي يديرها . وقد حكم ببراءة الاثنين

وفي يوم ١١ ابريل وردت لى رسالة من المحامى عنى محمد بك يوسف ، بأن المنظور أن تحكم المحكمة في صالحى . وأن هناك فرقا واضحاً بين قضيتي المدنية ، وقضيتي خيرى وحسين محرم وهما جنحتان .

وسيرى القارئ فيما بعد نتيجة هذه القضية

ميار الحرير : كان الخديو يتخوف كثيرا من مصادرة الانجليز لأملاكه بمصر ، وكان هذا من أهم الأسباب التي دعته الى الخروج من النمسا إلى سويسرة ، ليكون في بلد محايد . وبعد ما أقام في جنيف انتقل إلى لوكارنو ، وامتنع عن مقابلة رجال الحزب الوطنى ، وعن مساعدتهم في إنشاء جريدة كما سبق

وفى يوم ١٢ فبراير نشر الشيخ « على الغاياتى » فى صحيفة « لاتريبون » حديثاً عزاه إلى أحد رجال الحاشية ، خلاصته : ان الخديو ترك الاشتغال بالشئون السياسية واعتكف فى لوكارنو بعيداً من رسل أنور باشا ، والامبراطور غليوم ، ورجال الحزب الوطنى .

وفى يوم ١٦ منه أجتمعت فى منزل لبيب معه هو والشمسى وفهمى ، وتحادثنا فيما كتبه الغاياتى واتفقنا على أنه ضار بالخديو ، وبنا نحن المشتغلين معه ؛ وقررنا إرسال خطاب إلى سموه نلتمس فيه تكذيب هذا الحديث المزعوم .

وكنت أعتقد أن هذه الكتابة موعز بها من الخديو نفسه ، وقد صرحت بذلك للدكتور سيد كامل بينى وبينه ، لأنى كنت قد عرفت أن الخديو يسعى فى الاتفاق مع الانجليز (كما سيأتى فى فصل خاص) .

وفى يوم ١٧ حادثنى الدكتور تليفونياً ؛ وأخبرنى أنه عرض رسالتنا على الخديو فتكدر ، لأن الاخوان بمجرد أن يسمعوا أو يقرأوا شيئاً يعتقدون صحته ؛ مع أن سموه بعيد عن مراكز القيل والقال ؛ ووجه اللوم إلى الدكتور لأنه عارض من قبل فى استمالة الغاياتى قائلا : « إن الغاياتى هو رجل لم يكن راغباً فى انضمام الخديو لا للأتراك ولا للألمان ، وكان يود إن لم يكن مع الحلفاء فيكون على الحياد فيحفظ عرشه وأمواله . وإن سموه يقول : « طبعاً إن شفيقاً لم يحدثه وجلال الدين ويكن وسيد كامل والشيخ محمد عثمان والبشرى لم يقابلوه ، وهؤلاء هم الحاشية ؛ فكيف ينسب الغاياتى لأحدهم هذا الحديث ؟ » وسموه يأسف لأن الاخوان لا يشتغلون ولا يعملون شيئاً ، حتى لاستمالة الغاياتى .

فقلت له « إن الاخوان لا يريدون أن يعملوا شيئاً قبل أن يعرضوا الأمر على الجناب العالى ؛ ولهذا طلبوا منى الكتابة إلى سموه . وما دام يقول بأن أحداً من حاشيته لم يتحادث مع الغاياتى فيمكننا أن نكذب الخبر » . قال : « أفندينا لم يأمرنى أن أقول لك ياباشا أن تكذب الخبر ، إنما قال لى ما سمعته منى » . فوعدته بأن أبلغ الاخوان بما عرفته منه (إنما فهمت من فحوى كلامه إن سموه لا يريد أن أكذب مقال الغاياتى ، وإلا لأمر صراحة بأن أرسل التكذيب منى) .

وفى يوم ١٩ منه قابلت الاخوان الثلاثة ، وأخبرتهم بما سمعته من الدكتور

سيد كامل ، قرأوا أن التكذيب واجب ، إما من الخديو أو أحد رجال الحاشية ، ولم يوافقوا على فكرة استحضار الأستاذ الغاياتى لاستمالته .

وظهر من حديثهم أنهم يعتقدون أنه كتب بايعاز من الخديو نفسه ليكتب ما كتب ، بقصد التقرب للانجليز ؛ وأخيراً اتفقوا على أن أكتب إلى الدكتور سيد كامل بأنهم إنما طلبوا التكذيب لأن الغاياتى يعزو هذا الحديث إلى أحد رجال الحاشية ، وان التكذيب لايكون إلا من أحدهم .

وفى المساء حضر عندى عبد الله البشرى ليعرف ما تم بينى وبينهم ؛ فأخبرته به وسلمته الرسالة التى كتبناها ، فلم يرد لنا رد بالتكذيب

وفى يوم ٦ مارس دعانا الخديو إلى مقابلته فى لوزان ، وكأنه أراد بذلك أن ينفى ما علق بأذهاننا ، من أنه قرر الابتعاد عن رجال الحزب الوطنى ، ويقنعنا بكذب ما ادعاه الغاياتى !

مخابرات الخديو مع الانجليز ومناوراته ووساطة ملك البلجيك

سفير ألمانيا على علم بالمخابرات : زرت سفير ألمانيا فى يوم ٢٤ يناير فوجدت عنده معلومات فحواها أن الخديو يسعى للمخابرة مع الانجليز ؛ ولم أكن أعلم شيئاً عن ذلك . ولكن فى يوم ٣٠ منه ، قابلت اغاطون بك الأرمنى وهو أحد كبار المزارعين بمصر ومن المتصلين بالخديو ؛ ودار الحديث بيننا عن الشؤون الحاضرة فعلمت منه أن سموه كان قد كلف باغوص نوبار باشا أن يسعى لايجاد التفاهم بين سموه وبين الانجليز ، وأن باغوص لم يقم بذلك نظراً لوجود علاقة بينه وبين السلطان حسين ، ويخشى أن يتهم بأنه يدس له الدسائس ، وأن الخديو مستاء منه من أجل ذلك .

وأبدى أغاطون بك رأيه لى بأن الأصوب هو إطلاع السلطان حسين على الأمر قبل قيام باغوص بأى عمل ، وعظمته لا يكره سعياً من هذا النوع ، وأن الواجب هو أن يقيم الخديو كما هو الآن فى بلد محايد ، ويمتنع عن الاختلاط برجال الحزب الوطنى حتى تنتهى الحرب . وبعد ذلك يفاتح الانجليز فيما يريد . أما الآن فهم مشغولون بالحرب عن كل شىء آخر .

ولما سمعت هذا الكلام تألمت فى نفسى لما علمت بمساعى الخديو ، وفهمت

لماذا خرج للسويسرة ، ولماذا أبى أن يعاون الطلبة ؛ وابتعد عن فريد والشمسى وسواهما ، وأقام فى لوكارنو بعيداً عنهم ؛ ولم يكذب ما كتبه الغاياتى من أنه يقيم على الحياد بعيداً عن رسل الألمان ورسل أنور باشا

وكذلك لم أستبعد أن يكون حبيب لطف الله الذى قابل الخديو فى جنيف، قد عاد إلى مصر لأجل هذا الغرض، كما سمعت ذلك من قنصل ألمانيا

وقد قابلت على الشمسى يوم ٣١ منه ، فأخبرته بما فهمته من حديث أغاطون بك فسأل : وما غرض الخديو من ذلك ؟ فأجبته : أنه نصح له باتباع هذه الطريقة . فقال : « لا بأس فهذا ربما كان أفضل فى مثل هذه الظروف المضطربة »

عباس يحدثنى عن مساعيه الخفية : وفى يوم ٢٤ أبريل خلوت بالخديو ففتح لى قلبه ، وحدثنى عن مساعيه الخفية فقال : « نحن يا شفيق اشتغلنا من شهر يناير الماضى فانه لما حضر حبيب بك لطف الله عرض على من قبل المؤتمر العربى في بلاد سوريا وغيرها أن أكون رئيساً لها ، واستحضر منها بعض الرجال منهم الضابط والتاجر والعين ؛ وقصدوا سفير انكلترا فى برن ، فلما سمع أنهم يطلبون الخديو رئيساً انزعج ، وعلم أن نفوذى بين العرب قوى على الرغم من خلعى ، فتقرر ذهاب هذا الوفد إلى مصر لمفاوضة رجال الانكليز فيها ؟ فسافر ، ولكن يظهر أنه لم يرق فى نظر هؤلاء عمل شىء الآن ، واكتفوا بأخذ معلومات الوفد عن حالة سوريا الحقيقية وقد تمكن حبيب لطف الله من الخروج



حبيب بك لطف الله

والسفر (لأن انجليز مصر فضلوا أن يتكلم في مشروع الوفد مع حكومة لوندره) ولكونه يعرف ملك اسبانيا فها هو ذا الآن معه فى نزهة ؛ وقد أرسل إلى بواسطة نظارة الخارجية الاسبانية خطاباً على يد السفير فى برن ، فكتبت أطلب منه الحضور إلى هنا ، فوعد ولم يف فعلمت أنه تصعب عليه ذلك ، وقد أظهرت لسموه استحسانى

لما قاله، فاستمر قائلا : « ولما راجعنا سفير انجلترا فى برن للوصول إلى حل مرض يناسب مركزى، طلب أن أنزل كتابة عن عرش مصر بين يديه ، كأنه يريد أن يضع السكين على رقبتى من الآن ؛ فرفضت ، لا لأننى أطمع فى رجوعى إلى عرشى ولو كان النصر حليف الألمان والأتراك ، لأننى لا آمن لهم . أما إذا كان النصر حليف الانجليز فلا أقبل الحماية ، لأننى حكمت ثلاثاً وعشرين سنة بدونها فلا أطأطىء رأسى لها ؛ ولكنى أحفظ هذا العرش لابنى ، فانه لم يتقيد إلى الآن بأى (régime) نظام ، فاذا تمكنت من ذلك ، وعرض عليه العرش فهو وشانه فى قبوله أو رفضه .

وساطة ملك البلجيك لحفظ حقوقه المادية : « وقد فكرت فى وساطة محب للمتحالفين ، وهو ملك البلجيك على يد سفير بلجيكا سابقاً فى الاستانة ؛ وكنت قابلته ؛ فأرسلت إلى الملك أقول: « اننى أردت أن أسوى حسابى مع انجلترا ، ولكنهم يريدون وضع السكين على عنقى » وطلبت منه أن يساعدنى لدى الانجليز ، ولما برح سفير بلجيكا إلى الهافر لم يجد ناظر الخارجية ، ثم قابله فى باريس ، ولكنه خشى أن يكون فى الخطاب شىء يسوء الانجليز ، فلم يرد أن يقدمه قبل التحقق مما فيه ؛ فأرسلت له مذكرة تفصيلية عنه، حتى يعلم الا شىء فيه يستوجب الملاحظة ؛ وهأنذا أنتظر أن يأتى الرد » .

وقد فهمت أن اهتمام الانجليز بمسألة عرش سوريا، وتركهم حبيب بك لطف الله يسافر حراً، ويتحدث فى هذا الموضوع الخطير ، كان مناورة منهم ليطمعوا الخديو فى عرش سوريه، حتى ينالوا غرضاً آخر كانوا يبحثون وراءه ، وهو حمله على التنازل عن عرش مصر .

وقد قلت لسموه : « إنه يحسن ألا يفكر فى أمر التنازل لأنه السلاح الوحيد الذى يملكه الآن فاذا أخذه الانجليز منه لم يعودوا يهتمون به وكذلك يخسر عطف الألمان وحلفائهم ، ولا يعود لمسألته أهمية عندهم حين يصبح فرداً من الأفراد » .

فوافق على ذلك وقال : « لقد أخبرتهم أنى لا أتنازل إلا إذا ضمنت مركزاً سياسيا (يعنى عرش البلاد العربية) وإننى هددتهم باستخدام السلاح الدينى » فقلت « لقد وضعت البرغوث فى آذانهم » !

شروط الانجليز : وفى يوم ١٠ مايو أرسل موسيو بارودى مراقب البعثة

المصرية فى سويسرة بأن جهة غير رسمية طلبت منه العمل للتوفيق بين مصلحة الخديو ومصلحة انجلترا ، فأرسلنى سموه لمحادثته .

ولما قابلته أبدى لى أن الوقت مناسب الآن للمخابرات قبل انكسار الألمان، لأنهم إذا انكسروا فى «إيفردون» كما هو المنتظر ، فان الحلفاء لايهتمون بعدها بالخديو

ولما سألته : ما الذى يحدث الآن لو أن سموه لم يتقرب الحلفاء ؟

فأجابنى بأنه من المنتظر فى هذه الحالة مصادرة أملاك الخديو وأمواله ، بخلاف ما إذا اتفق معهم فانه يأمن عليها ، وتخصص له مرتبات سنوية ؛ وإذا أصاب أملاكه فى تركية والطليان ضرر فان انجلترا تعوضه عنها .

فسألته : هل يعتقد بنجاح هذا المسعى ؟ فأجاب بالايجاب .

فسألته عن الجهة التى كلفته بالمخابرة ، فراوغ وأخيراً قال : « إنه يعمل بصفة شخصية خدمة للخديو ، لأنه منذ كان موظفاً فى مصر كان يعطف عليه »

فأخبرته أن مساعىَ من هذا النوع فشلت ، لأن السفير الانجليزى فى برن طلب من الخديو أن يتنازل عن عرشه كتابة .

فأجابنى : إن هذا السفير لايعرف الذوق والمجاملات السياسية فلا عجب إذا فشلت المساعى .

فسألته عن كيفية فتح المخابرات ؟

فقال : «أن يرسل السفير للجناب الخديوى يقول له . « إنه علم أن سموه حضر الى بلد محايد ليتخابر مع حكومة انجلترا ، وأنه يقبل الاعتراف بالانقلاب ، وبسلطة السلطان حسين ، فيرد الخديو بأنه قابل لما جاء فى الكتابة المذكورة . وطبعا تبقى هذه المخابرة الكتابية سرية لايطلع عليها أحد ،

فاعترضت على تبادل المخابرات كتابة من الآن ، وسألته : لماذا لايكون ذلك بعد الحرب ؟ قال : « أخشى أن يفوت وقتها أما الآن فالفرصة مناسبة ،

وقد رويت لبكن حديثى مع بارودى فاستعاده ثانية ، وسألنى عن رأيى فيما إذا كان مكلفاً من قبل السفارة بهذه المخابرة ، فقلت : « لا أظن ، وإنما يريد أن يتوسط ليحرز جائزة من الانكليز ، ويكبر فى عيونهم فينال تقدما ، وإنهم ليقبلون كل شىء يعمل بأية واسطة مادام فى صالحهم ؛ والذى يقوله بارودى هو ولا شك فى صالحهم لأنه عند الصلح يجرى ذكر مصر ، فيبرز الانكليز اعتراف الخديو بالانقلاب » قال :

« أما التنازل فانهم لا يرغبون أن يكون صريحاً فى الكتابة التى يعطيها أفندينا ، لأن الأتراك لا يعترفون بتنازله لأية دولة إلا للدولة العلية صاحبة الشأن » فأمنت على قوله ، ولفت نظره لمسألة هامة ، وهى أن لا يحصل كلام بين الخديو وبارودى مباشرة بل يكون بالواسطة ، حتى يتسنى لسموه إذا اقتضى الأمر ذلك ، أن لا يعترف بما حصل ويبعد عنه الواسطة ، وقلت له : « إننى لا أرى الوقت مناسباً لطرق الموضوع لأننا غير عارفين بما سيأتى به الغد ، وأن الخديو بيقائه على الحياد كما هو الآن يمسك العصا من طرفيها ؛ وأن ما يقوله بارودى من إعطاء مخصصات لسموه ، وتعيين البرنس عبد المنعم ولياً للعهد يمكن أن يناله بعد الصلح . أما إذا امتدت الحرب لمصر ، وأتيح للأتراك والألمانيين الدخول فى أرضها لما بعد القتال — ولو بقى الانكليز فى جهات أخرى منها — فانى أرى أن يرجع الخديو حينئذ لعرشه حتى يعلم العالم الاسلامى أن الخلافة تمكنت من قهر أعدائها ؛ وارجعت الخديو لعرشه بعد أن خلعه الانكليز وإنما فى هذه الحالة أظن أن الأتراك يكيدون له فيجبر على أن يتنازل لابنه » .

الأتراك يحاولون استمالة عباس اليهم : وفى يوم ١٥ نوفمبر كنت عند الخديو مع عبد الحميد شديد ، فقال : « إن فؤاد بك سليم زارنى يوم السبت الماضى ، ويزعم أن الانجليز هم المدبرون لما أصاب يكن باشا (وسيأتى تحت عنوان خاص) وغرضهم هو الايقاع بى ، وأن أتضايق من حالتى ، وأجيبهم إلى ما يطلبون وهو التنازل عن الخديوية ويعلمون أنهم لو حصلوا على ذلك تعزز مركزهم فى مصر لأنه ضعيف الآن . وقد رددت لفؤاد بك سليم زيارته أول أمس ، ولما كنا منفردين قال لى : « إن الانجليز يريدون أن يحصلوا من الجناب العالى على هذا التنازل ؛ ويعدونكم أن يضمنوا لكم أملاككم ويعطوكم مخصصات سنوية ، وإذا لم تذعنوا لنصيحتهم جردوكم من أملاككم . وهبهم فعلوا ذلك فالدولة العلية تعامل الرعايا الانكليز عندها بنفس هذه المعاملة ، فتجردهم من أملاكهم وتعوض سموكم منها ، وأرى أن أفندينا يصلح سياسته مع الألمان ، فيسهل بعد ذلك كل أمر » . قال سموه : « فأجبته شاكراً له حسن مساعيه لدى الحكومة السويسرية حتى وصل هو وزميلاه سفيرا ألمانيا والنمسا إلى الاعتراف بمركزى الرسمى ، وقلت له : « انتى تأكدت من هذه المساعى بقاء المودة التى كنا عليها فى الصغر » وقد قال لى : انه لما ندب لسفارة سويسرا ، ولقى خليل بك ناظر خارجية الدولة العلية كلفه هذا أنه إذا قابلنى يعلمنى أن مقامى محفوظ ، وأن سياسة الدولة لم

تتغير من ناحيتى ، وأنه يستوى عندها أن أقيم فى سويسرا ، أو أرجع إلى الاستانة ، وإذا عدت إليها فانى لا أجد غير الحفاوة اللائقة بى » . ولم يدخل الخديو فى مناقشة مع فؤاد سليم فيما قاله ؛ ولكنه فهم أهمية المتحادثين فى كلاران وفى برن وقال لنا : « ان السفير يقول لى تلميحاً أن أترك المساعى التى أبذلها عند الانكليز لضمانة ملاكى والحصول على مرتبات سنوية ؛ ولعله هو وسفير ألمانيا وسفير النمسا عالمون بهذه المساعى ، ويخافون أن تتوج بالنجاح ، وأن أتنازل للانجليز عن الأريكة ، فيقوى مركزهم ؛ ويضعف مركز الدولة العلية ولهذا يعدوننى بالتعويض والمخصصات » قلت : « وأنا أميل إلى هذا الحل وأقترح أن يكون التعويض من جفالك الدولة الحرة وهى وشأنها فى أملاك الانجليز » وقد أظهر عباس رغبته فى أن تكون المخصصات ٤٠ ألف جنيه مثل المرتب الذى أعطى لاسماعيل باشا عند تنازله عن أريكة مصر . قلت : « وربما يعطى لأفندينا جفلك آخر فى مقابلة هذه المخصصات »

قال « وبما انك ياشفيق تعرف فؤاد سليم ، فانى مشخصك إليه لأخذ التفصيلات عن اقتراحه ، ولمعرفة ما إذا كان قد تكلم به مأذوناً من حكومته ، وباتفاق بينها وبين ألمانيا والنمسا ، أو غير ذلك . وبعد المناقشة فى : هل الأصوب أن تكون زيارتى رسمية أو شخصية ، اتفق الرأى على أن تكون رسمية ؛ وأن أسافر غداً إلى برن لهذه الغاية .

وفى المساء جاءنى منه أمر بقيامى فى قطار الساعة العاشرة صباحاً ، وأنه سيلاقينى فى هذا القطار ؛ وقد أخبرنى عند تلاقينا أنه قابل أمس مساء ملحمة باشا ، فعلم منه أن البلجيكى الذى عهد إليه سموه أن يعمل المساعى لدى ملك البلجيك ليتوسط لدى الحكومة الانجليزية ، أنبأه أنه سيسافر غداً إلى باريس لهذه الغاية ؛ وأنه قابل رامبولد سفير انجلترا فى برن ، وسمعه : « يقول إن العمل المختص بالخديو سائر سيراً حسناً ، ولكن يخشى أن يعرقله سموه بأفعاله » قال الخديو : « وحيث أن الأمر كذلك ، فلا يلزم ياشفيق أن تتعمق فى التورط مع الأتراك ، بل تجيب فؤاد سليم عن كل ما تسمعه منه انك ستعرضه على » (ومن ذلك علمت أن الخديو يأمل أن يسوى مسألته مع الانجليز رأساً وأنه يفضل ذلك) قال سموه : « وانى ذاهب إلى برن لمقابلة البلجيكى والتكلم معه قبل سفره ، وهذا فى أثناء وجودك مع فؤاد سليم .

العمل لتحسين العلاقات بين عباس وحلفائه : وقد توجهت للسفارة ، فقابلني فؤاد بك بحفاوة ، ومكثنا نتحادث مدة ثلاث ساعات ونصف ساعة ، بدأتها بأن أعلمته أنني منتدب من قبل الخديو لمقابلته على أثر دعوتي إلى كلاران ، ووقوفي من سموه على ما دار بينهما من الحديث ؛ وان سموه شاكر للمساعي التي بذلها عند الحكومة السويسرية ، ويقول: « انها تدل على استمرار المودة بينهما من أيام المدرسة » فقاطعني فؤاد بك قائلا: « ان ما فعلته هو الواجب » . قلت: « وسموه متشكر للدولة لأنها تفكر في مستقبله بحيث إنها — لا سمح الله — إن لم تنتصر في هذه الحرب ، واستمرت انكلترا في مصر ، وصادرت أملاكه لعدم إذعانه لرغائبها ، ولم تقرر له مخصصات سنوية فان الدولة تعوضه عما يفقده بأملاك رعايا الانكليز في الدولة ، وترتب له مخصصات تكفيه ؛ فقاطعني قائلا : « أما التعويض فقد ذكرته لأني لما كنت في الاستانة ، وشاع الخبر أن الانجليز قد صادروا أملاك الخديو والوالدة والصدر الأعظم ، تبينت أن الحكومة كانت عازمة على مصادرة أملاك الانجليز . وعلى هذا عرضت من تلقاء نفسي على الخديو ما تفعله الدولة إذا صادرت انكلترا أملاكه . أما المرتب السنوي فهذا أيضاً من البديهي ، لأن الدولة لا تترك سموه بعد أن حالفها . وهذا هو رأيي الخصوصي . أما ان كان هناك فتور بين سموه وبين بعض رجال الدولة فهو لا شيء إذا قيس بما كان بين اسماعيل باشا والدولة ، وسموه عند ما يرجع إلى الاستانة يتبوأ المكان اللائق به فضلا عن أنه لا يجد مكاناً يستريح فيه إذا لم تسمح المقادير برجوعه إلى مصر مثل الاستانة التي فيها قصره وأملاكه .

« يود الانجليز أن يرغموه على النزول عن عرشه ، ويمنونه في مقابلة ذلك بألا يمسوا أملاكه ، وأن يرتبوا له مخصصات سنوية ؛ ولكن هذا شيء طفيف بالقياس إلى عرش مصر ؛ ثم إن سموه لا يليق به أن يمد يده إلى أعدائه ، ويتناول منهم مرتباً » قلت : « لا يبعد أن الدولة في مؤتمر الصلح تطلب عدم مس أملاكه وتقرير المرتب » قال: « هذا جائز» قلت: « نعم ان الانجليز يحاولون من مدة طويلة الوصول إلى تنازله ؛ وربما تكون يا فؤاد بك على غير علم بهذه المساعي ؛ فقد ابتدأت ونحن في فينا على يد البرنس جميل طوسون ، إذ وسط يوسف صديق باشا في أن يعرض — إذا نزل الخديو عن العرش — ان انكلترا تحترم أملاكه ، وتخصص له من المرتبات بقدر ما كان لجده اسماعيل باشا ، وأن ولاية العهد تكون لأكبر أنجاله واشترط

البرنس أن يأخذ فى مقابلة وساطته مليوناً من الفرنكات » . فقال فؤاد : « ممن ؟ » فقلت : « من الخديو » . قال : « وربما يأخذ من الطرف الثانى شيئاً أيضاً » . قلت : « وإننى لما سمعت من يوسف ذلك أجبته بأنها مسألة خطيرة ويلزم إخبار حسين حلمى باشا بها » . هذه هى المرة الأولى، وقد رفض الخديو أن يدخل من الباب الذى فتح له . أما المرة الثانيـة فقد كان فى عهد سفير انجلترا السابق فى برن ؛ وقد طلب من سموه أن يتنـازل كتابة فرفض ، وقلت لسموه : « إن ما يطلبه السـفير هو سلاحك ؛ والانكليز الذين يخشونك به يريدون نزعه منك ؛ فلو تنازلت عنه أغفلوا شانك ، ولم يسمعوا كلامك — وهذه عادتهم فانهم يخضعون لمن هم محتاجون إليه ، ويغضون النظر عمن لا حاجة لهم عنده » . وهكذا حبطت مساعى السفير . والمرة الثالثة كانت على يدى ؛ وذكرت له ما عرضه مسيو بارودى ، واقتراحه أن يكتب الخديو ورقة يعترف فيها بالانقلاب الذى تم فى مصر ؛ وقد رفض سموه الـكلام فى هذا الموضوع . فمن ذلك يتضح أن الانكليز يسعون كثيراً للاتفاق مع الخديو ؛ وسموه لما كان فى الاستانة وعرض عليه سفير انكلترا فيها السفر إلى إيطاليا ، ورفض الطلب كان يعلم بالمضار التى ستناله أدبياً ومادياً ، فلم يبال ذلك لأن مبدأه من وقت توليته إلى قيام الحرب هو السير مع الخلافة ، ولهذا تضافر معها بغير دافع من أى إنسان إلا دافع الغـيرة الدينية ، ودون مطلب إلا رجوع الحـال فى مصر إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال » .

قال فؤاد : « وأنا أيضاً مبدئى أن أرى الدولة العلية قوية ، وأن تكون مصر مستقلة فى داخليتها كما كانت دائماً ؛ وتكون عسكريتها قوية فتساعد الدولة عنـد الاحتياج فتكون أشبه شىء بالعـلاقة بين المجر ودولة النمسا . وهـذا رأى رجال الدولة حتى إن طلعت باشا قال لى : « إننا لا نمس الادارة المصرية لأنها خير من إدارتنا » . ولـكن لا أخفى عنك أن بعض الأتراك يرغبون فى الرجوع بمصر إلى مرتبة الولاية التابعة ؛ ولـكن ليس هـذا رأى رجال الحكومة . وأنا أرى أن أفندينا يجتهد فى تحسين العلاقات بهم . نعم إن فيهم من هو قليل التجارب ؛ ولـكن أفندينا يستطيع بما أوتى من الحكمة والقدرة أن يجذبهم إليه » . قلت : « وماهى الطريقة ؟ » قال : « ببعض رسائل ودية عند سنوح الفرصة ، أو أن يعهد إلى أن أبلغهم مودته » . قلت : « إن الفرصة سانحة الآن . فبما أنه حضر لزيارتك ، ولشكرك وشكر الحكومة على

مساعيها فى حادثة يكن ، فحينما تكتب إلى ناظر الخارجية تطلب منه بصفة خصوصية أن يكلفك بتحياته ، وإذا كلفت شيئاً فاطلب من سموه الحضور عنده لابلاغه الرسالة حتى تكون سابقة ، ورويداً رويداً تتحسن العلائق بينكما ، وبالتالى مع الحكومة ورجالها ؛ وأنا أعاهدك على أنى أساعدك فى هذا ؛ ولا أخفى عنك أنى اجتهدت فى حمله على الرجوع إلى بلاد المحالفين له . وإنما الخديو مستاء ، ولا رغبة له فى الرجوع إلى الأستانة ، لأنهم ألقوا فى روعه أن حياته تظل مهددة هناك ، حتى إننا كنا سعينا فى إقناعه بقضاء شهر رمضان فيها عند ما كنا فى فينا فلم ننجح للأسف . والحالة الفكرية المضطربة التى يعانيها ، والعوامل المختلفة التى تحيط به تجعله يجتهد فى الابتعاد عن كل إنسان . وبطبيعة الحال هو لا يستمع إلى كلام الغير وعرضت عليه أن يحسن علاقاته بالألمان . قال : « نعم لأن مسألة يكن قد أحرجتهم فى سويسرا » (١). قلت : « هذا صحيح ولا بد أنهم تكدروا من ذلك ، فأرجو أن تدلنى على الطريقة الموصلة إلى إزالة هذا الكدر ، كما أنى دللتك على طريقة الوصول إلى تحسين العلاقات برجال الدولة » . قال : « إننا إذا أفلحنا فى هذا سهل علينا أن نفلح فى تحسين العلاقات بألمانيا ، أما النمسا فان كل ما نقرره أنا وسفير ألمانيا يوافق عليه سفيرها هنا ؛ وعلاقتى بسفير ألمانيا على غاية المودة ، فلنبدأ أولا بالطريقة الموصلة إلى إصلاح الأمور بين الخديو ورجال الدولة ؛ وإننى سأسير فى هذا الطريق » . ثم طلب منى أخيراً أن أكون الواسطة بينه وبين الخديو فى المخاطبات ولا أدعها لأحد آخر ؛ وانتقد الدكتور سيد كامل لأنه يتكلم بلهجة يشمئز منها الأتراك ؛ ثم ودعته وخرجت فقابلت الخديو فى دكان شديد بك (٢)، وعرضت عليه خلاصة ما سمعته من السفير ، فلم يعجبه القول بأن الدولة تطلب تخصيص مرتب له فى المؤتمر ، وقال : « حينئذ هى لا تريد تخصيص مرتب لى » ؟ ولما كان هذا القول اقتراحا منى لفؤاد بك ، فقد حاولت أن أفهمه أن السفير يقول : « إن أخذ مرتب من الانجليز عار على سموه لأنهم أعداؤه ، ولا يليق أن يطلب منهم شيئاً » . وقد فهم أن مسألة المرتب وضمان أملاك الخديو كانت من بنات أفكار فؤاد بك ، وليس بايعاز من حكومته ، ثم قال لشديد الذى كان حاضراً معنا : « هناك فرق كبير وبون شاسع

---

(١) سيأتى ذكرها فى فصل خاص .

(٢) فى هذا الوقت كان شديد بك قد افتتح محل تجارة فى برن .

بين وعد تركى ووعد انجليزى (يعنى أنه لايثق بالوعد الأول) فوافقه شديد على ذلك ،ثم قال: « ولكننا نسير مع فؤاد سليم فنحسن علاقاتنا بالأتراك ونعمل عملنا من الجهة الأخرى ، وعندما نصل مع هذه الجهة إلى نتيجة نقول لسليم بك : «نحن لانريد أن نعمل أمرا من وراء ظهرك ، فها هى ذى شروط الاتفاق مع الانجليز ! » وذهبنا بعد ذلك الى المحطة حيث كان فى انتظارنا الدكتور سيد كامل ، فسافرنا ولم تتهيأ الفرصة مع وجود الدكتور لسؤال الخديو عن نتيجة مقابلته للبلجيكى ، خصوصا وقد حصل الاتفاق بين سموه وبينى وبين شديد بك بألا نطلع أحدا على أحاديثنا فى مسألة الضمان والمرتب مع الأتراك .

وفي يوم ٢٩ نوفمبر كنت عند الخديو بحضور عارف والدكتور سيد كامل والبرنس ابراهيم حلمى وعبد الحميد شديد والبشرى ، وتناقشنا فى الموقف الحاضر فقلت : « ان الواجب على أفندينا أن يتخذ خطة واضحة يبين فيها رغائبه واحدة فواحدة ، فنسعى فى تنفيذها ، وأنا مستعد للعمل فيها » . فقال شديد : « وجودنا على الحياد لا يفيد ، بل يضر ؛ ويلزم أننا نلجأ إلى أحد الجانبين » . وقال البشرى : « ان أفندينا له مصالح فى مصر وفى الدولة العلية ، فلننظر إلى أهميتها ، ونضحى بالجهة التى تقل فيها منافعنا ؛ ولو نظرنا إلى أملاك افندينا نجد أن له في مصر ما يساوي ملايين الجنيهات ، وما هو فى الدولة لا يعد شيئاً إذا قيس به (يعنى أنه يرجح فكرة الانضمام لجهة الانجليز) . فقلت : « إن الانجليز لا يرغبون الآن فى موالاة سموه » وجنابه يقول : « إنهم حينما تأتى سيرته يقولون : « نعم إنه يميل الينا الآن لاحتياجه » فيبعدون عنه ، ثم إذا كانت انجلترا هى الغالبة فهى لن تسمح له بالرجوع الى مصر ، وهو لايود أن يعيش فى بلاد مسيحية ، ويفضل طبعاً الاقامة فى الآستانة ؛ فكيف يكون حاله لو انضم الى الانجليز الآن ؟ إنه لا يستطيع العودة اليها . »

وقد تناقش سيد وشديد فيما إذا كانت انجلترا تسمح لسموه أن يبيع أملاكه فى مصر ويأخذ ثمنها . فكان من رأى الثانى أنها لاتسمح خشية أن يستعمل النقود ضدهم فى مصر .

وبعد المناقشة كان رأى الأغلبية يميل الى ترجيح جانب تركيا ، ماعدا عبد الحميد شديد وعبد الله البشرى .

نص المخابرات بين عباس وملك البلجيك : وقد اطلعت فيما بعد على الرسائل

التى تبودلت بين ملك البلجيك والخديو ، بخصوص توسط جلالته لدى الانجليز ، أثبتها هنا لأهميتها :

— ١ —

« مولاى :

أسمح لنفسى إذ أذكر تلك العلاقات الودية التى تشرفت بقيامها بينى وبين جلالتكم أثناء زيارتكم لمصر أنتم وجلالة الملكة ، بأن ألجأ إلى عطف تدخلكم السامى كى تعينونى جلالتكم على ايجاد حل لمشكلاتى

ولقد حسبت يا مولاى — بحق ولا ريب — أن المحن الشديدة التى تجتازون مضمارها ببطولة فائقة أنتم ومملكتكم الجديرة بشجاعتكما ووطنيتكما بكل إعجاب ، حسبت أن تلك المحن تزيد جلالتكم ، بما جبلتم عليه من طيبة ، عطفاً على كل بؤس ومصاب . فلما أن لقيت صديقى القديم « الكونت دود زيك » وكان بالسويس وزير جلالتكم الممتاز الذى كنت عرفته فى الآستانة ، رأيت أن أرجومنه أن يعرض على جلالتكم رغبتى فى الوصول بفضل عطفكم وتدخلكم إلى تسوية مع انجلترا ، ترضينى وترضى حكومة صاحب الجلالة البريطانية معاً

وسأظل يا مولاى مديناً لجلالتكم بالعرفان كله لتكرمكم باعانتى على إيجاد ذلك الحل الذى سعرضه على جلالتكم « الكونت دود زيك » إذا تفضلتم جلالتكم فأذنتم له بالعرض واستقبلتموه . ولجلالتكم ، إذا رأت هذا الرأى ، أن تسمح له بأن يقوم عند الضرورة لدى حكومة صاحب الجلالة البريطانية بالمساعى المطلوبة

وإنى لأتمنى من الأعماق أن أرى فى أقرب ما يستطاع ، جهود جلالتكم التى تفوق كل جهد بشرى ، مكللة بالنجاح .

وأرجو ، إذ أعتذر مخلصاً عن إقلاق جلالتكم فى هذه الظروف المؤلمة ، أن تتفضل جلالتكم بقبول عبارات احترامى وإخلاصى

لوزان فى ١٢ مارس سنة ١٩١٦ عباس حلمى »

— ٢ —

« مولاى :

لما تسلمت كتابكم وكتاب « الكونت دود زيك » بادرت بالعمل على السعى لدى الحكومة البريطانية .

وقد وصل إلى الرد الآن . ومنه علمت أن الحكومة الانجليزية مستعدة ـ بناء على تعليمات سر ادوارد جراى ـ لأن تقترح على سموكم تسوية إذا شئتم

وإنى لأذكر بالسرور ذلك الترحاب الجميل الذى لقيتمونى به فى مصر منذ خمس سنين ، وأحفظ من أجله خالص العرفان .

وأرجو من سموكم أن تثقوا دائماً فى أصدق عواطفى نحوكم .

« لابان » فى ٢ يونيه سنة ١٩١٦ البير »

— ٣ —

« مولاى :

سلمنى الكونت دود زيك الرد الرقيق الذى بعثتم به جلالتكم إلى في الثانى من شهر يونيـه .

وإنى لأشكر لجلالتكم ما تفضلتم به نحو طلبى من حسن القبول

وإنى كما أخبرت « الكونت دود زيك » لا أزال في الحالة التى أملت على طلبى ، ولذلك فانى أنتظر اقتراحات التسوية التى سيبلغها إياى سر ادوارد جراى

ولعلى أستطيع المفاوضة بشأن هذه التسوية مع مندوب من قبـل الحكومة البريطانية يكون واقفاً على مجرى الشؤون المصرية ، إذ يساعد هذا كثيراً على الحل المرغوب

فأرجو من جلالتكم التفضل باقتراح هذا الرأى ، وأشكر لجلالتكم هذا التفضل من كل قلبى

وإنى لأبتهل بالدعاء لجلالتكم بالهناء وتحقيق كل الآمال

وأرجو أن تتفضلوا يامولاى بقبول عبارات أخلص الاحترام

لوازن فى ٧ يونيه سنة ١٩١٦ عباس حلمى »

تسديد النقود الالمانية والحجز على مبلغ يوسف صديق : سبق أن ذكرت أن وزارة الخارجية الألمانية أرسلت موسيو بادل (الذى كان بمصر قبـل الحرب وله اتصـال بعباس وبى) لتسوية حساب النقود الألمانية مع الخديو في السويسرة

وقد رد عباس ما كان باقياً من هذه المبالغ وأخذ مخالصة من الألمان بها ، رغم معارضة صاحبته مدام لوزانج فى رد هذه المبالغ

عباس يوسف صديق : وقد علم القارىء من مذكرات العام الماضى أن يوسف صديق قد أخذ مبلغ مائة ألف فرنك لنفسه من هذه النقود .

وقد أودع منها فى بنك زوريخ مبلغ خمسة وسبعين ألف فرنك ، فحجز عباس عليها ، ورفع قضيته بمبالغ كانت للخاصة الخديوية عند يوسف ، مما أوغر صدره ، فألف رسالة كلها مطاعن فى سموه ؛ وقصد الى النمسا ليطبعها هناك ، ولكن حكومتها علمت بالأمر فمنعت طبعها

وفى يوم ١٨ فبراير لقيت على الشمسى فأخبرنى أن يوسف حضر من فينا ليشاور محاميه فى الدعوى المقامة ضده ، وأنه سأله : لماذا لا يسلم للخديو فى هذا المبلغ مع أنه من نقود الألمان ؟ فأجاب بأنه يريد أن يجبر عباساً على رد أموالهم التى أخذها ، قال الشمسى : فقلت له : « ولكننى أعرف أنه حاسبهم ودفع الباقى عنده لهم » فأجاب بأن المدفوع ليس هو الكل ، بل ستمائة ألف فرنك فقط ، فأكدت له أن المدفوع أكثر من ذلك ، فقال يوسف : « حينئذ أنا أطلب منه أن يترك لى مبلغ عشرين ألف فرنك باقى مرتبى ، لأنه كان يعطينى نصفه فقط ، ونفقات أنفقتها فى مهام لم آخذ منه بدلها » . فقال الشمسى : « الأصوب أن تذهب لمقابلة سفير ألمانيا فى برن ، وتعطيه تحويلا بالمبلغ وتنتهى المسألة ، وربما صفح عنك الخديو » فقال : « وأنا بعدها ماذا أصنع ؟ وقد قطع الأتراك مرتبى ، لأننى رفضت العودة إلى الآستانة إذ رأيت أننى إذا أجبت طلبهم وعدت فربما قطعوا المرتب بعد شهرين أو ثلاثة وحظروا على الخروج » .

ثم ذكر الشمسى : أن بوليس الخديو أنشط من البوليس السرى فى سويسرة ، فانه ما كاد يطأ أرضها حتى علم من محاميه الثانى أن محاميه الأول الذى اشتراه الخديو ، حادثه تليفونياً وسأله عن سبب حضور يوسف ، ولم يكن قد عرف بعد بحضوره . وكذلك لم يكد يستقر بالفندق حتى حادثه نشأت باشا الالبانى تليفونياً ، وسأله عن مهمته فى السويسرة ؟ فرد عليه بأنه حضر من أجل القضية المقامة ضده من الخديو ، فقال له : « إن المسألة لا تحتاج لقضية ، ويمكن انهاؤها فى دقائق »

وفى يوم ٦ مارس كنت فى لوزان عند الخديو بحضور لبيب وفهمى والشمسى ، فأخبرنا أن يوسف أراد التقرب منه ، ووعد بتقديم الرسالة التى ألفها ضد سموه مع كتابة يقول فيها إنه كتب تلك الرسالة فى ثورة غضب ، وأن أعداء الخديو انتهزوا هذه الفرصة لحرضوه على التشهير به . أما المبلغ المحجوز فقال عباس : « إنى قدمت للمحكمة مخالصة من الألمان ، ففقد يوسف حجته ، واقتنع بأنه لا مفر من الاستيلاء على المبلغ ، فسلم سلاحه » .

وفى يوم ٢ إبريل علمت من إسماعيل لبيب أن الخديو تنازل ليوسف عن عشرين ألف فرنك ؛ وانتهت بذلك القضـــية ؛ وانقطعت العلاقات بين عباس ويوسف صديق .

بين عباس ورجاله والوطنيين :

بينى وبين سموه : ذكرت فيما مر وقوع جفوة بينى وبين الخديو من وقت أنه صارحته برأيى فى جلسة الجمعية التى ألفت للنظر فى كل ما يهمه ، وتكلمت بشدة فى وجوب توضيح سياسته حتى نعرف اتجاهه ؛ وأنى أقمت فى جنيف وأبلغت من قبله أن أبقى حتى ترد لى أوامر أخرى .

وفى يوم ٢٦ فبراير سنة ١٩١٦ زارنى الدكتور سيد كامل ، وأبلغنى أن الخديو قال له يوماً : « إن شفيقاً أوحشنا ، ومضت علينا مدة لم نره فيها ؛ وإن شاء الله سنراه حينما نذهب إلى لوزان » . (وكان يقيم فى قصر كلاران منعزلا عنا) . فأجبته بأن سموه كان قد قال للشيخ عبد الحميد إنه سيأمر باستحضارى ؛ ولكن هذا لم يقع للآن .

وفى اليوم التالى علمت من هكسيوس أن الخديو حضر للوزان واجتمع به ، ثم عاد . فعجبت فى نفسى من أنه لم يرسل إلى كما أرسل لهكسيوس .

وفى يوم ٤ مارس زارنى عبدالله البشرى ، وأخبرنى أن عباساً حضر إلى لوزان وسيسافر غداً (أى ليس لديه وقت لمقابلتى !) وأنه أرسل ليأخذ ما لدى من الأخبار ، فأعلمته بما عندى .

وفى يوم ٦ مارس ورد لى أمر تليفونى بالحضور إلى لوزان لمقابلة سموه مع لبيب وفهمى والشمسى ؛ فلما دخلت عليه رحب بى كثيراً ، فقلت : « يا أفندينا ، أنت

أوحشتنى كثيراً » . وهممت بتقبيل يده فأبى ؛ وكان لطيفاً جداً معنا فى هذه المقابلة ، وجلس يسامرنا حتى منتصف الليـــل ؛ وكان هذا على غير عادته معنا فى الفترة الأخيرة .

وفى يوم ٦ مايو كنا مجتمعين بسموه ؛ واستطرد الحديث إلى المصريين الذين يطلبون إعانات ، فتهيج وقال : « كل ساعة فلوس فلوس » ! ما بقى على إلا أن أحضر ما عندى من النقود ، وأقسمه مثل التركة بيننا ونستريح » . فتألمت من ذلك ورددت بشدة قائلا : « ولماذا كنت تنفق على الشيخ محمد عثمان ٢٥٠٠ فرنك ؟ أنا ما كنت راضياً عن ذلك » . فقال : « اسأل هؤلاء الجالسين الذين التمسوا منى هذه الاعانة » . ثم سكت .

وقد علم القارئ فى فصل سابق أن سموه رتب لى ألف فرنك حينما قطع مرتبى من الاستانة ؛ ثم عاد فاقتطع نصفه دون سبب ظاهر ، فكتبت إلى يكن باشا أسأل عن سبب هـذه المعاملة ، فلم أتلق جواباً . ثم قضيت نحو شهرين فى مدن الحمـامات وعدت ولم يستدعنى سموه .

وفى يوم ٣ سبتمبر أخبرنى الدكتور سيد كامل أن الخديو قال فى ذات يوم : « إن شفيقاً غضبان لأننى أعطيه فقط خمسمائة فرنك ، مع أن سفير النمسـا فى برن لا يأخذ أكثر من ذلك ! » .

وفى ٩ منه وردت لى رسالة من الشيخ عبد الحميد يقول فيها — إن الجناب العالى أمره أن يكتب إلى بأن سموه راض عنى ، وأنه لم يستدعنى بعد « لعدم وجود أعمال الآن ! » . ويطالب منى أن أكتب رسالة بالشكر لسموه على سؤاله عنى ، وسروره بعودتى من الحمامات ؛ وقد كتبت هذه الرسالة .

وفى يوم ٧ أكتوبر قابلنى شديدبك وسلمنى اشتراك السفر ؛ وقد أرسله الخديو إلى للذهاب فى الغد إلى كلاران مهنئاً بالعيد .

ولما دخلت عليه وقف وخطا نحوى باشا وأخذ بيدى قائلا : « كل عام وأنت بخير ياشفيق باشا » فأجبته : « إن شاء الله نعيد على سموكم فى العيد المقبل بمصر » .

وكان مع سموه البرنس عبد المنعم ونجل محمود مختار باشا ، والبرنس محمد على (وكان قد خرج من إيطاليا إلى السويسرة وأقام فى جهة منترو) .

وفى يوم ٢٠ أكتوبر وردت لى رسالة من الشيخ عبد الحميد يقول فيها : « إن

الخديو بلغنى ذهابك إلى طبيب العيون ، وأشار بعملية ؛ وهو يتمنى لك الشفاء» . فارسلت شاكراً .

وفى يوم ١٧ نوفمبر قابلت الدكتور سيد كامل ، وكان الخديو قد بعثنى لمحادثة فؤاد بك سليم فى مهمة تختص بحفظ حقوقه فى السويسرة كخديو مصر ؛ وبحثت فى مهمتى. فقال لى الدكتور : «إن الخديو يقول : «هناك فرق كبير بين شفيق ويكن فان ، الثانى إذا ذهب فى مهمة لا يتكلم إلا فى عرباته وخيوله التى بيعت فى مصر» . ثم قال : «وإنى أهنئك يا باشا بما استعدت من ثقة أفندينا بك» . فضحكت فى نفسى وقلت : «إن هى إلا مدة قصيرة ، ثم لا يلبث أن يسمع منى فكرة حرة حتى يعاوده الغضب» .

الشيخ محمد عثمان والخديو : فى يوم ٦ مايو دعيت إلى الخديو فى لوزان بحضور يكن وسيد كامل والبشرى ، فتحدث معنا فى أن الشيخ محمد عثمان المعاون بالخاصة طلب العودة إلى مصر . وقال إنه يعرف موسيو بارودى ، وهو مستعد لأن يسهل له العودة ، ثم أظهر سموه ألمه لأن هذا الرجل خرج على طاعته قبل ذلك ، وذهب إلى فينا ، وكتب رسالة حشاها بالطعن فيه ، ثم عاد منها فدفع له مبلغ ألفين وخمسمائة فرنك إعانة له ؛ وبعد ذلك يطلب أن يتركه ويعود إلى مصر . قلت : «إننى متأكد أن سموكم إذا رخصتم له فى العودة لم يوفق لذلك ويصبح وليس له معين» . فوافق على قولى ؛ ثم أمر الدكتور سيد كامل بأن يستحضره ، ويقول له : «إن الخديو يرخص لك فى السفر وسنسوى حساب الفندق الذى تقيم به ، وليس لك بعده شىء فى ذمتنا» .

قلت : «ولكن تبقى مسألة ...» فقاطعنى قائلا : «ونعطيه أجرة السفر ؟» قلت : «نعم» . ووافق يكن والدكتور على قولى . فاحتد الخديو وقال : «وأنا لا أعرف لكم مذهباً . فلماذا تطلبون منى إعطاءه نقوداً مع علمكم أنه غير مخلص ؟» . ثم قال : «لقد كان الشيخ أحمد الزناتى رجلا مخلصاً حقيقة ، ولكنه لم يكن نشيطاً مثل الشيخ عثمان ؛ وأنا كنت أستخدم الاثنين مع علمى بما فى كل منهما من المحاسن والعيوب . وإنكم لتعترفون بعدم إخلاصه ، فلماذا يا ناس تطلبون منى نقوداً ؟» فسكتنا لما رأيناه من انفعاله .

وفى اليوم التالى قابلته وقلت له إننى لم أرد أن أرد عليه أمس نظراً لانفعاله ؛ ولكنى أود إبعاد الشيخ بطريقة حسنة . وذلك بإعطائه مرتب شهر قائلين له :

« إن أفندينا لا يمانع مطلقاً فى سفرك ، وها هو ذا مبلغ كذا لتنفق منه فى السفر ، فيعلم الناس أنه غير مطرود ، وعندئذ يلاقى صعوبات فى عودته إلى مصر » . قال سموه : « نعم يقولون إننا متفقون على تسفيره » . فأكملت حديثى قائلا : « أما لو طردناه بالطريقة التى كان يراها الخديو ، فانه يلقى صدراً رحباً من أعدائنا » . فقال : « ياشيخ ، حينما يأتى له الأمر بالسفر يعطيه بارودى نفقاته » . فأصررت على رأيى .

وقد حضر الشيخ فى اليوم نفسه فكلمه يكن بحضورى وحضور الدكتور سيد كامل بما تم الاتفاق عليه ، فدهش ، وقال إنه بقى له من حسابه القديم خمسمائة فرنك . فأرجأه يكن إلى غد للنظر فى حسابه . فقال : « أى حساب ؟ كل هذه إحسانات من أفندينا بارك الله فيه . ولكن ماذا أصنع حتى يأتى لى الأذن بالسفر ؟ أنا استأذنت فى اتخاذ الاجراءات ، ولكن لم أصنع شيئاً للآن » . فرد عليه يكن بأنه ذكر أنه تكلم فعلا مع بارودى .

وقد بات ليلته متكدراً ولم يستطع تناول العشاء .

وفى يوم ١٣ يونيو أخبرنى الدكتور أن الشيخ أرسل يسترحم الخديو ويطلب معونته وهو خالى اليد فى بلد أجنبى ، ووقع رسالته « المخلص الحقيقى » [(١)]

عباس ورجال الحزب الوطنى : ذكرت فيما مضى أن هناك نفوراً بين رجال الحزب الوطنى فى أوربا وبين الخديو من جراء رفضه للمساعدة على إنشاء جريدة تدافع عن حقوق مصر فى أوربا .

وفى يوم ١٩ ابريل قابلت الخديو فى فندق لوزان بالاس بحضور الدكتور سيد كامل ، فانبأته أننى علمت بأن محمد بك فريد الموجود فى فينا أرسل برقية يقول فيها : إنه عائد قريباً للسويسرة . فتكلم وهو مستاء من فريد ، وذكر أن الشمسى ولبيباً طلبا منه أن يضمنهما فى سلفة ، وأنه بعد أن وسخه المصريون لا يريد أن يتدخل فى مسائلهم . ثم قال : « ها هو ذا دومرتينو بك الأجنبى الذى كان يعلم كثيراً من أسرارى ، ولا يعرفها أحد سواه ، لم يبح بشىء منها حتى الآن ؛ ولكن المصريين تكلموا فى حقى كثيراً . إنما لم أسمع شيئاً عن لبيب ، مثل ما سمعت عن فريد والشمسى . وإذا عاد فريد وكان محتاجا لمعونة مالية مثل زميليه فاننى سأرفض معونته ؛ ولو ساعدت لبيباً دونهما فربما أبى أن يقبل مساعدتى وحده » .

(١) وقد بقى مع الخديو .

وقد أراد الدكتور أن يدافع عن فريد فقال : « إنه أخطأ حقيقة فى أخذ كلام «حسين شيرين» قضية مسلمة فى مسائل خطيرة لها أهميتها ، ثم إخبار الطلبة بذلك ، لكنه من المخلصين لسموكم » . فقال : « لا . الغلطة الكبرى هى ذهابه للسفيرين الألمانى والتركى فى فينا وقت وجودنا هناك ، وما قاله لهما بشأن عودتى إلى الاستانة » . فقال الدكتور : « ولكن سموكم صفحتم عن الشمسى ؛ ويستحب الصفح عن فريد فى هذه الظروف الحرجة» . فقال عباس : «أنا لست أريد أن أعرض عن مقابلة فريد إذا حضر ، ولكنى أعرف أنه غير مخلص كما تقول . وهل نسينا ما كان يدور من الكلام فى بيوكدره تحت الشجرة بين فريد وباقى رجال الحزب الوطنى من تهديدى قبل وقوع الاعتداء على ؟ ألم يقل لك لبيب إنه كان يعلم بما سيحصل لى فى الاستانة باتفاق مع السلطة المحلية ؟ » قال سيد : «إن لبيباً كان يسمع من مظهر أنه يريد أن ينتقم من سموكم ، ولكنه ما كان يصدق ، بل كان يقول إنه هذر أطفال ؛ وكان يعلم بعداء الحزب الوطنى لكم قبل الحرب ؛ لكنه انضوى بعد ذلك إلى سموكم» . فقال عباس : « على كل حال أنا لا يمكننى أن أساعد الشمسى وفريدا » .

وفى يوم ٣٠ مايو سافرت إلى لوزان وتقابلت هناك مع اسماعيل بك لبيب وعلمت أنه اختلى بأفندينا زيادة عن ساعة ، وقد قال لى : « إننى كنت أعتقد أن سموه عمل عملا مع الانكليز فى هذه المدة ولكن اتضح لى أنه لم يعمل شيئاً » .

وفى اليوم نفسه علمت من الدكتور سيد كامل أن سموه بحث مع اسماعيل لبيب فى نقطة : هل يلزم أن ندخل فى مخابرة مع الانكليز الآن بصفة سرية لتسوية مسائلنا معهم ؟ فوجد أنه موافق على ذلك خوفاً من أنه عند الصلح يكون الوقت فات ، وقال إن الشمسى وفريداً على هذا الرأى ، وتقرر أنه عند حضور السيد توماس باركلى للسويسرة يجتمع الوطنيون ويعرفونه بهذه الفكرة .

قال الدكتور سيد كامل : « إن أفندينا أشار بأن الوطنيين يمكنهم الاجتماع فى مونت كارلو للمفاوضة مع الانكليز ، وأظهر أنه يمكن عمل المساعى لدى فرنسا لتأذن بمرورهم مع إعطاء الضمانة لعدم مسهم بشىء » .

وفى يوم ١٣ يونيو قابلته فى لوزان ، فعلمت منه أن الخديو غاضب عليه ، لأنه أمره باستدعاء اسماعيل لبيب من « ايزافان » حيث يقيم مع فريد والشمسى ، فوجد أنه إذا استدعاه بمفرده يكدر الآخرين ، وخصوصاً بعد أن تقابل الثلاثة وإياه ،

وعلم منهم أن فريداً مستاء لاهمال الخديو له ، بعد أن قبل الاشتغال معه فى مسائل خطيرة ، ومنها المخابرة مع الانجليز ، الأمر الذى كان يعتبره فريد وإخوانه خيانة وطنية . ولهذا مر فريد والشمسى بلوزان ولم يقابلا سموه ؛ واحتج فريد بأن قدمه تؤلمه وهو يلبس « شبشباً » !

أما عباس فقد أراد باستدعاء لبيب وحده إغاظتهما نظراً لذلك ؛ فاستحسن الدكتور أن يدارى الأمور ، ويؤجل حضور لبيب على حدة ، فلم يفلح . وأخيراً أبلغ فريد تليفونياً تحيات الخديو ، وأن الأحسن تأجيل المقابلة حتى تشفى قدمه ، وأن يحضر لبيب وحده . وبذلك لم يشعر فريد بشىء . ولكن الخديو غضب على سيد كامل غضباً شديداً لما علم باتخاذه هذه الطريقة .

وفى يوم ٦ يوليو قابلته فأخبرنى أن فريداً ولبيباً والشمسى قابلوا الخديو ، وتفاهم معهم على السير فى مخابرة الانجليز ، ولكنهم طلبوا قبل موافقتهم على ذلك أن يعطى كلا منهم مرتب سنة مقدماً بواقع أربعمائة فرنك فى الشهر ، لأن الأتراك إذا علموا باشتراكهم قطعوا المرتب الذى يعطونه لفريد ولبيب .

أما عباس فأراد أن يعطيهم شهراً شهراً ، واعتبر أن شرطهم معناه عدم الثقة به ، فلم يقبلوا .

وأبلغنى الدكتور أنهم قالوا : « ها نحن أولاء نرى أملمنا كيف يعامل شفيقاً وسيد كامل وهما من رجاله المخلصين ! »

العلاقات بين الخديو وحلفائه :

فتور العلاقات بين عباس والنمسا : فى يوم ٦ مارس أخبرنى الخديو أنه كتب إلى حكومة النمسا بأن والدته مريضة بالآستانة ، وأنه يريد إرسال أحد أبنائه لرؤيتها ولكنه يخشى أن يحجزه الأتراك فى الاستانة ، ولذلك يطلب المعونة احتياطاً لهذا .

فجاءه الرد منها بأنها مستعدة لمساعدته فيما يمكن ، بدليل أنها منعت يوسف صديق من طبع كتابه ضده (الذى سبق ذكره) ، وكذلك منعت محباً من مبارحة البلاد النمسوية بعد مجيئه إليها لما علمت أنه غير مخلص لسموه . ولكن مسألة المخابرة مع الحكومة العثمانية فى عدم حجز ابنه يعد تدخلا فى الشؤون الداخلية لتركيا .

ومن ذلك علم الخديو بتغير النمسويين من ناحيته ؛ فأرسل دعوة إلى الكونت دى تورن قنصل النمسا فى جنيف ، فلبى الدعوة يوم ١٨ مارس ، ورحب به سموه

كثيراً ، وذكره بالأيام التي قضوها معاً في الترزيانوم ، وأنه لا زال يحفظ مودته القديمة ، وبهذه الصفة يتحدث معه . ثم أخذ يشرح سياسته مع الانجليز ، وكيف دافع عن مصالح مصر ، وقاسى المتاعب الجمة ، وكيف حالف الأتراك والألمان ، ثم شكا سوء معاملة الأتراك إياه بما أجبره على مبارحة الآستانة ، وكيف بعد هذا أهمله الألمان ولم يسمح أمبراطورهم بمقابلته ؛ ثم شكا من حكومة النمسا نفسها لأنها قد خصصت لمراقبته حينما كان بفينا اثنين من رجال البوليس السرى يتعقبانه ، حتى اضطر أن يشكو لنظارة الخارجية ؛ وعندئذ اعتذر له رئيس البوليس . وقال سموه في النهاية إنه ينتظر انتهاء الحرب ، فيتنازل عن عرشه ، ويطلب من الانجليز تخصيص مرتب له ، ويستريح من هذا العناء .

سحابة تنقشع وفي يوم ٢٣ منه بلغني من الكونت نقلا عن مسيو أرفاى النمسوى — وكان في خدمة عباس — أن الخديو تشاور معه في أن يذهب لبودابست ليرى القناطر التي أقامها النمسويون على نهر الطونة بعد فتح الصرب ، وأن هذا دليل على تحسن علاقاته مع حلفائه .

وقد استغربت في نفسي أن يكون ذلك عزم الخديو حقيقة ، وفهمت أنها ربما كانت مناورة منه ، لاذاعة هذه الرغبة عنه في بلاد النمسا وألمانيا ، حتى يعلموا أنه لم يتحول عن صداقتهم .

عودة اهتمام الألمان به : وقد علمت ألمانيا فعلا بذلك العزم ، فأرسل مسيو ياجو ناظر الخارجية بواسطة سكرتيره يطلب مسيو أرفاى للحضور إلى برلين ، وفي رسالة استدعائه ما يشير إلى أن السياسة الألمانية نحو الخديو أصبحت طيبة . فلم يستحسن سموه استدعاء أرفاى مباشرة بغير إذنه ، وأجاب مستدعياً السكرتير إلى زوريخ لمقابلته ، على أن تكون نفقاته من جانب سموه .

وفي يوم ١٣ أبريل علمت من الكونت بأن مسيو ياجو أرسل برقية للخديو يخبره أن الامبراطور مستعد لمقابلته ؛ ويدعوه الناظر إلى برلين ، ولكن سموه يتمنع ؛ وربما أدى هذا إلى قطع الحبل بينه وبين محالفيه . وقال لى كذلك إن أرفاى أبلغه أن الخديو يسوف ويتريث في السفر إلى المجر ، بعد أن كان يريد أن يسافر سريعاً وعند ذلك تأكدت أنها كانت مناورات فقط كما فهمت ذلك من قبل .

وفي يوم ١٨ ابريل زارني على الشمسي ويوسف صديق ، فعلمت من الأول أن

ألمانياً له علاقة معه . وربما كان ياقوبى (وهو جاسوس لألمانيا فى السويسرة) أخبره بأن المسيو فيزندونق الذى يشتغل بالمسائل الشرقية فى نظارة الخارجية ببرلين حضر إلى مونترو عند والده، ويحب أن يجتمع بالشمسى ويدعوه إلى الشاى ، فذهب الشمسى أول أمس وقابله ومعه الألمانى « ياقوبى » ، وتحادثوا فى مسائل مصر والخديو، فقال فيزندونق : « إن الحملة العثمانية ستزحف على مصر فى الخريف القادم لأن ألمانيا لا تتمكن من قهر انجلترا إلا فى مصر ، وأن تأخيرها فى هذه السنة كان لضيق الوقت عن تجهيزها والاستعداد لها كما يجب ، وأن ألمانيا لا تحب أن تفشل مرة ثانية صوناً لشرفها العسكرى وسمعتها الحربية ، وهى لا تترك الأتراك يفعلون ما يريدون فى مصر ، وتريد أن تحافظ على عهودها بأن ترجع الحالة إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال . أما الخديو فنحن نعلم أنه حانق علينا كما أنه حانق على الأتراك ، ولا باعث لتذمره لأننا لم نمسسه بضرر ، وإذا لم نساعده عند الأتراك فليس معنى هذا أننا تركناه بل إننا لا نريد أن نغضبهم ، لتدخلنا فى مسألة يعتبرونها داخلية » .

فأجابه الشمسى : « إن سفير ألمانيا هو الذى تدخل بين الخديو والصدر . وبدلا من أن تقول يامسيو فيزندونق إن الواجب على الخديو أن يصلح هو بنفسه سياسته معه ، يجب أن تعرف أن الشقاق الحاصل بينهما سببه كرسى الخديوية ، وسعيد حليم يريد أن يختلسه من الخديو الشرعى . وليس من صالح ألمانيا ذلك ، بل من صالحها أن ترضى الخديو ، لأنه إذا استرسل فى كدره ، فربما انقلب وأدار دفته نحو الأنكليز . وقد كنا فى وقت ماسمعنا أقوالا عنه كثيرة ، وشككنا فى سياسته ، ولكننا استقصينا فلم نجده قد مال إلى جهة الانكليز كما أشيع عنه . فاذا حصل هذا الميل كان سببه أنه لا يلقى معاملة حسنة منكم ومن الأتراك ، بخلاف معاملة المتحالفين لمن عاهدوهم ، وها هو ذا ملك الجبل الأسود كاد أن يعقد الصلح مع النمسا ، أى يخون الحلفاء ، ومع هذا رحبت فرنسا به وأكرمته ، وأثنى عليه ناظر خارجية الروسيا ثناء مستطاباً . والخديو محبوب من الأمة المصرية ، ولو ذهبت الحملة وعلمت الأمة بانفصال سموه من الأتراك والألمان قامت فى طريقها صعوبات كثيرة ، بخلاف ما إذا كانت الأمة تعلم أنه لم يزل حليفاً لهم . وعلى هذا نرى من مصلحتكم أن توفقوا أنتم معشر الألمان بين الصدر وبين سموه ، وتزيلوا الشقاق » . فاقتنع فيزندونق بذلك ووعد أن يسعى فى هذا الطريق ، فقال الشمسى له : « إنه من المحتمل، إذا تحسنت العلاقات بين الصدر والخديو، أن يقضى سموه شهر رمضان فى الأستانة » .

ثم قال : « ومن حسن السياسة بين المتحالفين أن يزيلوا كل خلاف يقع بين رجالهم » . قال الشمسي : « وقد أردت أن أحتاط حتى لا أقطع على خط الرجعة » . فقلت له : « هذا يامسيو فيزندونق هو رأيي الشخصي . وإنني لست مأموراً من سموه بشيء ما » . قال : « نعم نحن نتكلم بيننا بصفة خصوصية ، ولا نحب أن يعلم عباس ولا سعيد حليم بسعينا . وعند الشروع في التكلم لا يخطر على فكر أحدهما أنها مسألة محضرة مدبرة بل إنه عمل في صالح الطرفين ، إنما يلزم أن يكون هذا السعي بالتأني كما يقول الأتراك : «ياواش ياواش» . فأجابه الشمسي : « نعم . ولكن نريد أن ينتهي قبل دخول رمضان ، حتى يتيسر للخديو قضاء هذا الشهر في الاستانة ، وإذا رفض فتكتفي بدخوله النمسا ، ولو أن هناك مانعاً وهو حسين حلمي باشا السفير ، الذي قال إنه إذا قابل الخديو فلا يصافحه . وكان سموه قد وعده بعدم الخروج من النمسا ، فوقفه حرج إذا عاد . قال فيزندونق : « إنما يجب ألا يدخل مع حاشيته المريبة — أعني يوسف وعباساً » . فأجابه الشمسي بأن الأول خرج من خدمة سموه ، والثاني محجوز في فينا قال : « إننا نحن الألمان كنا أردنا أن نبعدهما ، ولكن حسين حلمي هو الذي تولاهما بكفالته » . ثم سأل الشمسي عن إشاعة سمعها ، وهي أن يوسف يريد الذهاب إلى إيطاليا ، فقال الشمسي : « إذا سافر يوسف حقيقة إلى إيطاليا يكون هذا سبباً وجيهاً لتخلص الألمان من حسين حلمي » . ثم تحدثنا عن يكن باشا فأظهر فيزندونق أن الألمان لا يرغبون فيه إذا رجع الخديو إلى الاستانة أو إلى فينا . قال الشمسي : « أما أنت يا باشا فان الألمان يقولون إنك حقيقة الرجل الصادق المخلص ، ويأسفون لعدم وجودك على الدوام إلى جانب الخديو » . وقال فيزونندونق : « وهناك بعض أفراد من حاشية الخديو غير مرغوب في وجودهم معه بالنمسا ، ولكن هذه مسألة ثانوية ويمكن تذليل الصعاب في دخولهم بشرط ألا يتدخلوا في الأمور السياسية » .

البريد الخديوي والصدر وسفير والنمسا : وفي يوم ١٩ ابريل استدعاني محمد يكن إلى لوزان لمقابلة الخديو في فندق بالاس ، وهناك قابلت الدكتور سيد كامل ، فأسر إلى أن نظارة الخارجية التركية منعت السفارة في صوفيا أن تؤشر على جواز سفر نور الدين (حامل البريد الخديوي) ، وأنه ينتظر الآن في عاصمة بلغاريا ؛ وأن الخديو يريد إرسال برقية إلى ناظر الخارجية التركية يستفهم فيها عن سبب هذه الاجراءات ضد رجل من رجاله يحمل رسائله الخاصة .

وقد حضر نسختين : إحداهما فيها سؤال عما إذا كان هذا المنع شخصياً لنور الدين ، أو أنه شامل لكل شخص من قبل الخديو . والثانية فيها استفهام فقط عن الأسباب ، فاستحسنت الأخيرة . لأن الأولى قد يجاب عليها جواباً يؤذى الخديو ويكشف النيات المستورة .

ولما قابلت سموه — وكان الدكتور حاضراً — عرض عليه الصورتين فقرأهما ، وقال له : « أنا لم أقل لك أن تكتب هكذا ، وينبغى أن تكتب البرقية ببساطة » . ثم أخذ يملى عليه وهو يكتب ، ولكنه توقف عند ما أراد الخديو أن يملى عليه جملة شديدة وابتدأ يناقشه أما أنا فتظاهرت بأنى لا أعرف شيئاً عن الموضوع ، وصمت يكن مثلى ، فبدا الغيظ على وجه الخديو ، وفهم أننا نحن الثلاثة متفقون على معارضته فقال : « أنا لا أفهم لماذا لا تريدون أن أرسل برقية شديدة لرجال الدولة أمام عمل كهذا ، فالمصريون كانوا دائماً يدفعوننى إلى اعتراض كل إهانة من الانكليز ولكنهم يطلبون منى الآن ألا أفتح فمى مع الأتراك . والآن لا فرق بين خديو وموظف ، فكل يعمل حسب رأيه . والسيد كامل يناقشنى ولا ينفذ أوامرى . إنى سأعمل وحدى » ثم تركنا وقام منفعلا .

وفى يوم ٢١ منه قابلت سموه ، فشكا لى من الدكتور ، وأنه يريد أنه ينفذ رأيه وأنه يعارض أفكاره . ثم كرر انتقاده لسكوتى أنا ويكن ، فاعتذرت بأنى لم أكن أعلم شيئاً عن الموضوع ، لأن سموه لم يطلعنى عليه . وفى اليوم التالى كان هادئاً فكلفنى أن أكتب الرسالة مع يكن باشا ، لحضرنا عدة صور ليختار إحداها ، وقد أخبرنى أنه لقى فى برن مسيو توشيف (صاحبه وسفير البلغار فى فينا وفى السويسرة) فابلغه سلام الملك ، الذى كلفه أن يستعلم من سموه عما يطلبه من المساعدات ، فأجابه شاكراً ، وقال سموه : «إنى فوجئت بالحرب وأنا مريض ومصاب بثلاثة جروح وبعيد عن بلدى وعن أهلى وجيشى ، فما كنت مستعداً لعمل الاحتياطات مثلما حصل من ملك البلغار ، ولهذا خسرت كثيراً . فالأتراك يطمعون فى ، والألمان تركونى ، فأنا لا أطلب من جلالة الملك إلا أن يدافع عنى كلما عرضت سيرتى أمامه ، وطعن أعدائى فى » . وتكلم سموه بعدما فى مسألة منع الأتراك لنور الدين أفندى من دخول الاستانة ، فأشار السفير بارسال البرقية ، ورجا أن تخلو مما يثير النزاع ، ووعد سموه أنه بمجرد رجوعه إلى فينا يفضى إلى سفير ألمانيا باستياء سموه ، ويطلب

منه أن ينصح للأتراك بالكف عن سياسة الوخز ، فقلت : «نعم النصيحة» ثم أخرج سموه من جيبه الصور التي كنت حضرتها مع يكن ، واتفقنا على إرسال إحداها بعد تعديل طفيف ، وهي تتضمن الاستفهام عن أسباب منع نور الدين من نقل بريد الخديو ، وطلب إصدار الأوامر بالكف عن منعه .

وفي يوم ٢٣ منه قابلت في الصباح الدكتور أمستر مع الخديو ، فأظهر سموه استياءه مما قاله ماكيو (الذي كان سفيراً للنمسا في روما والآن بنظارة الخارجية) لأمستر لما طلب منه توصيل بريد الخديو بوساطة حامل بريد الخارجية النمسوية فانه أجابه معتذراً بأن بريده يعتبر خاصاً ، فقال الخديو : « ما كيو هذا الذي كان يظهر لي الصداقة والاخلاص وكنت أعتمد عليه في مسائل مهمة ، وبالفعل قدم لي في بعض الشئون خدمات كبيرة . لم يكن يستطيع أن يقدمها لي أحد نظاري ، وذلك حين كنت جالساً على عرشي !! ها هو ذا يقول الآن إن البريد الذي باسمي خاص ، ولا بد من استئذان سفير الدولة في نقله ، مع أنني قابلت إمبراطور النمسا مراراً بدون وساطة . هذا ولا شك تغيير في سياسة خارجية النمسا ، فكأنها تعتبرني فرداً ليست له صفة ، وهذا الرفض نضيفه إلى ما قالته النمسا لما طلبت منها أن تضمن لي رجوع ابني الذي كنت أريد إشخاصه إلى الآستانة ، وقد رفض غليوم كذلك مقابلتي ، وها أنت ذا يادكتور امستر حينما أرسلتك في شهر سبتمبر الماضي إلى برلين قابلك ناظر الخارجية أربع مرات في ظرف ثمانية أيام ، واهتم برسالتي التي حملتك إياها ، إنما اعتذر بأن هناك سببين لعدم مقابلة الامبراطور لي : الأول — خشية غضب الأتراك ؛ والثاني — أن جلالته في مدة الحرب لم يقابل أمراء . ولقد عرفت بضعف مركزي في فينا من احتكاكي بسفير ألمانيا ، فانه كان دائماً يقول لي : « اصطبر ! » ولما ضيقت عليه الخناق ، وأردت أن أنفذ إلى الحقيقة ، قال لي بأنه يرى شخصياً أن أفضل الطرق لتمكن مركزي هو الذهاب إلى الاستانة ، والاتفاق مع رجال حكومة الدولة ، ثم قابلت سفير الدولة بعد ذلك فاخبرني بأنه فريداً زاره وقال له : إنه طلب مني الرجوع إلى دار السعادة ، وأنه (أي السفير) شخصياً ينصح لي بذلك ، فعلمت أن الاتفاق قائم بين السفيرين لارغامي على السفر إلى الآستانة ، ولو أنهما يدعيان أن ما يقوله كل منهما هو رأيه الشخصي . عند

ذلك جئت إلى هنا ، وحصلت من الأتراك الوخزة الأولى ، فأرسلتك يا أمستر إلى برلين ، وسويت المسألة . فاليوم حصلت الوخزة الثانية بمنع نور الدين أفندى من العودة إلى الأستانة . وقد أرسلت برقية لناظر الخارجية التركية أستفهم منه عن السبب — وقرأ عليه صورة البرقية — فاذا جاء الرد بما يسوء ، فنى نيتى أن أسافر إلى برن ، وأجمع سفيرى ألمانيا والنمسا ، وأعلن لهما انفصالى عن المتحالفين معى لسوء المعاملة ؛ وأكون حراً فى أعمالى مع أى جهة ومع أية دولة ، وأنا حتى الآن لم أخاطب الانجليز إلا فى أعمال خاصتى » . فقلت : « يا أفندينا ، الأتراك لا يرسلون رداً جارحا يسوءك لأن هذا ليس من مصلحتهم » .

وفى يوم ٥ مايو طلبت تليفونياً لمقابلة الخديو . ولما لقيته قال لى : «إننى أرسلت أطلبك لمسألة هامة ، وهى أن جلال الدين باشا أخبرنا أن سفير الدولة كلمه تليفونياً من برن بأنه تسلم برقية من الأستانة ، فحواها أننى إذا طلبت شيئاً فلا تخاطب فيه الصدارة ، وهذا رداً على البرقية التى أرسلتها إلى خليل بك بشأن نور الدين . فأنا أفكر فى أن نطلب من جلال الدين تدوين هذه الاشارة التليفونية كما وقعت ، ثم تكتب إلى الصدر بما معناه : إننا لما منع نور الدين بأمر من الخارجية كتبنا إلى الناظر الذى أصدر أمر المنع (لأنه من حقوقنا أن نخاطب حتى الولاة فى ذلك) منعاً لاقلاق خاطر الصدر فى مسألة تافهة . أما الآن وقد وردت لنا الاشارة المذكورة فنحن بكل ارتياح نكتب إلى الصدر» . فقلت: «هذا حسن ياأفندينا ، خصوصاًوأن سموكم كنتم تبحثون عن وسيلة للمخابرة الرسمية مع الصدارة ، كما كان الحال قبل الانقلاب ، فالأتراك الآن قد أوجدوا لنا الوسيلة» قال: «ونرسل برقيه نطلب فيها أن يرخص لأحد موظفينا فى الأستانة بالحضور إلينا لتسلم الخطاب إلى الصدارة » . قلت : «إذن ربما قالوا إنه يكفى توصيل المظروف إلى سفارة الدولة فى برن» قال: «صحيح ! وخصوصاً أن الرجل الوحيد الذى اعتمد عليه هناك هو ابراهيم بك أدهم ، ولكن هل يمكنه أن يتكلم مع الصدر ؟ لأننى أريد ممن يحمل هذا الخطاب أن يتكلم فى مسألة سيد كامل (الذى يدعون عليه أنه خطب بين المصريين لما كان فى الأستانة ضـــد الدولة) ، وفى مسألة البشرى (ويقال إن الأتراك حكموا عليه لسفره من الضلمان إلى مصر ، وتركه تعليمات لموظفى التفتيش مقتضاها أنهم

إذا نزل الأعداء فى الأناضول فلا يقاومونهم ، وإذا طلبت الحكومة التركية هناك إخلاء الجهة لايصغون لها) ويستصدر قراراً بأنهما بريئان مما نسب اليهما بحيث يتيسر استخدامهما فى حمل البريد بدلا من نور الدين » فقلت : « إن ابراهيم أدهم لايصلح » قال: « وكنت فكرت فى إرسال جلال الدين، ولكن بعد أن سمعت من أولادى ما يقولونه لهم (يعنى جلال الدين وحرمه) لايمكن أن أعتمد عليه ، فأنه بلغنى أنهما يقولان لعبدالمنعم : كيف أنك ولى العهد ووالدك لا يشترى لك سيارة ؟ هأنت ذا ستبلغ رشدك فتطلب حقوقك وهكذا من الكلام المثير . . . فغرضهما أن يثيرا أولادى على ، ومن ثم لا أعتمد على جلال الدين » وقد فهمت أن الخديو يفكر فى إرسالى ، فقلت : « إن أرسلت تركياً أو مصرياً لا يفيد ؛ وقد تصادفه عراقيل ، أو يسمع كلاما من الصدر جارحاً فى حقكم ويمكن منع خروجه ، فأنا أرى أن خير وسيلة هى استخدام أجنبى . أين مسيو رامبير مثلا » قال : « الأتراك أخرجوه فلا يقبل أن يذهب الآن الى الآستانة » قلت : « ترسل الدكتور امستر باعتباره سكرتيراً المانيا لسموكم، فالصدر لايجسر على أن يفوه بكلمة أمامه تجرحكم ، وبذلك تحفظ كرامتكم من جهة ، ومن جهة أخرى يستطيع أن يتكلم بكل ما تريدونه دون مبالاة ، ولا يتأتى منع خروجه من الآستانة » فقال : « النهاية أنت ويكن وسيد كامل تجتمعون بجلال الدين ، وتكتبون الرد أما الشخص فبعدها نفكر فيه » .

وفى اليوم التالى أخبرنى أنه زار ملحمه باشا ، وسأله رأيه فى مسألة الأشارة التليفونية التى وردت من برن ، فأشار عليه أن يرسل خطاباً إلى الصدر لايذكر فيه هذه الأشارة . وإنما يستفسر عن سبب منع نورالدين ، ويسأله تسهيل رجوعه إلى الآستانة ، ويومىء إلى برقيته السابقة إلى نظارة الخارجية قائلا : « إنه قصد بها مراجعة الصدر إذا اقتضى الحال » قال سموه : « ولكنى لم أوافق على السكوت عن إشارة برن » ولهذا تقرر أن نكتب إلى الصدر نعلمه بأرسال برقية الخارجية لمجرد الأستفسار أولا ، ثم الالتجاء الى الصدارة .

وفى يوم ٨ مايو كتبنا الرد ، وهو يتلخص فى أن نورالدين افندى الذى يحمل بريد الخديو أبرق بأنه محجوز فى صوفيا ، فخاطب سموه ناظر الخارجية الذى أصدر أمر المنع ، يطلب الترخيص له فى السفر ، وأنه علم من السفارة فى برن أن فخامة

الصدر يود أن تكون المخاطبة معه رأسا ، ولما أبداه لخامته من الصداقة لعائلة سمو الخديو ، يرجو سموه ألا يصادف الموظفون الخديويون مايعوقهم ، حتى يتسنى له الاتصال بعائلته على الدوام ؛ وأن الدكتور امستر السكرتير الخاص هو الذى سيسلم هذه الرسالة

وقد سمح بعد ذلك لنور الدين بالسفر، وقال الصدر لامستر: « أن الخديو يمكنه أن يرسل بريده بواسطة سفارات الدولة ، وأنه سيرسل أوامر بذلك »

وحتى يوم ٢٠ نوفمبر لم تكن هذه الأوامر قد وردت ، فكلفنى الخديو أن أقابل فؤاد بك سليم مستفسرا ، فعلمت أنه لم تصل إليه أوامر بهذا الخصوص ؛ ولكنه مستعد لقبول البريد وتوصيله بمعرفته ، وأنه يعمل دائما للوفاق بين الجميع

وفاة امبراطور النمسا : وفى يوم ٢٢ نوفمبر توفى امبراطور النمسا فرانسو جوزيف فقرر الخديو أن يذهب مع جلال الدين وموسيو ارفاى لتعزية سفير النمسا فى برن. وكنا نريد أن ينتهز سموه هذه الفرصة فيسافر إلى فينا للتعزية ؛ وبذلك يستأنف العلاقات الأولى ، ولكنه أبى

وفي يوم ١٥ ديسمبر أخبرنى ارفاى أن موسيو جلنك مرسدس قنصل جنرال النمسا سابقا في نيس ، وأحد معارف الخديو يريد أن يحادثنى ، فتوجهت إلى فندق ناسيونال بجنيف الذى ينزل به

المساعى للتقريب بين الخديو وحلفائه : وقد علمت منه أولا أنه رفع تقريرا إلى الامبراطور غليوم لاستمالة جلالته إلى الخديو ، وتقريراً آخر إلى مسيو بوريان ناظر خارجية النمسا بواسطة واحد من معارفه فى الخارجية ، قبل أن يتوسط في توصيل ما يكتبه ويرسله إليه . وبعد أن أطلع الخديو على التقريرين أرسلهما ، فلم يأت الرد له عن الأول ولا الثانى . إنما جاء له فى المدة الأخيرة أحد رجال البوليس السرى النمسوى فى مهمة لايعرف بها أحد، حتى سفارة النمسا فى برن وقال له : « إنه مأمور بأن يبلغه وصول تقريره لمسيو بوريان وردا عليه يقول: « ان سياسة الخديو غير واضحة وأنها تسير بين ماءين والحكومة النمسوية من أجل هذا غير واثقة من سموه » ثم ترك هذا الرجل مسيو مرسدس دون أن يعلم باسمه . قال مرسدس: « وقد صرحت للخديو عند زيارتى سموه منذ أسبوع في الهوتيل ناسيونال أنه ما دام على سياسته هذه العوجاء ، فلا تكون العاقبة خيرا له ؛ ومن الواجب أن يتبع خطة واحدة ، ويعلن أنه لم يزل فى جانب حلفائه إذا أراد أن تسمع

له كلمة عندهم » قال : « ولعل كلامى هذا أغضبه ، ويحتمل أنه لا يريد رؤيتى بعد الآن » فأجبته بأن الخديو يسمع الحقائق ، ولو كانت مرة ، وقصصت عليه ما دار بينى وبينه من المشادات التى كنت أظن بعدها أنه لا يريدنى مرة أخرى ، ولكنه طلبنى وعبد إلى بأعمال ، وحسبما أرى أنه يستسلم للغضب ساعة ثم يعود إلى السكينة ، ويقدر الكلام حق قدره بعد أن يهدأ باله

قال مرسدس : « إن حفلة تتويج امبراطور النمسا ستكون فى آخر ديسمبر فهل يرسل من ينوب عنه إليها؟ » قلت : « هذه فرصة سانحة الآن ، فاذا أراد اصلاح أمره مع حلفائه ، فما عليه إلا أن يذهب بنفسه لحضور هذه الحفلة »

ثم أخبرت مرسدس بأن الحالة النفسية فى باريس ولوندره وبطروجراد وروما رديئة ، فان الأهالى تحس بالضعف أمام ألمانيا وحلفائها ، وقد ظهر الآن من يجهر فى مجالسهم النيابية بتحبيذ الصلح ، وانى اطلعت الخديو على بعض كتابات فى جورنال دو جنيف تدل على هذا الضعف ، وأن سموه وافقنى على ذلك ، ولهذا قلت له : « إن الفرصة سانحة الآن لإصلاح سياستنا مع رجال الدولة والألمان »

وعرفت مرسدس أيضاً بأنى حسنت هذه الفكرة لجلال الدين باشا وشديد بك وسيد كامل ، وهم المحيطون بالخديو ، وأنى مستعد لأداء أية خدمة فى هذا الشأن . وأظن أن أنور باشا يساعدنى على أن يطمئن سموه على أملاكه بتعويضه عنها إذا صادرها الانجليز ، وباعطائه مخصصات شهرية له وللحاشية

النمسا تعترف بخديوية عباس : وفى يوم ٣١ ديسمبر زارنى ارفاى فى منزلى وأخبرنى أن سفير النمسا فى برن وردت له رسالة من نظارة الخارجية النمسوية بأن يكتب إلى الخديو ، وينبئه بأن الكونت زيميتينى معتمدها السابق فى مصر قد عين سفيرا لها فى صوفيا ، وبهذا تعترف النمسا بخديوية عباس حتى الآن ، إذ أنها تعتبر الكونت معينا لديه ، حتى يوم ترقيته إلى منصب سفير صوفيا . فسر الخديو بذلك وعده علامة على تحسن موقفه فى النمسا

القبض على يكن باشا وضبط أوراق الخديو : فى يوم ٢٤ أكتوبر قصدت زيارة محمد باشا يكن بناء على ميعاد سابق ، ولكنى وجدت بالمنزل حركة غير عادية ، وتبينت أن البوليس السرى السويسرى فاجأهم ، وضبط الأوراق التى عثر بها لديهم

وقد رجتنى السيدة حرمه أن أبادر بابلاغ الخديو تليفونيا ، فأبلغت الخبر ، وعلمت أنه نما إلى سموه قبل ذلك ، من أمينه هانم اسماعيل القاطنة بنفس المنزل فى طبقة أخرى

وقد فزعت لهذا التفتيش ، واعتقدت أن الخديو هو المقصود به ، وأن ذلك من دسائس انجلترا لسموه ومعاكساتها

وفى الصباح زرت مدام يكن باشا فعلمت أن زوجها مقبوض عليه ، وأنها أرسلت له فراشا وطعاما ؛ وكانت فى نهاية التأثر ؛ فعرضت عليها أن أبقى معها لتأدية ما تريده من الخدمات فقبلت شاكرة



محمد يكن باشا

ثم طلبت أن تزور المحامى الذى تولى حضور التحقيق مع زوجها ، ومنه عرفنا أن الأوراق المضبوطة تدل على أن يكن باشا استخدم وسائل شتى للحصول على معلومات لصالح مصر والخديو ، ولكن هذه المعلومات تعدت الحدود السويسرية ، وهذا يخالف قانون سويسره الصادر فى أغسطس سنة ١٩١٤ فالعمل الذى قام به الباشا ليس ماسا بالشرف ، ولكنه يخالف القانون ، ولذلك سيطلب من قاضى التحقيق أن يفرج عنه بكفالة .

وفى يوم ٢٦ صاحبت السيدة إلى مقر القاضى فقابلها على انفراد ، ولما خرجت أخبرتنى أنه قابلها بمنتهى اللطف ، وكرر لها ما سمعته من المحامى ، وأذن لها برؤية زوجها ؛ وأنها علمت من تلميحاته أن سفير انجلترا فى برن ضد قرينها ، فأخذت رأيه فى مقابلة السفير ، فلم يشر عليها بشىء ، ولكن يكن أشار عليها باستشارة الخديو

وقد تمكنت من رؤيته من بعيد عند فتح الباب لقرينته ، فحييته وحيانى

وفى اليوم التالى قابلت الخديو ، فعلمت منه أنه عقد اجتماعاً حضره محامى يكن ومحام آخر اسمه « جينان » وجلال الدين وعبد الحميد شديد ، والدكتور سيد كامل وتقرر إرسال مذكرة الى رئيس حكومة سويسرة ، بأن الخديو منذ قدومه وهو يلاقى حفاوة كبيرة به ، ولكن الحادث الأخير كدر خاطره ، و ، وهو يطلب إرجاع الأوراق المضبوطة لأنها أوراقه الخصوصية .

وقال الخديو : « ان جينان علم بأن اسمك (شفيق) عند النائب العمومى لمناسبة

مسألة تتعلق بكونتس انجليزية كانت معك فى البنسيون» . فقلت : «لعلها «لودرس» » . قال : « نعم ، وربما كانت جاسوسة قبض عليها وأنك ستدعى للشهادة ، وعلى كل حال إذا كانت لديك أوراق من البارون أو بنهايم أو من غيره ، نخير أن تحفظها فى مكان مجهول » . فأجبت : إن أوراقى الخصوصية مودعة فى صندوق فى بنك فدرال ؛ والأصوب مع ذلك أن أودعها عند الكونت دوتورن » . فوافق . وأودعتها عنده .

وبعد ذلك أنحى سموه على يكن لتهاونه فى رد هذه الأوراق إليه ، فرأيت أنه ليس من اللائق الطعن فى رجل سجين الآن من أجل أوراق الخديو . فقال : « إن أعداءه كانوا يريدون الايقاع بيكن ، ولكن ما كان يخطر لهم على بال ، أنهم سيحصلون على أوراق مهمة بهذه الخطورة (وعلمت أن الأوراق المضبوطة خاصة بمسألة المشروع الألمانى بفصل فرنسا عن انجلترا » .

وفى يوم ٢٨ توجهت ، بناء على طلب الخديو ، لمقابلة مسيو بارودى لمعرفة رأيه ومعلوماته عن الحادث .

فسألنى عما إذا كنت أعلم ما حصل ليكن باشا ، فأجبته بالايجاب ، فقال : « إن فى هذا إهانة له وللخديو ، وسموه الآن قد أضاع نفسه بين الانكليز والفرنسيين والألمان والأتراك ، فليس له صديق من الدول » . فسألته عن سبب حبس يكن ، فقال : « انه أوفد لفرنسا بعض السويسريين لأخذ أخبار منها وتوصيلها إلى الألمانيين ، وقد ضبط اثنان منهم » . قلت : «الحمد لله ، أنا بعيد عن كل ذلك ، حتى إن الخديو الذى كان ينقدنى ألف فرنك شهريا قطع نصفها » . فسألنى : « هل قطع المرتب بتاتاً ؟ » قلت : « إنه لا يزال يعطينى خمسمائة فرنك من وقت لآخر » . قال : « إنه اتضح من أوراق قضية سموه مع يوسف أنه أعطاك من نقود الألمان عشرة آلاف فرنك ، وعندما أتسلم نسخة من هذه الأوراق أطلعك على ذلك ، وهذا كل ما قيل عنك يا شفيق » . فعرفت من ذلك أن اسمى لا تعلق به تهمة . ولكننى فكرت فى إيجاد ضمانة للرجال الذين يشتغلون مع الخديو فى أمور خطيرة دون أن يكون هناك أى اعتراف بهم من الحكومة السويسرية بما يجعلنا مهددين فى كل وقت بتدبير الدسائس ضدنا وتعريضنا للقبض علينا أو تشويه سمعتنا ؛ واعتزمت أن أعرض هذا الموضوع على الخديو .

وفى يوم ٢٩ سألنى الدكتور سيد كامل بالتليفون من قصر كلاران عما فعلته فقلت له كل ما حصل، ونقلت له ما سمعته من بارودى إلا مسألة العشرة الآلاف فرنك.

وعلمت منه أن المذكرة كتبت، ووقع عليها الخديو، وقدمت إلى رئيس الحكومة بالسويسرة بواسطة جلال الدين باشا.

السويسرة تعترف بخديوية عباس: وفى يوم ٣٠ منه حضر عندى الكونت دوتورن وطلب منى أن أخبر الخديو تليفونياً فى قصر كلاران.

أولا: أن أرفاى كان قد سأل سفير النمسا عما حصل من المساعى فى مسألة يكن باشا، فجاء الرد الآن بأن سفير الدولة ذهب إلى نظارة الخارجية السويسرية واجتهد فى رد أوراق الخديو لمن يعينه سموه من أتباعه، وطالب بحفظ امتيازاته كخديو مصر، وأن السفيرين الألمانى والنمسوى أيدا زميلهما. فقبلت الحكومة السويسرية

ثانياً: جاءت برقية بأن يكن باشا نقل إلى برن.

وفى يوم ٣ نوفمبر علمت أن أرفاى فتش كذلك، وقبض عليه جملة ساعات، ثم أطلق سراحه؛ وكذلك فتش مقر الدكتور سيد كامل وعبد الله البشرى.

وفى ٦ أخبرنى الدكتور تليفونيا أن يكن باشا أفرج عنه اليوم، فأرسلت له بطاقة بالتهنئة.

وقد زرته فى يوم ٩ فعلمت أن الأوراق سلمت إليه، ولكن افتقد بعضها فوجده ناقصاً؛ وهو من الأوراق المهمة. وبينما هو يفرز الأوراق جاءه طلب بالتليفون من كلاران، وكلف الحضور بعد ثلاث ساعات، ومعه الأوراق التى تخص الخديو بعد استخلاص أوراقه الخاصة، وكانت تملأ حقيبتين، فقال لى: «انظر! هل معقول أن أفرز كل هذه الأوراق فى ثلاث ساعات؟» ثم أخذها جميعها وذهب.

وفى يوم ١٠ نوفمبر توجه الخديو إلى برن فزاره فيها مسيو ديناں (Dunan) وكيل إدارة الأشغال الخارجية السويسرية، وأعلمه بأن حكومته تعترف به، وليس لها الحق فى مس أوراقه، واعتذر عما حصل من ضبط هذه الأوراق عند يكن.

وفى يوم ١٥ نوفمبر أوفد جلال الدين باشا إلى برن، فزار سفيرى ألمانيا والنمسا حاملا إليهما شكر الخديو على تعضيدهما مساعى سفير الدولة لدى الحكومة السويسرية. فسأل السفير الألمانى الباشا عما إذا كان بين الأوراق المضبوطة عند يكن باشا أوراق مهمة؟ وأنه يخشى أن يكون قد اطلع عليها الأعداء، واستغرب لأن

أوراق الخديو لم يكن عليها ، ولا على غلافاتها علامة تدل على أنها له ، ولو كانت عليها علامة لمنعت البوليس فى حال ضبط الأوراق أن يطلع عليها .

وزار الباشا مسيو ديناي ، وقال له إنه قد مضت عشرة أيام ، ولم ترد الأوراق كما كان قد وعد ، فأجاب بأن الأوامر صدرت إلى النائب العمومى ، وانتهى الأمر من الخارجية ، وطلب منه أن يتوجه إلى النائب العمومى ؛ فلما قابله أجاب بأن زميله الذى عنده المسألة غائب فى زوريخ ، وأن رد الأوراق يتم فى آخر الأسبوع القادم ونفى ديناي أن يكون الايعاز بهذه المسألة صادراً من سفارة أجنبية ، وسأل عما إذا كان يكن لم يزل مقيما فى لوزان ؟ وقد جرى البحث فى معنى سؤاله أمام يكن صباح ١٦ . وكان من رأى الخديو أن سؤال ديناي له معنى يدل على أن وجود الباشا غير مرضى عنه : ليس فى لوزان فقط بل فى السويسرة .

وفى يوم ٢٠ قابلت الخديو ، فعلمت منه أن محامى يكن قابل النائب العمومى الذى بيده قضيته ، فعلم منه أنه هو الذى أخرجه من الحبس مؤقتاً بدون أمر إدارى وأن القضية لم تحفظ للآن . فقال سموه إنه على ذلك يشتبه فى هذا النائب لأنه لا معنى لأن مجلس الاتحاد السويسرى يأمر بالحفظ وهو يراوغ فى المسألة ، فأجبته بأن الدول المتحالفة كانت تنتظر من ألمانيا والنمسا والدولة عدم التدخل فى الأمر لأنها غاضبة من الخديو الذى تركها ، وكانت تنتظر أن السويسرة تمد يدها للمساس به . ولكن لما فشلت عند انتصار هذه الدول الثلاث لسموه ، وكان هذا الفشل مزرياً بها لأن السويسرة اعترفت بشخصية الخديو وامتيازاته ، أرادت أن تضغط على الحكومة عسى أن يصدر الحكم على يكن ، فتوارى فشلها . قال سموه : « كل ذلك جائز » .

وفى يوم ٢١ منه سافر الخديو إلى برن لمقابلة سفير الدولة ، وأرسل الدكتور سيد كامل إلى سان جال لمقابلة محام شهير اسمه « فورر » ليطلعه على ماسمعناه من محامى يكن ، ويعهد إليه فى مباشرة القضية عند مجلس الاتحاد السويسرى لحفظها ورد الأوراق .

وقد زرت فى هذا اليوم فؤاد بك سليم ، فسألنى عن رد الأوراق المضبوطة فأخبرته بما سمعناه من المحامى نقلا عن النائب العمومى ، فوعد أن يتكلم مع الخارجية السويسرية .

وسألته تليفونياً بعد ذلك عن نتيجة الحادثة ، فأخبرنى أن الخارجية أحالته على النائب العمومى ، وذكر لى أنه يظن أنهم ينوون اختلاق قضية أخرى ضد يكن . ومن المحتمل أن الانجليز ضبطوا رسائل واردة من الاستانة أو من النمسا أو من ألمانيا ، لأنهم يأخذون من البوستة السويسرية الفرنسية بعض المظاريف التى ترد لمن يشتبهون فيهم ، ويرسلونها إلى المراقب فى انجلترا فيطلع عليها ؛ ثم يردها للبوستة السويسرية وعلى الظرف بالانجليزية خاتم المراقب ؛ وأنه رأى مظروفاً من هذا القبيل للحكومة السويسرية فى برن ، وربما ضبطت خطابات اعتمد عليها الانجليز فى دفع الحكومة السويسرية إلى إقامة الدعوى ثانية ضد يكن .

وفى المساء علمنا من يكن أن النائب العمومى قال إن المجلس لم يصدر له أمراً بحفظ القضية لا كتابة ولا شفوياً ، وأن القضية لم تحفظ للآن ، والقاضى منكب على درسها ومطالعتها ، وأنه سيقدم قراره له فى آخر هذا الأسبوع . — فاستغرب الخديو ما سمع .

وفى يوم ٢٢ منه قابلت يكن بمنزله ، وعلمت منه أن الأسئلة التى طرحها عليه القاضى كانت تدور حول المسائل المالية ، سواء كانت مختصة باتفاق الخديو مع ألمانيا على مشروع بولو ، أو بأحواله الشخصية ، حتى إنه سئل عن المبلغ الباقى لسموه فى البنك بناء على إيصال وجد بين الأوراق المضبوطة ، فأجاب أنها ليست فقط ثمانمائة ألف فرنك أو مليونا بل إنها كانت أكثر من ذلك ، وكان منها عملة ذهبية نقلت فى صناديق بالسكة الحديدية السويسرية إلى جهات متعددة . ولما سئل : « وكيف وصلت للخديو هذه المبالغ ؟ » أجاب : « إن على القاضى أن يوجه هذا السؤال لسموه » . فتغيظ القاضى وضرب بيده على المنضدة .

قال : « وإنى كنت فى بعض الأحيان أجيب القاضى على مسائل من تلقاء نفسى آخذاً على عاتقى المسئولية دون الخديو . وذلك لأننى فرد من أفراد الحاشية فاذا حاق بى ضرر شخصى فلا مانع منه فى سبيل الخديو . أما سموه فهو أمير البلاد ونحن المخلصين له من حاشيته لا نود أن يصيبه الضرر أو تسوء سمعته فى بلاد أجنبية ، وكنت أنتظر من سموه بعد هذا أن يعرف إخلاصى وأن أسمع منه كلمة تلطف بدل التعنيف » .

وقد أفهمناه أن الخديو له حق فى تأثره منه لأن ما حدث كان بسبب إهماله حتى تسربت هذه الأوراق عن طريق خادمته ، وأن الضرر الذى حل بالخديو من جراء هذا لا يقدر . فاعترف لنا بصحة هذا القول .

لا تصدق الاشاعة ، إنما لكون الخديو يصدقها ؛ وأنها قالت مرة لزوجها لما رأت سوء العاقبة من انغماسه كثيراً فى مسائل سموه : إن عليه أن يختار أحد أمرين : إما هى وإما الخديو ، فأجابها بأنه يختار جانب الخديو »

وكان يكن متهيجاً لما سمعه من المحامى من تأخير حفظ القضية ، وعدم صدور أوامر للنائب العمومى بهذا الصدد ؛ وقد خاطبت شديداً تليفونيا ورجوته أن يتصل بخليل بك الملحق العسكرى فى سفارة الدولة ، ويخبره بما سمعه يكن من المحامى ، حتى اذا وصل سمو الخديو الى السفارة مع جلال الدين يعلمه به ، حتى يتكلم سموه مع السفير .

وتكلمت مع يكن وزوجته في ضرورة تحرير ثبت بحاشية الخديو ، وعمل المساعى لدى الحكومة السويسرية لكى تعترف بعدم مسهم بضر ، وقلت: « كيف أخدم الخديو ، وعقلى مشغول بما يمكن أن يصيبنى من جراء ذلك ؟ »

معرفة سارق الأوراق : وفي يوم ٢٥ منه كنت مع الخديو بحضور سيد كامل والبشرى فقال : « إن موسيو جينان المحامى عثر على جاسوس فرنسى اسمه هوتيه وكان قد علم أنه حصل على بعض أوراق الخديو بواسطة مدام ريفيه خادمة يكن ، فهدده موسيو جينان بالقبض عليه ومحاكمته وسجنه اذا لم يبح له بالحقيقة ، فقص عليه جلية الأمر ، وقال: « إنه تعرف الى خادمة يكن بواسطة خادمة عائلة يهودية كانت فى لوزان بالاس هوتيل اسمها سيجلمان (ومن أصدقاء يكن وزوجته) فذهب الجاسوس مرتين الى الفندق ، وصعد من سلم الخدم ، وقابل مدام ريفيه ، وأغراها بسرقة الأوراق ، وفى مرة ثانية أخذ منها خمسة خطابات واحداً من المركيز أدا التليانى ، والثانى من كافالينى وشيئاً باللغة العربية » ولما وقف المحامى على هذه المعلومات قصد ليلا الى منزل يكن ، وقابل مدام ريفيه ، وهددها مواجها اياها بهذه المعلومات ، فأشفقت من إقامة الدعوى وسجنها ، واعترفت بكل ما قاله الجاسوس . ولما قال لها المحامى: « وكيف تفعلين ذلك مع انك مغمورة باحسانات سادتك؟ » أجابت: بأنها تحب يكن باشا ومدام يكن ، ولا نريد لها سوءاً ؛ ولكنها فعلت ما فعلته انتقاما من الخديو » ثم أخرج سمو الخديو من جيبه ورقة بخط الخادمة وإمضائها بكل ما اعترفت به . وفى صباح اليوم التالى أبلغت الخادمة تليفونيا من القنصلية الفرنسية بأن زوجها قد جرح فى الحرب ؛ وحضر الى ليون فى حالة سيئة ، ويطلب أن تسافر

فى الحال لرؤيته . وبناء على أمر عباس لم يظهر يكن ولا زوجته أنهما على علم بمقابلة المحامى واعترافها له ، بل أعطاها يكن أجرة السفر ، واستأذنت ، وأخذت جميع مالها وسافرت . قال الخديو : « هذا دليل على أن قنصلية فرنسا كانت على علم تام بهذه المسألة ، فأرادت أن تتقى وقوع الضرر للخادمة ، فهيأت لها هذه الحجة لاخراجها من من السويسرة » ثم قال : « واننى كلما وقع نظرى على يكن بعد اعتراف خادمته كنت أحس أن مراجلى تغلى ، وأهم بأن أضربه ، لأننى أحس الضرر العظيم الذى حاق بى وسيحيق من جراء هذه المسألة ، فان المخابرات التى كانت دائرة مع الانجليز قد انقطعت تماما ، وملحمه يقول : « إنه لا يمكن أن نبتدىء فيها مرة أخرى إلا بعد جملة أشهر حتى تهدأ الأفكار ، وتنسى المسألة » وفكر سموه أن يستدعى يكن ، ويبين له هذه الأمور جميعا ، ويعلمه بمقدار الضرر الذى ألحقه به ، ويقول له : « إنه لا يريد أن يرى وجهه مرة أخرى » . فلم أوافق أنا والبشرى على ذلك ، وقلنا : « يكفى ألا تعتمد عليه فى شىء » فقال : « يا قوم عندكم عادة وهى « ماعلهشى » مع أن ملحمه كان يقول لى مرارا : « ابتعد عن يكن ، وابعد حاشيتك عنك لأنها تضرك »

فقال البشرى : « وما هى الحاشية المقصودة ؟ » فتجاهل الخديو هذا السؤال .

تهديد عباس ليكن : وفى المساء حضر يكن الى كلاران وخلا بعباس ، ويظهر من كلام سموه لنا بعد خروجه أنه قال له : « يا يكن باشا إذا كنت تعلم بأسرارى فأنا أيضاً مطلع على أسرارك » يعنى أنه هدده . وبعد ذلك تكلمنا فيما يلزم اجراؤه من الاحتياط حتى لا يقع الباشا فى يد القضاء مرة ثانية ، إذ أن القضية لم تحفظ ، وأن التحقيقات قائمة على قدم وساق ، ويمكن إدانته ، فتقرر أن يسافر إلى النمسا ، وأن يعطينى جواز السفر لأؤشر عليه من قنصلية الدولة . وقد ظهر على وجه الباشا الخوف من العاقبة وقال : « انه يفضل أن يهرب الى النمسا ، ولو تعرضت أملاكه لما تتعرض له فى مصر ، على أن يسجن مرة ثانية » . وقد أفهمه الخديو أن الضرر الذى عاد ويعود على سموه من سرقة أوراقه لا يقدر ، وشاهدت على محيا يكن أنه يعترف بهذا ، وأنه آسف لما جرى ؛ ولو أنه لم يبح بشىء . وقال : « إننى فى البعد أو فى القرب خادم أفندينا المخلص »

عباس يحصل على اعتراف منه : وفى أول ديسمبر كلف الخديو الدكتور سيد

كامل أن يحصل من يكن على اعتراف بأنه هو الذى رغب فى السفر الى النمسا وأنه عالم بمقدار الضرر الذى أصاب الخديو بسببه .

وكان يريد أن أحصل أنا على هذا الاعتراف ، فلاحظت لسموه ، أنى إذا طلبت ذلك فان يكن ربما يظن أنى أريد أن أحل فى مركزه ، فيتأثر ويمتنع .

واتفق الرأى على أن أمهد فقط للدكتور سيد كامل بأن أقابل يكن ، وأحدثه برضاء الخديو عنه في القرب والبعد ، وأسقه لما حصل فيطمئن ، وقد تم ذلك وأخذ الدكتور الاعتراف المطلوب .

بحث فى امتيازات رجال الحاشية بسويسرا : وفى يوم ٣ ديسمبر زرت فؤاد بك سليم ، وتحادثنا في مسألة يكن ، فسألنى عما إذا كانت أوراق الخديو ردت ، فقلت : « لم ترد » قال : « عجباً ! ان حكومة السويسرة لا يعرف الانسان لها رأساً من قدم » ثم قال : « بلغنى أن البحث جار فيما إذا كانت امتيازات الخديو تغطى يكن باشا وإلى أى درجة . ولكن كان الواجب أولا أن يردوا الأوراق الى سموه ؛ ثم ينظروا فى مسألة يكن » . فانتهزت هذه الفرصة وقلت : « ان مسألة سريان الامتيازات على حاشية الخديو مهمة جداً ، فأنا مثلا أحضر للسفارة مرسلا من قبل الخديو ، ولا بد أن الانجليز عالمون بحركاتى وسكناتى . فمن أين أعلم أنهم لا يكيدون لى كيداً كما حصل ليكن ؟ نعم إنى لا أخشى ما يفعلونه ، ولكن يكون من وراء ذلك ضجة غير مستحسنة » قال : « هذا صحيح ، وأنا فى بادىء المسألة قلت لجلال الدين باشا : إن الواجب أن يرسل الخديو ثبتاً برجال حاشيته ، حتى لا يلحقهم ضرر ولا يمسوا بسوء ، وما عليه إلا إعلان هذا الثبت للحكومة المحلية : ويرسل إلى نسخة منه . وأنا أبعث بها إلى مجلس الاتحاد »

استرداد بعض الأوراق المضبوطة : وفى يوم ٩ منه قابلنى فى محطة لوزان الدكتور سيد كامل ، فعرفنى بأن الخديو تسلم ١٤ ورقة تخصه من الأوراق المضبوطة منها إيصال بالمبالغ التى ردها سموه لألمانيا ، وإيصال بخمسين ألف فرنك بأمضاء يوسف باشا صديق . وهذه الأوراق هى التى اتضح من فحواها أنها تتعلق بشخص الخديو أو التى عليها علامته . أما الأوراق الباقية فلم تزل فى يد رجال السلطة القضائية وربما توصلنا إلى سحب الأوراق الباقية ، وسيجتمعون يوم الأربعاء الآتى لهذا الغرض ، وبناء على الأمر طلب منى أن أخبر فؤاد بك سليم بذلك وأبلغه أن الطلب لدى الادارة .

وفي يوم ١٢ منه قابلني الدكتور سيد كامل ، وأخبرني أن المحامي فورو يرى أنه يلزم فصل مسألة يكن عن مسألة عباس ، ويكفي أخذ الأوراق الصادرة والواردة باسم سموه ، أو عليها علامته ؛ وقال أن نيسي محامي يكن اعترض على تسليم الأوراق الأربع عشرة للخديو رأساً ، وأنه يقول : « أن القضية قضية افندينا ويكن معاً ، واذا اقتضى الحال فان هذا المحامي لايعترف بامتيازات الخديو ، فاذا لم ينتج يكن من المحاكمة فانه يكون مضطراً إلى زج الخديو فيها (وهذا التهديد مقصود به أن يتحرك سموه ويلح على مجلس الاتحاد بوساطة سفراء الدولة العلية والنمسا وألمانيا لأصدار الأذن بحفظ القضيـة) ..

ولم يستطع الخديو أن يحصل بعد ذلك إلا على الاوراق التى تسلمها

شئون مختلفة

رأى الخديو فى غورست وكتشنر : فى يوم ٦ مارس كنت عند الخديو مع لبيب وفهمي والشمسى ، ودار الكلام عن مصر وإدارتها السالفة ، فقال سموه : « إن مدة كتشنر لم تكن مفيدة للمصريين ، ومسألة الخمسة الأفدنة فشلت ، لأن السير أرنست كاسل ، والأنكليز أصحاب الأموال فى البنك الزراعي وقفوا ضد كتشنر فيها ، فاضطر أن يطلب من محمد باشا سعيد إعطاء امتياز للبنك المذكور وهو غبن فاحش ومسألة توزيع الأطيان فى بيله وغيرها فشلت أيضاً ، لأن الفلاحين تركوا الأراضى المذكورة ؛ وأما غورست فهو الذى عمل حقيقة لمنفعة مصر ، ولو أن الحزب الوطنى ومنه هذا « اسماعيل بك لبيب » كان يدعى بأنى سلمت البلد للأنجليز ، فغورست أعطى مصر مجالس المديريات ، ولكن نحن المصريين لم نعرف أن نستفيد منها كثيراً لأن المديرين استبدوا ، ولو أنه فى الغربية كانت توجد معارضة من بعض الأعضاء ، ومع ذلك فان مجالس المديريات قد أفادت البلاد ، ووقت التعليم وكان غورست بألحاحنا يريد أن يتدرج بمصر شيئاً فشيئاً إلى المجالس النيابيـة رغم معارضة الانجليز الذين كانوا يقولون عنه: إنه ضعيف الأرادة

« ولكن الامر الذى كسر قلبه هو إخفاقه فى مسألة امتداد أجل الامتياز لشركة القنال ، فأنه لما جاء مصر علم أن المستشار المالى تصرف فى الاحتياطى الخاص بصندوق الدين تصرفا سيئاً ، واشترى من أسهم الترنسفال وغيرها ، فافاد الانجليز وأصاب مصر بخسارة تربى على مليون جنيه ، بينما هى فى حاجة إلى المال للمشروعات

الجديدة ؛ وقد طلب الانجليز منه أن يعقد قرضاً لتنفيذها ، فأبى ذلك ، قائلا : «كيف يدير كرومر هذه البلاد خمساً وعشرين سنة بدون قرض ، وأنا أبتدىء عهدى بالاقتراض ؟ »

« ولهذا فكر فى الحصول على المال اللازم من مد أجل الامتياز ، فلما لم ينجح تأثر وقت همته »

الخديو وملك أسبانيا : فى يوم ٢٣ إبريل كنت مع الخديو ، فأخبرنى أنه لعدم اطمئنانه الى الألمان والأتراك فكر فى أن يضع عائلته فى الاستانة في كفالة سفارة أسبانيا بها ، فطلب من شقيقه البرنس محمد على أن يكتب الى ملك أسبانيا بذلك ، نظرا للعلاقة الودية بينهما ، وقد أرسل البرنس رسالة بهذا الخصوص الى الملك عن طريق سفيره فى برن .

وفى يوم ٣١ مايو أخبرنى أنه يريد أن يرسل جوابا الى ملك أسبانيا ليشكره أولا — على الرد التلغرافي اللطيف الذى ورد الى سموه عند ما هنأ جلالته بعيده فى ١٧ مايو — وثانيا — لأن جلالته أجاب الطلب الذى خاطبه فيه البرنس محمد على باشا بناء على اقتراح الخديو ، فابرق الى سفيره فى الاستانة برعاية عائلة سموه (الوالدة والحرم والبرنسيسات) وقد ذهب السفير الى بيك وأعلم الوالدة بأنه « تحت أوامرها فيما تطلبه » وهى أرسلت على يديه شكرها للملك ، وكتبت للخديو بارتياحها الى المساعى التى حصلت ، وكلفته أن يشكر الملك من قبلها ، وأنها تطلب من جلالته أن يساعدنا فى مثل تلك الأوقات الصعبة . قال الخديو : « ولما كان سفير اسبانيا فىالسويسرة سيحضر لمقابلتى بعد يومين ، وربما حمل الىأيضا شيئا من قبل جلالته . فاذا علمنا بشىء آخر ضممناه الى الخطاب » وأمرنى سموه أن أضع المسودة بذلك .

وفي أول يونيو حررت الرسالة المطلوبة ومما جاء بها :

« إننى لايمكننى أن أعبر عن مقدار شكرى لجلالتكم ، نظرا للعطف الذىتبدونه نحوى فى هذه الظروف الحرجة ، وإننى متأثر من الاحساسات الشريفة التى ظهرت فى ردكم على برقيتى بتهنئتكم ، وأنا شاكر كذلك للأوامر التى أرسلتموها الى سفيركم بالاستانة لرعاية عائلتى بها .

« وإن والدتى التى أبلغها سفيركم فى الاستانة أوامركم الطيبة تشترك معى فى إبلاغ جلالتكم تشكراتها ».

وقد وافق سموه على هذه الرسالة وأرسلها.

غرق كتشنر: فى يوم ٩ يونيو قرأت فى الصحف أن اللورد كتشنر غرق هو وأركان حربه، وكانوا على بارجة حربية ذاهبة إلى روسيا، فصادفه تورپيد ألمانى وأغرقه.

ولما علمت بالخبر الذى اهتزت له انجلترا، واهتز له الحلفاء، بادرت بارسال برقية إلى عباس، وأنا أعلم أنه سيرحب بالخبر.

محادثة البرنس محمد على مع مكسويل عند اعلان الحرب: فى يوم أول نوفمبر سافرت إلى مونترو وزرت البرنس محمد على باشا، فوجدت عنده عبد الله البشرى، ودار الحديث على مصر وسياسة الانجليز بها، فقال البرنس: « إن التاريخ الذى يكتبه المقطم عن الحرب يزعم أن السلطة الانجليزية طلبت منى الابتعاد عن مصر، وهذا كذب، فانه لما رجع ونجت باشا ومكسويل وسسل وجراهام الى مصر عقب اعلان الحرب خف الثانى لزيارتى، وسألنى عن فكرى، فقلت: « إن المصريين لايمكنهم الدخول فى هذه الحرب، وعليكم أن تأخذوا أنتم الحيطة للمحافظة على مصر، لأن ذلك فى صالحكم، ولأن مصر لم تدخل الحرب مع الدولة العلية لما ثار البلقان عليها، ومن رأيى أنكم تطلبون رجوع الخديو من الاستانة ويبقى فى سرايه تحت مراقبتكم ». فقال مكسويل: « ولكن لوحضر الخديو فانه لايسكت، بل يلعب بذيله مهما نبالغ فى الاحتياط، وهو عدو لنا ». فقال البرنس: « أنا أرى أن الفرصة سانحة للانجليز لاعلان استقلال مصر وبهذه الوسيلة يمكنكم أن تجهزوا جيشا من المصريين للدفاع عن استقلال بلادهم



الجنرال سير جون مكسويل

وتتفقوا معنا على أن تتركوا مصر بعد مدة تحددونها، فان صنعتم ذلك تكتسبوا ثقة المصريين، وغيرهم فى البلاد العربية » — وقد ظهر لى أن كلامى لم يعجبه — وأخبرته أيضا أننى مع اعترافى بأن اللورد سسل رجل لطيف، ومن أسرة شريفة ولكنه ليس أهلا لمنصب مستشار مالى، فانه فى الظروف الصعبة التى نحن فيها ما كان يجب عليه أن يجبر الفلاح المسكين على دفع الأموال، بل كان يعطيه ميعادا كافيا للدفع بحيث لا يجبره على بيع أوانيه وماشيته وكل ما يمتلكه. وقد قام الجنرال من عندى غير راض عن محادثته معى، فان إجاباته ما كانت تشف عن ارتياح، بل عن تغيظ بخلاف ما وجدته عندما تحادثت مع ونجت باشا فى نفس الموضوع، فقد كانت أجوبته بكل احترام وأدب، وقد أجاب عن رجوع الخديو بأنه كان فى الصالح، إلا أن الحكومة الإنجليزية قد ترى أسبابا لمنع رجوعه الآن »

وقال البرنس : « إن رأيه الذى أبداه عن استقلال مصر قد استحسنه ووافق عليه ماكلربث المستشار القضائى وماكدونالد وكيل الاشغال — أما سسل وجراهام وشتهام فكانوا ضده »

أوراق الخديو فى رودس : كان الخديو قد أمر باستحضار بعض أوراقه من مصر على الباخرة طاشيوز، فقبض على الباخرة فى رودس ووضعت تحت الرقابة وفى يوم ١٠ نوفمبر كلفنى أن أحضر خطاباً ليرسله الى ملك ايطاليا، فكتبته وعرضته عليه (مضمونه أن سموه بلغه أنهم يسعون لضبط أوراقه الموجودة فى رودس داخل باخرة له، وتحت ملاحظة حكومة ايطاليا المحلية فى هذه الجزيرة، وأن سموه مع علمه بمشاغل الملك ونفاسة أوقاته يجسر على أن يلتمس من جلالته أن يصدر أوامره القاطعة بعدم مس هذه الاشياء، وهذا رجاء حفيد اسماعيل)

وفى يوم ٢٥ وردت برقية من ملك إيطاليا بعنوان «صاحب السمو الخديو عباس باشا» قال فيها : « إنه تسلم خطاب سموه وفى الحال أرسل أوامره بما يطلبه » ، ففرح الخديو وفرحنا نحن أيضاً، وقررنا أن نكتم هذه المسألة حتى لا تصل إلى آذان الإنكليز، لأنهم طبعاً لا يرغبون فى اعتراف ملك إيطاليا بخديوية عباس، فضلا عن استيائهم من عدم إجابة السلطة الطليانية فى رودس طلبهم من وضع يدهم على الأوراق ؛ وقد أخذ سموه البرقية وركب السيارة وذهب بها إلى ملحمة وأراها له ثم رجع فكتب الرد بالشكر الجزيل على عناية الملك .

كتبخانة عمارة قولة : في يوم ٢٥ نوفمبر طلب منى الخديو أن أحضر رسالة إلى ملك البلغار بأن كتبخانة عمارة قولة معرضة لنيران العدو ، ونلتمس من جلالته أن يأمر بوضعها في مكان أمين حتى نهاية الحرب .

العلماء والانقلاب : مما سمعته من البرنس محمد على باشا فى زيارتى له : انه فى أوائل الحرب كانت قد حصلت حركة بين العلماء ظهر منها أنها ضد الاحتلال ، وفى جانب الخديو ، فأوفده رئيس النظار حسين باشا رشدى إلى شيخهم الشيخ سليم البشرى[1] لتسكين هواجسهم ، قائلا لهم : « ان هذه الحركة لا تفيد لان المصريين لا يملكون سلاحا ، ولا ذخائر للمدافعة عن أنفسهم وعن بلادهم ؛ والاصوب أن يكون الهدوء رائدهم » وقد حصل ذلك .

---

(١) صور ج ٢ ق ١ ص ٢٨٠

فشل المخابرات مع الانجليز ومحاولتى التوفيق بين الخديو والاتراك — الاحتفال ببلوغ عبد المنعم سن الرشد — البرنس عبد المنعم وولاية العهد — سفرى الى الاستانة — عودة الخديو الى الاستانة — كيف تلقى الخديو خبر وفاة السلطان حسين وتولية السلطان فؤاد — بينى وبين عباس — بين الخديو وولى عهده

فشل المخابرات مع الانجليز ومحاولتى التوفيق بين الخديو والاتراك :

انتدابى للتفاهم مع الاتراك : فى يوم ٢ يناير اجتمعت بعبدالحميد شديد وتحادثنا فى الحالة الحاضرة ، فقلت له : « إن الوقت مناسب للسعى عند الاتراك والألمان ، وتحسين سياستنا معهم ، وإلا فأننا نخرج « من المولد بلا حمص » على رأى المثل العامى ، وأن الخديو أمامه الباب المفتوح من ناحية أنور باشا المعروف بصداقته له ؛ فلماذا لا يلج هذا الباب ؟ » .

فقال شديد : « إننى أميل جداً لاتخاذ خطة معينة ، والانضمام إلى إحدى الجهتين : إما الأتراك وإما الانكليز ، فذلك أولى من وقوفنا الآن موقف المتحير » ثم سألنى عما إذا كنت أقبل السفر إلى الأستانة للتفاهم مع الاتراك ؟ فقلت له : « كان الأولى بذلك جلال الدين باشا » فأجابنى بأنه رفض خشية حجزه فى الأستانة ، قلت: « وهل هذا السؤال من عندك ، أم أن الخديو هو الموعز به ؟ » فضحك وقال: « هو يرغب ، ولكنه يخاف عليك من الأنجليز » فقلت له : « إننى على استعداد لما يأمر به ، لأنى أريد خيره ، وهو ولى نعمتى ، ومن قبله والده ، وإن كنت أتوقع الضرر من جانب الأنجليز فى أموالى بمصر ، إلا أننى مستعد للتضحية ، فأنا « محروق » أول مرة ، وقيامى بهذه المهمة لن يزيد هذا الاحتراق ، وأن لسموه أصدقاء مثل ملك بلغاريا ومثل الدوق دومكلمبورج ، وغيرهما من الألمان والنمسويين ، فلماذا لا ينتفع بصداقتهم؟ » قال شديد : « على أن أعرض للخديو هذا الموضوع » ثم أبدى لى رأياً فحواه : أننا نطلب أولا من الأتراك تنفيذ مشروع الحملة على مصر ، فأذا لم

يجيبونا إلى ذلك طلبنا منهم ضمانات مالية إذا صادر الأنجليز أملاك الخديو في مصر وافترقنا على ذلك .

سعي الخديو لدى الأنجليز ومناوراته : وبعد يومين اثنين من هذا الحديث قابلت موسيو بارودى ، فسألني عما يعمله الخديو الآن ، فأخبرته أنني لا أعلم شيئاً ، فقص علي : أن سموه قد فاتح الأنجليز للاتفاق معهم ، وتسوية موقفه على يد معتمد البلجيك في فينا سابقاً فعينوا «اللورد أكتون» المقيم مع معتمد انجلترا في برن للتفاهم وإياه ، وقد اتفقا على أن ينزل عن حقه في الخديوية في مقابلة تخصيص مبلغ ٢٥ ألف جنيه سنوياً له ، ورفع الحجز عن أملاكه في مصر ، وضمان أملاكه في تركيا ، ومساعدته في مسألة وقف والدته ليكون له نصيب فيه .

وبعد هذا ذهب الخديو ، وقابل فؤاد بك سليم سفير الدولة ، وأخبره بما يعرضه عليه الانجليز ، وطلب منه معرفة رأى الدولة ، وهل تضمن له مثلما يضمن له الآخرون »

ثم قال لي : « والخديو كما هي عادته لم يحفظ سر أعماله هذه ، بل أذاعها ، فانتشر الخبر في جنيف ولوزان وغيرهما ، وأخذ يوسف صديق وأمثاله يذيعونه ، فغضب الأنجليز لذلك ، وعزموا على إهمال الموضوع ؛ ويسرني يا باشا أنك لا تعلم بما حصل وإلا لو أنك تدخلت لنالك انتقاد » فأخبرته أن الخديو يعمل برأيه ، ولا يطلعنا إلا على الظواهر . قال : « ومن الأسف أن أعماله هذه ستؤدى به إلى الخسارة ، لأن الانجليز في استطاعتهم أن يوعزوا إلى البنك العقارى في مصر بعرض أملاكه للبيع سداداً لديونه ، فتباع بأبخس الأثمان ، دون أن يعمل الانجليز شيئاً ظاهراً يؤخذ عليهم »

ولما أخبرني بارودى بذلك ، وكنت أعلم أنه متصل بالانجليز ليقوم باطلاعهم على كل ما يعلمه من أخبار الخديو والمصريين ، تذكرت أن عباساً قال لي في العام الماضي : « أنا سأعمل مع الانجليز ، واذا انتهيت إلى شيء أعرضه على الأتراك وأطلب منهم بيان ما يعملون هم لصالحي ، وقدرت في نفسي خطورة هذه الخطة ، وأنها لعب بالنار ؛ وقد تصل بنا إلى سوء التفاهم مع الفريقين .

مقابلتى لفؤاد بك سليم : وفى يوم ١٤ ينـاير اجتمعت بفؤاد بك سليم سفير الدولة فى برن ، وتحادثنا فى عدة شئون تتناول الحرب ، وأعمال الانجليز الحربية فى شبه جزيرة سينا ، وما كان يقال عن المخابرات الدائرة عن الصلح . . . الخ . ثم تدرجنا فى الحديث إلى الخديو فسألته عما إذا كان هناك تحسن فى علاقات سموه برجال الدولة . فأجابنى بأنه لم تلق شيئاً من الاستانة بخصوصه . ثم قال لى : « إنه حصلت مسألة ولو أنها بسيطة إلا أنهـا غير لطيفة ، ذلك أننى طلبت بناء على رغبـة الخديو خادماً من الاستانة ، ومعه بعض الأمتعة الخديوية ، فرخص له فى السفر إلى فينـا فقط ، ولا يزال محجوزاً هناك » .

وفهمت أنه يريد أن يبرهن بذلك على سوء العـلاقات ، فقلت له : « وماذا نعمل للوصول إلى غرضنا من حسن التفاهم ؟ » فأجابنى : « بالسعى لدى الألمان » . قلت : « ولكنى لاحظت أن الأتراك لا يرغبون فى ذلك » . قال : « كان على الخديو أن ينتهز فرصة وجوده فى فينا ، ويقابل امبراطور ألمانيا مباشرة » . فأخبرته بفشل الخديو فى محاولة هـذا عدة مرات ، فأجابنى بأنه لو شهد حفلة جنازة الامبراطور النمسوى لنجح ، وتحسنت علاقته بالامبراطور . فأجبته ان الخديو احتج بعدم وجود كسوة رسمية لديه لأنها فى الأستانة .

ثم أبدى لى انتقاده لرجال الحزب الوطنى ، وخطتهم التى وسعت هوة الاختلاف بما كانوا يشيعونه عن مطامع الأتراك فى مصر .

مقابلة شديد بك : وفى اليوم التالى قابلت عبد الحميد بك شديد ، فأخبرته بكل ما دار بينى وبين بارودى والسفير ، فاستغرب تصرفات الخديو ، ولا سيما عرضـه على سفير الدولة مخابراته مع الانجليز ، واستبعد ذلك . وأخيراً انتهينا إلى إرسـال برقية إلى الخـديو فى زوريخ (وكان قد انتقل إليها) نطلب مقابلته لمسألة هامة . وقد جاءنا الرد بالتوجه إلى « تريفيه » وكان شديد أخبرنى أنه أبلغ سموه استعدادى لكل عمل ، فاستحسـن ذلك ولم يبـد رأياً ، وقال لى شديد إنه ربما فاتحك فى هذه المسألة .

مقابلة الخديو : وفى يوم ١٧ ذهبت للمقابلة فشرحت لسموه ما سبق أن أخبرت به عبد الحميد بك شـديد عما علمته من بارودى بخصوص ما يشـاع عن سموه من

مخابراته مع الانكليز بخصوص تسوية موقفه، وسألته عما إذا كان عبد الحميد شديد بك أبلغه بهذه المسألة فقال: «أنت ياشفيق وأنا أيضاً نعلم أن بارودى هو جاسوس للانكليز فيخبرهم بما يعلمه عن المصريين وأحوالهم، كما أنهم يعلمونه عن سياستهم معنا. وعليه فان ماسمعته عن بارودى يعتبر نقلا عن السفارة الانكليزية». وأضاف على ذلك: «هاهم منذ شهرين يشيعون أن الاتفاق بينى وبين الانجليز قد تم، ولكن الواقع غير ذلك لأننى متوقف معهم على طلبات منها:

أولا: عدم اعترافى بحقوق السلطان حسين على مصر خضوعا للأمر الواقع.

ثانياً: قبول إتمام دراسة البرنس عبد المنعم فى إنجلترا.

«أما ما يشاع عن وقف أملاك والدتى فلم أعلم عن هذا الوقف الذى قيل إنه عمل منذ شهور شيئاً». فقاطعته بأن هذه الاشاعة بلغتنى أيضاً من بعض المصريين الذين حضروا أخيراً من الأستانة غير أنى شخصياً فى شك من عمل هذا الوقف دون أن يصلنا ما يؤيده من بعض رجال الحاشية هناك. ثم أبدى دهشته من قول سفير الدولة فى فينا حسين حلمى باشا إنه لم ترد إليه مخابرات بخصوص رجوع الخديو إلى الأستانة. فقلت: «ياسيدى، لايخفى عليك أنه فى هذه الحرب لابد أن يكون لكل دولة محاربة جواسيس؛ ولا يبعد أن تكون الحكومة العثمانية وصلتها معلومات عن مخابرة سموكم مع الانجليز، فامتنعوا عن الحديث معنا».

مقابلتى مع قنصل النمسا: وفى يوم ١٩ منه اجتمعت بالكونت دى تورن وأفهمته أننى أخشى أن يكون الخديو فى مخابرات مع الانجليز ليتفق وإياهم، مع أنه يعهد إلى من وقت لآخر فى مساع عند سفير الدولة لتحسين العلاقات. فاذا سمع السفير بذلك فانه يعتبرنى غشاشاً أو غبياً وكلاهما لا أرضاه لنفسى، وإنى أفضل الاستقالة على ذلك. لولا أن انفصالى قد يحمله يرمى بنفسه فى أحضان الانجليز. وقد فكر الكونت ثم قال: «هذا صحيح، ولذا لا يحسن انفصالك الآن».

مقابلتى مع بارودى مرة أخرى: وفى يوم ٢٠ منه اجتمعت بموسيو بارودى فاخبرته أننى سأقابل الخديو قريبا، فهل أطلعه على ما علمته منه، فقال لى: «إننى قابلت أمس «فردريك» خادم الخديو، وكلفته أن يعرض على أعتابه تهنئتى له بالمخابرة الحاصلة بينه وبين الانجليز!» وأبدى لى أسفه على إذاعة رجال الحاشية الخبر مما عطل سير المخابرات. وقال: «ولماذا لا تكون أنت يا شفيق باشا واسطة

هذه المخابرات الهامة بدل تويني بك[١] وملحمة ؟ نحن نعلم أن هؤلاء السوريين غير مخلصين ، ثم حادثته في مسألة وقف الوالدة فقال : « إنه لم يتأكد منه بعد » ، وأخذ يبالغ لي في منزلته الشخصية عند الانجليز !

من الذي أذاع سر المحادثات ؟ وفي يوم ٢٤ قابلت الخديو فأبلغته مادار بيني وبين بارودي ، فنفى لي أن رجال الحاشية هم الذين أذاعوا سر المحادثات لأن أحداً منهم لايعرف ذلك ، وأن أعداءه المتصلين بالانجليز مثل يوسف صديق ومحب باشا ربما كانوا هم الذين أذاعوا ذلك. وبعد خروجي من عنده جلست مع شديد ، فتحادثنا في هذه المناورات التي يقوم بها دون فائدة ، وقلة استقراره على حالة ، ثم فكرنا في مسألة اقامته بعد الحرب ، وهل ستكون في الاستانة أم غيرها ، وكذلك في مسألة ولي العهد ، وهل يشمله التنازل الذي يقرره الخديو ؟

وقد قابلت بارودي يوم ٢٩ منه فسألته عن هاتين المسألتين ، فلم أجد لديه معلومات عنهما ؛ وأخبرته بأن إذاعة سر المحادثات لم تكن من ناحية الخديو ، فاقتنع بذلك

مناورات الخديو بين الأتراك والأنجليز : وفي هذا اليوم قابلت الخديو وعلمت أنه سيغادر « تريتيه » بعد أيام قلائل ، وكلفني أن أخبر فؤاد بك سليم بهذا وألا أترك الاتصال به ، وقد أفهمني أنه يقصد بذلك إثارة الاهتمام عند الانجليز بموضوعه ، لأنهم إذا علموا بقطع صلاتنا مع رجال تركيا فانهم لايهتمون بنا ! وقد قمت بهذه المهمة يوم ٥ فبراير

استقالة البرنس سعيد حليم من الصدارة : وبينما كنت عند السفير جاءته برقية من الاستانة تنبئه بسقوط نظارة سعيد حليم ، وتشكيل النظارة الجديدة برياسة طلعت باشا ، مع الداخلية والمالية ، التي كان بها عباس حليم ، شقيق الصدر السابق ، فخرجت بعدها وأخبرت شديد بك بالتغيير الذي حصل ، فسر به كثيراً ؛ وقد أبلغنا الخديو تليفونياً في فندق « أسبلا ناد » في « لوكارنو » فأظهر فرط سروره وكلفني أن أقابل فؤاد بك سليم مرة أخرى ؛ وأشكره من لدن جنابه على إخباري قالنبأ ؛ وأفهمه أنه سيرسل برقية بالتهنئة بمجرد إعلانه رسمياً من قبل الدولة كالمعتاد قبل الحرب .

---

(١) أحد كبار السوريين وكان له اتصال ومعرفة سابقة بالخديو

وقد قابلت فؤاد بك، وأبلغته ما كلفت؛ فقال لى: « إن نظارة الخارجية أبلغتنى الخبر ولم تزد على ذلك »

وفى يوم ٧ منه اجتمعت بالخديو وشديد بك، ودار الكلام حول التغيير الذى حدث فى النظارة، فقال: « إن البرنس سعيد سيقوى مركزه عند الانجليز بهذه الاستقالة، وربما رشحوه لعرش مصر » فكان رأينا غير رأيه فى هذه النقطة.

ودارت المناقشة فى إرسال تهنئة من سموه، فكان رأيى فيها انتهاز الفرصة للتفاهم، وعدم انتظار الاعلان رسمياً من جانب تركيا. ولكن تقرر أخيراً — على غير رغبة منى — أن أذهب إلى فؤاد بك، وأن أطلب منه إرسال برقية « شفرة » للخارجية العثمانية بأن الخديو بعث يستفهم من القبو كتخدائية، عما إذا كانت أعلنت بالتغيير رسمياً كالمعتاد؛ وأن غرضه هو القيام بالواجب فى تهنئة الصدر الجديد وربما أوفد سموه مندوباً لهذا الغرض

ولما قابلت السفير لم يستحسن إرسال برقية؛ وأشار بإرسال التهنئة مباشرة، وبدون تأخير، لأنه مضت ثلاثة أيام الآن من وقت حضور البرقية: ثم إذا ورد إلى الخديو أن القبوكتخدائية أعلنت يرسل برقية أخرى، أو يرسل مندوباً خاصاً « مثلك ياباشا » قلت: « ولكن إذا أوفدنى الخديو فيجب ألا يشيع ذلك عند الانجليز حتى لاينتقموا منى في أملاكى بمصر » فقال: « إذا تم ذلك فأنا أطلب من قنصل الدولة تحرير جواز السفر بنفسه، ولا يخبر أحداً بسفرك »

ولما رجعت إلى الخديو حاولت إقناعه بعدم التشبث بالرسميات، وانتهاز الفرصة السانحة، وأخيراً تقرر أن نطلب من فؤاد بك أن يكتب فى تقريره الذى يرسله إلى الآستانة أنه اخبرنى بالتغيير، وكلفنى إبلاغ الخديو، فيكون ذلك شبه إعلان رسمى. وقد حصل ذلك وأبدى لى الخديو تخوفه من انتقام الانجليز منى إذا سافرت، فأظهرت له استعدادى لذلك، ولكن قلت: « يجب أن نحتاط، وأن نتقى شر بارودى، فأدعى أننى ذاهب إلى بادن للاستحمام »

<u>إرسال التهنئة</u>: وبعد ذلك حررت صورتين للتهنئة، إحداهما مطولة والأخرى رسمية قصيرة، فاستحسن سموه الثانية وأرسلناها يوم ٢٧ فبراير.

وقد وردت برقية الرد في يوم ١٧ منه في لهجة لطيفة باسمه، باعتباره « خديويا لمصر ».

<u>جس النبض لدى رجال تركيا</u>: عندئذ فكر الخديو فى الشروع فى مخابرات مع

الصدر الجديد لتحديد مركزه ، وقد أراد أن يجس النبض للتأكد من نجاح المخابرات قبل البدء فيها . وكان قد سبق أن طلب من الاستانة حضور خادم لحجز فى النمسا وبقى بها ؛ فعزم على أن يكون طلب الترخيص لهذا الخادم أول مايجس به النبض ؛ وأمرنى فى يوم ١٧ أن أحرر خطابا لطلعت باشا بذلك فى صيغة غير صريحة ، لأن الطلب تافه ، وقال لى : « اذا وجدنا أن لدى الصدر نية طيبة من ناحيتنا ، فاننا نرسلك يا شفيق للاستانة » .

وفى يوم ٢٨ مارس كنت مع الخديو أنا وشديد بك والدكتور سيد كامل ، فعلمت أن رد الصدر قد وصل إليه منذ أيام ، وأنه رد طيب . وفيه وعد بالتسهيلات اللازمة لكل تابعى الخديو فى ذهابهم لسويسرا وإيابهم منها ، وكذلك أبدى اهتماما بمخابراته ، ووعد بالرد عليها ، بقدر ما يمكن من السرعة

وقد أظهر لنا الخديو سروره من هذا الرد ، وتقرر ايفاد مندوب الى الاستانة للمخابرة مع الصدر فى المسائل المعلقة ، وطلب منا أن نفكر فى وضع نقط لهذه المخابرة ، وفى الخطة التى يتبعها المندوب .

تحضير مذكرة للمخابرات : وفى يوم ٢٩ منه اجتمعنا ووضعنا المذكرة الآتية :

أولا . انضمام الخديو للدولة ، كان مبنيا على (١) تعلقه بالخلافة والغيرة الاسلامية (٢) الولاء للمتبوع بصفته تابعا سياسيا . (٣) الأمل فى أن تكون لمصر حالة سياسية أسعد مما كانت عليه

ثانيا : أسباب خروج سموه من الاستانة : (١) معاكسات سعيد حليم (٢) استرجاع الحملة (٣) شعور سموه بعدم استشارته فى شىء يختص بها

ثالثا : أسباب خروجه من فينا : (١) تعيين بوليس سرى لمراقبة سموه كأنه عدو لاحالف . (٢) انقطاع أمله فى تحسن الحالة بينه وبين الاستانة بسبب ما تقدم (٣) عدم قبول لمبراطور المانيا مقابلته (٤) طعن سفير المانيا بفينا فى الشرقيين ما عدا الأتراك (٥) الحاحه على سموه بالرجوع الى الاستانه للسعى فى تحسين العلاقات .

رابعا : أسباب عدم تحسين العلاقات فى سويسرا : — (١) استمرار معاكسات الصدر (٢) عدم الترخيص لرجال الخديو بالدخول فى الاستانة والخروج منها (٣) قطع مرتبات رجال حاشيته لأنهم لم يرجعوا الى بلاد الدولة ، بينما المصريون المنتمون للصدر يستمرون فى قبض مرتباتهم .

خامسا : أمل الانكليز فى التقرب من سموه لما علموه من سوء التفاهم بينه وبين

رجال الدولة ، والألمان واجتهادهم فى فصله عنهم فلم ينجحوا ، بدليل أنه لم يصدر من سموه أى فعل أو قول علنى أو غير علنى يدل على اتفاقه مع الانكليز ، ولو كانت المسألة متعلقة بالحالة الخصوصية لسموه فقط لانتهت منذ زمن

سادسا : تغيير النظارة العثمانية أحيا الأمل فى تحسين العلاقات مع الدولة وجواب الصدر خير مشجع لهذا التقارب .

هذا عن الماضى

أما المستقبل فأولا : تحقيق الأمل باسعاد الحالة فى مصر متوقف على قيام حملة أو احتمال نجاح مساع سياسية ، وعلى هذا يحب الخديو أن يعرف : (١) اذا كانت هناك نية لتجريد حملة ، واذا كانت الدولة مهتمة باتخاذ وسائلها ، وما هو الموعد الذى تقوم فيه ؟ (٢) ان كانت هناك نية فهو مستعد للرجوع الى الاستانة عند الزحف (٣) طلب تعضيده مادياً وأدبياً للمحافظة على مظاهر الخديوية الى حين عقد الصلح ، فهل الدولة مستعدة لتقديم اعتماد مالى يصرف فيما يتعلق بالأمور العامة ، أو بالانفاق على الحاشية ، أو لاعانة المصريين المحتاجين فى الخارج (٤) ان لم تكن هناك نية فى ارسال حملة فالخديو يتساءل اذا كان تعضيد الدولة وحلفائها فى مؤتمر الصلح يضمن الوصول الى نتيجة حسنة لمصر ولشخصه ، ويتساءل فى هذه الحالة عن الضمانات الحالية الممكنة لتحقيق هذا الأمل فى مؤتمر الصلح (٥) فان لم توجد هذه الضمانات من الآن فهلا يكون من المصلحة أن تجيز الدولة لسموه اجازة غير رسمية الاتفاق مع الانجليز على تسوية مركزه المالى بالنسبة لحالته الشخصية فى المستقبل ؟

ثانيا : سموه يتساءل عما اذا كانت الدولة تحب أن تنتفع بأى خدمة يقوم بها لمصلحتها فى الخارج ، فانه يكون سعيداً عند استطاعته القيام بهذه الخدمة فى الحال أو الاستقبال ، لأن الأسباب التى استوجبت انضمامه الى الحكومة العثمانية ما زالت قائمة ، ويضاف اليها نيته عند عدم النجاح فى المسألة المصرية ان يعيش فى بيئة اسلامية ؛ ويصرح من الآن بأنه لا يتفق مع الانكليز على أى ترتيب سياسى فيما يتعلق بمسألة مصر يكون من شأنه الاضرار بمصلحة الدولة .

فلما اطلع الخديو على ذلك طلب إلغاء الفقرة الأخيرة ، ثم قال: « إنه لا لزوم للكلام فى الماضى ، بل تكون المذكرة عن المستقبل فقط . أما اذا جاء السؤال من رجال الدولة عن أسباب خروجه من الاستانه ومن فينا وعدم رجوعه ، فعندها يمكن الاجابة بالتفصيلات الموضحة »

وقد سألته عما إذا كان المندوب يومئ الى كلام فؤاد سليم فى أمر التعويض الذى يرجى أن يحصل الخديو عليه من الدولة ، فى حالة إضرار الانكليز بسموه فى أملاكه وتخصيص مرتب سنوى له ؛ فأجاب : نعم إذا كانت المخابرة تقضى بهذا الايماء . ثم أملى على آراءه ، لوضعها فى قالب مقبول ، وإضافة ماتراه لازماً . وهى

(١) الجناب الخديوى لم يغير خطته ، وما كان ينتظر ما حصل له (٢) بعزل الصدر سعيد حليم يأمل فى تحسين الحالة ، وإزالة سوء التفاهم ، خصوصاً وأنه يتذكر ما قاله له طلعت باشا ، فى زيارته لسموه ، مع خليل بك قبل مغادرته الآستانة ، وتأكيده أنه لا ينطوى على شعور غير شعور المودة من نحوه ، ووعد فخامته هو وأنور الذى كان معه ، مما جعل الخديو يتحقق الآن من نجاح مسألته ، ولهذا أوفدنى (شفيق) السلام والشكر .

ثم أشار بأن يضاف على أسباب خروجه من فينا ، معاكسة حسين حلمى باشا السفير لسموه بواسطة «حاشيته» (محب ويوسف صديق) وقال : «وإذا حصل السؤال عن طلباتى فيكون الجواب : (١) إعطائى الحقوق الممنوحة لى » . يعنى البريد ، والتلغراف الشفرة .

وهنا بدر اعتراض منى ومن الدكتور سيد كامل ، لأن الحرب لا تسمح باستعمال الشفرة ، ولكنه غضب من هذه الملاحظة (٢) «معاملة رجال القبوكتخدائية ، كما كانوا يعاملون سابقاً ، لأن القبوكتخدائية لم تعلن عند تغيير النظارة الأخيرة » قال سموه : « ثم إن المندوب يسأل الصدر عن رأيه فى المسألة المصرية ، ونتيجتها ؛ وإن لم يكن هناك نية فى إرسال حملة فهل تنوى الدولة عمل شىء آخر ؟ وإذا كان هذا لا يعلم فى أى وقت فهل يبقى سموه بدون مساعدة مالية ؟

وإن سئل المندوب عن رجوع سموه يجيب بأنه إذا تحقق حسن نية رجال الدولة نحوه ، فانه يرجع الى الآستانة للاقامة فى بيته فى شهر سبتمبر »

ثم قال : «ومن سبتمبر نؤجل الميعاد الى اكتوبر ، ثم نسافر إلى بلغاريا ، ونمكث لغاية نوفمبر ، ومن يعلم ماذا يحصل لغاية هذا التاريخ ؟»

وقد اجتمعت بالدكتور ، ووضعنا المذكرة على حسب الفكرة التى أملاها علينا الخديو ، وقدمناها له ؛ وبعد أن قرأها قال بإبقائها لاعادة النظر فيها وتعديل ما يراه وأمر بسفرى إلى برن لمقابلة فؤاد بك سليم

السفر الى برن : وفى ٣٠ مارس سافرت إلى برن وقابلت فؤاد سليم ، وأبلغته سلام الخديو وشكره على حسن مسعاه ، وأن سموه ربما أوفد مندوباً إلى طلعت فأجابنى فؤاد بك « ولكن سموه عزم من مدة على هذا ولم ينفذه » قلت : « لأنه كان ينتظر الرد على جواب أرسله الى الصدر » وقد وصل

مذكرة جديدة : وفى يوم ٩ ابريل قابلت عباساً ، وتفاهمنا مرة أخرى على مهمة المندوب . فقر الرأى على أن أترك المذكرة التى كنا قد أعددناها سابقاً ، ونكتفى بما يأتى :

أولا : بعد التحية يبدأ المندوب بأن يقول لطلعت باشا . « إنه لما رآه الخديو من حسن قبولكم لكتاب سموه ، وأمركم باجابة مافيه من الطلبات أوفدنى لفخامتكم للاعراب عن شكره وامتنانه ، وأمرنى أن أقدم لكم خطابا أحمله »

ثانيا : عندما تأتى مناسبة فى أثناء الحديث يلمح المندوب الى زيارة طلعت وخليل بك قبل ترك سموه الآستانة ، ويذكر تأكيدات فخامته لسموه ، من أنه لا يوجد شيء عند رجال الحكومة العثمانية ضده ، وخطاب الصدر دليل قاطع على تأييد هذا الكلام ، لذلك يتفاءل الخديو خيراً من وجود طلعت باشا فى كرسى الصدارة .

ثالثاً : إن سأل فخامته عن اشاعة شاعت باتفاق بين سموه والانجليز يرد المندوب بأنه : حقيقة أراد الانجليز انتهاز فرصة الفتور الذى كان ملحوظاً بين سموه ورجال الدولة لاستمالته اليهم ؛ ولكن لما تغيرت النظارة تبدلت الحال بعناية فخامة الصدر ، ويقول المندوب : « ولو أننى لم أكن على الدوام ملازماً الجناب الخديوى إلا أننى أعلم جيداً أنه لم يتفق مع الانكليز على شيء ، وإلا فأنه كان يعلمنى قبيل سفرى » (أى أنه لاينفى ذلك بصفة رسمية)

رابعاً : واذا سأل طلعت عما اذا كان الخديو يريد أن يتفاهم معهم ، يقول المندوب : « إنه إن تكلم فلا يكون موضوع الكلام إلا فى المسائل الشخصية لا السياسية ، فهى التى تهم معيشته فى المستقبل ، لأن ثروته كلها فى مصر وهى محجوزة ويتمنى ألا يحصل له على الأقل ضرر فى المسائل المالية »

خامساً : وان سئل عن آراء سموه يكن الجواب : أن سموه يريد أن يعرف موقع المسألة المصرية فى الحركة العسكرية والسياسية . فان كان الرد أن المسألة منظورة والحكومة عازمة على عمل شيء فيظهر المندوب الاستحسان ، واذا كان الرد بأنها غير منظورة فيجيب بالاسف

سادساً : وإن سئل عن طلبات سموه يجيب بأن لامطلب له إلا أن تعامله الحكومة بالحقوق المخولة لمقام الخديوية ، معاملة ودية ، لامعاملة عدائية ، لأن الاعداء يعاملون الملوك الذين عزلوا معاملة لائقة بهم ، وهم يعيشون بينهم بالعز والاكرام.

مع أن سموه طلب من الحكومة نقل موظف فى المحروسة (الدكتور صبحى) إلى خدمة الدولة المحتاجة إلى أطباء ، وعمله فى المحروسة لا يستدعى وجوده فيها . فبعد قبوله ارجعته الحكومة إلى المحروسة خلافالرغبة الخديو ؛ ويرجوالمندوب من الصدر إجراء مايلزم لحفظ مقام الخديوية . فان قال الصدر : «ها نحن أولاء نعامله الآن كما يجب» ، فالمندوب يستفهم فى هذه الحالة عما إذا كان فى نية الحكومة معاملته ماديا فان دخل الصدر في الموضوع المادى فعندها يقول المندوب : « إنه يرجو أن يعامل رجاله فى المرتبات كما يعامل المصريون الذين أظهروا عداوة له » (أى المنتمين للصدر السابق) وفى حالة القبول من الصدر يقول المندوب : «ان سموه مستعد لأن يشترك مع الحكومة فى وضع قاعدة لمساعدة المصريين على وجه العموم »

سابعاً : إذ قال الصدر برجوع الخديو الى الأستانة ، يجيب المندوب أنه مستعد للرجوع ؛ وإنما يفكر في صوالحه فى مصر وفى إيطاليا (حيث توجد أوراقه فى باخرة طاشيوز برودس) فهل توجد طريقة لتأمين هذه المصالح لو رجع إلى الاستانة ؟

فان قال بوجود طريقة ، يستعلم عنها المندوب ويطلب أن يعرضها على الخديو.

وقد سألت سموه عن المبلغ الذى يطلب تقريره من الدولة ، فأجابنى بأن خمسة وعشرين ألف فرنك سويسرى شهرياً تكفى

الاحتفال ببلوغ عبد المنعم سن الرشد : فى يوم ١٧ فبراير كنت عند الخديو فى لوزان ، فعرض على رأيه فى تحرير خطاب للبرنس عبد المنعم ولى عهده ، يهنئه فيه ببلوغ سن الرشد يوم ٢٠ منه ، ويسلم اليه فى الاحتفال بهذه الذكرى ، وطلب منى تحريره مع الدكتور سيد كامل

وقد أعددنا مشروع هذا الخطاب ، وبعد تحوير وتبديل منا ومن الخديو صار كما يأتى :

« فى مثل هذا اليوم من ثمانى عشرة سنة خلت ، احتفلت مصر بمولدك ، فبالأمس أتممت حياة القاصر ، واليوم بدأت حياة البالغ الراشد ، وأنت اليوم

وغدا – كما كنت بالأمس – محل رعايتي وشفقتي الأبوية تهنيئاً لك بما أنعم الله علينا من بلوغ هذا اليوم ، وبارك الله لك فى عمرك ، ووفقك فى جميع أعمالك .

وقد كنت أود أن تحتفل بك اليوم بلادنا المصرية العزيزة ، كما احتفلت بيوم عيد ميلادك ، ولكن الحوادث الحاضرة التى مازالت منذ عامين ونصف عام ، تحدث الانقلابات المنوعة فى كيان الممالك المتعددة ، ومراكز الملوك والأمراء قد أصابتنا بشيء من انقلاباتها — أرجو أن يكون وقتيا — وعلى أى حال فآمل ألا يمتد أثره إلى المساس بحقك الثابت المشروع ، التى لا أدخر وسعاً فى تأييده والله المسئول أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والفلاح »

وفى يوم ١٩ أرسلنا الدعوة لحضور الاحتفال ؛ وقدر عدد من سيحضرونه بستة عشر وهم :

الخديو وولداه وشقيقه ، وشكرى بك سكرتيره ، والبرنس ابرهيم حلمى ، ومحمد طاهر بك نجل البرنسيس أمينة هانم اسماعيل ، وجلال الدين باشا ، وتوينى بك ، ومحمد باشا يكن ، وعبدالحميد بك شديد ، والدكتور سيد كامل ، وعبدالله البشرى ، ونور الدين افندى ، ومنصور القاضى ، وصاحب المذكرات

وقد عرضت على سموه أخذ صورة تذكارية للحفلة وصورة أخرى لأفراد العائلة فوافق على ذلك

وطلب منى أن أفهم البرنس بأنه سيهدى إليه قطعة من الجواهر التى ورثها من عائلته لتكون تذكاراً لبلوغه سن الرشد ، وبما أن مجوهراته فى زوريخ فانه عند رجوعه إليها سيختار هذه القطعة ويرسلها لدولته ، وأن سموه يأسف لعدم وجود السجلات الخاصة بأمواله حتى يراجعها .

وقد نقلت ذلك للبرنس فقال : « هذه أمور تصفيها بعد الحرب ، ولا حاجة بى اليوم للنقود . أما أنا فأفكر فى مسألة أخرى ؛ وهى أنى أطلب من معتمد انجلترا أن يتوسط فى استحضار نقود لى من أموالى الخاصة ، وأقول له صراحة : « إننى أريد أن أقرض أبى ما يحتاجه منها الآن بحيث يرده لى بعد انتهاء الحرب العظمى »

فأبديت له تشككى فى نجاح هذه الفكرة ، لأنى أعتقد أن الانجليز سيرفضونها

وقد أرسلنى الخديو لدعوة شقيقه الذى قرأت عليه صورة خطاب الخديو لولى عهده ، فأعجبه

وفي يوم ٢٠ فبراير كانت الحفلة، فدخلنا فى الساعة الواحدة الى المائدة، وجلس الخديو، وأمامه شقيقه، وعلى يمينه ولى العهد، وعلى يساره البرنس ابراهيم حلمى، وعلى يمين البرنس محمد على جلس البرنس عبد القادر، وعلى يساره محمد بك طاهر، ثم باقى المدعوين، وكان مرسوماً على قائمة الأطعمة العلم العثمانى

وبعد تناول الطعام أمرنى الخديو أن أتلو الخطاب الموجه منه لولى عهده فتلوته بلهجة مؤثرة، فسالت دموع البرنس عبد المنعم، ونهض فقبل يد والده مظهراً حنانه عليه.

ثم سلمت الخطاب للخديو فسلمه لابنه الذى تناوله شاكراً

وقد وقف البرنس محمد على، وأراد أن يقول شيئاً، ولكن التأثر أخذ منه كل مأخذ، فقال: «إن المصيبة التى أصابت الأسرة هى غضب من الله، فيلزم علينا أن نطلب منه المغفرة»، وكرر هذا القول بألفاظ متقطعة بين البكاء والدموع.

وكنت معتزما أن أحيى البرنس بالأصالة عن نفسى وبالنيابة عن الحاشية، ولكن لما رأيت هذا الجو استحيت، ووقف البشرى وطلب قراءة الفاتحة ليوفقنا الله للخير.

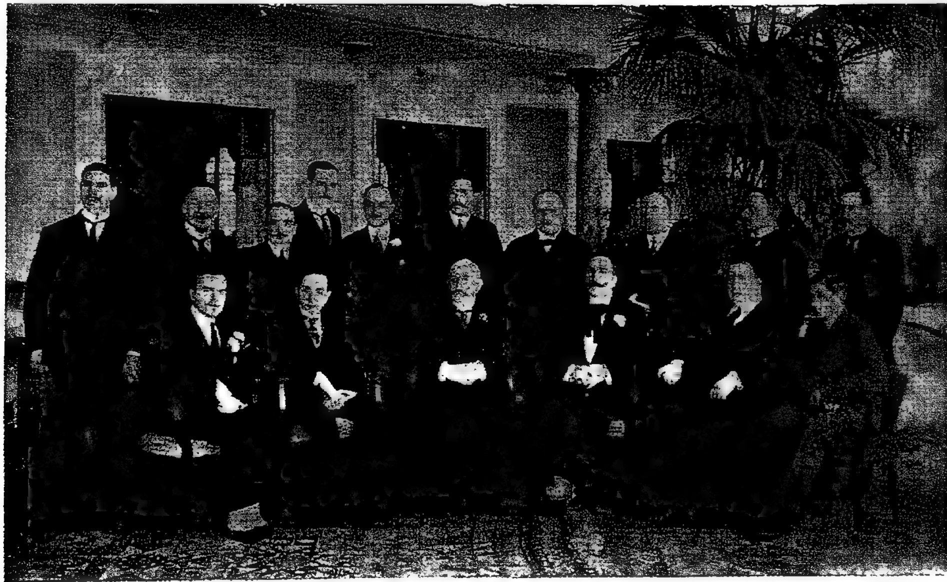
وبذلك انتهت الحفلة، وكان لها أثر جميل فى تقريب هوة الخلاف بين الخديو وولى عهده.

وبعد تناول القهوة ذهبنا إلى حديقة الفندق، وجاء المصور فالتقط صورة لنا مجتمعين، ثم صورة أخرى لأفراد الأسرة الخديوية.

وقد جلس الخديو مع نجليه وبنتيه وجلال الدين باشا فى معزل عنا جلسة عائلية، وكنا نشاهد سموه بين حين وآخر يقبل أبناءه واحداً بعد الآخر فى تأثر شديد.

وفى يوم ٢١ منه اجتمعت بالخديو والبرنس عبد المنعم، فقلت لسموه: «إن دولة البرنس أبدى لى الرغبة فى عمل رد على خطاب الجناب العالى»، فقال: «لا بأس وهأنت ذا موجود يا شفيق فانظر مايريد كتابته واعمل باشارته»

وفى اليوم التالى استدعانى وكلفنى بكتابة الرد على أن يحتوى على عبارة فحواها: أنه بعد بلوغه سن الرشد سيبقى كما كان قبل ذلك خاضعاً لوالده. ثم سألنى عن أية النقط التى تهم والده، فأجبته بانه ربما تكون النقطة الخاصة بتوثيق رابطة المحبة بين أفراد الأسرة الخديوية. فقال: «حينئذ نضعها للنقطة الأولى». وعاد فسألنى عما إذا كان يرسل العنوان باسم «سمو الخديو المعظم» — لأن والده لا يزال



صورة الاحتفال ببلوغ سمو البرنس محمد عبد المنعم سن الرشد

الجالسون : يرى فى الوسط سمو الخديو عباس حلمى الثانى وعن يمينه سمو البرنس محمد عبد المنعم المحتفل به وسعادة محمد طاهر بك وعن يساره سمو البرنس محمد على والبرنس محمد ابراهيم حلمى والبرنس محمد عبد القادر

الواقفون : من اليمين . الأستاذ منصور القاضى والدكتور سيد كامل واحمد شكرى يكن بك ونور الدين أفندى وعبد الحميد شديد بك وتويتى بك وجلال الدين باشا ومحمد يكن باشا واحمد شفيق باشا وعبد الله أفندى البشرى

فى نظره للا ن خديويا، ولا جناح عليه إذا اعترف له بهذه الصفة، قلت : «حقيقة إنه هو الخديو، لأنه لا يوجد الآن فى مصر خديو آخر ، بل الموجود لقبه «سلطان» ولكن لابأس أن نصدر الخطاب باسم «مولاى ووالدى العزيز» ـ حفظه الله.

وفى يوم ٢٥ منه قابلنا الخديو وعرضنا عليه مشروع الرد ، فلاحظ أن به جملة تحرج مركز البرنس ، وهى وعده بأنه سيجرى على الخطة التى جرى عليها أجداده واقترح حذفها .

وهذا نص الرد فى صيغته الأخيرة

« مولاى ووالدى العزيز ـ حفظه الله ـ

« تناولت بيد التعظيم والاجلال كتاب سموكم الذى اقتضت إرادتكم أن تشرفونى به، لمناسبة إتمامى السنة الثامنة عشرة من عمرى ، ودخولى فى أول يوم من أيام حياتى البالغة الراشدة . ومن تلاوته أخذ منى التأثر كل مأخذ لما أشار إليه من الحوادث الماضية والحاضرة . وإننى تلقاء ماتفضلتم به من التبريكات وعالى الاحساسات لا يسعنى إلا انتهاز الفرصة ، وأن ألتمس قبول تشكراتى الصادرة من قلب أساسه الحب والولاء ، لما شملتمونى وما زلتم تغمروننى به من الرعاية والشفقة الأبوية، والسهر على توفير أسباب تعليمى . مد الله فى حياة سموكم ، ووفقنى إلى ما فيه بقاء رضاكم ، وعسانى أسعد بأثبات مايكنه ضميرى من الإعتراف بالجميل على ماتبذلونه من الوسع فى صالحى ؛ وآمل استمرار هذه المساعدة الثمينة ، لأننى اليوم كما كنت فى الأمس ولدكم الخاضع المحتاج لمعونتكم ، ولأنكم مصدر وجودى ومرجع الفضل فيما ينالنى من خير . والله أسأل أن يجعل لنا من الأيام القادمة خير حال . أما العمل بالصدق والاخلاص للوطن العزيز ، وتوثيق رابطة المحبة بين أفراد أسرتنا العلوية فهو المبدأ القويم الذى يجب علينا جميعاً اتباعه »

البرنس عبد المنعم وولاية العهد : فى يوم ١٧ فبراير كنت بلوزان ودار الحديث مع الخديو عن نجله البرنس محمد عبد المنعم ، فأخبرنى أنه قابل المعتمد الانجليزى، وطلب منه أن يعلم حكومته بأنه يلتمس منها ألا تهضم حقوقه الشرعية . وأن تأذن له باتمام دروسه فى انجلترا . فأجابه المعتمد بأن انجلترا لا تظلم أحداً ، وما على الخديو إلا أن يتنازل لك ولعائلتك ، ووعده بأن يتخابر مع حكومته فى طلبه .

ثم قال عباس : «ومن رأيى أنه بعد بلوغه سن الرشد يذهب إلى المعتمد ويطالب بحقه الشرعى فى ولاية العهد» .

وفى يوم ٢٠ فبراير كان البرنس قد بلغ رشده . وفى هذا اليوم اجتمعت بالخديو وولى عهده ، فقال سموه : «إننا نريد أن نفكر فى كتابة خطاب لملك الانجليز من البرنس يقول فيه : «إنه ترك مصر وسافر الى الآستانة ، ثم باغتته الحرب فذهب الى السويسرة للتعلم ؛ وأنه نظراً لاعلان جلالته يوم ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٤ أنه يبقى أسرة محمد على على رأس الحكومة المصرية ، فالبرنس الذى هو فى الصميم من الأسرة يأتى اليوم ، وقد بلغ رشده ، ليطالب بحقه الشرعى فى ولاية العهد» .

وفى يوم ٢٢ منه استدعانى البرنس تليفونياً ، وعرض لى رأيه فى الرساله ، وتركنى لكتابتها ، وبعد إتمامها عرضتها عليه فرأى تخفيف بعض التعبيرات فيها ، فوافقته على ملاحظته ، وأجريت التعديلات التى طلبها .

وفى يوم ٢٥ قابلنا الخديو وعرضنا عليه مشروع الرسالة بحضور ملحمة باشا ، فلاحظ أنه ذكر فى الرسالة ما يفيد أن التغيير الذى حدث فى مصر ، وإبقاء عائلة محمد على ، هو من افضال ملك الانجليز ، بينما هذا حق ثابت للأسرة بمعاهدة دولية . وأن الغرض الذى يرمى اليه الخطاب غير واضح ، فأجاب الخديو : بأنه هو الذى أشار بالنقطة الأولى ، أما الثانية فوافق عليها . وقد أخذ ملحمة يحضر «مسودة» سريعة ، ولكن الخديو ونجله وجدا فيها خضوعاً زائداً لملك انجلترا ، وتقرر أن يعمل مشروع وسط بين المشروعين ، ووكل إلى ذلك ، فأتممته وعرضته على الخديو يوم ٢٦ منه فوافق عليه ، وكذلك أطلعت عليه البرنس محمد على فنال استحسانه .

وفى يوم ١٩ مارس قابلت البرنس عبد المنعم ، وسلمته مشروع الرسالة ، فأخذ يحرره بخطه ، وها هى ذى ترجمته فى صورته الأخيرة :

«حيث أنى بلغت سن الرشد فى ٢٠ فبراير الماضى ، رأيت أن أول واجب على أن أقدم جليل احترامى لجلالتكم . وبعد ذلك ألتمس من عطفكم التوسط فى مسألة تخصنى شخصياً .

«على إثر التعدى على حياة «الدى فى الاستانة يوم ٢٥ يوليو سنة ١٩١٤ اضطررت أن أذهب إليه ، ثم عدت إلى السويسرة فى شهر ديسمبر من السنة نفسها لأتمم دراستى .

« وبقيت مشتغلا بالدراسة منتظرا يوم بلوغي الرشد لألتجيء إلى عتبة جلالتكم ملتمساً الاعتراف بالحق الذى يخوله لى انتسابى لأكبر ولد مباشر لعائلة محمد على معترفا بأنى سأحافظ على هذا اللقب بالسلوك الحسن .

« وإنى على يقين من أن جلالتكم وحكومتكم العادلة ، ستنظران بعطف وتدافعان عن شخص ذهب ضحية بريئة للحوادث .

وانتظارا لرد مطمئن أتشرف بأن أكون . . . الخ »

وفي يوم ٢٧ منه قابلت البرنس ، فسألته عما إذا كان قد سلم الخطاب الموجه للملك إلى السفير ، فأجابنى بالايجاب ، وأن المقابلة كانت لطيفة ، ولم يزد شيئاً على ذلك .

ولكنى لقيت الخديو فى اليوم التالى ، فأخبرنى أن مندوبا من قبل معتمد الانجليز قابل البرنس ليخبره برده عليه بخصوص المساعى الأولى التى بذلها للاحتفاظ بحقه ، وهذا الرد يتلخص فى أنه قد سقط حقه فى الوراثة بخلع والده وأن انجلترا عينت خلفا له هو السلطان حسين حافظة لنفسها الحق في انتخاب الخلف ، وقد سعى بعض البرنسات للحصول على مركز ولاية العهد ، كما سعى السلطان حسين ليحتفظ به لابنه البرنس كمال الدين ، ولكن كل المساعى حبطت لأن انجلترا لاتنوى الآن أن تنظر فى المسألة ، وعند ما يحين الوقت تنتخب خلفاً للسلطان ، وربما كان للبرنس عبد المنعم نصيب فيه .

وأن سموه بعد ذلك أمر نجله بأن يتوجه للسفير ويقول له : « إنه كان يفضل أخذ الاجابة منه رأساً بدون واسطة ، وأن يسلمه بعد ذلك الخطاب الذى أعده لملك انجلترا ويرجوه فى إرساله . »

ولما سلمه للمعتمد أطلعه عليه بصفة غير رسمية ، فنصحه بتغييرات فيما يختص بالمطالبة بحقوقه . وكذلك أشار عليه بحذف ما يختص بمسألة الوراثة .

وقد فهمنا من ذلك أن انجلترا تكره مطالبتها بحق ما ، وترى أن يكون فى الالتماس ، ما يشعر أنها صاحبة الحق فى إعطائه أو منعه .

وعلى هذا أمر عباس أن نضع صورة أخرى مخففة ، فوضعناها ، ولكن بقى فيها تلميح لمسألة الوراثة .

وفى يوم ٨ إبريل علمت من عبد الله شديد بك أن السفير الانجليزى لاحظ على الرسالة الجديدة عند اطلاعه عليها ، أن الاشارة لمسألة الوراثة باقية ؛ مع أن الحكومة الانجليزية قد أجابت عنها فى الرد الشفوى .

وقد اجتمعنا فى اليوم التالى : الخديو وولى العهد وشديد وأنا ، فأبدى البرنس تذمره من مقابلة السفير له فى المرة الثانية ؛ لأنه لما قدم الرسالة أراد الخروج فطلب منه البقاء حتى يطلع عليها ؛ وبعد قراءتها ردها له بدون استئذان ، « هذه الرسالة لا تخرج فى معناها عن الأولى فلا يمكن أن أقبلها » . وكان دولته عازما على عدم العودة له ، ولكنا تمكنا من اقناعه بالاستمرار فى خطته ، وكان من رأيه أن يكتب خطابا لبالفور ، ويرسل معه صورة الخطابين ، ويعرفه أن السفير هو السبب فى التأخير ، وكذلك فكر الخديو فى توسيط كريمة الدوق أوف كونوت فى ايصال الخطاب رأساً إلى الملك . ولكن بعد المناقشة تقرر أن تكتب مرة ثالثة بحيث لا يكون فيها تلميح لمسألة الوراثة ، ولا طلب الذهاب إلى انجلترا للدراسة .

وبعد عمل المشروع الثالث للرسالة قرر الخديو أن يعرضه شديد بك على ملحمة باشا ، وأن يسافر البرنس إلى برن بعد ذلك لتسليمها ؛ ولكن هذه المخابرات لم تسفر عن نتيجة .

سفرى الى الاستانة للتفاهم مع الاتراك :

الاستعداد للسفر : أخذت فى الاستعداد للسفر واستخراج الجواز ، وبعد أن أشرت عليه من قنصلية النمسا توجهت فى يوم ١٧ ابريل الى فؤاد بك سليم ليوصى لى بحرية المرور من بلغاريا والنمسا . مع الترخيص باعفائى من الكورنتينة فى حدود النمسا

وفى يوم ١٩ عقدنا جلسة (الخديو وشديد بك ونور الدين وأنا) وتلقيت تعليماته النهائية ، ورسالة منه الى الصدر بايفادى اليه ، لاحاطته علماً بمسائل هامة ، ورسالة أخرى الى الوالدة للسؤال عن صحتها ، ورسالة باسم ابراهيم بك أدهم فيها بعض أوامر تختص بأشغال جبوقلى ، ووضعت جميعاً فى ظرف كبير ختم عليه بالجمع الأحمر (التاج الخديوى) . وكذلك أخذت رسالة لموسيو بووكار سفير السويسرة فى فينا وآخر لموسيو أمستر ، وورقة فيها تعليمات لى مدة وجودى فى فينا بمقابلة الدكتور كاوتسكى ، وزيارة بووكار والدكتور أمستر . ووضعت جميع الاوراق التى أحملها بما فيها الظرف الأول فى ظرف أكبر

وفى المساء ورد لى جواز السفر مع إذن بحرية المرور من النمسا والبلغار ، وخبر

من فؤاد بك سليم بأنه أرسل الى الآستانة برقية بسفرى لتعطى التنبهات على الحدود العثمانية بمرورى

عقبات : وفي ٢٠ منه سافرت من زرويخ الى فينا ومعى نور الدين افندى . وفي الطريق قابلت الكونت دى تورن بمحطة سان جال ، فأخبرته بسفرى الى الاستانة، وفى بوكس «حدود السويسرة النمسوية » رجع نور الدين افندى ، واستأنفت سيرى الى «فلدكرش» وبالرغم من التوصيات التى أحملها فان إحدى حقائبى فتشت وأخذ الضابط الظرف الكبير الذى به الأوراق، ثم سألنى عما به ، فأخبرته بأنها رسائل من الخديو الى الصدر فقال لى : «ولكن ليس على الظرف ما يفيد أنه رسمى ، ولهذا فسنحفظه ونرسله بمعرفتنا الى سفارة النمسا فى الآستانة فتتسلمه منها هناك» ولم أتمكن من اقناعه بترك الظرف لى

وفى المساء وصل القطار الى « انسبروك » فنزلت فى فندق التيرول لتمضية الليل وفي الصباح قام القطار الى فينا ، فوصل في المساء ؛ وكان بانتظارى الدكتور أمستر وزوجته ، فذهبنا الى فندق امبريال ، فلم نجد به أماكن خالية فاضطررنا للمبيت فى فندق آخر

وفى صباح ٢٢ أرسلت برقية باسم نورالدين فيها إشارة إلى حجز الظرف دون التصريح بذلك خوفا من أن يمنعها المراقب

وقد توجهت الى قنصلية الدولة ، وأشر القنصل على جواز السفر، وأعطانى توصية بالاذن لى بالسفر لأقدمها للبوليس ، وعلمت منه أنه تلقى تعليمات من الآستانة بالتسهيلات لكل أتباع الخديو

وفى يوم ٢٣ منه وردت لى برقية من شديد بك يأمرنى فيها الخديو ببذل المساعى لدى ناظر خارجية النمسا لاسترداد الظرف الذى حجز فى حدود السويسرة . فذهبت فى اليوم التالى مع الدكتور أمستر إلى مدير أحد الأقلام فى نظارة الخارجية المختص بمثل هذه المسألة ، ورجوناه أن يعرض على ناظر الخارجية الموضوع فأجابنا بأنه سيبحث عن الظرف ، واذا وصل إليه فان الصدر سيزور فينا قريبا فيسلم إليه ، فقلت له : « انه مكتوب له فى رسالة أننى أنا الذى سأسلمه له ، فلا يليق أن يسلمه شخص آخر » . وأخيراً تبين لى أنه غير راغب في انهاء المسألة ، فبادرت في اليوم التالى بكتابة رسالة إلى ناظر الخارجية نفسه، وسلمتها لهذا المدير لتوصيلها

إليه ، فورد الرد لى فى يوم ٢٦ منه بأن الناظر أمر بالبحث عن الظرف وتسليمه لى

ولكن مضى يومان ولم يأت خبر عن المسألة ، وعلمت أن الصدر سيحضر قريباً ، فذهبت لنظارة الخارجية ، وألححت فى مقابلة الناظر ، وعندئذ وعدنى المدير السابق الذكر بسرعة البحث . وفى المساء ورد لى فعلا إخطار بأن أذهب غدا صباحاً لتسلم الأوراق ، ولما تسلمتها وجدت أن المراقبة فتحت الظرف الكبير واطلعت على مايحويه ، ولكنها لم تفتح الظرف الداخلى الذى يحوى رسائل الصدر والوالدة وابراهيم بك أدهم ولا الخطاب الخاص بسفير السويسرة . وقد ارسلت رسالة شكر الى ناظر الخارجية على اهتمامه ، وبرقية للخديو بالحصول على الأوراق

حضور الصدر الى فينا ومقابلته : وفى يوم ٣٠ ابريل حضر الصدر إلى فينا وقد قابلته فى أول مايو بفندق امبريال ، فسلمته الرسالة الخاصة به ، وحادثته بما كلفت وبعد قراءة الرسالة ، قال لى : « انه يشكر الجناب العالى لما يبديه من الاحساسات الطيبة نحوه » ثم فاجأنى قائلا : « لماذا لايحضر الخديو إلى الأستانة ثم يرجع للسويسرة ؟ » فأجبته : « إن أوقاتكم هنا ثمينة فان استحسنتم ترجىء الكلام فى هذا الموضوع إلى أن تصلوا للاستانة » فقال : « وهل ستسافر أنت إليها ؟ » فأجبته بالايجاب . فقال : « هذا حسن » واستأذنت وخرجت .

استئناف السفر : وفى ٢ مايو سافرت إلى الاستانة فى القطار الذى سافر به الصدر ، وكنت قد كتبت تقريرا للخديو بكل ما عملته حتى اليوم ، فسلمته عند قيام القطار إلى امستر لتوصيله

وفى يوم ٣ وصل القطار إلى بلغراد ثم إلى صوفيا ، وبينما كنت جالساً وحدى على نهاية العربة إذا بيد تلمس كتفى من الخلف ، فالتفت فإذا به الصدر يناديني : « ياشفيق باشا » فوقفت وقلت : « أمان افندم » ولكنه استمر فى سيره ونزل فى صوفيا

العقبات فى حدود الدولة : وقد وصل القطار فى يوم ٤ منه إلى « اوزون كوبرى » فركب البوليس العثمانى ورجال الجرك للتفتيش على جوازات السفر والمتاع ، ولما جاء عندى المفتش الخاص بالجوازات سألنى بعد الاطلاع على جواز سفرى : هل أنت مصرى ؟ فأجبته نعم ، فسألنى عما إذا كان لدى ترخيص خاص بالدخول ، قلت : « إن السفارة العثمانية فى برن أرسلت برقية بطلب انفاذ الأوامر إلى

الحدود بمروري» فقال : «إن الأوامر لم تصل إليه» . وتركني على أن يستعلم ، وإذا لم يجد أوامر فلا بد من نزولي بالمحطة التالية .

وعند وصول القطار اليها جاء اثنان من الجندرمة ، وطلبا مني النزول ، فنزلت وقادني أحدهما إلى غرفة في فندق بها سرير لنوم أحد رجال الجمرك ، وبعد أن تركت متاعي بها قصدت دائرة البرق ، وبعثت برقية للصدر في صوفيا ، وأخرى لأنور باشا في الآستانة . وانتظرت حتى المساء فلم يأت الرد من كليهما .

وفي يوم ٥ عزمت على السفر إلى صوفيا لمقابلة الصدر اذا كان هناك ، فوصلتها في صباح اليوم التالي ، وقابلت فتحي بك سفير الدولة بها ، فعلمت منه أن الصدر أرسل الأوامر بمروري ، ومع هذا فقد أشر هو بالأذن لي ، فشكرته ، وقلت له « انني سأستريح هنا ثلاثة أيام ولا سيما وعندي أمر بمقابلة ملك البلغار لشكره على إعطاء الأوامر بحفظ المكتبة التي في العمارة الخيرية في قوله بمكان بعيد عن هدف السفن الحربية ، وبمقابلة رئيس الحكومة البلغارية لمسألة تختص بهذا الشأن أيضا » .

عدم الثقة بالخديو في بلغاريا : وقد حاولت في يوم ٧ مايو إلى ١٠ منه أن أقابل الملك أو رئيس الحكومة فوجدت إعراضا عن مقابلتي ، فهمت منه أن الثقة بالخديو هنا أصبحت مزعزعة بالاضافة لما حدث لي في الحدود

الوصول للاستانة : ولما لم أتمكن من المقابلة سافرت يوم ١١ منه ، فوصلت « أوزون كوبري » مرة ثانية ، وسألت بها عن ورود أوامر فأخبرت بوصولها وقابلت المفتش المختص فسمح لي بالمرور

ووصل القطار الى الآستانة في الساعة الرابعة ، فوجدت الشيخ عبدالعزيز جاويش فسلم علي ، وسألني عن حالة الخديو ، فأجبته بأنها طيبة

مقابلة الوالدة : وقد ذهبت توا إلى بيك ، ولما رآني الأغوات رحبوا بي كثيراً واستفهموا عن صحة الخديو ، ثم أرسلت السلام للوالدة ولخديجة خانم افندي أخت الخديو ، ولفتحية خانم وشوكت خانم كريمتيه ، وكانت البرنسيسات الثلاث عند دولة الوالدة نظراً لاعتلال صحتها

حيلة : وقد فكرت لمناسبة مرض الوالدة ، أن أكتب للخديو مجسما المرض لعل ذلك يعجل بسفر سموه إلى الآستانة ، فيتحقق طلب الصدر بمجيئه ، وتتحسن العلاقات كما نود ، ونفذت هذه الفكرة في اليوم التالي

وقابلت أدهم بك لابلاغه الأوامر المختصة به . وكذلك قابلت الوالدة فى نفس اليوم والبرنسيسات الثلاث ، وكنت في حالة تأثر شديد عند رؤيتهن بعد غياب عامين فسالت الدموع من عيني . لولا أن تنبهني الوالدة ، إلى أن هذا التأثر يسيء الى صحتها وهى مريضة

مقابلة البرنس ابراهيم حلمى . وفى يوم ١٥ منه قابلت البرنس ابراهيم حلمى فأخبرته بما دار بين الخديو والصدر من المخابرات، وإرسالى بمهمة لازالة سوء التفاهم وبمقابلتى طلعت باشا فى فينا ، وطلبه زيارة الخديو للاستانة ثم العودة إلى السويسرة ، وهنا أخذ يذكر لى الفرق بين الحالة الآن ، والحالة أيام سعيد حليم ، وكيف كان هذا ينتهز كل فرصة للطعن في الخديو ، والاشاعة بأنه باع نفسه للانجليز

فكاهة : وذكر لى كذلك أن نفوذ الصدر السابق قد تلاشى ، وانفض أنصاره من حوله . ثم قص على كيف أخذت أولا نظارة الخارجية من سعيد حليم ، ثم كيف أخذت منه الصدارة . فأما الأولى فقد جاءه ناظر العدلية يوما ، وسأله فى حديث عادى إن كان خليل بك رئيس مجلس النواب يمكنه إدارة نظارة الخارجية ، فأجاب ولم لا ..؟ وعند اجتماع مجلس النظار أخبر أن نظارة الخارجية أعطيت لخليل بك حسب موافقته ، وذكر له النظار محادثة ناظر العدلية معه بشأن تولى خليل بك

قال سعيد حليم : « ولكنى ما كنت أعلم أن فى النية أخذ هذه النظارة منى ! » وأخيراً لم يسعه إلا التوقيع على الدكريتو ، ولكنه تأثر كثيراً من هذه الحادثة . وقبل أن يعتزل الصدارة أحس بقرب خروجه منها فأرسل شقيقه إلى السلطان ليقول له : « إن المملكة لا يمكن أن يديرها أولاد رعاع » بالتلميح إلى أنور وطلعت ؛ ولابد أنهما علما بذلك فحنقا عليه كما اشتد حنقهما بمناسبة رسالة انتقد فيها مبادىء الاتحاديين الخاصة بالمرأة .

قال البرنس : « وعلمت من مظهر بك (وكان له اتصال بالصدر) أن الذى توجه لسعيد حليم ، وطلب منه استقالته هو جاويد بك (ناظر المالية الحالى) فان عديلى كان فى منزل سعيد حليم في وقت هذه الزيارة ، وأن خادم سموه حضر وقال : « إن سيده بعد خروج جاويد من عنده كان متهيجاً »

عند أنور باشا : وفى يوم ١٦ مايو قصدت منزل أنور باشا في « قورى جشمه » قابلته ، وأبلغته سلام الخديو الذى أوفدنى بمهمة لدى الصدر ، وأفهمته بما دار بين

سموه وطلعت باشا من المخابرات البرقية والرسائل ، وأنه لما وجد حسن قبول من الصدر أوفدنى لأزالة سوء التفاهم بين الطرفين . وما كان يحصل ذلك لو كان سعيد حليم على كرسى الصدارة ، فقال أنور : «إننى أشكر الخديو على سلامه ، وأرى أنه فعل حسنا . نعم إن الأشاعات هنا كثيرة عن اتفاقه مع الأنكليز ؛ فلأوا آذان السلطان تنفيراً لجلالته منه ؛ حتى لقد أرادوا أن يصلوا إلى الانتقام من سموه انتقاماً شديداً ، ولله الحمد لم يفلحوا فى قصدهم، فزيارة جنابه العالى تزيل الشبهة التى ألصقوها به .

« والخديو لم يتغير مركزه عندنا ، وله أن يستمر على الأقامة فى سويسرا إنما إذا زارنا فأنه يقوى مركزه . وعندما تحصل المناقشة فى مؤتمر الصلح يكون من واجبنا تعضيده ؛ ويكون قد اكتسب الحق فى ذلك ؛ وفضلا عن أننا لا نتأخر فى القيام بالواجب أيضاً بالنسبة للنفقات التى تلزمه شخصياً أو تلزم رجاله وسرايه . فاذا أمر بعشرة آلاف جنيه شهرياً أو خمسة عشر ألفاً فأننا ننفذ أمره » .

فقلت : «حينئذ لاتنوى الحكومة إرسال حملة على مصر» قال : «إذا أمكننا عمل صلح انفرادى مع الروسيا ، فوقتها نأخذ من جهة القوقاز جنوداً ، وتقوم الحملة ؛ وإلا فأننا اتفقنا مع الألمان ألا يعقد الصلح مع الأنجليز إلا إذ استرددنا حقوقنا التى سلبوها ، ومن ضمنها حقوقنا على مصر » .

قلت : « إن الخديو لو أعطيت له الدنيا وما فيها ما كان يتصور أنه يضع قدمه فى الاستانه ما دام سعيد حليم فى الصدارة . أما الآن فان ضميره مرتاح بعد التغيير الأخير . إنما سموه يخشى من انتقام الانجليز منه فى أملاكه بمصر اذا غادر سويسرا وجاء الى الاستانه ، والخديو ضحى بتاجه فى محبة الخلافة والتعلق بها : ولكنه يريد أن يحافظ على أملاكه لمعيشته فى المستقبل ، فمن يضمن له ألا يقع الضرر المحذور ؟ » .

فبعد تأمل قال : «الخديو له الحق أن يفكر فى ذلك ، إنما أقدر أن أقول لك : « إن الحكومة السنية تضمن له تعويض كل ضرر يتأتى له » .

فشكرته على إحساساته .

ثم قال : «ان الحكومة مستعدة لذلك ، وإذا لم نكن نحن فى مناصبنا فالحكومة باقية على كل حال» .

وهنا ودعته على أن أرجع إليه لتلقى أوامره قبل سفرى إلى سويسرا .

عند طلعت باشا ثم خرجت من عنده، وقابلت طلعت باشا فى الصدارة فقال: « إن من مقتضى جواب الجناب الخديوى أنك ستبلغنى أموراً هامة فما هى » ؟ فقلت: « إن سيدى تلقى خبر القاء أمور الصدارة لعهدة فخامتكم بكل سرور، فانه يعلم بحميتكم ووطنيتكم، وإنه لا هم لكم إلا خدمة البلاد، والسعى وراء سياسة التوفيق». فقال: هذا هو واجبنا ».

قلت: « لهذا أوفدنى مولاى لازالة سوء التفاهم الحاصل بينه وبين رجال الدولة» فأجاب « ان الاشاعات هنا كثيرة من أن سموه عقد اتفاقاً بينه وبين الانجليز بالنسبة لشخصه ولابنه، وأنهم ضمنوا له أملاكه فى مصر، وتعيين أربعين ألف جنيه سنويا لنفقاته، وملأوا آذان السلطان بهذه الاشاعات، فأرى لتكذيبها أنه يحسن بحيثه لتمضية شهر الصيام فى الاستانة، ثم يرجع إلى سويسرا ». فأجبته « بأنى لا أخفى عليه أن الانجليز لما علموا بخروج الخديو من الاستانة غاضباً عما كان يراه من سياسة الصدر السابق انتهزوا فرصة إقامته فى بسويسرا للتقرب منه وحاولوا فعلا أن يستميلوه اليهم، وقالوا: انهم يضمنون له أملاكه فى مصر وفى الاستانة، ويرفعون الحراسة عنها، ويقررون له مخصصات سنوية. ولكن الخديو لم يعقد اتفاقا بل كان يسمع ذلك من اذن فيخرج من الأخرى، لأنه كان يريد بذلك اكتساب الوقت، ويقول: «إن دوام الحال من المحال » وبالفعل حصل التغيير الأخير فى النظارة

« فهو الآن مستريح البال بوجودكم على هذا الكرسى

« وأن الجناب العالى لولم تكن تنغيصات البرنس سعيد لما خرج من الاستانة، فانه يود أن يكون فى سرايه محفوفا بعائلته وحاشيته، ولكنه ما كان يأمن على حياته » ، قال: «نعم ان التنغيصات كانت بين عضوين من عائلة واحدة، ولكن رجال الحكومة لم يكن لهم دخل فى ذلك ».

قلت: «صحيح، والخديو يتذكر زيارتكم الأخيرة له مع خليل بك، وقولكم له: « ان رجال الحكومة لا يضمرون نحوه شيئا ، وطلبكم منه زيارة الصدر السابق ، وكان يظن أن هذه الزيارة تصلح الأمور، إلا أن سعيد حليم لم يقابله مقابلة مرضية، وهذا ترك الاستانة

«أما الآن فانه آمن بوجود فخامتكم فى الصدارة وإنما يخشى لو حضر للاستانة

من انتقام الانجليز منه في أملاكه بمصر ، فقال: « وهل انتقموا من سعيد حليم؟ » قلت : « لا إنما مركز الاثنين ليس واحداً ، وبما أن الخديو مدين للبنك العقارى فما على الانجليز إلا أن يطلبوا من البنك توقيع الحجز على أملاك سموه وطرحها في المزاد ، فتباع بالغبن وتؤخذ في مقابلة الدين المطلوب منه ، مع أنها تساوى كثيراً ويكون هذا العمل شرعيا » فقال : « أنا لا أظن أن الانجليز يفعلون ذلك ، ولو فعلوا حقيقة لفعلنا نحن أيضا فى أملاكهم عندنا مثل هذا ونعوض الخديو عن كل ما يخسره ، فضلا عن اننا نسهل لسموه معيشته بتقديم المال الذى يلزمه ، وقد أعلم أنه يخشى على حياته فانا أعطى له « كلمة شرف » أن حياته لن تمس بضرر ، وانى أصحبه برجالى ، وأضمن له حرية السفر من الاستانة وقت مايريد للرجوع الى سويسرا »

قلت: « هذا طيب ، والذى يطلبه سموه أن تعامله الحكومة معاملة محب لا معاملة عدو ، كما يليق بمركزه ، وهو مستعد للقيام بأية خدمة تطلبها منه الحكومة » .

فقال : « لاشك اننا لانتأخر في الاعتراف لسموه بكل حقوقه ، فنحتفل به كما يجب للخديو » فدعوت لفخامته بالنجاح في مشروعاته والتوفيق فى أعماله وطلبت منه أن يأذن لى بالمقابلة قبل سفرى فأجاب طلبى ، وقمت من عنده منشرح الصدر



خليل بك ناظر العدلية

مقابلة ناظر العدلية : وفى ١٧ منه قابلت خليل بك ناظر العدليـة الجديد « الحقانيـة » وبلغته سلام الخديو فابدى شكره ثم أوجزت له بيان مهمتى فقال: إنه قرأ جواب الجناب العالى إلى الصدر . وكرر لى مسألة الاشاعات فأكدت له أن سموه لم يعقد عقداً مع الانجليز على الرغم من المساعى التى تقدموا بها ، ولما علم بما قاله لى الصدر عن حضور الخديو إلى الاستانة قال : أن لاخوف على

سموه من التنخيصات السابقة . فان المنغص صار بعيداً عن الحكومة ، وإن الوكلاء الحاليين محبون لسموه .

أذناب الصدر : وقابلت صفا بك صاحب جريدة العدل ، وهو مصرى ومحب للخديو ، فعرفنى أن أذناب الصدر السابق انزووا ولم يبق منهم صاحب نفوذ إلا الشيخ عبد العزيز جاويش والدكتور احمد فؤاد ، وأن احمد بك صادق والشيخ محمد عثمان يجتمعان ويترددان على الأخير .

وعرفنى بأن احمد فؤاد وشى به لما كتبه في جريدته العدل نقلا عن الجرائد التركية من أن الخديو عمل عملية فى لسانه فأخرج قطعة من رصاص أصابته ، وبقيت تحت لحم اللسان ، وقال العدل : « وهى الاصابة التى حصلت للخديو من المؤامرة التى دبرت لاغتياله » فادعى فؤاد أن كلمة المؤامرة يؤخذ منها أن مظهر الذى اعتدى على حياة سموه له شركاء (والدكتور احمد فؤاد كان من ضمن المشتبه فيهم وشركاء لمظهر) مع أن الحكومة قالت : « إنها حادثة فردية » فكأن العدل بكتابه يكذب قول الحكومة ، وعلى ذلك مثل صفا بك أمام المجلس الحربى ، وصدر الأمر باغلاق جريدته ولكن لم يحكم عليه لأنه أتى بشواهد تفيد أن كلمة مؤامرة تحتمل معنى جماعة ومعنى فرد ، واستدل على ذلك بالعنوان وبالبلاغ الذى صدر بخصوص الاعتداء الذى حصل فى مصر ضد السلطان حسين ، وكتبت الجرائد أنها مؤامرة مع أن الفاعل كان واحداً .

والحكومة قطعت عن العدل المرتب الشهرى مدة ، ولكن بعد الجهد تمكن من إعادته .

مقابلة أخرى لأنور باشا : وفى يوم ٢٣ مايو قابلت أنور باشا فى منزله ، وعرضت عليه خلاصة تحريرية لمحادثتى معه ومع الصدر ، فقال : « إن خلاصة الصدر ينقصها شيء ، فان طلعت باشا قال لك : « إنه يحترم حقوق الخديوية » فقلت : « نعم لقد نسيت أن أدونها فى الخلاصة »

قلت له : « وهل تسمح لى بأن أدون الخلاصتين فى صورة برقية مختصرة ، وأرسلهما بامضائى الى الخديو بشفرة الحربية الى الملحق العسكرى بسفارة برن لتوصيلها بمعرفته؟ » قال : نعم . قلت : « وهل اذا حضر الخديو الى الاستانة تنوى الحكومة أن توعز الى المصريين بتقديم احتراماتهم له ؟ فان وجود حزبين واحد لسموه وواحد

للبرنس سعيد شيء غير حسن! » قال: « نوعز لهم بذلك ، فضلا عن أن سعيد حليم ليس له الآن أى شأن ، وعلاوة على هذا سنكل الأمر فى ترتيب المعاشات للمصريين الى الجناب الخديوى بدلا من اجراء التحقيق عنها بواسطة نظارة الداخلية » . قلت: « هذا حسن » . وأخيراً طلبت منه بموجب مذكرة ارسال برقية إلى الملحق العسكرى فى فينا لاجراء ما يلزم لدى السلطة العسكرية النمسوية لسفرى الى سويسرة بغير حجز فى كورنتينه ، وأن يرسل أمرا الى المحطة بحفظ سرير لى يوم سفرى فكتب مذكرة بصدد هاتين المسألتين لاعطائها الى مرافقه ، فشكرته وخرجت .

الحصول على ورقة رسمية : زرت بعدها الصدر وأطلعته على خلاصة محادثتى معه فقط ، فأخذ القلم وأصلح وأضاف عليها وسلمها الى ، فأخذتها وأنا فى غاية السرور لأنها صارت ورقة رسمية فيها كل الضمانات ، ولو أن فخامته لم يوقع عليها بامضائه .

وطلبت منه بمذكرة ، أن يأمر بتسهيل مبادلة بريد الخديو بين برن وفينا فوعد بأعطاء الأوامر .

واستفهمت منه عما اذا كان سيعطينى رد الجواب الذى أرسله له الخديو بواسطتى فأمر بأن احضر عنده يوم الاثنين المقبل ، أى قبل سفرى بيوم لآخذه .

وبعد رجوعى وردت اشارة تليفونية من أنور باشا بأن تكون الخلاصة التى ترسل للخديو خاصة بمحادثتى مع الصدر فقط ، وقد أعددت صورة هذه البرقية وتوجهت الى منزله يوم ٢٤ منه ولما لم أجده تركتها لمرافقه .

خطاب طلعت للخديو : وفى يوم ٢٨ منه قابلت الصدر ، فأخذت منه الرد على خطاب الخديو ، وفيه يقول: « إنه قابلنى ودار الكلام بيننا على المسائل المهمة ، وإننى سأعرض على سموه كل ما حصل من الحديث ، وإن فخامته رفع الى السلطان هذه الشئون فتلقاها بارتياح وسرور » . وبعد أن قرأه سلمه لى ، وقد استأذنته فى وضعه مع خطاب من دولة الوالدة فى ظرف واحد وختمه من المراقبة ، لئلا يفتح فأجاب هذا الطلب .

السفر من الاستانة : وفى يوم ٢٩ منه سافرت من الاستانة فوصلت إلى فينا يوم ٣١ منه ونزلت فى فندق أمبريال .

عقبات : وقد وجدت فى طريقى من العقبات مثلما لقيته فى المرة الأولى من جراء تأخير الاوامر ، فسلمت الأوراق التى أحملها إلى سفارة الدولة فى فينا لتوصيلها

الى الجناب العالى فى زوريخ ، وقد وعد السفير باتخاذ الاجراءات اللازمة لسرعة سفرى بدون كورنتينه

مفاجأة بمقابلة الخديو : ولم أتمكن من متابعة السير إلا يوم ٨ يونيو فسافرت مساء إلى « انسبروك » ، وبعدها إلى « فلدكرش » على حدود النمسا ومنها إلى « بوكس » . وفيها انتظرت حضور القطار الذى سأركبه إلى زوريخ ، فلما حضر توجهت الى المركبة ؛ واذا بنور الدين افندى يتلقانى ، ولما دخلت معه إلى « الديوان الخاص بى » وجدت الخديو واقفا فقال لى : « الحمد لله على السلامة » فقبلت يده وجلست معه وكان يبدو على وجهه السرور . فقال : « إننى لم أكن أعتقد أنك تصل إلى الاستانة ، حتى إنه لما وصلت برقيتك كنت بين مصدق ومكذب » .

قلت لسموه : « إننى بمعونة الله تعالى نجحت فى مهمتى نجاحا عظيما ، وحصلت على ضمانات وافية ، فى ورقة شبه رسمية لأن الصدر اطلع عليها وأضاف بخطه بعض ملاحظات فى خلاصة حديثى معه » .

وعند ماسمع الخديو ذلك — وكنا جالسين — وقف نصف وقفة وفتح ذراعيه وضمنى على ذراعى فى ابتهاج وسرور ، دليلا على امتنانه واعترافه بحسن صنيعى .

العودة إلى زوريخ : وبعد ذلك واصلنا السفر إلى زوريخ فبلغناها يوم ١٠ يونيو . وهناك استعلمت من سفارة الدولة فى برن عن وصول الأوراق ، فاذا بالسفير متغيب ، وفى اليوم التالى تسلمتها من السفارة ، وكان الخديو ينتظرنى ، فاطلع على خطاب الصدر ، وعلى الخلاصتين وتعديلات طلعت باشا ، فاطمأن . وقد أمر نور الدين افندى بترجمتها إلى اللغة الفرنسية .

السعى لموافقة النمسا وألمانيا على المخابرات : وفى يوم ١٢ استحضرنا الدكتور سيد كامل ، وأمره سموه بتنظيم المعلومات المبعثرة فى الأوراق ، ووضع كل منها تحت عنوان خاص . ثم فكرنا فيما يجب عمله بعد ذلك ، فاقترحت أن نسعى لموافقة النمسا وألمانيا على نتيجة هذه المخابرات لتأكيدها ؛ وبعد المناقشة اتفقنا على استحضار الدكتور امستر ، وتكليفه إيصال صورة من هذه المخابرات للنمسا وألمانيا ، وكذلك تحضير الترتيبات لديهما فيما يختص بمرور الخديو عند سفره للاستانة .

وقد قابلت سفير الدولة وسفير النمسا لتسهيل حضور الدكتور امستر ، ولكن بعد البحث علمنا أن حضوره يتعذر ، وعلمت أن الخديو سيرسل رجلا ألمانيا يثق به للقيام بهذا العمل ، ولم يصرح سموه باسم هذا الرجل .

تردد الخديو : وكان المنتظر بعد عودتى من الاستانة ناجحاً فى مهمتى أن ينتهز الخديو هـذه الفرصة ويبادر بالسفر اليها ، ولـكن سموه ظل يتردد ويماطل وأراد أن يأمر جـلال الدين مرة أخرى بالسفر فرفض ، فاستدعى عارف باشـا من الاستانة .

وفى يوم ١١ يوليو جمعنا أنا والبرنس ابراهيم حلمى ، واجتمعنا مرتين ، وانضم الينا فى الثانيـة عبد الحميد شديد ، وتكلمنا في موضوع مهمتى في الاستانة ، فكان من رأى البرنس أن يتخذ الخديو خطة الانحياز إلى الاتراك وحالفيهم أو الانكليز وحلفائهم ، وإذا اختار الجهة الأولى فيقتضى الاسراع في تنفيذها ، وقد رجح هذه الجهة .

عنـدئذ أخرج سموه من محفظته صورة رسالة وردت له من الانجليز ، وفيها الشروط النهائية ، وقال : « إن بلفور رئيس الوزارة الانجليزية أرسل برقية يقول بضرورة اعتراف الخديو بسلطنة عمه البرنس حسين وإلا فلا ، وآخر موعد لقبول الشروط كما هي أو رفضها هو يوم السبت القادم ، ثم قرأ الشروط وفيها أن الخديو ينزل عن حقوقه فى عرش مصر ، وألا يطالب بشىء لولى عهـده ، وأن الحكومة الانجليزية هي التي تنظر في مصلحته ، وأن يعترف بالحالة الحاضرة في مصر وبسلطنة عمه حسـين ، وبألا يعود إلى البلاد . وفي مقابلة ذلك تخصص الحكومة المصرية له ألفى جنيه شهرياً مدة حياته ، وترفع الحراسة عن أملاكه ، وتصرف له مايزيد من إيراداتها (بعد وفاء قسط البنك) ولا تمانع فى قبض ما قد يخصه فى إيراد ما يمكن أن تتركه والدته أو أى إنسان آخر ، وأن يقف أملاكه لصالح أولاده .

وكان عباس يرى أنها شروط مجحفة بقدره ، خصوصا اعترافه بسلطنة عمه التى سلبها منه فضلا عن أنه ينوى محاسبته على أخذه فضيات وخيولا وعربات ليست للخديوية بل ورثها من والده . ولهذا فهو يفـكر فى إرسال مذكرة إلى الانجليز مؤداها أنه لا يقبل الحط من كرامته (بالاعتراف بسلطنة عمه) قال: « وإنه يرجح طرف الأتراك لو تساوت الشروط حيث لا يكون هناك حطة فى قدره فضلا عن إقامته فى بيئة إسلامية ، وإنمـا من جهة أخرى يرى أن المبلغ الذى سيخصص له من مصر محقق ، بينما الذى ستخصصه الدولة لا يمكن الاعتماد عليه ، حيث يقف أحد أعضاء مجلس النواب ويقول بكثرة المبلغ ؛ أو تأتى نظارة غير الحالية وترفض استمرار المخصصات التى تقررت بواسطة هيئة سابقة — ومن جهة أخرى فأنه يخشى

من تطاول بعض المأمورين عليه ، أو أنهم ينغصونه في معيشته . فكان رأينا جميعاً أن نطلب من ألمانيا ضمانة الشروط التي تعرضها الدولة فقال الخديو: « إنه فكر في أن يطلب من المحامي فورر أن يتكلم مع مسيو هوفمان الذي كان مديراً للأمور الخارجية في سويسرا ، لتحصل بواسطته المخابرة مع سفير ألمانيا على هذه الضمانة وإن لم يقبل هوفمان فأنه يطلب حضور موسيو رشتهوفن (وكان عضوا بصندوق الدين والآن عضو في البرلمان وصاحب نفوذ) ويكلفه بهذه المأمورية ، وانه سبق أن تقابل معه في سويسرا ، وطلب منه التوسط ، فلما رجع الى برلين وتخابر مع ناظر الخارجية أرسل يقول: إن ألمانيا تكتفي بأرسال ولي عهده وادخاله في مدرسة حربية ، ويعامل كمعاملة الأمراء ويأخذ نيشاناً ، وأشار بأنه يكون أهلها ميل الخديو »

عند ذلك حصلت مناقشة فيما إذا كان البرنس عبد المنعم يقبل السفر ، وكنت على علم باتجاه أفكار دولته من محادثاتي معه فقلت : لا ، لأنه يرجح جانب الانجليز وشديد قال أيضاً بذلك ، ولكن بتحفظ ، فقال عارف باشا : « نضعه في القطار غصباً عنه ونرسله » فضحكنا !

قال سموه: « اذا سافرت وحدي دون أولادي فان الأتراك يقولون: إنني تركت ولي العهد باتفاق بيننا على أن يسعى لدى الانجليز » فأجبناه بأنه عند وصوله للأستانة يعد رجال الدولة بضم نجله اليهم .

قال : وان الانجليز وقتها يرخصون ليوسف باشا صديق في دخول بلاد فرنسا ويتفقون معه على أن يقدم تقريراً في حقي يدعي فيه بأنني قمت بأعمال عدائية ضد الانجليز ، وبذلك يحكمون على بحرماني من أملاكي - قلت : « اذا حصل ذلك فان الدولة تعوض سموكم من أملاك الانجليز في بلادها »

وقال : « إني أفضل أن تكون أملاكي في تركيا لأنني أكون حراً في استثمارها وتأتي بريع أكثر . أما أملاكي في مصر فانني لا أراها بعد الآن والذي سيديرها يرسل لي خطابات فقط ويقول : لقد بعنا المحصول بكذا ، وعملنا كيت وكيت بدون أن يكون لي أقل سلطان على أعماله وآرائه

« ثم إنه يمكنني أن « أنشيء وقفاً » باختياري أعطي من ريعه لمن أشاء ولأية جهة أريدها ، وليس محتما على أن أعطي إيراده لأولادي ، لأنهم حينما يعلمون بذلك لايسألون عني ، ولا يبعد أن يسعوا في الحجر على كأنني مسرف

ثم أخذ يشكو من معاملة الأتراك ، فقال: « إننى أرسلت برقية الى الصدر لمناسبة شهر رمضان بتهنئة السلطان بواسطته بتهنئته أيضاً ، ولم يرد الرد للآن ، فقال البرنس ابراهيم : « إن مترجم الصدارة وهو أسعد بك من رجال سعيد حليم ، ولا يبعد أنه لم يعرضه ، على الصدر » فقال سموه : « هذا محتمل ، وسأرسل بتهنئة العيد » .

وفى المساء اجتمعت بعباس وشديد ، فدارت المناقشة مرة ثالثة في الموضوع ، وشرح الأخير نظريته وهى : ماذا يكون الحال اذا حصل اتفاق مع الأتراك وصدق عليه من الألمان ، ثم سقطت الحكومتان . فهل نضمن أنه فى حالة عدم قيام الدولة بدفع المخصصات أن تقوم ألمانيا بدفعها ؟ واعتراضات أخرى ترجح كفة شروط الانجليز لأنها أكثر ضماناً . فقلت : « أما من جهة المال فان شروط الانجليز أضمن ، وما على أفندينا إلا قبولها خصوصاً وأن ميعاد التوقيع عليها قريب جداً ، مع أن المساعى التى سنجريها عند الألمان والأتراك تقتضى وقتاً طويلا ؛ ولكن ماذا يفعل الخديو بعد الحرب؟ فالأتراك لا يرضون باقامته فى بلادهم » قال شديد: « وربما حكموا عليه بتهمة انضمامه للأعداء » ثم قال: « إنما بعد سنتين أو ثلاث يجوز أن الحكومة التى تكون فى الأستانة وقتها ترخص فى الاقامة » قلت: « اذا كان أفندينا يرتاح لما يطلبه الانجليز وهو أدرى منا بصالحه فما عليه إلا القبول » فأجاب سموه بأنه لا يرى الاتفاق معهم من الجهة المالية فى صالحه ، لأن ألفى جنيه لا تكفيه ولا تكفى نفقات أولاده التى يقدرها بمائة وخمسين جنيهاً شهرياً لكل منهم ، ولو أضاف إليها ألفين أخرى من ريع أملاكه .

وأن شرط وقف الأطيان لذريته يغل يديه ، ولا يمكنه من عمل خيرات مثل إنشاء مساجد فى الجهات الخالية منها أو تعمير المندثر ، وهذا الشرط يشجع الأولاد على أن يطلبوا موته في القريب العاجل . فضلا عن أن الاتفاق لا يذكر شيئاً بشأن ما يمتلكه فى شركتى الأزبكية والبيان فون ، فماذا يحصل لها ياترى بعد الاتفاق ؟ ثم شرط استيلائى على ريع ماقد تتركه الوالدة أو غيرها يثير اللغط حول سمعتى ، فيزعم الناس أننى أنا الذى طلبت ذلك وهو دليل على رغبة فى موت دولتها .

وأخيراً قال : « لولا ما أتوقعه من التنغيصات عند وجودى في بلاد الدولة وما أراه من وجود أناس ضدنا لقبلت فى الحال شروط طلعت باشا » .

وقال عارف : « إنه يظن بأن ذلك آخر كلام من رجال الدولة مع سموه ، ومع ذلك يمكن أن نطلب منهم توفير الراحة لأفندينا فى كل شىء » فاتفق الرأى على أن جنابه يحضر مذكرة ليأخذها الباشا ، ويتوجه بها لطلعت ، ويعرضها عليه ويقول له : « إن الأوامر التى كانت أعطيت لشفيق هى الكلام إجمالياً ، وبما أننا وجدنا حسن قبول فنريد أن نتفاهم على التفاصيل » ومن جهة أخرى نبحث مع ألمانيا حتى نصل إلى ما نريد .

وكان الدكتور سيد كامل الذى لم يحضر اجتماعاتنا يعتقد بأن الخديو لن يذهب إلى الاستانة ، ويعتقد أن كل مايفعله هومناورات تاجر يريد أن يربح من أية جهة تعطيه أكثر من غيرها ، حتى إن طلب سموه الحصول على ردود برقية من الاستانة على بعض المسائل مثل مسألة نور الدين هى سياسة دقيقة ، الغرض منها أن يفهم الانكليز أن الأتراك يهتمون به ، وبذلك يضمن اهتمام الأنجليز به .

وفى ١٢ اجتمعنا عباس والبرنس ابراهيم وعارف وشديد وأنا ، وقال سموه : « إن هذا الاجتماع يمكن أن نسميه عائلياً لأن البرنس من العائلة وأنتم من المخلصين لى »

وقد تناقشنا فى الموضوع فأخذ رأى البرنس فيما إذا كانت شروط الأنجليز مما يمكن قبوله . فقال : لا . وسألنى بعدها عن رأيى فتوقفت برهة وقلت : « إنها من الجهة الأدبية غير موافقة »

قال لأنى بقبولى هذه الشروط أكون عملت عملا يناقض الخطة التى اتبعتها مدة الاثنتين والعشرين سنة التى حكمتها .

قلت : « أما من الجهة المادية » ، فقاطعنى سموه قائلا : « وهى أيضاً رديئة » فتكلم شديد شارحاً ماجاء فى الشروط ، وقال : « إن المصريين حينما يقرأونها يقولون إن الخديو أجبر على قبولها نظراً لما حصل له من الضيق » فرددت عليه بأنهم سيعلمون أن الدولة عرضت عليه كلما يلزمه . وأخيراً تقرر كتابة مذكرة ، فأخذ عارف باشا القلم ووضع رءوس المسائل .

وقد سافر الخديو بعد الظهر لمقابلة المحامى فورر فى سن جال للتكلم معه فى انتداب الموسيو هوفمان ليتولى المخابرات مع ألمانيا .

وفى ١٣ اجتمعنا فى فندق دولدر (فوق زوريخ) الخديو والبرنس وأنا ، وعند المناقشـــة ابتدرنا سموه قائلا : « كيف يثق الأنسان بكلام الأتراك وهم كل يوم

يخلقون لنا الصعوبات ، فيكن أراد التأشير على جواز للسفر إلى الاستانة ، فقال قنصل الدولة فى زوريخ: « إنه توجد أوامر من مقتضاها عدم التأشير لرجال الحاشية إلا بعد الاستئذان ، وكذلك حصل مع الشيخ عبدالحميد ، فكيف تتحمل كل هذه الأهانات ؟ إن الأحسن حينئذ أن تتحمل إهانة الأنجليز مرة واحدة ، ثم نستريح ولكننا مع الأتراك سنظل دائماً على ذلك الحال »

فأجابه البرنس بأنها أصول تقررت لاتباعها مع جميع المصريين بقرار وزارى فهى عامة .

وقد تكلمت أنا أمام سموه بالتليفون مع فؤادبك سليم فقال: « إن الأوامر صدرت منذ سنة ونصف تقريباً بألا يؤشر على جوازات سفر المصريين إلا إذا جاءت الموافقة من الاستانة ، فالذى قاله قنصل جنرال زوريخ من أنها خاصة بحاشية أفندينا غير صحيح »

ولما سمعت من الخديو انتقاده المر ظننت أنه غير فكره من حيث الاتفاق مع الأتراك فقلت له : « إن أفندينا يفعل مايريحه ، وإذا كان متخوفاً من الأتراك فليتفق مع الأنجليز » . وكنت اعتقدت أنه تعرض لبعض المؤثرات من أمس لليوم ، فاحتج بمسألة يكن للتخلص من مشروع الاتفاق مع الأتراك حتى قال فى أثناء الكلام: «هاهو عملنا أمس ذهب بدون فائدة » قلت : «وهل الذى غير فكر أفندينا هو جواز سفر يكن؟ » فأجاب إنها مسألة مهمة

إلا أنه فى النهاية أمرنى بأن أطلب من عارف صورة المشروع ، وقرأناه وأضاف عليه أيضا نقطة تتعلق بحريته فى انتقاء مستخدميه، وأمر عارف بترجمته للفرنسية ؛ وبعد أن خرج البرنس أمرنى وشديد بك بأن نبقى معه للتفكير فى الرد الذى ينوى عمله فى صدد الاتفاق مع الأنجليز، فسألت زميلى عما يقصده؟ فقال: يعنى رفض الاتفاق ، وبعد الظهر اجتمعت به وبشديد، وتكلمنا فى الموضوع وكان يبدو على وجهه القلق ومما قاله : إنه يفضل كثيرا الاتفاق مع الأتراك إلا أنه لايأمن لوعودهم . وأخيرا قرر الاجتماع لآخر مرة فى المساء عند البرنس ابراهيم لاتخاذ قرار حاسم .

وقد سأله شديد عما قاله فورر فى مسألة توسط هوفمان، فقال: « إنه سيتكلم مع الأخير ولكن فى حذر، ولا يمكن أن يأتى الجواب إلا بعد ٨ أيام ، لأن هوفمان لدغ من الألمان مرة فلا يريد أن يلدغ مرتين ، لهذا يحتاج فورر أن يسوسه رويداً

رويداً . ثم اجتمعنا في المساء ، وتكلمنا في الموضوع ، وكان سموه متردداً وكرر سؤاله لماذا لم يرد طلعت على برقيتي ؟ لماذا لم يرد على خطابي الذي أرسلته لإبراهيم بك أدهم وفيه تعليمات بإرسال برقية بشأن المحروسة ؟ فلا برقيـة وردت لى ولا أعلم إن كان خطابي وصل أو لم يصل . ولماذا لم يحضر حامد العشي المحجوز بفينا ـ مع أن عارف باشا طلب له الأذن من طلعت قبل سفره من الاستانة . فأجاب بأن يقدم حامد الطلب كالمعتاد؟ فأجبناه بأن الخطاب ربما لم يصل ، أو أنه وصل ولـكن البرقية التي يحتمل أن يكون أرسلها أدهم بك لم ترخص بها السلطة . أما حامد فلأن الأجراءات تستلزم مدة طويلة ، ومسألة رد الصدر على تهنئة رمضان فلعل أسعد بك قال لفخامته بعـدم وجود سوابق ، قال سموه : فـكيف أثق بالأتراك مادامت الصعوبات قائمة هنا وهناك ؟ ومن يضمن لنا أنهم لم يشعروا بالموجدة لأننا تأخرنا عن السفر للآن؟ فقال البرنس : إن برقية أفندينا له كانت قبل سفر دولته ولما قابله عارف باشا لم يظهر الصدر غضباً ، بل قال إذا حضر الخديو فيكون ذلك من صالحه وكلفه تقديم احتراماته . قال سموه : إذا كانوا متأثرين فربما يتـأخرون عن قبول طلباتنا . قلت : لا أظن لأنها في مجموعها لا تخرج عما يفكرون فيه بل فيها أشيـاء تثبت أن أفندينا مخلص لهم ، وإذا كان فيها نقطة واحدة تحتمل القبول أو الرد فهى تصديق ألمانيا ، والشروط كلها في صالحنا. قال سموه : إنك تقول حينئذ بقبولها قلت: أنا أقول ما أراه ، ولـكن أرجو أفندينا ألا يتأثر بكلامى ـ والذى أعلمه أن سموكم لا تتأثرون بكلام إنسان فأن في ذلك مسئولية ـ فقال: لا لا تخف ، وأخيرا قال: « ولـكن ما رأيكم في الشيء المستعجل، وهو الرد الذى لابد أن أعطيه غدا على شروط الأنجليز ؟ فأن المشهور عنى أنى أماطل ، وأننى أتنحى بسبب شيء طفيف ، وهل أرفض الشروط؟ » فقلنا بأننا لا ترفضها صراحة . وأخيرا اتفق الرأى على أن يتوجه شديد بك إلى السفارة الأنجليزية في برن، وينبئهم أن الخديو درس الشروط فوجدها صعبة عليه خصوصاً الاعتراف بسلطنة عمه ، وأنتم تقولون ألا تعديل فيها . فاذا كان لا يمكنكم عمل شيء ، فسموه بدلا من كتابة جواب كما قال ـ سابقاً ـ يوفد مندوباً إلى انجلترا لأتمام المساعى هناك تخفيفاً لوطأة الشروط . وفي هذا الوقت يسافر عارف باشا فى أقرب فرصة إلى الاستانة ، ويعرض الشروط التى ستتفق عليها مع الأتراك ، وفي ظرف أسبوعين يتمكن من إرسال برقية نفهم منها هل الحكومة قبلتها

أولا . وفى حالة القبول نرفض شروط الانجليز .

وفى هـــذا الاجتماع علمت أن الانجليز عرضوا شروطاً فى أول مرة فبدلها الخديو ، فقبلوا بعض التعديل ، ومن التعديلات أن يستمر مرتب ألفى الجنيه طول حياته لا لانتهاء الدين ، وأنهم سينظرون فى إعطاء مخصصات لأولاده (ولكن لم تدرج فى الشروط) . وأضافوا اعتراف سموه بسلطنة عمه ، وباعطائه الباقى من ريع ما يمكن أن يؤول إليه بالإرث أو غيره ، وحبس الوقف على أولاده ، مع أنه كان يحب أن يخصص شيئاً للخيرات .

وفى ١٤ يوليو قابلت البرنس ابراهيم حلمى وعارف باشا فأظهر دولته ارتياحه لما سمعه منى ليلة أمس فى أثناء المناقشة ، وقال لعارف : «جزى الله شفيق خيراً». ثم قال : «يظهر لى أن هناك أناساً ، منهم شديد بك ، يشتغلون لصالح الأنجليز» قلت : «وطبعاً ربما غيره كذلك» قال : « إنى قرأت الاتفاق الذى كان وضعه سموه والاتفاق الذى أرسله الآن الأنجليز ، والفرق بينهما كبير ، وأن الاتفاقين فى مجموعهما مضران ، وأن الخلافة والعالم الاسلامى والأوربى يلومونه على ما يصنع من هذا القبيل ، ويلومه الأنجليز فى الباطن ، وأنا إذا وقع سموه هذا الاتفاق فانى أقول له : « إن شاء الله يكون خيراً والسلام عليكم ، وأدعه لشأنه » .

فأخبرت دولته بمناقشاتى العديدة مع سموه خشية لوم اللائمين على فى مصر أن يحسبوا أننى لم أقم بواجباتى نحوه ، وأنا أكبر الحاشية ؛ وأخبرته أيضاً بأنه أخفى عنى مخابراته مع الانجليز ولم يعلمنى بورود الشروط منـــذ ثلاثة أسابيع إلا فى حضوره أخيراً .

وقد جاء النبأ بالتليفون من شديد أن اللورد اكتون لما علم باعتراض الخديو على شرط الاعتراف بسلطنة عمه ، وأنه إذا لم يقبل اللورد المخابرة مع انكلترا فى هـذه النقطة فان سموه يرسل مندوباً من قبله إلى انكلترا ، أجاب بأنه سيبرق إلى انكلترا فى هـذا المعنى ، ولكن ليعلم سموه أن لا شأن للورد الآن بالمسألة ، ولا داعى إلى إرسال تليفونات له ولا طلب مقابلاته بعد الآن .

قال عارف إن الخديو أخبره بأن جلال الدين باشا كلمه تليفونياً قائلا إنه تحقق من وجود مندوبين فى سويسرا من المتحاربين للاتفاق على عمل الصلح . والمظنون أن الصلح يتم بعد ثلاثة أشهر فقال : «إذا حصل ذلك فأنا لم أزل خديوياً .

وصفتي هذه الشرعية تخول التمسك بحقوقي التي لم أتنازل عنها حتى اليوم » .

مذكرة للصدر يحملها عارف باشا : وقد قرأ عارف باشا علينا المذكرة التي ستقدم للصدر بمعرفته ، وبعد تعديل وإضافة أقرها عباس ، وهي تبتدئ بمقدمة يقول فيها إنه تلقى نتيجة مخابرات شفيق باشا بالرضى والشكران والافتخار ، وأنه كان كلف جلال الدين باشا أن يسافر إلى الآستانة لتقديم هذه المذكرة التي هي عبارة عن مقترحات لخاتمه مع بعض إضافات وتمنيات ، ولكن لما رفض جلال الدين باشا السفر اضطر سموه أن يكلف عارف باشا هذه المهمة ، وهذا هو العذر في تأخير الاجابة على المقترحات المذكورة . ومضمونها :

أولا : أن الحكومة العثمانية تعطي سموه المخصصات التي كان يتناولها من مصر طول مدة الحرب (يعني مائة ألف جنيه مصري سنوياً) وفي مؤتمر الصلح إذا كانت مصر — لا سمح الله — لا ترجع إلى حالتها الأصلية ، فالدولة تطلب من انجلترا أن تخصص لسموه أربعين ألف جنيه مصري من الخزانة المصرية ، وفي حالة عدم النجاح تتعهد الدولة بدفع ألفي جنيه مصري شهرياً لسموه ما دام حياً .

ثانياً : الضمانات على حرية إقامته وخروجه إلى البلاد المتحالفة مع الدولة أو الدول المحايدة والتأمين على حياته وإعطائه الاعتبارات الرسمية للخديوية فقد تلقاها سموه بالامتنان .

ثالثاً : أنه عند سفره إلى الآستانة ، إذا رفض البرنس عبد المنعم اتباع الخطة التي يتخذها والده فان سموه يطلب من الدولة ، في أثناء الصلح ، أن يكون ولي العهد هو البرنس عبد القادر .

رابعاً : لما كان الاتفاق الذي حصل في أوائل الحرب مع الخديو حصل باتحاد مع الدولة ودولة ألمانيا فيطلب سموه تصديق الثانية على هذه الشروط .

ثم يلي ذلك طلبات ثانوية منها دفع ديونه لغاية سفره من سويسرا (للمحامين والأطباء وغيرهم) وأن يرسل إلى سموه خطاب من الحربية بان المحروسة لا يصح استعمالها فلا تأخذها الحربية كما كانت عازمة على ذلك ، وألا يفاتح سموه في مسألة زواج بنتيه لابني السلطان . لأنه بلغه أن هناك محاولات من هذا النوع تبذل لدى حرمه في الآستانة .

وقد سافر الباشا يوم ١٨ يوليو حاملا هذه المقترحات .

رد صريح من طلعت تعززه رسالة من أنوز : وبعد هذا التاريخ لم يعد لدينا أعمال هامة فذهبت أنا لآخذ حمامات والتريض مع العائلة إلى أن كان يوم ٢٢ أغسطس فحادثنى عبد الله شديد تليفونياً وأخبرنى بحضور عارف باشا وطلب منى الحضور إلى جنيف يوم ٢٣ منه . ولما اجتمعنا قال الخديو : « إن طلعت باشا يتبع معنا خطة صريحة لاغموض فيها بعكس ماعرف عن الأتراك من المماطلات ، فقد أرسل لى جواباً يقول فيه : إنه يقبل كيت وكيت ويرفض نقطاً معينة وهى الخاصة بضمان ألمانيا فلا يقبل التدخل فى الشئون الداخلية للدولة . وكذلك نقطة تخصيص مبلغ من المال شهرى فى حالة عدم نجاح الدولة فى استرجاع مصر ، فأن هذا الكلام يثير الانتقادات ضد الصدارة الحالية فما دامت غير واثقة من نجاحها فلماذا تبقى فى مقاعدها . ومع أنى أحمد له هذه الصراحة إلا أننى أستدل من رده على أنه ليس بالرجل الذى يعرف الحل المناسب للمعضلات فأن نابليون قال بحذف كلمة مستحيل من القاموس ، ثم قال سموه : أنا معترف بصعوبة مركز الصدر فى قبول النقطتين ، ولكن النقطة المالية يمكنه أن يجد لها حلا (وكان شديد اقترح أن يضمن البنك العثمانى الألفى جنيه شهرياً فوجده سموه حلا موافقاً) .

ثم قال : « حينئذ ماذا استفدنا من الاتفاق مع الترك على هذه الصورة ؟ خصوصاً وأنهم لم يجيبونى على أى طلب من طلباتى حتى مسألة المحروسة ؟ أما الاتفاق مع الانكليز فأنه يضمن لى معيشة المستقبل ؛ فماذا ينفع أن الأتراك يعطوننى مخصصاتى مدة الحرب وبعدها لايضمنون لى شيئاً ؟ فهل فى مدة الحرب سأقتصد من المخصصات مبلغاً يكفينى لمعيشتى طول حياتى ؟ »

قلت : « حقيقة ما كنت أتصور أن الأتراك يرفضون إجابة طلب أفندينا بتخصيص ألفى جنيه من خزانة الدولة بعد الحرب ، ولكن يظهر أن هناك صعوبات وعارف باشا كررها لنا وهى (أولا) أن الاتفاق على أمر مجهول العاقبة فى المستقبل لاقيمة له (ثانياً) أن كل اتفاق مالى يلزم عرضه على مجلس النواب ولا يمكن طلعت أن يقول للمجلس : « فيما إذا لم تتمكن الدولة من إرجاع مصر لحالتها الأصلية ، فان أعضاء مجلس النواب يثورون على الحكومة ويقولون لها ولماذا دخلت الحرب ؟ . فما علينا إذن إلا أن نطلب من ألمانيا أن تكون هى الضامنة لهذا المبلغ ، وأخيراً

طلبت قراءة خطاب الصدر ، فلما تلاه عارف وجدناه يقول : « إن المخصصات الخديوية تصرف شهرياً بصفة منتظمة » (ولم يحدد مدة الدفع إلى نهاية الحرب) عندها استراح عباس نوعا ، وقد جاء فى الرد أنه تلقى خطاب سموه بالتعظيم ، وانه علم برغائب جنابه العالى التى أرسلها على يد عارف باشا وأنه جدد البحث مع زملائه فيها ويعرض أنه كما أجاب شفيق باشا بهذه الرغائب فأن الحكومة العثمانية ترى أنه من الطبيعى أن يكون لسموه الحرية التامة فى الأقامة بالاستانة والسفر منها إلى البلاد المحالفة أو المحايدة ، وأنها تصرف له المخصصات الخديوية شهرياً بانتظام وأن شئون المصريين ورجال سموه يرجع الأمر فيها إلى جنابه العالى ، وبالاختصار كل ما جاء فى مذكرة سموه ماعدا النقطتين المذكورتين ، فان الحكومة لاتجد طريقة لتطبيقهما . وأنه يلتمس تعريفه برقياً عند تشريف ركابه للاستانة .

وقد أرسل أنور باشا أيضاً خطاباً آخر لطيفاً يقول فيه : إنه متفق مع الصدر فى كل ماجاء فى جواب فخامته وأنه يرى الفائدة لسموه فى عودته إلى الآستانة ولا يلتمس من جنابه العالى إلا ثقته برجال الدولة » .

وعارف قال : « إن مجلس الوكلاء بحث فى رغائب الجناب العالى فى جلستين يوم الثلاثاء ويوم الأحد وأن الصدر هو الذى كتب بخطه الجواب على رغائب سموه وأمضاه باعتباره صدرا أعظم وناظرا للداخلية ، وقال فخامته لما سئل عن عدم التصريح ليكن بأخذ جواز سفره إنه لا يعرف الباشا من هو ، وعلى أى حال فانه صدر قرار وزارى بعدم التصريح بالذهاب لسويسره ، ولا بالأياب منها ، ويكن لم يطلب تصريحاً بالحضور إلى الأستانة باعتباره موظفاً خديوياً » .

شديد يزين للخديو جانب الانكليز وهو يرجح جانب الأتراك : وفى صباح ٢٨ أغسطس وجدت الخديو يتناقش مع شديد بك فى الموضوع والبك يقول : مادام الصدر لم يضمن لأفندينا المخصصات بعد الحرب ، وإن الطلبات التى أجاب عليها الآن ربما لا تكون لها قيمة فيما إذا تغير الصدر حينئذ لا فائدة من الاتفاق مع الأتراك بخلاف الاتفاق مع الأنجليز فان كل شىء فيه مضمون . وقد دهشت لما سمعت عباسا يجيب على هذه الملحوظات بقوة مفندا لها ومحبذا الاتفاق مع الاتراك ومع هذا قال « إن الباب مفتوح أمامى . فيمكن الاتفاق مع الانكليز كما يمكنني الانتهاء مع الدولة ، وإننى بعد كل تدبر أرى المنفعة فى الاتفاق مع الدولة

فانه يبقى لى صفة الخديوية، ويحافظ على موقفى السياسى ويضمن لى المعيشة بالراحة فى بلاد إسلامية وبين أهلى وحاشيتى؛ وأظن فى وقت الصلح لا ترفض إنجلترا تخصيص ألفى جنيه شهرياً لى».

وعلى ذلك تقرر أن يمهد للسفر وأن يكون بعد عيد الأضحى مباشرة — أى فى أوائل أكتوبر — وتقرر أن نحضر مذكرة بالمسائل اللازم تنفيذها قبل وصول الخديو إلى الأستانة مثل إبعاد الدكتور أحمد فؤاد الذى يعمل الآن فى إدارة الأمن العام بتركيا فان الصدر قال: إننا بعد تجربة أربع سنوات لا نجد لهذا الشخص أهمية مطلقاً وإننا نبعده عن الأستانة إلى أى محل يريده أفندينا

وحصل الكلام بعد ذلك فى أن تنفيذ هذه المسائل يستلزم رجلا خلاف عارف باشا ولمح الخديو مرارا إلى بدون ذكر اسمى؛ ولكنى تظاهرت بأنى لا أفهم ما يريده لأنه لا يمكننى أن أترك عائلتى وهى الآن فى معالجة من مرض».

ترتيبات السفر: عندئذ قرر أن يذهب يكن باشا باعتباره رئيساً للتشريفات الخديوية. مع عارف باشا، وأن تصدر إرادة خديوية لرمزى باشا طاهر بتعيينه سرياورا؛ وينقسم العمل إلى ثلاثة أقسام: عسكرى يشتغل به رمزى باشا والثانى يختص بجيبوقلى ويقوم به ابراهيم بك أدهم وثالث ملكى ويقوم به عارف باشا ويكن باشا يراقب. ويرجع الأخيران بعد تمام عملهما إلى سويسرة للالتحاق بالركاب الخديوى، ورمزى باشا وتوفيق بك فهمى الياور يحضران إلى فينا للالتحاق بنا أيضاً.

وقد كتبت مذكرة تتضمن (١) إرسال المال لدفع المطلوبات (٣٠٠ ألف فرنك) (٢) إرسال أوامر من الباب العالى لسفير الدولة في برن بالاستعداد للسفر مع الحاشية بصفة رسمية وبإخبار حكومة سويسرة بهذا السفر وبطلب إعطائها الأوامر فى صدد ذلك للحدود السويسرية، مع مخابرة دولتى ألمانيا والنمسا باعطاء الأوامر لسفيرهما بزيارة الخديو قبل سفره (٣) الحكومة العثمانية تتفق مع النمسا والبلغار على الترتيبات اللازمة للمرور بأرضيها ولزيارة الأمبراطور والملك وابلاغ سموه بالترتيبات المذكورة قبل قيامه (٤) إذا كان للحكومة ملحوظات على هاتين الزيارتين فتبلغها لسموه تلغرافيا (٥) تعطى الأوامر لتسهيل سفر رمزى طاهر باشا وتوفيق بك فهمى إلى فينا مع عارف باشا لانتظار وصول الخديو إليها والالتحاق بحاشيته

(٦) طلب شفره لسموه لاستعمالها عند الحاجة مع البـاب العالى كالمعتاد من قبل ، وتسلم ليكن باشا لاحضارها معه للسويسرة عند رجوعه من الاستانة (٧) المخصصات الخديوية ومرتبات الحاشية والقبوكتخدائية والمحروسة تصرف من النظارة المختصة لرئاسة الديوان الخديوى عنـد حضور سموه لتوزيعها بمعرفتـه حسب الأمر . (٨) تنفيذ وعد الصدر بابعاد أحمد فؤاد قبل سفره (٩) الترتيبات التي ستعمل للمحافظة على حياته من قبل إدارة الأمن العام أثناء وجوده بالاستانة تكون بالاتحاد مع من يخصصه سموه لذلك (١٠) الاستئذان من الصدر لمقابلة رئيس التشريفات ومدير الأمن العام وقومندانية مركز الاستانه - إذا لزم - لعمل الترتيبات والاحتياطات اللازمة لحضوره واستقباله على المحطة لزيارة السلطان .

والأوامر العسكرية تقضى بأن عارف باشا يقدم لناظر الحربية خطاباً من أفندينا رداً على جوابه وفيه يعلم سموه بأنه عين رمزى طاهر باشا سرياوراً ويعرفهما ببعضهما ورمزى باشا يطلب من أنور باشا صدور الأمر للبحرية باصلاح المحروسة والزورق البخارى الكبير واحضار مايلزم لهما من الأدوات . وبأن يمد خزان وابور الكهرباء فى جبوقلى بالزيت ويصرف الأشياء اللازمة لمطبخ جبوقلى وسراى بيك حسب وعد الناظر .

ولما علم شديد بأن من ضمن الطلبات ارسال ٣٠٠ الف فرنك لدفع المطلوبات قال : ان المبلغ لايكفى : فرد عليه سموه قائلا : لاياشديد بك . يكفى يكفى لان البنك له ٢٠٠ الف و ٢٠ الف للمحامين و ٣٠ الف للمشتريات اللازمة لبيك وجبوقلى — ويبقى ٥٠ الفا . ففهمت من ذلك أن السلفة التى عقـدها مع البنك هى مائتا ألف فقط ، ولما خلوت بشديد عرفت الحقيقة وهى أن السلفة تعطى على أقساط شهرية ولهذا يقول الخديو : إنه بقى له لآخر الشهر مبلغ كذا . وعلمت أن السلفـة عملت من شهرين وعلى هذا فان الذى سيدفع للبنك ليس ٢٠٠ ألف فرنك بل المبلغ الذى سحب منه فى مدة الشهرين الماضيين والشهر الآتى أى لغاية السفر .

ومما سمعته من عارف أن أنور باشا يقول : إن الخديو عندنا الان - وفيما بعد — خديو ، ومن الدين علينا له أن نقوم بمعيشته لآخر حياته وأن الآلاف الجنيه التى يطلبها سموه قليلة بالنسبة له . وإن كل ما يلزم لمطابخ بيك وجبوقلى نعطيها من الحربيـة بالأثمان التى نعطى بها سراى السلطان وأعضاء العائلة الملكية ، يعنى بأثمان قليلة جداً فمثلا أقة السكر بثمانية قروش بدلا من مائة وعشرين قرشاً

وفى يوم ٢٧ أغسطس أرسل الخديو برقية للاستانة بعزمه على السفر، وإرسال عارف باشا ويكن باشا لعمل الاستعدادات اللازمة .

اختيار بعض المصريين لمرافقة الخديو بالآستانة : وفى يوم ٧ سبتمبر اجتمعت أنا وشديد بك والدكتور سيد كامل عند الخديو ، وتحادثنا فى الأشخاص الذين سيصحبهم الاستانة غير الحاشية الرسمية ؛ فسردنا أسماء المصريين فى جنيف ولوزان وزوريخ ؛ ثم نظرنا فى حالة كل منهم ؛ وقررنا بادىء الأمر عدم أخذ الطلبة ولا الذين جاهروا بالعداوة مثل محمد فريد بك ، وتقرر أن كل واحد منا (أى شديد وسيد كامل وأنا) يبلغ بعض المنتخبين بسفر الجناب العالى ؛ وأنهم إذا أرادوا التماس سفرهم فى معيته فاننا نبلغ التماسهم . وكان فى الكشف ٣٤ اسما ، فانتخب منهم ١٤ هم : اسماعيل لبيب ، على الشمسى، أحمد بك فريد (ورؤى تعيينه تشرفاتيا خديويا) والدكتور زاهر ، والأستاذ فهمى (وتقرر تعيينه فى جنيف لمراقبة الصحافة وما يكتب فيها بخصوصنا نظير راتب نرسله له) والاثنان الأولان يخبرهما شديد بك والدكتور سيد كامل ، والثلاثة الآخرون أخبرهم أنا وأن أكلف الأستاذ فهمى بأن يستطلع رغبة



أحمد فريد بك

كل من عثمان أفندى الديب ومدكور وصفر (إذا كانوا أمضوا الامتحان) أما الشيخ عبد الحميد فانى أستفهم من البرنس إبراهيم حلمى عما إذا كان يريده عنده لغاية رجوعه إلى الآستانة فيبقى ، ويأتى معه ؛ وإلا فنأخذه فى المعية ، واستجلاب مصرى اسمه صالح يستخدمه الانجليز فى سويسرة للاستفادة من ذكائه واقتداره فى مصلحتنا بالآستانة ، وآخر اسمه نجيب ندخله فى مدرسة الطب بالاستانة ليختلط بالطلبة المصريين ويعرف نواياهم . وكذلك تقرر أن يرافقنا منصور أفندى القاضى

الذى كان يصدر جريدة النيل بلوزان ، وهو رئيس الجمعية المصرية وجمعية الرابطة الاسلامية ، وقد عين رئيساً للمخابرات بالخاصة(١).

عودة الخديو لوستانة : وافق رجال الحكومة التركية على جميع الترتيبات التى اقترحها الخديو للسفر ، وزادوا فى التسهيلات أن وضعوا سفير الدولة فى سويسرة تحت تصرفه لتسهيل كل ما قد يعترضه من العقبات ؛ وصرح طلعت باشا بأن للخديو أن يستصحب من يشاء وعندئذ أخذنا فى الاستعدادات النهائية فأشرت فى يوم أول اكتوبر على جوازات السفر من قنصلية الدولة وقنصلية النمسا لى وللمسافرين معنا ، وبينهم ثلاثة من السويسريين : أحدهم بوظيفة سكرتير ، والثانى مهندس معمارى ، والثالث مهندس حدائق ؛ وتقرر أن يكون السفر لزوريخ يوم ٤ أكتوبر . وفى هذا اليوم ودعت حريمى وأولادى وغادرت جنيف ظهراً .

السفر : وفى يوم ٥ اكتوبر كان جميع المسافرين فى محطة زوريخ . فركبنا القطار الخصوصى ، وهو مركب من عربتين للنوم وعربة متاع ، وكان على المحطة للوداع دولة البرنس محمد على ، وسكرتيره ، ونجلا الخديو البرنسان عبد المنعم وعبد القادر ، وسفير الدولة ومندوب من الحكومة السويسرية ، ونشأت باشا الألبانى وأخوه ثريا بك وعبد الله البشرى (الذى رجا الخديو أن يتأخر شهراً ليطمئن على أحوال عائلته فى مصر بعد وفاة والده) ورشيد بك أحد الأتراك ممن لهم علاقة قديمة بالخديو ، وهو من « جماعة تركيا الفتاة » وكان مدة الحرب يقيم فى جنيف . وشديد بك . وركب معنا بعض المودعين إلى الحدود السويسرية . ولم يفتش متاعنا عند هذه الحدود . وفى محطة « فلدكرش » النمساوية أضيفت للقطار عربة طعام وتناولنا الغداء الفاخر على حساب الدولة التركية كبقية نفقاتنا فى السفر .

الوصول إلى فينا : وفى صباح يوم ٦ وصلنا إلى فينا فوجدنا فى استقبالنا ضابطاً ورجلا ملكياً ، والدكتور أمستر ، ورجال السفارة العثمانية بدون السفير حسين حلمى باشا ، الذى أرسل سيارته ليركب فيها الخديو ، فقصدنا فندق أمبريال .

زيارة امبراطور النمسا : وبعد الاستراحة قدم السفير للزيارة ، ثم ركب مع سموه إلى قصر الأمبراطور الذى يبعد عن فينا قليلا لاجابة دعوته للغداء .

---

(١) وقد بقى بالاستانة حتى الهدنة فعاد إلى السويسرة .

وبعد العودة علمت أن سموه جلس على يمين الامبراطورة، وجلس الامبراطور على يسارها، وان الامبراطور سأله: هل تأتيه أخبار من مصر؟ فلم يقو على إجابته بأن الأخبار منقطعة بينه وبينها، وأجاب «نعم» !

حادث مكدر: ثم غادرنا فينا في المساء، وما كاد القطار يبرحها حتى وقعت حادثة مكدرة ذلك أن إحدى نوافذه أصيبت بمقذوف نارى كسر زجاجها، ولما وصل إلى مدينة صوفيا قدم سكرتير الملك، وأبدى لسموه الأسف على غيابه عن المدينة، وكذلك استقبله سفير الدولة ورجال السفارة.

ومن بليجراد كانت قد أضيفت عربة حربية بها ضابط ألمانى، وقوة معه الاستعدادات التامة للمحافظة على القطار.

وفى يوم ٨ وصلنا الى لولى بوغاز، فوجدنا مفتش الحدود العثمانية واصف بك وزميله فى انتظارنا، لمرافقتنا الى الآستانة. وركبا هما واثنان من الجند معنا.

الوصول إلى الآستانة: وكان القطار قد تأخر عن ميعاده فى بلاد البلقان نظرا لسقوط قاطرة على الخط فانتظرنا ساعتين حتى أخلى الطريق؛ ولكن عوض المسافة في بلاد البلغار وجزء في أراضى الدولة بحيث بلغنا الآستانة فى الميعاد المضروب وهو الساعة الثانية بعد الظهر؛ وقد كان فى بعض المحطات الكبيرة بضعة عساكر لتأدية السلام.

وكان فى انتظارنا على محطة سركه جى رئيس المرافقين، والأمين الأول لجلالة السلطان، ومستشار الصدر بالنيابة عن الصدر، ومستشار الحربية بالنيابة عن أنور باشا، ومدحت شكرى كاتم أسرار جمعية الاتحاد والترقى بالنيابة عنها، وفصيلة من الجند ومعها الموسيقى التى عزفت عند وصولنا، ثم ضباط المحروسة وعلى رأسهم الميرالاى ابراهيم أدهم بك، وانضم اليهم توفيق بك القائم مقام المرافق الذى كان قد حضر الى فينا مع السرياور رمزى طاهر باشا، وفصيلة من بحرية المحروسة، ثم بعض المحبين، ومن بينهم عزت باشا زوج فائقه هانم افندى.

ونزل الخديو من القطار، فسلم على المندوبين أولا؛ ثم استعرض فصيلة المعسكر الشاهانية، وأثنى على قائدها؛ ثم سلم على باقى الحاضرين في المحطة الا عزت باشا فانه أشار اليه بيده من بعيد، فتأثر، ولما رآنى شكا لى من هذه المعاملة، وقال: انه لا يعلم السبب لهذا الأغضاء.

مقابلة السلطان : ثم ركب الخديو سيارته ومعه مندوبو السلطان ورمزى طاهر باشا ؛ وركبت أنا وعارف ويكن فى سيارة أخرى تابعة للحربية ؛ وتوجهنا إلى سراى يلدز ، وقابل السلطان محمد رشاد[1] منفرداً ؛ ثم رجعنا إلى بيك بدون المندوبين .

الخديو يستخف بجلالته : ولما عاد الخديو أبدى لنا استخفافه بالسلطان الذى حادثه فى تغيير « بوابة » سراى ضولمه باغجه .

وكذلك علم من جلالته أن امبراطور ألمانيا طلب أن يرى السلطان عبدالحميد؛ فبهذه المناسبة قال : « إنه يحب شقيقه وإنه يراعيه ولا يريد ضرره» فقال الخديو : « كان كلامه مثل الصغير الذى يحس بذنبه فيبتدىء بتبرئة ساحته قبل أن يسأل عنه ! »

ومما دار الحديث فيه مسألة ثورة الشريف حسين في مكة ؛ ولما أراد الخديو أن يقول : « ربما كان للشريف عذر» نفى السلطان ذلك بشدة .

زيارة الصدر للخديو : وفى يوم ٩ منه زار الخديو الصدر فى منزله ، فأخبره بأن امبراطور ألمانيا سيحضر لزيارة السلطان ، وأن سموه سيدعى للمأدبة التى ستقام لجلالته ، ولمح بأن سيكون من بين المدعوين البرنس سعيد حليم ، وسأل سموه عما إذا كان سيخاطب البرنس؟ فأجابه بأنه لا يود الحديث فى الشخصيات ، وأظهر عدم استعداده لمخاطبته قائلا : « إن المائدة كبيرة فليس هناك ما يدعو للتقربه » .

وروى لى سموه أيضا أن الصدر قال له :إن وجوده الآن فى الاستانة معهم سيفيد الحكومة العثمانية من خبرته ومعلوماته ، فأجابه بأنه مستعد لأية خدمة عامة وإنما لا يحب أن يتدخل فى مسائل شخصية

قال الخديو : «ولو ضممنا ماقاله السلطان عن الشريف ، وماقاله له الصدر تبين ان الاتراك سيطلبون منى أن أساعدهم فى المسألة العربية ، وقد رأيت من الصدر صراحة عجيبة »

زيارة ولى العهد : وبعد الظهر زار الخديو الأمير وحيد الدين ولى عهد السلطنة العثمانية

وفى يوم ١٠ زار شيخ الاسلام فى مركز المشيخة ، وبعد الظهر زار الأمير

---

(١) صورج ٢ ق ٢ ص ١٨٣

عبد المجيد في جاملجة؛ وهو الأمير الذي يأتي بعد ولي العهد وبينه وبين الخديو مودة خصوصية

الحفاوة بالخديو: وقد لاحظت من يوم حضورنا إلى الاستانة أن المحبين هرعوا إلى بيك للسلام؛ وفي هذا اليوم حضر الصدر ورد الزيارة لسموه؛ وفي أثناء الحديث عرضت مسائل شخصية، فتنحى الصدر عن الدخول في الموضوع بناء على ما رآه من رغبة الخديو وكان سموه يريد أن يوفدني له كانني ذاهب



الأمير وحيد الدين

من تلقاء نفسي لزيارة خصوصية ولأعلمه بارتياحه لما رآه من الحفاوة، وأضيف إلى ذلك تحذير الصدر من الدخول في مسائل سموه الشخصية، ولكن بعد زيارة اليوم والحديث الذي حصل كلفني أن أبلغه بأنه يقدر سياسته التي يلتزم فيها اجتناب الحديث في المسائل الشخصية حق قدرها، وروى لي أنه عرف من الصدر رغبته في ارجاع الاتراك المخالفين للاتحاديين إلى الأستانة بأية وسيلة كانت، والغرض من ذلك ألا يسمع لهم صوت معارض عند المناقشة في الصلح، ولهذا لما كلمه سموه في دخول نشأت باشا الأستانة: قال «إنه لا يرى مانعا من ذلك» وحضر أنور باشا وشيخ الاسلام للزيارة

أسف الامبراطور على الحادث المكدر: وفي هذا اليوم ورد من سفير النمسا

خطاب يقول فيه بورود برقية من سكرتير امبراطور النمسا يعرب فيها عن أسف جلالته والملكة لحادث كسر الشباك بديوان سموه في القطار المخصوص، وأنه تحقق بأن ولدين صغيرين كانا يقذفان الحجارة على القطار عمرهما ٧ و٨ سنوات.

وقد أرسلني سموه الى سفير النمسا لأعرب له عن شكره لاهتمام الامبراطور والامبراطورة بارسال البرقية، وأن أرجو رفع هذا الشكر لجلالتهما؛ ثم لمحت في كلامي الى انتظار الخديو لزيارة التراجمة حتى يحضر هو ويؤدي الزيارة للسفراء

فأفهمنى أن الحكومة العثمانية أظهرت رغبتها فى عدم استخدام التراجمة فى الأعمال الرسمية ، لأنها عادة قديمة كانت متبعة عند وجود الامتيازات ، فألغيت بألغائها. وقد حضر ناظر الخارجية فى بيك ، فكلمه عارف باشا فيما يلزم اجراؤه ، فقال : «انه سيخاطب سفير النمسا وهو أقدم السفراء ويفيدنا بما يتقرر .

عباس وامبراطور ألمانيا بالاستانة : فى يوم ١٤ أكتوبر وردت مكاتبة من الصدارة بها دعوة للجناب الخديوى للحضور الى محطة سركه جى يوم ١٥ منه فى الساعة الحادية عشرة ليكون مع جلالة السلطان فى استقبال امبراطور ألمانيا ؛ وفى هذا اليوم أخذ سموه معه رمزى باشا طاهر وتوفيق بك فهمى الى المحطة ، وكانوا جميعاً يرتدون كساوى التشريفات الكبرى ، وكان الترتيب كما يأتى : السلطان وولى العهد وباقى الأمراء، وبعدهم الصدر، ثم الخديو، ثم شيخ الاسلام والوزراء .

وقد لاحظ سموه فى تأثر أن يكون ترتيبه بعد الأمراء ، فكأنهم رجعوا إلى ترتيب صدارة سعيد باشا الاخير الذى كان يصمم على أن يكون ترتيبه قبل سموه وتساءل عما إذا كان هذا قدحدث عفواً؛ ولكنه استدرك بأن الصدر أخذ موقفه بشكل يدل على أنه يعرف هذا الترتيب من قبل . فقلت : « لعله عمل ذلك ليرى الامبراطور أن مقامه أعلى من مقام الخديو » فقال عارف : « ومن جهة أخرى يفهمونه أن مسألة مصر داخلية » وشاركه الخديو فى الرأى . ثم قال :

« ولما سلم الامبراطور على من كان قبلى سلم على وحادثنى بالألمانية قائلا : «لقد مرت مدة طويلة لم نتقابل فيها ، وابيض شعرو أسينا .فأجبته : « إنى وإن كنت لم أحظ بمشاهدة جلالتكم فأنى رأيت أولادكم عندى فى مصر » فقال : « أنا آسف لما فاتنى من زيارتها، وأولادى، كان حظهم أوفر برؤيتها » . يعنى أن الامبراطور عنى به أكثر من الآخرين .

وقد جمعنى سموه مع عارف وقال : « إن الأتراك لم يعلمونى هل المطلوب منى زيارة الامبراطور ؟ مع أن ذلك من الواجب على ؛ ثم يلزم أن أعرف من الآن موقفى فى المأدبة التى ستقام »

وتقرر ذهاب عارف باشا إلى دائرة التشريفات للاستعلام ، بينما الخديو ونور الدين يمران على سفارة العجم، وعلى بعض النظار الذين حضروا للزيارة، لترك بطاقات لهم .

وكان رد التشريفات : انه حددت الساعة السادسة إلا ربعاً لزيارة الخديو للامبراطور ، فتعجبنا لإهمال التشريفات إلى هذا الحد ؛ فلو لم نسأل ما ذهب الخديو ، وعد ذلك منه تقصيرا .

أما ما يختص بترتيب سموه فأخبرنا أن أمين السلطان وممدوح بك التشريفاتى وواحداً من الحربية سيجتمعون فى السراى للاتفاق على هذه المراسم ، فتقرر مقابلة ممدوح بك ولفت نظره إلى ترتيب الخديو على المائدة ، ولفت نظر الصدر كذلك ولمعرفة ما تقرر .

وقد ذهب عارف إلى سفارة العجم فقابل الخديو وأخبره بما عمله ، ثم عادا فلبس كسوته العسكرية حسب أمر التشريفات ، وذهب مع توفيق بك إلى يلديزفى الميعاد المحدد ، فوجد الصدر والوكلاء يلبسون « الردنجوت » فقال له الخديو : « إننى لم أكن أعلم بالزيارة إلا بعد ان أرسلت للتشريفات مستفهما ؛ وهاهم أولاء قد ألبسونى الكسوة العسكرية ، وأنتم جميعا بالردنجوت ، مع أننى كنت قبلها لابسا مثلكم ! » فأجابه طلعت : « ولكنك عسكرى »

وكان الترتيب : أن يبتدىء ولى العهد بالزيارة ، ثم الخديو ، ثم النظار ، وبين كل زيارة وأخرى ربع ساعة . فلما خرج ولى العهد نودى على الخديو فدخل . ومكث مع الامبراطور عشرين دقيقة ، ولولا أن الضابط نبه جلالته إلى فوات الوقت لاستمر فى محادثته

رأى الامبراطور فى الانجليز والاتراك : وقد انحى الامبراطور إنحاء شديداً على الانجليز ، وانتقد الملك انتقاداً مراً ، واعتبره عديم القيمة . قال : « وإننى عالم بما تالك أنت منهم » ثم أضاف : « وماذا تقول فى صاحبك الذى ذهب مع همشير (اسم الوابور الحربى) — وأشار بأصبعه — فى مقر البحار ؟ فذهب كتشنر حيث لا يرجع » ثم قال : — أى الامبراطور — « إنه محب للاسلام ، وأنه من تاريخ زيارته الأولى عزم على مساعدته ، والمسلمون عندهم القرآن ، وهو قانون عظيم جدا لو اتبعوا مافيه لافلحوا . ولكن بكل أسف أرى أنهم يهملون قواعده . فكيف يترك الأتراك أراضيهم بدون زرع ؟ أما أنت فاننى أعرف بأنك مزارع كبير واشتغلت كثيرا بالفلاحة » فأجابه الخديو نعم « أنا فلاح » قال : « ويلزم أن يشكل الاتراك إدارة

طيبة ، فيقيموا العدل فى المحاكم ، ويستغلوا اراضيهم ، وينظموا ماليتهم ، ويخلعوا عنهم رداء الكسل حتى تتوفر الثقة الأوربية بهم .

قال الخديو : « ومن ذلك علمت أن زيارة الامبراطور ليست زيارة ودية ، بل زيارة عمل، وأساسها الكلام مع الاتراك فى مسألة إلغاء الامتيازات. فكأنه سيقول لهم : «إنكم تطلبون هذا الالغاء ، ولكن ماذا فعلتم لاجتذاب ثقة أوروبة نحوكم ؟ » ثم يفهمهم أن المانيا ضمنتهم فى مبالغ كثيرة فماذا صنعوا لتحسين ماليتهم حتى يمكنهم فيما بعد سداد الاقساط ؟ »

أما أنا فاعتقدت أن الغاية من هذه الزيارة هى التدخل فى شئون الدولة الداخلية بحجة الاصلاح ، وتعيين ألمانيين فى الادارات .

وقال الخديو : « إنه وجد الامبراطور موفور الصحة ، ولا يظهر عليه التعب ولا القلق، بخلاف امبراطور النمسا الذى هو شاب لطيف الخلقة ، إلا أنه يظهر عليه الاجهاد »

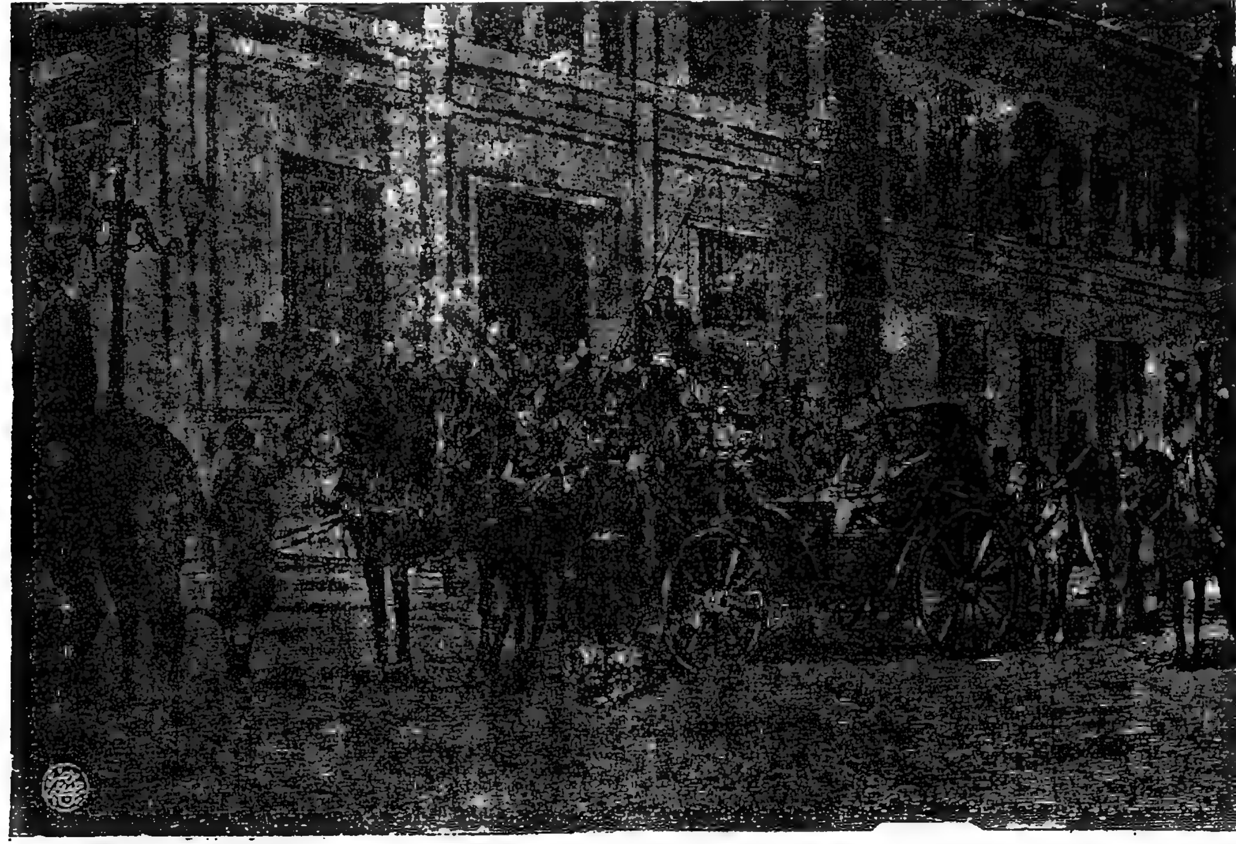
وقد سأل عارف عما اذا كان الامبراطور قال شيئا بخصوص الحرب ، أو انه قال على العموم : « إن النصر فى جانبه » فأجاب سموه بأن الامبراطور لم يفاتحه فى مسألة مصر على الاطلاق . وذلك طبعا لأن الاتراك أفهموه أنها مسألة داخلية ولكن الحقيقة أنها مسألة دولية .

ومن المحتمل أن سموه لمح لجلالتـه بأنه اعتماداً على ما أظهره طلعت باشا من حسن السياسة معه قبل الرجوع للاستانة ؛ ولكنه لم يصرح لنا تماما بذلك بل لمح تلميحاً خفيفاً .

قلت: « ياحبذا لو دعا الامبراطور افندينا لزيارته، ورافقه فى الجهات العسكرية فانه يتمكن من الكلام الطويل معه في مسائلنا » فقال: « نعم يكون حسنا » .

وفى يوم ١٧ منه ذهب عارف ويكن إلى التشريفات للاستفهام عن مكان سمو الخديو فى المأدبة الرسمية التى ستقام فى السراى للامبراطور . ولما حضرا علمنا أن السلطان سيجلس فى الصدر، وعلى يمينه الامبراطور، وأمامهما ولى العهد ومجيد افندى وعلى يمين الامبراطور حقى باشا سفير الدولة فى برلين ، ومن بعده ناظر خارجية المانيا ، وبجانبه سمو الخديو . وفى المساء وردت دعوة رسمية لحضور المأدبة

عباس يشكو من معاملة ناظر الخارجية الالمانية : وقد سافر الامبراطور مساء



امبراطور المانيا خارجا من سراى يلدز

يوم ١٨ منه وكان الخديو بين المودعين لجلالته على المحطة ، ولما عاد من وداعه وجدته ممتعضاً من ناظر خارجية المانيا لأنه لم يتحادث معه فى شأن ما من الشئون السياسية ، مع كثرة التقارير التى أرسلها له بواسطة موسيو پادل ، وموسيو لندمان (تاجر الاقطان بمصر) والبارون رشتهوفن

ولكنه كان مسروراً من حفاوة الامبراطور به لأنه عند الانصراف من المائدة تحادث معه فى أنه مضى وقت طويل ولم يتقابلا ، وختم كلامه معه بقوله : « ولا تطول مدة البعاد كما سبق »

ولكن هذه الحالة من ناظر الخارجية الالمانية جعلت الخديو يتخوف من أن يكون هناك اتفاق بين الاتراك والالمان على هضم الامتيازات المصرية بعد الحرب

مرتبات المصريين : كان من ضمن الاتفاقات بيننا وبين الصدر وأنور قبل عودة الخديو أن تصرف الدولة مرتبات المصريين الذين يرافقون الخديو وقد كلفنى وضع ميزانية بهذه المرتبات ، وكذلك وضعنا ميزانية للمخصصات الخديوية والجيوقلى والمحروسة .

وفى يوم ٢١ اكتوبر قابلت أنور باشا ، وطلبت منه أن يأمر بارسال جميع المخصصات والمرتبات إلى البنك الذى يختاره ، ليتولى الديوان الخديوى توزيعها بمعرفته وسألته عن الاجراءات الواجب اتباعها ، وهل ترسل الكشوف للصدارة أو للحربية مباشرة ؟

فقال : « أما المخصصات فامرها معلوم ، والمرتبات التى كانت تصرف من قبل سيستمر صرفها . وأما مرتبات من حضر مع الجناب الخديوى فترسل ونحن نأمر بصرف الجميع » فشكرته وخرجت .

وقد أمر الخديو أن أتطى أنا وظيفة ناظر الديوان الخديوى ، وعارف رئيس الديوان التركى ، ويكن باشا رئيس التشريفات[1] وقرر مرتبا لكل منا قدره ١٧٥ جنيها تركيا ، وكان قد عزم على جعله ١٤٢ جنيها فقط ؛ فأبنت له أن هذا المبلغ لا يكفى وأنه يحسن أن يكون ١٥٠ جنيها فرفعه هو إلى ١٧٥ جنيها وسوانى بالرئيسين الآخرين وقد بلغت الزيادة فى المرتبات الجديدة ٢٣٥ جنيها تركيا ؛ لأن مرتباتنا نحن وأن كانت قد قطعت عند وجودنا بالسويسرة إلا أنها كانت محسوبة ضمن المرتبات القديمة . وقد رفعت لسمو الخديو الثبت الآتى :

(١) وكان قد عاد للاتصال بالخديو بعد ماعطله القارىء سنة ١٩١٦

الديوان الخديوى مقارنة بين المبالغ التى تقررت الآن والمبالغ التى كانت تصرف

	الآن قرش	الآن جنيه	قبلا قرش	قبلا جنيه
أحمد شفيق	٠٠	١٧٥	٠٠	٠٠
عارف باشا	٠٠	١٧٥	٤٥	١٤٢
يكن باشا	٠٠	١٧٥	٠٠	٠٠
رمزى باشا	٠٠	١٧٥	٤٥	١٤٢
ابراهيم أدهم بك	٧٦	٥٨	٧٦	٥٨
توفيق بك	١٩	٥١	١٩	٥١
الحاج محمد افندى	١٠	١٦	١٠	١٦
احمد فريد بك	٠٠	٦٥	٠٠	٠٠
منصور افندى القاضى	٠٠	٤٠	٠٠	٠٠
مأمون نجيب	٠٠	٢٠	٠٠	٠٠
ميشيل دهان	٠٠	٢٠	٠٠	٠٠
نور الدين افندى	٠٠	٤٠	٠٠	٠٠
احسان افندى	٠٠	٠٠	٧٨	٢٢
المجموع	٠٥	٦١١	٧٣	٢٣٣
ما كان يصرف قبلا	٧٣	٢٣٣		
الزيادة	٣٢	٣٧٧		
تنزيل نقص فى القبوكتخدائية	٥٠	١٤١		
الزيادة الحقيقية	٨٢	٢٣٥	فى الشهر	

القبوكتخدائية	الآن	قبلا
جلال الدين باشا	٠٠	١٥٠
عبد العزيز افندى	٠٠	٢٠
عبد السلام افندى	٢٠	٦½
وصفى افندى	١٤	١٤
عمر عادل افندى	١٥	٠٠
	٤٩	١٩٠½

	قرش	جنيه
مجموع ما كان يصرف	٥٠	١٩٠
الذى سيصرف الآن	٠٠	٤٩
النقص	٥٠	١٤١

وذكرت في نهايته ملاحظة وهى « إن استصوب أفندينا يقال في الجواب : إن هذا الثبت يحتوى أسماء المأمورين في الديوان الخديوى وفى القبوكتخدائية (الان) حتى يكون الباب مفتوحا لتعيين طبيب أو خلافه، وقد أضيف فيما بعد اسم الدكتور امستر السكرتير بمرتب ٧٥ جنيهاً

إهداء نياشين من الخديو : رغب الخديو في أن يستخدم حقه في إعطاء النياشين إظهاراً لسلطته بين المصريين ولدى الأتراك كذلك بعد أن عاد إلى الاستانة متمتعاً بجميع حقوقه؛ وقد طلب منى أن أكتب إلى الصدارة بطلب بعض النياشين طبقاً للامتيازات الخديوية، فلاحظ عارف باشا أنه ربما اعترضت الحكومة على ذلك، وطلبت معرفة أسماء من سيمنحون هذه النيشانات، فأجاب : هذه ليست للأجانب بل نقول : إننا سنوزعها على رجال المعية. وحرر الطلب فعلا ومعه ثبت بعدد النياشين من كل نوع.

وقد ورد الرد بالموافقة ومعه النياشين فوزعها سموه كالآتى

البرنس عبد المنعم	:	المجيدى الأول
عارف باشا رئيس الديوان التركى	:	العثمانى الثانى
رمزى باشا طاهر السرياور	:	المجيدى الثانى
عبد الحميد بك شديد	:	» »
ابراهيم بك أدهم ميرالاى	:	العثمانى الثالث
توفيق فهمى بك قائمقام	:	المجيدى »
احمد نور الدين افندى معاون	:	العثمانى »
حسين وصفى كاتب بالقبوكتخدائية	:	المجيدى الرابع
الحاج محمد افندى ضابط أركان حرب	:	العثمانى »
منصور افندى القاضى	:	المجيدى »
الدكتور سيد كامل	:	» »
إسلام قبودان	:	المجيدى الخامس

كيف تلقى الخديو خبر وفاة السلطان حسين وتولية السلطان فؤاد : فى يوم ١٢ اكتوبر وردت لنا الأخبار بوفاة السلطان حسين كامل ، وتعيين السلطان فؤاد ، فقال الخديو : « أنا مسرور بما حدث . لأن أولادى يعرفون الآن أن انجلترا لا تعاضدهم ولا تفكر فيهم » . ثم استطرد فى أحاديث من هذا القبيل .

وقد وردت من شديد برقية بان الذى خلف السلطان حسيناً هو نجله البرنس كمال الدين . وذلك أنه عرض عليه العرش فرفضه ، ولهذا عين البرنس فؤاد .

بينى وبين عباس : كان إسماعيل حق باشا « مدير اللوازم » فى نظارة الحربية قد وعد بشراء أحراج « الجفلك » الجديد الذى يملكه الخديو بمقدار مائتى ألف جنيه ، فسر بهذه الصفقة ، ولكن المدير عاد فرأى أن الحرج لا يساوى هذا المبلغ وعرض مائة ألف فقط ، فغضب الخديو لذلك . وفى أثناء مناقشات فى الموضوع يوم ٢٢ اكتوبر أبديت رأيى بأنه إذا حصلنا على مبلغ ١٥٠ ألف جنيه فاننا نقبل خصوصاً وأن إسماعيل حق صرح بأن هـــذه الأحراج ستباع للفقراء بالاستانة بأثمان رخيصة ؛ واقترح أن ينوه بأن ذلك بناء على رغبة الخديو لينال من الشعب الرضاء والدعاء ؛ وعندئذ ثار الخديو وفاه بكلام عددته جارحا لى لأن فحواه أننا نفرط فى ماله ، ولكن ما يخصنا نحن نتشدد فيه . وقد تألمت لهذا الكلام لأنه دليل على أنه يعتقد أننا نخدمه لأجل النقود وليس لاخلاصنا له ؛ وفهمت أنه سيستمر على جرح إحساسى كما كان فى سويسرة ، وأنا مزاراً كنت أنوى الانفصال عنه ولكنى كنت بعد التدبر أعود فاقول : «إنه معذور لما هو فيه من الضيق المالى» . فاصبر على قوله فى بعض الأوقات : « كل ساعة يلزمنا طبيخ ، يلزمنا فلوس . أنا أصرف عليهم بدون ثمرة ! لماذا أعطيهم نقوداً ؟ هل أنا مجبر على ذلك ؟ » وهكذا من الكلام المؤلم للنفوس .

ولكن بعد رجوعه إلى الاستانة وبعد أن صارت معيشته مضمونة ، والحكومة — العثمانية هى التى تصرف مرتبات حاشيته ، فلا يصح أن يجرح إحساس الصغير قبل الكبير . فبعد أن ترددت دقيقة فيما أفعله دفعنى إحساسى إلى القيام من حضرته بدون استئذان ، وبحالة غضب أمام ماهر افندى المحامى وإبراهيم بك أدهم ، ونزلت إلى غرفتى ، فأخذت القلم وأصابعى ترتجف ، وكتبت ورقة طلبت فيها منه إقالتى

ورجوته أن يقبلها . ومما دونته فيها : «إننى ما أبديت رأيى فى مسألة الخرج إلا حفظاً لشرف سموه ومنفعته الشخصية ، وما كنت أتوقع أن يعنفنى أمام رجل غريب ، لهذا أرفع استقالتى وأرجو قبولها » . ودعوت له فى ختامها بالتوفيق فى جميع أعماله .

ولم أذهب لتناول الطعام فى الغداء بحجة الصداع ، ولا لتشييعه للزورق البخارى عند مبارحته لبيك ، وقد حضر لمقابلتى مظهر بك فكنت أكلمه بصعوبة حتى كان ينقطع الكلام مدة ، فى خــــلالها أفكر فيما حصل ، فيشق على الأمر ، وأقول بنفسى : « ما هذه المعاملة بعد أن خدمته الخدمة الصادقة ، فهلا يحترم سنى ، وهلا يقدر إخلاصى ؟ » .

أما عريضــة الاستقالة فبعد أن كتبتها سلمتها للحاج محمد افندى أحــمد الضابط لتوصيلها إلى إبراهيم بك أدهم ، وكتبت له كلمــة أقول فيهــا : « إنه بالنظر للاهانة التى رأيتها أمامه من أفندينا فانى رفعت استقالتى فى العريضة التى أرسلها مع الحاج محمد أفندى » ورجوته أن يقدمها .

وقد أدرك يكن باشا كدرى ، فألح على أن أعرفه بما جرى ، فأخبرته بأنى سمعت ما أكره من أفنـــدينا لأجل إبداء رأيى فى مبيع الحرج ، ولم أعلمه بالتفصيلات ولا بالاستقالة .

ويوم ٢٣ قابلت يكن باشا مساء وكان قد حضر إلى بيك من جبوقلى بناء على استدعاء الخديو له ؛ فأخبرنى أنه رافقه فى زيارة القصر ومحلات الكهرباء والمطبخ وغير ذلك ؛ وفى أثنائها كلمه فى مسألتى ، وادعى أننى أردت أن أؤثر عليــه فى زيادة المرتبات ، قال يكن : « ولكنى قلت له : إن الباشا لعلمه بأحوال المعيشة رغب فى عرضها على الأعتاب ، ولا أظن أنه أراد إجبار أفندينا على شىء » . فقال : « إنما لما سألنى شفيق عن مرتبه ، وأجبته بأنه مثل باقى الرؤساء لم يقل شيئاً فوضع الرقم أمام اسمه بدون ملاحظة منه » . وتكلم كثيراً حول نقطة واحدة أنه لا يقبل أن يؤثر عليه شخص ما ؛ ثم قال : « وأنا بقولى لشفيق : إننى فى الوقت الحاضر لا يمكننى أن أفرط فى مبلغ ٥٠ ألف جنيه من ثمن الحرج ، وقولى : هل تتنازلون أنتم عن جزء من مرتباتكم ؟ لا أقصد إهانة ، بل أريد أن أقول : إن الوقت لا يسمح بذلك » .

قال يكن : « وعرفنى سموه برفع استقالتك ولكن ياباشا كيف تتركنا ؟ » قلت له : «إن الخديو تعود أن يقول عنا : إننا أشخاص لايهمنا إلا الطعام أو النقود، وكنت

أسمع ذلك في سويسرة وأتكدر منه كثيراً ، وهممت أن أرفع استقالتي جملة مرات، إنما كنت أرجع لأنني أقول في نفسي: إنه في ضيق وفي بلاد أجنبية وخالي اليد وأعصابه متهيجة سواء من خلو يده أو من الأحوال السياسية ، ولكن الآن رجع إلى مركزه واطمأن على معيشته وعلى منصبه الرسمي ، فلا يصح أن يكرر ما كان يقوله . ولا يليق به أن يلقي الكلام بدون حساب . وسموه مخطىء إذا كان يظن أننا نخدمه لأجل المال ، فهو تحت أقدامي ، ولو كنت ممن يعبدون المال لكانت ثروتي كبيرة، ولكني مخلص ومحاط بمخلصين، فأنت الذي تنفق على عائلتك في الشهر ثلثمائة جنيه أظنك ماجئت طامعاً في المرتب الذي قرره لك ، ولهذا لاأطيق الآن وهو في مركزه القوي أن يمس إحساساتنا بكلام جارح، وإذا كنت أضحي بمركزي صوناً لشعوري فأنني في الوقت نفسه أدافع عن أشخاصكم أنتم ، وإنني بصفتي رئيساً يجب على أن أفعل ذلك، وإلا فلو تركت هذه الفرصة دون أن أعرف الخديو بأننا لسنا عبيداً بل أناساً يحافظون على كرامتهم، فماذا كنتم تفعلون أنتم ؟ فالذي فعلته هو درس لسموه ليعاملنا المعاملة الطيبة، ويترك عادة التقريع والتكدير بدون حق وخصوصاً أمام أشخاص ليسوا منا ، فلما سمع مني يكن باشا كل ذلك قال : « يا باشا لك كل الحق » ثم رجاني أن لاأروي عنه شيئاً بخصوص هذه المسألة، لأنه لم يكلف من قبل الخديو بأمر ما، وإنما رغب فقط أن يعلمني سراً بما حصل من الحديث .

وفي ٢٤ منه جاءني رمزي طاهر باشا وعارف باشا وقالا : « إن أفندينا أخبرهما باستقالتي ، وطلبا مني أن أستردها لأنه يقول إن مبدأه ألا يرفض استقالة من يطلبها . فلهذا حضرا للرجاء بأن أكلفهما استرداد الاستقالة من الجناب العالي. فأجبتهما بأن هذا لايكون، لأنني أكون قد اعترفت بخطأ مني ، مع أنني أنا المجروح وأنا المهان .

فقال رمزي طاهر : « إن الكلام الذي حصل من أفندينا ليس فيه مايدعو لتشبثك» فقلت وأنا غاضب مما سمعته : « إذا كنت يا باشا لاتعتبر هذا الكلام جارحا فلايليق أن تكون رئيساً؛ وأنا كنت أقبل هذا الكلام لو كان قد حصل بيني وبينه أو بوجود أحد أقراني ، ولكن أمام أجنبي لاأقبله » فرد على قائلا: « إن أفندينا لايعتبر ماهر افندي أجنبيا. قلت : « ولكن أنا لاأعتبره كعارف باشا ورمزي باشا » فقالا: « إنه

لايليق أن تترك سموه وهو خارج بلاده ولو كنا فى بلدنا لتغير الموقف» فأجبتهما بأنى ما كنت أفعل ذلك لو كان سموه فى سويسرة ؛ ولكن الآن وهو فى بر السلامة محاط بعائلته وحاشيته ، ومقيم فى بيته ، ومعترف بخديويته من الحكومة العثمانية ومطمئن على معيشته ، لا مانع من استقالتى من خدمته .

قال عارف : « وما الذى يقوله الناس ورجال الحكومة ؟ » أجبته: انى اتفق مع أفندينا على أن تكون استقالتى مبنية على أنى ذاهب إلى السويسرة قياماً بواجبى الوطنى للمدافعة عن حقوق مصر . قال : « ولكن سموه لا يكتم الحقيقة » . قلت : « هو حينئذ وشأنه . وإننى لا أريد أن أسمع من أفندينا أننى أعبد الدرهم ، ولو كنت كذلك لأحرزت ثروة كبيرة مدة وجودى في المناصب العالية ، أو لعملت على تنفيذ الوعود التى كانت تعطى لى بتولى إحدى النظارات قبل الحرب ولأخذ أموال طائلة؛ فليفهم أفندينا أننا نحن قبلنا العمل لا لأخذ المرتبات بل لأخلاصنا له وللسير معه على مبادئنا »

ولما كثر الالحاح وقال عارف باشا : «إن الظاهر على وجه أفندينا الأسف» قلت: «حينئذ أرفع لأعتابه بأنى علمت بأسفه ، ولهذا أسترجع استقالتى» قال : «إنه لا يقصد ذلك » قلت : «حينئذ أكتب العريضة بأننى علمت أن أفندينا ما كان يقصد اهانتى» قال : « هو لم يكلفنا أن نقول ذلك » قلت : «وأنا لا يمكننى أن أكلفكما رد استقالتى بدون سبب »

وقد قال عارف باشا : « إن افندينا تأثر من استقالتك وهذا يكفى » يعنى ان الذى حصل يكفى ليعلم مقدار كدرى (أى أنه لا يفعل ذلك مرة أخرى)

وفي هذا اليوم حضر يكن باشا وقال : « إن افندينا قال له : إن عارف باشا ورمزى طاهر باشا لم يتمكنا من اقناعى فاذهب أنت لأقناعه .

فقال: «أنا وشفيق نعرف كيف نتفاهم» ولهذا حضر الى فرويت له ماحصل من المناقشة بينى وبين الرئيسين واخذت عليهما أنهما لم ينتهزا فرصة فتحى لهما الباب لولوجه وانتهاء المسألة فإننى لكونى علمت منك ان افندينا قال لك : إنه لايقصد اهانتى، اردت أن يقولا لى ذلك حين استفهمت منهما عما إذا كان سموه يقصد تعنيفى ؟ فلم يفهما غرضى ولم يجاوبانى، ولو اجابا لانتهت المسألة .

قال يكن :« امس قلت : انتى سمعت هذا الكلام من افندينا ولكنى ما كنت

مكلفاً أن أبلغه ؛ أما الآن فني وسعى أن أكرر لك فى ذلك ،قلت : «حينئذ أكتب لأفندينا أقول أننى سمعت منك ذلك ولهذا أسترد استقالتى » .قال : وهو كذلك ، ووعدته بارسال الجواب غداً ، وقد أعلتنى هذه الحادثة مكانتى عند جميع من بالسراى حيث حضروا من أغوات وموظفين للسؤال عنى ظناً منهم أنتى مريض حتى أن الوالدة أرسلت فسألت عنى كذلك ؛ ولم أخبر أحداً بالواقع إلا الماس آغا فى المساء فلما علم بالتفصيلات وافقنى على ما فعلت وقال : « الى متى هذه المعاملة السيئة ؟ »

وفي ٢٥ منه حررت العريضة الآتية وأرسلتها مع عارف باشا :

« سيدى ومولاى :

جاءنى حضرات الرؤساء أمس فعلمت من صاحب السعادة يكن باشا أن الجناب العالى ما كان يقصد تعنيفى ولا تكديرى ، مما استوجب رفع استقالتى ، فاطمأن قلبى وهدأ روعى — ولهذا أستردها راجيا أن يتحقق مولاى بأن إخلاصى لعرشه ولذاته الكريمة لا يقدر بمال والله المسؤول أن يوفقنى لخدمة جنابه الفخيم وإرضائه » .

وقد أفهمنى عارف باشا أن مسألتى انتهت فقلت : نعم ، وكان يمكنكم أن تنهوها أمس ، فاننى فتحت لكم بابا لكنكم ما ولجتموه عند ما سألتكم عما اذا كان الخديو أراد من كلامه إهانتى أولا ؟ فلو كنتم أجبتمونى بالنفى لانتهى الأمر ؛ ولما علمت من يكن باشا أن الواقع هو هذا قبلت سحب استقالتى .

وقد عرفت اليوم من ابراهيم بك أدهم أن رمزى طاهر باشا قال له أمس : انه لم يرنى منفعلا بهذه الدرجة مطلقاً ، فأخبرته بما سبق أن قلته له : بأنه لا يصلح للرئاسة إذا كان لا يفهم إن كلام الخديو كان جارحاً أولا .

وقال البك أيضاً أنه لما تسلم عريضتى المحتوية على رفع الاستقالة لم يقدمها فى فى اليوم نفسه ، وبعد أن تردد فى عرضها — ولعله بالاهانة التى حصلت أمامه — قال في نفسه : « إن الواجب عليه تقديمها حتى يتجنب أفندينا كسر الخواطر » فعرضها عليه فى الساعة العاشرة مساء فسأله عن وقت تسلمه لها وعلم أنه كان أخرها عنده فلم يفاتحه فى شىء ؛ أنما يظهر انه قال شيئاً عن ذلك لرمزى طاهر باشا فقال الباشا لابراهيم بك : « اذهب عند شفيق وهدئه » ، ولكن أدهم بك تنحى

عن التدخل ، فلما قرأ عريضة سحب الاستقالة قبل إرسالها مع عارف باشا أعجب بها خصوصاً قولى : «إن إخلاصى لا يقدر بمال »

وفى يوم ٢٦ منه قابلت عباساً عند حضورى الى بيك فقال : « أهلا يا شفيق باشا » وطلع الى السلاملك ، وبعد أن حضر الرؤساء تكلم معهم فى الكتابة التى أرفقتها باسترداد استقالتى ؛ ثم حضر الى يكن باشا وكان فى الغرفة عارف باشا وحاول أن يظهر لى أن ماقاله ى أول أمس ليس هو أن الخديو لم يقصد تكديرى بل ان الكلام الذى أسمعنيه ليس فيه شىء من التكدير ولا التعنيف ، فقلت : ان الذى سمعته أن سموه ما كان يقصد تكديرى ، فقال عارف : « ان هذا معناه إذن أن أفندينا يقول : إنه آسف لما حصل » قلت : لا ، ولا أقصد أن يقول لى سموه إنه آسف ، قال يكن : فأفندينا يقول يجب تغيير هذه العبارة وهى « لا يقصد » حيث تدل على الأسف ، فتقول أن ليس فى كلامه شىء من التكدير ، قلت : حينئذ اعترف بأن غضبى لم يكن فى محله وانى غير محق فيه . قال يكن : إن الغرض ايجاد كلمة غير (لا يقصد) قلت : فليأمر أفندينا بالكلمة التى يريدها

ففهمت أن يكن باشا رأى مؤاخذة من الخديو عما قاله لى أول أمس وأراد أن يتنحى عنه .

ولما طلبنا للمائدة صعدت مع الاخوان فقال : « تفضلوا . تعال ياشفيق باشا » وفى أثناء الطعام وجه لى الكلام فى مسائل عاديه فزال ما كان بيننا من سوء التفاهم ولم يطلب منى تغيير جوابى .

وفى يوم ٢٨ منه جاءنى ماهر افندى فأخبرته بما حصل من استقالى وسببها وطلبت أن لا يبوح بشىء من ذلك لأحد ، وفهمت منه انه لم يحس بامتعاضى ولم يفهم ما حصل من الكلام باللغة العربية .

واليوم علمت من يكن باشا ان عباساً سأله عن الكلام الذى دار بيننا لما أمره بمحادثتى فأجابه بأنه قال لى : « إن الجناب العالى ما كان يقصد تعنيفى » فقال سموه : ولكن من هذه الكلمة (لايقصد) يستدل القارىء أننى أبديت أسفى لما قلته ، فرد الباشا بأن شفيق باشا يقول : انه لا يريد أن يمس كرامة سموكم واذا رغبتم فى ابدال كلمة (لايقصد) فما على سموه إلا أن يختار ما يريده ، فقال عارف باشا : بل إن شفيقاً مصر عليها ، فرد عليه يكن بالنفى ، وعندئذ قال الخديو : « لندع هذه المسألة الآن » ، ولذلك لم يفاتحنى بعد مقابلته كما سبق

بين الخديو وولى عهده : فى يوم ٣٠ ديسمبر سنة ١٩١٧ أرسل عباس فى طلبى وكذلك أرسل لعارف باشا . ولما اجتمعنا عنده في الآستانة أخبرنا أنه وردت له بالأمس من نجله ولى العهد رسالة باللغة الفرنسية تتضمن أنه طلب منذ شهر يوليو الماضى من سفارة انجلترا فى برن أن تتصل بالدائرة الخاصة فى مصر وتطلب منها إرسال مبلغ شهرى له من الأموال التى يستحقها هو شخصياً وقد ورد له الآن ما طلبه . ولهذا فانه يرجو والده فى أن يأمر شديد بك الذى كان قد عين من قبل الخديو للبقاء معه فى فريبورج بصفته ناظر الخاصة الخديوية بألا ينفق عليه مع إبقائه في خدمته . وإبقاء شقيقه كذلك ، إذا لم ير سموه مانعاً وأنه لا يزال الابن الخاضع المطيع . ثم أبدى أسفه على أن الحالة اقتضت فعل ما فعله .

وعرض علينا رسالة أخرى من شديد تفيد ما تقدم

وقد كان سموه متألماً من أن شديداً لم يخبره بهذه الاجراءات التى اتخذها نجله فى حينها .

وقد أرسل سموه بعد المداولة معنا رسالة الى الصدر يخبره فيها بالموضوع اتباعا لسياسة التفاهم التى انتهينا اليها أخيراً .

سنة ١٩١٨

احتفال هام بعيد الجلوس الخديوى — معلومات وأسرار عن الحالة فى طرابلس بين الخديو ورجال الحزب الوطنى — محاكمة بولو وإعدامه — رحلة للسويسرة كلها متاعب وآلام — شئون مختلفة :

احتفال هام بعيد الجلوس الخديوى : عزمنا ـ بعد موافقة الخديو ـ على الاحتفال بعيد جلوسه بالاستانة ، للفت الأنظار إليه ، وإظهار شخصيته فى العاصمة التركية ، وقد كان يرغب فى هذا الاحتفال ولكن خشية من فشله لم يرد أن يتدخل فيه بشكل ظاهر ، فأعطانى فى أول يوم من يناير مبلغ مائة جنيه بصفة سرية ، للانفاق منها على هذا الاحتفال ، وتقرر أن يقام فى فندق بيرا بالاس .

وفى ٣ منه حضر البرنس ابرهيم حلمى ومحمد عزت باشا ، وقابلا سموه . وقالا له : « إن حالة الجيش التركى فى فلسطين سيئة جداً » ـ وكان قصدهما من ذلك أن نعدل عن الاحتفال الذى لم يكونا موافقين عليه ـ وبعد خروجهما أبدى لى الخديو عدم استراحته لرأيهما ، فقلت له : « إن صغار المصريين هنا يبدون شعوراً وحماسة أكثر من كبرائهم » فقال : « نعم وكلما نزلت إلى الطبقة الدنيا تجد الأحساس أعظم » . . .

وقضيت من يوم ٤ منه إلى يوم ٧ فى إعداد الخطب التى ستلقى فى الاحتفال ، ووضع البرنامج ، وأسماء المدعويين من مصريين وأتراك وفرس وأفغان وهنود وسوريين وغيرهم ، مع أعضاء اللجنة وكان سكرتيرها فريد افندى صدقى ، وقد استعد لالقاء خطب عبدالحميد افندى رفعت ومنصور افندى القاضى ، ومأمون أفندى نجيب الذى حضر معنا من السويسرة . . وغيرهم .

وقد أرسلت أوراق الدعوة موقعة باسم السكرتير .

موقف جمال باشا من الاحتفال : وفى يوم ٧ أرسل مدير البوليس إليه لمقابلته ففهمنا أن هناك نية لعرقلة الاحتفال ، وتكدر الخديو لذلك . ولما قابله سأله هل الخـــديو سيحضر الاحتفال حتى يقوم البوليس بعمل الترتيبات اللازمة ؟ . ولما علم منه بعـدم ذهاب سموه أرسل الخبر تليفونياً إلى نظارة الداخليـة ، فجاء الرد بأرسال فريد افندى لمقابلة جمال باشا ناظر الداخلية بالنيابة عن طلعت باشا الذى كان متغيباً ، ولما مثل بين يديه ، انتقد أولاً : وضع السلام الخديوى فى البرنامج مادام سموه لن يحضر في الحفـلة ، وأمره بألا يعزف إلا السلام الشاهانى ، والناس قيام ثانيا : توقيعه على بطاقة الدعوة باسمه ، مع أنه غير أهل لدعوة الصدر ، وشيخ الأسلام والوكلاء والسفراء . ثالثاً : أنه اكتفى بمخابرة البوليس مع أن الواجب أن يطلب مندوباً عن الداخلية ، للاشتراك مع لجنة الاحتفال فى وضع البرنامج . رابعاً : لاحظ على كلمة (الجلوس على الأريكة الخديوية) التى وردت فى الدعوة قائلا : « إن هناك تعييناً وليس جلوساً » .



فريد أفندى صدق

وكذلك انتقد الهتاف « افنـدمز » بالنسبة للخديو قائلا : « هـذه كلمة لاتقال إلا للسلطان ، فليس لدينا غيره نقول له : « افندمز » فرد عليه فريد بلطف قائلا : « إننا نحن المصريين لانستعمل كلمة « خـديو » بل نقول « أفندينا » وها هو ذا المستشار (وأشار إلى مستشار الداخلية) يقول لدولتكم أفندمز « فهل أنتم فى منزلة السلطان ؟ » .

وأخيراً سأله فريد عما إذا كان هناك ما يدعو لعدم الاحتفال ، أو يأذن له بالذهاب ، لأن الوقت قد حان لحضـــور المدعوين ! فأجابه جمال باشا : « كنت تستحق المحاكمة على المخالفات التى ارتكبتها ، ولكن لأنى شاهدت فيك الذكاء والصراحة أكتفى بتأنيبك ، ثم التفت إلى المستشار وقال : « اذا سمع الآن الخديو

بملاحظاتى هذه فأنه سيقول : « إنى أناوئه » فأجابه فريد بانه يستحق التأنيب الذى سمعه وأكثر منه لاعتماده على البوليس فقط ، وعدم اخبار الداخلية . ثم رخص له جمال باشا بالخروج ، وإقامة الاحتفال . وبعد خروجه عاد إليه فأخبره أن صورة الخديو ستوضع في صدر الاحتفال بين علمين أحدهما تركى والآخر مصرى . فقال له جمال باشا : « لا يوجد علم مصرى ، فضع علماً تركياً مكانه ومزقه » ! ولما علم الخديو بما دار بين جمال باشا وفريد افندى لم يتأثر ، بل أعطى لجمال الحق في انتقاداته ، ولا سيما فى مسألة العلم ومسألة السلام الخديوى

إنابة الخديو لى فى حضور الحفلة : وقد أنابنى عنه فى حضور الاحتفال فذهبت ومعى عارف باشا ، واحمد بك فريد ، وقد كان الأول متردداً فى الذهاب ، ولا سيما عندما أرسل البوليس لفريد افندى ولم يكن قد عاد بعد ، وحضر من المدعوين أكثر من مائة . ولما وصلنا قابلتنا لجنة الاحتفال ، وأجلستنا فى المكان المعد لنا .

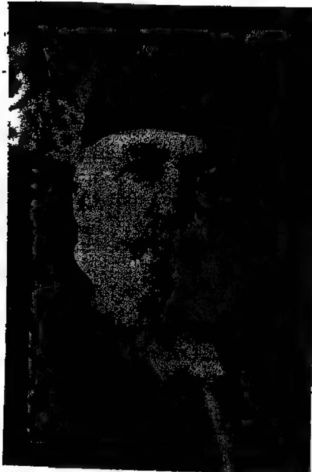
اعتذار البرنس ابرهيم حلمى عن رياستها : تولى يوسف ضيا باشا الرياسة بعد أن اعتذر عنها البرنس ابرهيم حلمى ، وجلس الأعضاء عن يمينه ويساره ؛ وافتتحت بالسلام الشاهانى ، ونحن وقوف ، وصعد على المسرح رجل يسمى سليمان مع خمسة أشخاص وأنشد السلام الخديوى بصوت جميل ، فاستعيد مرات ؛ ثم رحب الرئيس بالمدعوين وشكرهم على اجابة الدعوة . وألقيت الخطب والقصائد بين التصفيق الحاد ، وقد اقترح فريد أفندى تذكاراً لهذا اليوم أن يقام احتفال خيرى يصرف دخله لأبناء الشهداء فى الحرب.

كلمتى بالنيابة عن الخديو : وبعد ذلك وقفت وقلت : « باسم الجناب الخديوى أشكر حضرات أعضاء اللجنة التى أقامت الاحتفال لمناسبة ارتقاء سموه الأريكة المصرية ، وأشكر الخطباء والشعراء على احساساتهم الشريفة نحوه ، وانني سأرفع اقتراح اللجنة باقامة احتفال خيرى إلى جنابه العالى ؛ ولا أشك فى أن سموه يقبل بكل سرور جعل الاحتفال تحت رعايته ؛ و ندعو الله عز وجل أن يحفظ لنا دولتنا العلية ، وينصر جيوشها على أعدائها ، وأن يوفقها لاسترداد حقوقها وحقوقنا فنهنىء بعضنا بعضا ، ونرجع للأوطان ، ونتمتع بمشاهدة الأهل والاخوان وما ذلك على الله بعزيز » .

انشاد السلام الخديوى : وبعد انتهاء كلمتى أنشد السلام الشاهانى ختاما للحفلة ، ولكن الكثيرين طلبوا انشاد السلام الخديوى من سليمان وجماعته ، فصعد على المسرح ، وأنشده بين التصفيق الشديد .

كثرة المهنئين للخديو : ولقد غصت سراى بيك بالمهنئين ، فجاء البرنسان إبراهيم حلمى وعلى فاضل وعزت باشا ، وأرسلت البرنسيس فاطمة هانم ووالدة البرنس عمر طوسون مندوبين للتهنئة ، ونور أفندى قاضى مصر ، ورفعت باشا سفير الدولة فى باريس سابقا ، واحمد بك صادق ، وحمد الله باشا ، من كبار الموظفين سابقا فى المحاكم المصرية وعدد من المدنيين والمكيين ، وجموع كبيرة من المصريين فى قطارين خاصين من قطارات الترام ، ومن بينهم أعضاء لجنة الاحتفال : فقابل سموه جميع من حضروا إلا صلاح الدين مظهر وشقيقه حسن مظهر ، وهما اخوان لمظهر الذى تعدى على الخديو في سنة ١٩١٤ ، فبكيا ، وقالا إنهم بريئان مما حصل من أخيهما ؛ فوعد سموه بمقابلتهما بعد أيام (١)

وكذلك حضر مقبل يكن مندوباً عن ناظر الحربية للتهنئة والاعتذار عن عدم إمكان الحضور بنفسه نظراً لكثرة أعماله ، فسر سموه بهذه العناية ؛ وجاء كذلك « نظام السلطنة » السفير العجمى فوق العادة مع سفير العجم الأصلى ، وأرسل سفير ألمانيا تهنئة بصفته الشخصية عنه وعن قرينته وكذلك الدكتور « بروفر » رئيس قلم الاستخبارات الألمانية فى الآستانة



عبد المجيد أفندى

ووردت عدة برقيات من الآستانة وسويسرة والنمسا ، بينها تهنئة من الجمعية الخيرية الاسلامية التركية بالآستانة وبرقية من الطلبة بجنيف . ومن البرقيات اللطيفة التى سر بها الخديو برقية من ولى عهد السلطنه الثانى عبد المجيد افندى وكان بينه وبين سموه صداقة شخصية ، وقد أمرنى بتسليمها لعارف باشا ليكتب ردا ودياً مناسباً .

(١) وقد حصل

وكذلك برقيتان من كريمته عطيه هانم افندى وزوجها جلال الدين باشا والذى سره منها إعلانها الاستعداد للرجوع للاستانة إذا رغب الخديو ذلك ، وكانا من قبل ممتنعين عن الحضور من سويسرة ، ولم يقبلا مرافقتنا عند السفر منها .

وبعد انتهاء ورود التهانى عهد إلى الخديو فى الرد على المهنئين ، والذهاب لمركز الجمعية الخيرية التركية وشكرها على التهنئة التى بعثت بها . وكذلك الذهاب إلى أنور باشا وشكره على إرسال مندوب خاص ، ولما لم أجده فى المنزل تركت بطاقة لأحد مرافقيه .

وبمناسبة هذا العيد أنعم الخديو على ضباط المحروسة بنياشين مختلفة ، وعلى أحمد فريد بك التشريفاتى الأول بالمجيدى الثالث ، وعلى نور الدين بالرتبة الثانية .

لجنة الاحتفال فى دار الآثار العسكرية : وفى يوم ٢٠ دعا مختار باشا مدير دار الآثار العسكرية والسينما ، لجنة الاحتفال مع كبار المصريين لزيارة الآثار المذكورة ولزيارة السينما ، وقد عرض علينا فيها صورة الاحتفال بعيد الجلوس مع مناظر لزيارة امبراطور ألمانيا ، ثم ألقى خطابا مدح فيه الخديو كثيراً على تعلقه بمقام الخلافة ، وعدم عودته إلى مصر ليكون آلة بيد الأنجليز ، وتكلم عن أهمية موقع مصر وضرورة إخراج الأنجليز منها وإرجاعها لما كانت عليه قبل دخولهم فيها وإعادة الخديو إلى أريكته .

وبعد عودتنا قابلت عباساً وكان معه البرنس ابرهيم حلمى ، فعرضت عليه ماحدث فى دار الآثار وفى السينما ، وما سمعناه من مختار باشا ، وقلت : « إن الباشا كان جريئاً جداً فى خطبته وصريحاً فى ثنائه ومدحه ، وكنت أشير بهذا إلى التردد والضعف الذى أبداه البرنس عند ماتنحى عن رئاسة لجنة الاحتفال .

حفلة لمواساة عائلات الشهداء فى القنال : وفى يوم ٢٦ فبراير قر الرأى على تنفيذ اقتراح فريد افندى صدقى بشأن مواساة عائلات شهداء القنال ، فافتتح الخديو قائمة الاكتتاب بمبلغ عشرين جنيها عن نفسه ، ومثلها عن الوالدة ، ومثلها عن كل من كريمتيه . وقد اشتركت بمبلغ خمسة عشر جنيهاً ، وبلغ الاكتتاب بعد يومين ثلثمائة جنيه .

وتقرر توجهى مع حمد الله باشا والشيخ عبد العزيز جاويش إلى السراى فى

يوم ١٦ مارس ومعنا رقعة دعوة للسلطان ، مطبوعة بحروف مذهبة ، كما هي العادة حسبما قيل لنا ومختومة من الجناب الخديوى بما أن الاحتفال تحت رعايته ، ولكن سموه تردد فى كتابة الدعوة ، أو الختم عليها إن كانت مطبوعة . كما أنه تردد فى طلب أوركستر السراى ، وفضل أن لا نعمل شيئاً « غير معتاد » إذ يجوز انه فى أمثال هذه الحفلات لايعطى الأركستر . فلما استفهمنا من صادق بك تشريفاتى الصدارة أكد لى هو والشيخ عبد العزيز جاويش بأن « الأركستر » أوسل إلى حفلات متعددة ، وما علينا ـ نحن رؤساء الديوان الخديوى ـ إلا أن نكتب خطاباً إلى رئيس الحجاب بطلبه؛وبعد العرض على سموه أذن بالكتابة ، فحررت باعتبارى ناظر الديوان طلباً بنيته على التماس لجنة الاحتفال ، وأضفت على ذلك « كما هو المعتاد فى أمثال هذه الحفلات » ومن جهه أخرى توجه عارف باشا ، وقابل مرتضى بك الكاتب الثانى فى المابين ، وباحثه فى صيغة ورقة الدعوة للسلطان ، ثم حضر وأخبرنا بأنه لاتوجد طريقة رسمية لتقديم الدعوة ، وأملانى كتابة بالتركية لطبعها بحروف ذهبيــــة وتقديمها بواسطة حمد الله باشا والشيخ جاويش ، وأنه لالزوم لتوجهى معهما ، وأضاف قائلا « وأن ذلك مايرغبه الجناب العالى » . ولما علمت هذه التفصيلات عرفت فريد افندى صدقى بها لطبع تذكرة السلطان وإحضارها . فلم يلبث أن خاطبنى تليفونياً بما فحواه أن جمال باشا ناظر الداخلية بالنيابة لم يستحسن « تصديع » السلطان بمثل ذلك ، وسألنى رأيى فيما يلزم عمله ، فقلت ماعلى الباشا والشيخ إلا أن يتوجها لدعوة مولانا السلطان شفهياً بواسطة رئيس الحجاب

ولما كنا فى الغداء سأل عباس عما تم فلخصنا له ماحصل فقال لى : إنه لايعلم بكتابة الجواب بطلب « الأركستر » وأظهر أنه لايتذكر أنه وافق عليه وقال إذا حصل مالايرضى فانى أقول إن هذا العمل حدث بغير إذنى وأضاف على ذلك : « أرأيت ياشفيق أن الأركستر لايعطى فى احتفالات مثل احتفالنا ؟ وإذا أمر السلطان بأعطائه فما هو إلا لخاطرى وعلى سبيل الاستثناء » وانتهى الأمر بان توجه حمد الله باشا والشيخ جاويش ، وتحدثا إلى رئيس الحجاب ، وعادا شاكرين لما لقياه من الحفاوة مع الوعد بهبة سلطانية .

وفى يوم ١٧ منه توجهت للمابين ، وقابلت توفيق بك رئيس الحجاب ، ورجوته فى أن يرفع شكر الجناب العالى ، ولجنة الاحتفال ، والمصريين جميعاً لمولانا السلطان على إرسال الأركستر .

وفي يوم ٧ ابريل ألصقت على الجدران إعلانات عن الحفلة فى تياترو « بتى شان » على أن يكون يوم للرجال ، وآخر للسيدات ؛ وكذلك طبعنا برنامج الحفلة بالتركية والفرنسية مصدراً بصورة الخديو ، فكان ذلك كله دعاية عظيمة له

تخوف الخديو من الفشل : وعلى الرغم من هذا كان عباس يخشى أن يفشل الاحتفال من جراء الدسائس التي كان يتوقعها من رؤساء المعية الآخرين الذين كانوا ينقمون على إقامتى الحفلة ، وقد كتبت جريدة « ألتى » تلاحظ أن لجنة الاحتفال اختارت أرمنياً للتمثيل ، فكان سموه يتوقع التصفير فى أثنائه لو حضرها ، فامتنع عن الحضور وأناب عنه البرنس الأمير ابراهيم حلمى . أما الصدر فانه لما علم أن سموه لا يحضر أرسل فى « بنواره » اثنين من مرافقيه ؛ وكذلك لم يحضر من النظار إلا جاويد بك ؛ واعتذر سفير النمسا بأنه أسلف وعداً بالحضور في فندق بيرا بالاس للجمعية الخيرية النمساوية وكذلك الكثيرون من ذوى المناصب العالية . ومن المحتمل أن السفير لما سأل يكن باشا عن يوم الاحتفال وعرفه جعل احتفاله أيضاً في اليوم المذكور حتى لا يحضر اجتماعنا بهذه الحجة لما بينه وبين الخديو من سوء التفاهم .

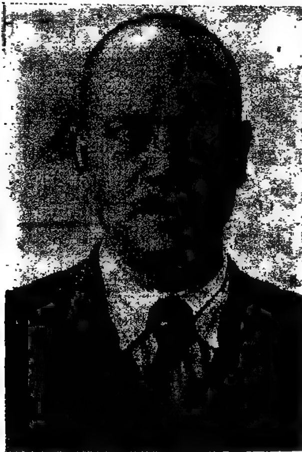
أما سفير ألمانيا وزوجته فقد حضرا ؛ وكذلك عبد المجيد افندى ولى عهد السلطنة الثانى ، وجلست معه في مقصورته مدة ، فأعرب عن حبه للخديو ، وتمنياته لرجوعه إلى عرشه ؛ وفى هذه الحالة يزور سموه في مصر . وكذلك حضر خالد باشا الداماد نجل المرحوم درويش باشا ، وقال لى : « انه من المحبين للجناب العالى الخديوى » .

تنحى البرنس ابراهيم حلمى ونيابتى عن الخديو : ولما قرر سموه إنابة البرنس ابراهيم حلمى اتخذنا ما يلزم لارسال الزورق البخارى إلى ميركون لاحضاره إلى بيك حيث يستقل مركبة الوالدة إلى التياترو ، إلا أنه خاطبنا بواسطة حرمه يقول : « إنه لما رجع مع أفندينا أمس الى سرايه أصيب بزكام ، فهو طريح الفراش لا يقوى على النزول » فاستغربت هذا التنحى فى هذه المرة ، كما أنه تنحى في المرة السابقة لما دعى لرآسة الاحتفال بعيد الجلوس . وأظن هذا التصرف مراعاة لخاطر البرنس سعيد حليم من جهة ، وحتى لا يصل الى علم الانجليز خبر يكدرهم منه . على أنه يريد أن يحفظ خط الرجعة ؛ فلما علم الخديو بذلك أمرنى أن أنوب عنه

لتوجهت الى التياترو ووصلت قبل الساعة الثانية ، فوجدت أعضاء اللجنة ورئيسها حمد الله باشا امين يستقبلون الزائرين ، وآنسات يبعن بعض الأشياء الصغيرة ، فجلست فى المقصورة التى كانت معدة الخديو ، ومعى يكن باشا ، واحمد بك فريد ، وابتدأت الحفلة بعزف الموسيقى للسلام الشاهانى ، فوقف الجميع على الأقدام ، ثم قامت فرقة تركية بتمثيل رواية تمثيلا متقنا ؛ ثم ألقيت قصيدة فى رثاء شهداء القتال للشيخ سليمان ناجي العمرى السورى وفيها أبيات جميلة عن مصر والخديو ورجوعه لعرشه ؛ وقد حازت قبولا وتصفيقاً من العرب خصوصاً والأعيان وأعضاء مجلس المبعوثان التركى ؛ وهذا الشيخ أعمى فألقاها عن ظهر قلبه

وحضرت بعده مدام ليفى برنارد متبرعة ، ووقعت على البيانو قطعتين أظهرت فيهما مهارتها ؛ فأهدينا اليها طاقة من الزهور وهى على المسرح ؛ ثم أنشد الشيخ سليمان سلام الخديو «يازمان الهنا الخ..» وبعده قطعة من رواية «روميو وجوليت» ولقى الشيخ سليمان استحساناً عظيما .

وبعدها جاءت موسيقى دار الآثار العسكرية وهى مرتدية ملابس الموسيقيين القديمة بالعمم والقفاطين والأحزمة ، ولقد نجحت الحفلة نجاحا عظيما حتى أن الخديو أسف على عدم حضورها لما بلغته أنباء نجاحها الباهر .



احمد افندى فريد

معلومات وأسرار عن الحالة فى طرابلس :

فى يوم ٢٢ يناير زارنى فى سراى بيك رجل مصرى اسمه « احمد افندى فريد » حضر من طرابلس الغرب على غواصة ألمانية بصحبة نورى باشا شقيق أنور باشا ورفع لى عريضة لتقديمها الى الجناب الخديوى فسألته عن دواعى وجوده فى طرابلس ، وعلمت منه بأنه فى أوائل الحرب تشكلت جمعية سرية المؤسس لها هو على بك اسماعيل واسماعيل افندى

حسن من ضباط الحرس سابقاً ومن محمود بك عزمى الذى كان موظفاً بقولة



محمد عبد الخالق مدكور باشا



الميرالاى على اسماعيل بك

وعبد الخالق باشا مدكور سر تجار مصر ، وعلى باشا حلمى عضو الدومين سابقاً . وجبريل بك من مشايخ العربان ، والاثنان الأولان كانا يجتمعان بالشيخ الطيب السنوسى فى منزله بالسيدة زينب (وكنت أنا علمت ممن حضر الى الآستانه من رجال المعية الذين وصلوا من مصر قبل دخول الدولة فى الحرب باجتماع الضابطين المذكورين بالشيخ الطيب وحلف اليمين لديه على العمل ضد الاحتلال بتدبير ثورة فى الداخل ومساعدة السنوسيين ضد الانجليز) ودخل فريد افندى فى هذه المحالفة وقر الرأى على إرساله الى السنوسى بمهمة وقام من عزبة جبريل بك فى كفرالدوار ومعه أحد البدو مزوداً بخطاب من اسماعيل افندى حسن الى نورى باشا ؛ فلما قابل السنوسى وعلم منه أن قوة السنوسيين والأتراك غير كافية للهجوم على مصر ضد ٦٠ ألفاً من الانجليز بعث الى اسماعيل حسن خطاباً يحذر المصريين فيه من سوء العاقبة ، إذ اعتمدوا على قوة السنوسيين فى إحداث ثورة بمصر ، فلما وصل هذا الخطاب الى جبريل بك رده الى نورى باشا فتغيظ من فريد افندى وظن أنه جاسوس انجليزى وليس موفداً من قبل اسماعيل حسن ، وحبسه مدة حتى أرسل

يستعلم من مصر عن الحقيقة ، فورد الخبر بأنه ليس جاسوسا ؛ وعند ذلك اخرجه من السجن ، وعاتبه قائلا : «ولو أن قوتنا ليست كافية حقيقة ، إلا أنه ما كان ينبغي أن تخبر المصريين بها ، لئلا تضعف عزيمتهم ، وتقل شجاعتهم ، وتنحل عرى رابطتهم» . وبعد ذلك اشترك مع نوري في جملة أعمال ، حتى وثق به جداً وأحضره معه للآستانة

ومن كلام فريد افندى لى علمت أن طرابلس منقسمة الى جملة مناطق فمنها منطقة نفوذ السيد احمد الشريف وهو ميال (على قوله) الى الانجليز باطناً والى العثمانيين ظاهراً ؛ ومنطقة نفوذ السيد الأدريسى وهو ميال الى الايطاليين وموال للسيد احمد الشريف فى الباطن ؛ ومنطقة نفوذ رمضان السواحلى وهو من الأتراك ؛ ومحل وجود نورى ميناء مصراطة التى تأتى اليها الغواصات ؛ ولو أن شقيق أنور يعلم بموالاة الشريف للانجليز إلا أنه (على رواية فريد) لايجاهر بذلك لكى لايحمله على الانضمام علناً لأعداء الدولة ، فتسقط حجة الأتراك فى أمر الجهاد الدينى الذى أعلنه الخليفة ، ولم يعمل به أحد ، غير السنوسين فى الظاهر . والدولة ترسل النقود والهدايا الى السيد احمد الشريف ، وآخر هدية كانت منذ شهر حيث أعطته ٥٠ ألف جنيه ذهباً ، ومثلها ورقاً . وكذلك علمت أن سر الاتفاق بين الشريف والأدريسى هو أنه إذا انتصر الأتراك يشفع الأول للثانى ، واذا انتصر الانجليز يشفع الثانى للأول ؛ وأن الواقعة التى نشبت بين السنوسين في سيوه ، وبين الانجليز هى مظاهرة فقط ليظهر الشريف للأتراك أنه ذهب لمقاتلة أعدائهم ولكنه اضطر الى التقهقر أمام قوتهم فيثبت بذلك ولاءه للأتراك . والحقيقة أن هذه الواقعة وبالأحرى المظاهرة تم تدبيرها بين الانجليز والشريف بحيث لم يقتل ولم يؤسر من رجال الأخير أحد ، وكان فريد افندى حاضرا ، كما أنه كان موجودا فى الواحات الداخلة مع الشريف ، عندما طرد الانجليز السنوسيين منها .

ولما علمت بأهمية معلوماته طلبت اليه أن يرجع الى بيك يوم الخميس القادم ٢٤ يناير .

وفى هذا اليوم قدم الخديو وتباحثنا نحن الثلاثة في جلستين وأمر سموه أن يكتب فريد افندى تقريرا مفصلا بجميع الحوادث فى مصر وفى طرابلس وأمرنى أن أذهب الى أحد رجال قلم الاستخبارات الألمانية ، لأعرفه بوجود فريد افندى وبأهمية معلوماته لابلاغها لقلم المخابرات الألمانية فتوجهت يوم ٢٥ برفقة احمد بك فريد اليه ، وعرفته بملخص ماسمعته من فريد افندى وبأنى سبق أن اشتغلت بأمر

الخديو مع البارون أوبنهايم في تحضير عمل يقوم به المصريون ضد الانجليز في مصر من جهة جنود طرابلس الغرب ، وإرسال أسلحة وديناميت وأشخاص مصريين كانوا يتعلمون في المدرعة « جوبن » صنع قنابل الديناميت . ولكن بكل أسف أن أنور باشا قال : « إن هذا من شأن الحربية » فلم تتمكن من تنفيذ مشروعنا . فقال رجل الاستخبارات ان الأتراك وحدهم لايمكنهم عمل شيء ، ولكن نحن الألمان بواسطة غواصاتنا ، يمكننا نقل مايلزم من الأدوات والأسلحة والنقود وإرسالها الى داخل مصر لتمكين المصريين من الانتقاض على المحتلين فتعلم الدنيا بأجمعها أنهم لايرغبون فيهم ، بل يريدون الاستقلال ؛ وبذلك يدحضون ادعاء الانجليز والثورة تساعد مندوبي الدولة وحلفائها على طلب إخلاء مصر ، وعلى كل حال أنه قد عرف من كلامي أن الخديو له رجال يعملون في مصر ضد الاحتلال ، وأن نفوذه موجود فيها .

وفي يوم ٢٦ منه حضر الألماني ، واختلى بالخديو مدة ساعة ونصف ، وبعدها قابلت سموه وقلت : أن من صالح افندينا إرسال أحد رجاله الى طرابلس ليكون واسطة اتصال بيننا وبين رجالنا في مصر ويدرس الحالة في طرابلس من جهة إمكان عمل شيء بالاتفاق مع الألمان ، الأتراك وبهذه الطريقة يعلم محالفونا أن نفوذنا لم يزل باقياً ، ويقدرون قيمتنا حق قدرها . وقد راقه هذا الاقتراح ، إلا أنه لم يجد أمام نظره إلا مأمون افندي نجيب فقلت : « إنه شاب طائش لايعتمد عليه » فأبدى عدم اعتماده على عبد الله افندي البشرى ، حيث لايثق باخلاصه الثقة المطلوبة ، ولا بمحمد بك فريد لأنه قوال وليس بالفعال ، وقال عن احمد بك فريد إنه يخشى ألا يكون حسن التصرف . فقلت : « يا أفندينا اذا سمحت فانني أذهب بنفسي ، وأضحي بحياتي لصالح بلدي » قال « نعم ياشفيق أنت لست كغيرك ، فان إخلاصك ثابت ، ولكن عندما يبحثون عنك ولايجدونك هنا ولا في أوروبا والانجليز لهم جواسيس في كل محل ، يعلمون بوجودك في طرابلس »

وقد ظهر لي من ذلك أنه لايريد ارسال أحد المستخدمين ولا الضباط المعلومين للانجليز خشية الانتقام منه ، لأنهم يعلمون وقتها أنه هو الذى أرسل هذا الشخص الى طرابلس ؛ وهو يرجح احمد بك فريد على الآخرين لأنه غير معلوم عند الانجليز انتسابه للخديو مثلنا .

وفى ٢٧ منه بناء على أمر الخديو توجه احمد فريد بك ، مع احمد فريد افندى

الى رجل الاستخبارات الألمانى فشرح له الأخير الحالة فى طرابلس الغرب وسياسة السيد احمد الشريف والادريسى والسواحلى ، فكان من رأيه التوفيق بين الشريف والسواحلى حتى يتيسر جمع جيش عظيم ليقوم بعمل مفيد ، وفى حالة تعذر التوفيق تستدعى الحكومة العثمانية الشريف الى الآستانة وفي غيابه تنضم القبائل التى تحت نفوذه الى قبائل السواحلى وتسير الحملة على مصر لأن رؤساء قبائل الشريف على رواية فريد افندى يعلمون بنياته الخفية ، وغير راضين عنه إلا أنهم ملتفون حوله للمنفعة التى تاتيهم منه .

فأفهمت احمد فريد بك عند رجوعه من هـــذه المهمة باقتراحى إرسال أحد رجال الخديو لطرابلس للمخابرة مع رجالنا فى مصر وبأننى قدمت نفسى لهذه الخدمة. فأجابنى بأنه هو أيضاً فكر فى أن يذهب للعمل هناك .

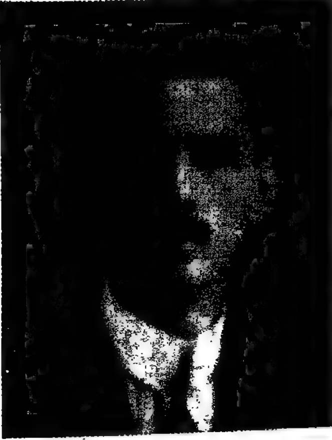
وقد عرضت على الخديو هذه المعلومات فلم يوافق على اقتراح الألمانى لأن السنوسي لايقبل السفر .

مندوب عثمانى في طرابلس للاصلاح بين زعمائها :وفي ٣١ يناير حضر إلى بيك يوسف شتوان بك رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية فى الآستانة وقابل الخديو: وأعلمه : بأنه سيسافر إلى برلين لمقابلة الصدر هناك ومنها يتوجه إلى بنى غازى فى مهمة لأن الأحوال في طرابلس ليست على ما يرام وقد أرسل الخديو أحمد فريد بك إلى الألمانى ليعلمه بسفر شتوان بك لبرلين وبمهمته في طرابلس ، وليسأل هل السفارة الألمانية تعلم ذلك ؟ ولما رجع أفهمنا أنه لا يعرف شيئاً عن هذا الموضوع فأمره الخديو بأن يعود إليه ويرجوه ألا يذيع سفر شتوان بك ، وألا يعلم أحدا بأن الخبر منقول عنا ، وقد عاد لنا فقال : إنه روى الخبر للسفير فاستغرب وقال : « كيف تتصرف تركيا وحدها دون ألمانيا ودون الخديو؟» وأرسل الخبر «بالشيفرة» إلى دولته .

وأخيراً علمنا من فريد أفندى أن مهمة شتوان بك هى اصلاح ذات البين بين الشريف والسواحلى ، وأنه أخذ معه هدايا فاخرة للزعيمين :

مشروع القيام بحركات حربية على حدود مصر الغربية: وفى يوم ٣ فبراير علمنا منه كذلك أن نورى باشا سيسافر إلى برلين ومعه محمود أفندى لبيب الضابط ، والأستاذ عبد الرحمن عزام ، المصريان ، ويطلب من ألمانيا ، الغواصة الكبيرة « دوتش لاند » للخدمة بين پولا وطرابلس مع الغواصات الصغيرة التى تشتغل الآن

وذلك لنقل مهمات حربية استعدادا لاحداث ثورة فى مصر ، حيث علم أن الانجليز أخذوا من المصريين جنوداً ومؤنا أرسلوها إلى الجهة الغربية ، وكذلك أخذت فرنسا من تونس . ولذلك يرى نورى باشا مناوشة الفرنسيين على حدود تونس والانجليز على حدود مصر ، وإذا لم ينجح في كلتا الجهتين فهو على الأقل يضطر الدولتين لسحب جزء من جنودهما في الميدان الغربى .



الأستاذ عبد الرحمن عزام

الخديو يقترح احتلال سيوه : وفى يوم ٩ منه قابل الخديو سفير ألمانيا في السفارة وتحادث معه فى فى شئون طرابلس ، وما يريد نورى باشا عمله ، ومهمة شتوان بك ثم أبدى أنه يفضل استبدال الأمير دومكلنبورج الألمانى بالمندوب الألمانى الموجود بطرابلس لأن الأمير يستطيع مع بعض المصريين تشكيل قوة مصرية بقيادة ضباط مصريين يمكنها بسهولة احتلال سيوه .

وقد ظهر لسموه أن السفير يجهل وجود مندوب ألمانى فى طرابلس ، وأنه يرى ألا ضرورة للقيام بحركات في هذه الجهة ، بل يكتفى فيها بالدفاع . وقد استنتج الخديو من ذلك أن الألمان لا يهتمون الآن بمصر فعاد متألماً .

ترقية الضباط المصريين بطرابلس : وفى يوم ١٦ علمت من الخديو أن أنور باشا أمر بترقية جميع الضباط المصريين بالجيش التركى بطرابلس إلى رتب أعلى من من رتبهم ، وصرف جميع مرتباتهم حسب الترقية الأخيرة ، وأمرنى سموه بمقابلة أنور وشكره على مافعل . وبعد ذلك أهمل المشروع الذى كان يهم به الخديو .

بين الخديو ورجال الحزب الوطنى :

عباس يقرب الشيخ جاويش : بعد وصولنا من السويسرة إلى الآستانة كان الشيخ عبد العزيز جاويش قد حضر لسراى يبك مسلما ، ولكن الخديو لم

يهتم به ، نظراً لما كان يعلمه عنه من العمل ضده والانتماء للصدر سعيد حليم ، ولكن توترت العلاقات أخيراً بين الخديو ومحمد بك فريد ، فرأى أن يقرب إليه الشيخ جاويش ، فأوعز إلى أحد رجال الحاشية بأن يفهم أحمد بك صادق ، انه إذا أقنع الشيخ جاويش بالحضور إلى بيك ، فان الخديو يسر منه . وبناء على هذا بذل صادق بك جهده فى اقناع الشيخ بالحضور إلى السراى ، وفى ٢ فبراير حضرا معا وقابلا الخديو طويلا ، وتحادثوا فى موضوعات كثيرة .



الشيخ عبد العزيز جاويش

وقد علمت أن الشيخ أنحى على الأتراك فى حضرة الخديو قائلا : « ان كبارهم يأمرون ، ولكن صغارهم يعرقلون التنفيذ وإنه خدم الدولة كثيراً ولم ينل أية فائدة لشخصه » .

ثم ذكر بعد ذلك أنه عقد فى برلين مؤتمراً من المصريين ، ودعا إليه محمد بك فريد رئيس الحزب وتصالحا ، وعملا معاً ؛ وأنه من وقت رجوع الخديو يرى أنه آن أوان العمل في المسألة المصرية باشرافه . فأجابه سموه بأنه مستعد للعمل .

وفى يوم ٥ فبراير توجهت بناء على الأمر لمنزل الشيخ لزيارته ، ولما لم أجده تركت له خبرا بدعوته لتناول الطعام غداً معى فى فندق بيرا بالاس .

وقد حضر فى الميعاد فأخبرته بارتياح الخديو لزيارته ، والمعلومات التى أعطاها لسموه ، وأن الوقت لم يسمح ببحث الموضوعات التى عرضها ، ولهذا يدعوه الخديو لمقابلته .

مؤتمر الحزب فى برلين : وقد علمت منه تفصيلات عن المؤتمر الذى عقده فى برلين . وذلك أنه أرسل برقية لفريد بك رئيس الحزب ، فلما التقيا سلم عليه فريد سلاماً غير ودى ، فانتهز هذه الفرصة وقال له : « إنه يريد أن يعلم سبب هذه الجفوة » فرد فريد : بأن السبب هو أنك لم تتبع خطة الحزب الوطنى . فقال له الشيخ : « وإنك

تتهمنى فى مسألتين : الأولى . أننى معضد لارتقاء البرنس سعيد على الأريكة المصرية ولكنك لايمكنك أن تقوم بأثبات ذلك » ثم أقسم الشيخ بأنه لم يفاتح البرنس مطلقاً فى مسألة كهذه ، وأن زيارته له فى بعض الأحيان هى لصلة قديمة. بينهما ، وعرفنى الشيخ أنه فى مدة صدارة البرنس كان يسعى فى تعيين بعض المصريين فى إدارة الحكومة العثمانية ، وأشار إلى مصطفى باشا ماهر ، وأن عماد الدين كان قد كتب ترتيباً بأسماء المرشحين للمناصب في الدولة . وقال الشيخ لفريد بك : « والمسألة ثانية أنك تدعى بأننى من المحبذين لضم مصر لتركيا كأنها ولاية من ولاياتها مع أننى توجهت معك إلى طلعت باشا ، وسمعنا منه أنه لم يبحث في إدخال تغيير على حالة مصر ، وأن ادارتها أحسن من ادارة الدولة ، فلا معنى لأن تتداخل فى شئونها وفضلا عن ذلك فأنى أنا المصرى الوحيد الذى حصل على كتابة بأن الدولة لاتنوى أن تغير شيئاً فى حالة مصر بل تردها إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال » فشكرته على مسعاه الحميد . وأردت أن يفصح لى عن هذه الكتابة ، فقال : « إنه كتب لأحد رجال الحكومة ، يستعلم عن نيتها نحو مصر ، فأجابه بما سبق التنويه عنه » وأضاف على كلامه مايفيد أنها ليست كتابة رسمية .

ومن كلام الشيخ : أنه عندما ذهب فى المرة الأخيرة إلى برلين رجاه اثنان من النظار العثمانيين ألا يحمل على فريد .

وقد تخلص من هذا الكلام بأنه دعا فريد بك إلى الأعراض عن الوشايات ، وأن يشتغل المصريون جميعاً على خطة واحدة ، ثم أظهر التذمر من بعض أفعاله ، وأن الشبان تركوه ، والتفوا حوله هو فقلت : « إننى ألوم فريد بك على مسألتين : الأولى الحقد ، والثانية الاهتمام بالشخصيات أكثر من العموميات » ، وضربت له مثلا بما جرى بينه وبين الخديو من التنافس والشقاق ، ثم قلت : « ولكن لما رجع سموه إلى الأستانة كان يجب عليه أن ينسى الحقد والشخصيات ، ولا يتكلم فيما فات ولكنه مع الأسف الشديد كتب فى مجموعة الحزب الوطنى التى اصدرها فى استكهولم ، أن دخول الخديو في مسألة بولو باشا التى هى في صالح الألمان ، يبعد الحزب الوطنى عن سموه » .

فقال : إنه لم يطلع على ما كتبه فريد فى هذا الشأن ، لأنه بالفرنسية وعابه قائلا : « إن جميع الملوك لهم هفوات ، وهفوات الخديو أقل من أمثاله ، والحزب

الوطنى لم ينتقد سموه فى جريدته من أجل الشخصيات بل العموميات » .

قلت : « إن جنابه العالى لم يخل من الغلط والمؤاخذة ، إنما أقدر أن أقول : إنه في مدة ولايته وهى ٢٢ سنة ، ما كان يوماً يعمل ضد صالح الوطن ، فاذا قيل : إنه كان فى مدة غورست سائراً على وفاق مع الانجليز ، أجيب على ذلك بأنه كان يسعى فى هذا الوقت إلى توسيع امتيازات مجلس شورى القوانين ، وعلى كل حال إن اختياره الأقامة فى الاستانة بجانب الخلافة رغم تهـــديد الأنجليز ، وإضاعته لعرشه ، كل هذا كاف لنسيان مافات » فوافق وقال : « انه قد أزف الوقت ، فما عندنا إلا فترة من الآن إلى اكتوبر الآتى الذى أرى أن يتم فيه الصلح ، فيجب علينا أن نستعد أثناء هذه الفترة للعمل » قلت: « إن الخديو ، عند ماقرأ فى جرائد الاستانة أن مؤتمر البلاد الأسلامية فى شرق أفريقيا قرر استقلال مصر والجزائر وتونس ومراكش أرسلنى سموه إلى الصدر لأقول : « إنه لايعلم شيئاً عن هذا المؤتمر » . فطلعت باشا أجابنى بصراحته المعلومة أن الحكومة السنية هى التى أوفدت المندوبين من مصريين وهنود إلى استكهولم لهذه الغاية » فقال الشيخ : « نعم هذا هو برنامج الصدر » وأخبرنى أنه وجد مرة فى القطار بألمانيا مع الجنرال زكى باشا ، الذى كان قائداً على حملة مصر قبل جمال باشا والآن هو المندوب العسكرى فى مؤتمر الصلح واستطرد الكلام إلى مسألة مصر واستقلالها ، فقال الجنرال : « إن القطر المصرى لما كان مستقلا أفاد الدولة العثمانية فى حروب عدة فخير لنا نحن الأتراك أن نراه مستقلا » قلت: « ولكن بكل أسف لانرى حراكاً للألمان نحو مسألتنا مع أنهم ما كانوا ليستمروا فى هذه الحرب لو اعتنوا بالحملة المصرية وضربوا الأنجليز فى مصر فكانت انجلترا تخضع للصلح من زمن مديد » قال: « قلت أنا ذلك في وقتها فبدلا من إرسال الجيوش الجرارة إلى القفقاس وفى كل الجهات كان الأولى العناية بالحملة المصرية لكن المسئولية فى ذلك على قيصر ألمانيا وولى عهده فأنهما من المتسببين فى تأخير الحملة لدواع حربية كان يقتضيها الدفاع عن النمسا وبروسيا الشمالية »

قلت: « على كل حال ينبغى علينا نحن المصريين أن نهتم بشئوننا » . قال: « ولذلك سأسافر لألمانيا بعد أسبوعين أو ثلاثة » فقلت: « عليك أيها الأستاذ أن توحد كلمة المصريين » ثم أخبرته بعزمى على السفر أنا أيضاً إلى سويسرة . فقال : « ياحبذا لو سافرت معك لأننى أرغب أن أقضى بضعة أيام بها » قلت : « يكون هذا من حظى

وهناك نبذل جهدنا في اجتذاب المصريين إلى الوحدة حتى نكون كتلة واحدة خصوصاً وأن من بينهم بعض العقلاء الذين هم بكل أسف مشتتون فى آرائهم السياسية فلو أرشدناهم إلى الطريق المستقيم فذلك خير ، لأن الألمان يزعمون أننا كمية مهملة أولا : لأن المصريين فى مصر لا يحركون ساكنا ولا يثورون على الحكومة المحلية مع أنهم معذورون حيث لا توجد أسلحة بين أيديهم وليس لهم سند يركنون إليه وثانياً : لأنهم ينظرون إلى انقسامنا فيضحكون منا » فقال: « لو سافرنا نبذل جهدنا فيما هو لازم » ثم أثنى على فؤاد بك سليم قائلا: « إنه اشتغل جيداً فى المدة الأخيرة » .

ثم قال: « أما مايدعيه الألمان من أن المصريين لم يصنعوا شيئاً فى هذه الحروب فأنى فى خطبة ألقيتها فى برلين باللغة الانجليزية وترجمتها إلى العربية ستصدر فى العالم الاسلامى ، أظهرت الخدمات الجليلة التى قام بها أبناء النيل حتى فى وقت ضغط الانجليز عليهم فأنهم أبوا الدخول فى الحرب ، مع أنه كان يمكن تجنيد مليون عسكرى منهم » .

وفى أثناء تناول الطعام مر علينا جمال باشا فسلم على الشيخ ؛ ولما خرج من غرفة المائدة وقف أمام مائدتنا ، وكلمه بالعربية بأنه إذا أراد مقابلته فيكون ذلك فى النظارة بعد الظهر .

ولما عدت ورويت للخديو حديثى مع الشيخ جاويش قال : « ربما يكون طلعت باشا الصدر هو الذى أوحى له بالتقرب منا » .

وفى صباح ١١ قابل الخديو الشيخ جاويش فدعاه لتناول الغداء معنا . وقد أخبرنى الخديو عما يظنه من أسباب ميل الشيخ عبد العزيز لجانبه فى الأيام الأخيرة . وأن غرضه من ذلك هو أن يجعل لنفسه شأناً ، وأنه عرض على سموه فكرة جمع المصريين في برلين المنقسمين أحزاباً وشيعاً وتوحيدهم جميعا ، وبهذا تكون له الكلمة العليا عليهم وعلى فريد بك أيضاً ، وطلب من سموه الموافقة على هذه الفكرة حتى يجمع المصريين المقيمين بالاستانة أولا ويخبرهم بأنه متفق مع جنابه على هذا العمل . وأن سموه قد وافق على طلبه ، وأخيراً طلب من الخديو ألا تكون بينه وبينه واسطة بل يتلقى الأوامر هو رأساً .

وكذلك حادثة الخديو فى تخاوفه من إهمال الألمان للمسألة المصرية واعتبارهم إياها مسألة تركية بحتة ، فأجاب الشيخ بأن هذا هو الواقع ، فتحقق سموه ما كان يظنه من قبل ويتخوفه من هذا القبيل .

الشقاق بين زعماء الحزب الوطنى : وفى يوم ١٤ أخبرنى الخديو أن الشيخ جاويش بعد أن اجتمع بسموه فى المرة الأخيرة جمع المصريين المقيمين بالاستانة وكان واقفاً مع احمد بك صادق لايهامهم أنه يعمل برضى الخديو ، لأن صادق بك رجل سموه ، وأخبرهم أنه اتفق معه على تشكيل هيئات تمثل الأحزاب فى مصر ، وأنه هو سيتكلم بالنيابة عن جميع هذه الأحزاب للدفاع عن صالح البلاد ، فانبرى له أحد الحاضرين وواجهه بأنه إنما يقصد من ذلك مناوأة محمد بك فريد والظهور عليه ، وامتنعوا عن مرافقتـــه قائلين : « إنهم لايظنون أن الخديو يوافق على هذا البرنامج ... »

قال سموه : « والشيخ لم يحسن السياسة لأنه اشتبك مع الدكتور أحمد فؤاد فوقع بينهما جدال شديد » .

وقد كنت أعلم أن عباساً يسره وقوع هذا الشقاق بين رجال الحزب الوطنى فعنـدما أخبرنى بذلك قلت : « هاهى ذى نفحات سياستك ظهرت ، فأنت الآن أوقعت الشقاق بين جاويش وفريد وفؤاد » فأظهر سروره ، وضحك كثيراً ، وربت على كتفى مرات . ثم أخبرنى كذلك أن الشقاق قد وقع بين المصريين المقيمين هنا وبين احمد بك صادق ، لأنه كان معضداً لسياسة الشيخ جاويش ، وأراد إفهامهم أن الخديو موافق على هذه السياسة ، لينفضوا من حول فريد فحنقوا عليه لذلك .

غضب الخديو على الشيخ جاويش : وقد ظلت العلاقات حسنة بين الخـديو والشيخ جاويش ، حتى علم سموه يوم أول ابريل أنه ذهب مع شكيب أرسلان إلى البرنس سعيد حليم ، وطلبا منه أن ينتهز أول فرصة ، ويستوضح الحكومة فى مجلس الأعيان عن سياستها نحو احتلال الانجليز لمصر .

وقد أخبرنا الخديو بما علمه وهو محتد ، قائلا : « كيف يطلب هؤلاء الناس من سعيد حليم ذلك ، مع إظهارهم لنا الاخلاص والولاء ؟ ولا يزال إذن حزب الصدر موجوداً يعمل لصالحه ضدنا »

ومن هذا الوقت غضب الخديو على الشيخ جاويش وانقطعت العلاقات بينهما

محاكمة بولو واعدامه : فى يوم ٧ سبتمبر سنة ١٩١٧ تقرر أن يكلف ثريا بك من قبل الخديو بأحضار يوسف صديق إلى الاستـانة ، خوفا من أنه بعد سفر عباس إليها يستدعى إلى باريس ، ليشهد على بولو باشا فى القضية التى أقيمت عليه

ويفشى الأسرار التى يعرفها فى مسألة المبالغ التى صرفت من ألمانيا .

وعلى ذكر هذه المسألة أقول : إننا قرأنا بعض ما كتب في الجرائد الفرنسية فقال عباس : « إن يوسف أفشى ما كان يعلمه من إرسال المبالغ من بنك درزدن إلى بنك زوريخ » فاقترح شديد أن يطلب سموه من مدير البنك بأن يرجع الشيكات إلى برلين ، أو يضعها فى ظرف ، ويختم عليه بالشمع الأحمر ، حتى لايتسنى لأحد أن يلتقط صورها برشوة تعطى لمستخدم البنك . قال سموه : « ولا يعرف أحد كيف تصرفت أنا في هذه المبالغ لأنها سلمت من يدى لأيدى آخرين مباشرة فالمعلومات المنشورة فى الجرائد مأخوذة من تقرير يوسف باشا الذى يحتوى ١٨ صحيفة ، وقرأه على الشمسى بك ، والخوف من أنه بعد سفرنا إلى الاستانة يأخذونه لفرنسا ، ويواجهونه بموسيو بولو ، ليصلوا إلى اعترافات منه تجرحنا لأنه إلى الآن لم يقل شيئاً ضدنا ، أما كافالينى فانه فى أمان بأيطاليا ؛ وكانت السلطة العسكرية الفرنسية ستقبض عليه فى الحدود ، ولكن الأيطاليين توسطوا له وهكذا تخلص ، وأظن أنه لايمكن إكراهه على دخول فرنسا وأنى سبق أن أوصيته كثيراً ، وحذرته من إفشاء السر فلا خوف علينا من جهته » .

قلت لسموه : « إنه من المحتمل أن المعلومات التى كتبتها الجرائد الفرنسية مأخوذة من الأوراق المضبوطة عند يكن باشا » فنفى ذلك لأن الاوراق ليس بها شىء مما نشر . .

فزع الخديو : وفى يوم ١٨ فبراير سنة ١٩١٨ قرأنا فى الصحف أن بولو بعد محاكمته في فرنسا صدر الحكم عليه بالاعدام ، جزاء على المشروع الذى كان يهم به ولما علم الخديو بالخبر اضطرب له ، وقال : « إنه ليس حكما فرنسياً بل هو انجليزى » يعنى أن الانجليز هم الذين هيئوا أسبابه . ثم قال : « وبعد ذلك سيحاسبوننى أنا أيضاً على هذا العمل » ثم أبدى أسفه على أن الألمان الذين حبذوا هذه الفكرة ، قد تركونا ولم يهتموا بنا ، والاتراك من جهة أخرى لايعلقون أهمية على هذه المسألة وأخيراً أمرنى بأن أقابل الدكتور بروفر مدير قلم الاستخبارات الألمانية بالاستانة وأطلب منه أن ينوب عن سموه فى مقابلة سفير ألمانيا ، ورجائه بأن يطلب من برلين إرسال كل مايكتب فى الجرائد الفرنسية والانجليزية فى مسألة بولو ، ولا سيما مايرد فيها عن الخديو . وكذلك أن يستقصى هل من الممكن الاستفهام بواسطة

برلين من مصر عما يدور فى أفكار الانجليز من ناحية المسألة المذكورة ، لكى يكون على بصيرة بما سيقررونه فى هذا الشأن ، لتدارك الخطر قبل وقوعه .

ولما قابلت بروفر وعد بعمل اللازم ، وأبدى لى رأيه فى أن الانجليز لا بد أن ينتقموا من الخديو فى مصر .

ثم أمر عباس بجمع كل ما حصل من يوسف صديق من أول مخابراته مع الألمان بالآستانة ، للاتفاق بين سموه من جهة وبينهم وبين الأتراك من جهة أخرى ، واقتراحاته عن أعمال بولو وكافالنى فى مسألة الدعاية ، ومخابراته مع ناظر خارجية ألمانيا . . . الخ

وقد قال : « إن بولو مظلوم ، والذى كان يجب شنقه هو يوسف صديق أصل كل المصائب » . ثم قال : « وبما أن أحمد بك صادق عدو يوسف ، ويعلم عنه أموراً فسأحرضه على وضع تقرير بما يعلمه عنه ، وكذلك عبد الله البشرى فأنه يحيط ببعضها ، ويكتب تقريراً آخر لاستخدامهما إذا لزم الحال

تشهير الفرنسيين ببولو : وقد نشرت فى باريس ثلاث رسائل تضمنت معلومات تفصيلية عن شخصية بولو وأعماله ومحاكمته ، وتنفيذ الحكم عليه ، ومما ورد فيها أنه وصلت أخبار للحكومة الفرنسية عن مشروع بولو ففتح تحقيق فى باريس ولكن لم يقبض عليه لعدم توفر الأدلة ضده . وفى أوائل سنة ١٩١٦ علمت بدخول عشرة ملايين فرنك باسم بولو إلى أمريكا ، فازدادت شبهتها فيه . ولما دخلت أمريكا الحرب سنة ١٩١٧ أرسلت إليها لجنة تحقيق ، وبعدها قبض على بولو . وتنقسم أعماله إلى قسمين :

١ — فى سويسرا فى فبراير سنة ١٩١٥ حصلت مقابلة فى جنيف بين بولو وصديق باشا ، عرض الأول فى أثنائها على الثانى مشروعاً مهماً لفصل فرنسا عن انجلترا فى عقد صلح على انفراد مع المتحالفين ، وشراء بعض الجرائد الفرنسية للترويج لهذه السياسة .

واختار بولو من بين هذه الجرائد الطان والجرنال والرابيل . . .

وحدثت بعد ذلك مقابلة أهم من الأولى فى زوريخ ، بين بولو والخديو ، ويوسف وكفالينى . وقد استحسن الخديو مشروع بولو وعرضه على موسيو سميرين النائب المجرى ، وكذلك على الكونت مونتس سفير ألمانيا فى روما سابقاً .

وهذا الأخير وافق عليه ، ووعد بالكتابة إلى فون ياجو وزير الخارجية الألمانية . وقد سافر يوسف لمقابلة الوزير الذى قبل المشروع وخصص لتنفيذه عشرة ملايين من الفرنكات على أن يدفع مليونان ونصف مليون فى كل من الشهرين الأول والثانى ، وبعد ذلك يدفع مليون كل شهر .

وأن الخديو ويوسف وكافاليى قبضوا المبلغ ، ولم يوفق بولو إلا لشراء بعض أسهم الرابيل بمبلغ ١٧٠ ألف فرنك .

ولما جاء موعد دفع القسط الثانى أراد هؤلاء الثلاثة إبعاد بولو من توزيع هذا القسط كما سبق ، وأن يختصوا هم بالعمل دونه ؛ وعهد إلى كافالينى بشراء أسهم الجرائد ، فلم يفلح .

ولما أخفق الخديو فى محاولة شراء الجرائد طالبته ألمانيا بدفع ما بقى عنده من القسط الثانى ، وهو ٨٣٥٠٠٠ مارك وكان متردداً فى دفعه . إلا أنه فى آخر الأمر أعطى شكا بهذا المبلغ لمسيو بادل مندوب وزارة الخارجية الألمانية .

٢ — فى أمريكا : وقد أراد بولو أن ينفذ مشروعاً خاصاً به ، ولذلك تخابر مع مسيو هومبرت النائب ومدير جريدة « الجورنال » واتفق معه على مشترى ١٢٨٠ سهماً بمبلغ ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ فرنك تدفع بعد الحرب ، فذهب إلى أمريكا ومعه العقد المبرم بينه وبين موسيو هومبرت ، وبواسطة موسيو بافينستيد الموظف فى بنك « جيرماند أميركانو » تمكن من عرض مشروعه على الكونت بيرنتورف سفير ألمانيا فى واشنجطون ، وطلب منه لتنفيذ مشروعه عشرة ملايين من الفرنكات ، فانخدع بيرنتورف ، وأرسل برقية إلى فون ياجو بذلك . فجاء الرد بالقبول ، وأرسل المبلغ على جملة مصارف فى نيويورك .

وقد اشتبهت السلطة الفرنسية فى المبالغ التى وردت باسمه إلى أمريكا ؛ ولكنها لم تجد الأدلة كافية . وعند دخول أمريكا الحرب أسرعت بارسال لجنة تحقيق إليها وعندئذ قبض على بولو الذى أنكر أن هذه المبالغ وردت من ألمانيا ؛ وادعى أنها من نقوده الخاصة وكانت مودعة فى أنفيرس .

شهادة يوسف صديق تسبب إعدام بولو : ولكن ثبت من التحقيق غير ذلك وكان من الأدلة التى تجدت ضده معلومات حصل عليها مراسل جريدة الماتان من يوسف صديق باشا . وقد كانت هذه المعلومات سبباً فى إعدامه .

رحلتي للسويسرة كلها متاعب وآلام : بعد ما عدت مع الخديو إلى الآستانة ، وانتهيت من ترتيب ما يلزمه من المخصصات والرواتب للحاشية والسراى ، وانتهيت كذلك من حفلة عيد جلوسه على ما يرام ، واستقرت معظم المسائل التى تشغل باله ، استأذنت فى السفر إلى سويسرة للاستشفاء ، ولاستصحاب أسرتى والعودة بها إلى الاستانة ؛ وقد اجتهدت فى استخراج جواز سفر سياسى لأضمن عدم تفتيش أمتعتى ، وقابلت الصدر لهذا الغرض فأمر بتسهيل طلبى

أوامر بخصوص عبد المنعم : وقد كان معى من التعليمات التى أخذتها من الخديو عند سفرى فيما يختص بالبرنس عبد المنعم ، ألا أهتم بشىء عنه ، ولكن لما وصلت إلى سويسرة أرسل دولته يطلب مقابلتى ، فأجبت رسوله رشيد بك بأن الأصوب ارجاء المقابلة حتى لا يسىء الانجليز الظن به وبى ، وربما فهموا أننى قدمت لاستمالته إلى والده ، ولما بلغه ذلك اقتنع ، ولكنه تأثر وقال : « انه يحبنى ويقدرنى وأنه كان يريد أن يسألنى عن أخواته » فأبلغت رسوله أخبارهن

بريد الخديو وطبيب خاص له : وكنت قبل سفرى وعدت الخديو أن أتفق مع قنصل جنرال الدولة فى جنيف على ايصال البريد الخديوى للاستانة ، وقد تم ذلك ، وصارت الرسائل تصل له وترد منه في مدة قصيرة

وكذلك كان سموه قد اختار طبيب أسنان من السويسرة ، ولكن سفره تعطل من ناحية الحكومة السويسرية ، فتوسطت لديها حتى صدر إذنها للدكتور بالسفر

وقد جاءتنى رسالة من البشرى بشكر الخديو على إنهاء هاتين المسألتين

الاستعداد للعودة إلى الاستانة : أخذت فى إعداد معداتى للسفر من سويسرة أنا وعائلتى ، فاستدعيت نجاراً ليرتب الأثاث فى صناديق كبيرة ثم ذهبنا إلى بادن للاستحمام علاجاً للروماتيزم الذى كان ينتابنى

أمانة السويسريين : وهناك جاءتنى رسالة من النجار بأنه وجد فى أحد الصناديق خاتم زواج من الذهب ، مكتوباً عليه اسم « عزيزة شفيق » سلمه له صبيه ، وهو يرسله لنا ؛ فأعجبت بأمانة الصبى والنجار وأرسلت له رسالة شكر ومعها مكافأة

وعلى ذكر هذه الأمانة أذكر أننى كنت يوماً مع حرمى نؤدى بعض الزيارات

فى جنيف ، فافتقدت ساعتها ، وبها جديلة ذهبية ودبوس ، فأعلنا عن ذلك ولم تمض ثلاثة أيام حتى جاءت سيدة فقيرة ، وسلمت لنا الأمانة الضائعة بعد التأكد من أنها لنا

وكذلك فى مرة أخرى كنت ذاهباً إلى لوزان ، ومعى حقيبة ومظلة وأنا أسرع لادراك القطار المتسلق لزيارة فؤاد علوى (ابن الدكتور علوى) المريض بالسل فى مصحة فوق لوزان . ولشدة العجلة وضعت المظلة على شرفة فندق ونسيتها ، وبعد عودتى بأيام جاءتنى المظلة ، وكان منصور القاضى قد أعلن عن ضياعها ، وعلمت أن أحد المارة رآها فسلمها لمكتب الشرطة الذى علم أنها لى فأرسلها مع جندى

السفر : فى يوم ١٧ مايو سافرت من جنيف ومعى أسرتى وأسرة عبد الحميد شديد بك فأمضينا ليلة في بوكس ، ومنها إلى فلدكرش ، وعند قيامنا منها لم يستحضر الحمال كل أمتعتنا ونسى ثلاث حقائب ، ولم نعرف ذلك إلا بعد قيام القطار فاضطررنا إلى النزول فى بلودنس ومنها عدت إلى فلدكرش ، واستحضرت الحقائب ، وفى يوم ١٨ منه قمنا إلى أنسبروك فوصلنا إليها قبل الساعة السابعة مساء

وكنت قد حجزت مقاعد لنا فى القطار السريع الذى يقوم بعد وصولنا إلى أنسبروك ببضع دقائق

ضياع حقيبة بها حلى ونقود : وقد تعبنا لأن أمتعتنا كانت كثيرة يضاف إليها الأطفال . ولما قام بنا القطار لاحظنا أن الحقيبة التى بها حلى حرمى والنقود الذهبية تركت فى أنسبروك فأخطرنا الكمسارى الذى نبه بالتليفون عند أول محطة للبحث عنها ، وجاء الرد من المحطة التى نسيت فيها بأنها سترسل عند وجودها بقطار الصباح إلى فينا ولكنها لم تحضر

انتظار عباس بالقطار فى بودابست : ووصلنا الى فينا صباح ١٩ منه ، وأمضينا الليلة ، وفى ٢٠ وصلنا الى بودابست بناء على أمر الخديو — وكان فى أثناء غيابى قد دعاه امبراطور ألمانيا لمقابلته بقصد زيارة خطوط النار ؛ وقد أتم هذه الزيارة ، وفكر فى العودة ، فأبرق لمقابلتى — وقد نزلنا بفندق هونجاريا ، وعلمنا أن الغرف محجوزة لسموه وحاشيته ، وتأخر حضوره جملة أيام ثم وردتنى برقية أخرى لمقابلته بمفردى فى المحطة . ولما وصل القطار قابلته وكان فى صالون ، وطلعت باشا فى آخر ، وأحد أولاد السلطان عبد الحميد فى ثالث ، فسألته عن الحالة السياسية ، فأجابنى :

« المسألة لأجلنا بطالة » وكان الكدر باديا على وجهه . وقال : إنه طلب إضافة مركبة نوم لأخذ عائلتي وعائلة شـــديد ، ولكنهم قالوا في برلين أنه لاتوجد مركبات خالية .

عودة الى الحقيبة الضائعة : وبعد ذلك رجعت الى انسبروك ، فعلمت أن الحقيبة الضائعة قد سلمها الحمال لأحد مستخدمي المحطة ، وهذا ادعى أن أحد الأتراك حضر بعد قيام قطارنا ، وذكر أنه مرسل من قبلي لأخذ الحقيبة ؛ ولكن لم يعرف اسمه ، ولم ير جوازه ، ولم يكتب محضر جرد وتسلم لتوقيع المتسلم عليه ولم يثبت أنه سلمها له أمام شخص ثالث ؛ فذهبت الى قاضي التحقيق ، الذي فتح « محضراً » دون فيه معلوماتي وملاحظاتي على تصرف الموظف ، وقد اتهمته باخفاء الحقيبة .

الرجوع الى بودابست وهدنة البلغار : ثم عدت الى بودابست بعد أن سلمت الأوراق لأحد المحامين في فينا ؛ وتركت عبد الحميد شديد وعائلته انتظاراً لقطار آخر لعدم وجود أماكن كافية لنا جميعاً . ولكن علمنا في نيش أن البلغار سلمت سحلفاء ، وأن الطريق قطعت ؛ وقد أثار هذا الخبر هياجاً عظيما بين المسافرين ، وكان الزحام والحيرة في هذه الليلة كأنها في ليلة الحشر .

وقد نزلنا في خان قذر ، ذقنا فيه الأمرين ولم يكن به غير سريرين ، مع أننا كنا خمسة .

وفي الصباح حاولنا السفر الى بلغراد ، ولكنا لم نجد أماكن في القطار لشدة لازدحام ، لولا رأفة جماعة من البحارة والجنود الألمان في « جوبن » الوابور الحربي الألماني بالآستانة ، فانهم قبلونا معهم في غرفة بالدرجة الثالثة ، وقد كنا عشرة مع أمتعتنا . وساعدونا كذلك في بلغراد على نقل الأمتعة وإيجاد غرفة في خان بها أربعة أسرة وأنظف قليلا من التي في نيش .

متاعب ومرض وآلام : وكان من جراء هذا الإجهاد أن أصابتنا جميعاً الحمى الوافدة ؛ واشتدت وطأتها على حرمي ، عدا ما أصابها من الضعف .

وبعد ذلك عدنا الى بودابست ، وكانت حالتنا الصحية سيئة ، ولاسيا حرمي ، فان المرض أثر فيها كثيراً ، بحيث لم تتمكن من النزول على سلم الخان إلا زحفاً .

وأقمنا في « بنسيون » أسبوعا بكل رجاء ، لأن صاحبته كادت تخرجنا لما عاينته من مرضنا ، وحضور الأطباء لمعالجة حرمي ، وتوقعهم وفاتها .

وتوجهت بعدها الى فندق آخر وحجزنا غرفتين بهما أربعة أسرة . وهذا الفندق الجديد في غاية النظافة ، وبه حديقة غناء ، وحمامات من أحسن مارأيت والأبهاء جميلة الأثاث ، ومديره طبيب .

وقدارتاحت حرمي وتعافت نوعا بعد أسبوعين إلا أن كريمتي أصيبت بالدفتريا فأمر طبيب الفندق بارسالها الى مستشفى الحميات ، ورافقتها والدتها ليلا ، وكانت حالتنا مزعجة .

وبعد أيام خرجت حرمي من المستشفى بعد ان اطمانت على صحة كريمتنا ، ثم أصيبت في اليوم الذي خرجت فيه باضطراب معوى شديد

وقد تركنا هذا الفندق إلى فندق آخر في مرجريت من جراء وقوع انقلاب في حكومة بودابست الى النظام البلشفي ، واحتلال المنتمين للبلشفية هذا الفندق . وكان رئيس الحكومة يسمى « بلا كون » . وقد استولى البلاشفة على سوق الأغذية ؛ وخصصوا بعض المحال لهم ، وعليها شارات حمراء ، وبعضها لغيرهم . ونظراً لأن الطبيب أمر بأن تتناول حرمي أطعمة جيدة كنت أذهب الى السوق قبل الفجر للحصول عليها : وكان المشترون يقفون بترتيب حضورهم صفاً طويلا أمام الدكاكين ومع أنني كنت أبكر إلا أنني لم أكن أجد ما أطلب في بعض الأحيان . وكان هذا الاجهاد مما يثير أعصابي ، ويجعلني كثير التهيج ، حتى أنني لم أكن أطيق ضحك أولادي ولعبهم؛ وأثر هذا في أعصابي تأثيراً سيئاً

ولما اعتدلت صحة حرمي عزمنا على السفر ، وتمكنت من سحب أموالي ، وتقييد اسمي للسفر في القطار الصحي

وفي يوم ٧ يوليو سافرنا فوصلنا الى فينا بعد يومين

ولم نعثر على فندق نستريح به إلا بعد المرور على عدة فنادق مزدحمة فحمدنا الله على ذلك

وفي يوم ١١ يوليو قدمت نفسي للدكتور فوكس الرمدي ذي الشهرة العالمية وذكرته بأنه أوصى في سنة ١٩١٢ بضرورة إجراء عملية الماء في عيني اليمنى بعد خمس أو ست سنوات ، ففحصها وقرر أنها صالحة الآن للعملية ، واتفق معي على اجرائها في الغد ، وحجزت لذلك غرفة في المصحة

وفي الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم المحدد حضر الدكتور ، ومعه مساعده

وطبيب المصلحة ، وطمأنني بعد فحص عيني للمرة الثانية بأن العملية مضمونة النجاح؟ ثم ابتدأ في وضع المخدر الموضعي وأتم العملية في مسافة قصيرة ، ثم ربط العينين، وتركني . وقد قضيت الليلة متألماً . ثم عاد لزيارتي في الصباح وقال : « إن الحالة جيدة» . فشكوت له من الامساك فنصح لي بأخذ ماء معدني ، وأمر بالغذاء المناسب .

ولكن الامساك ظل يزداد ، وأحسست بالتهاب في عيني ، فحلل الطبيب البول . وفي هذه الأثناء حضر الدكتور كاوتسكي ، وعلمت منه أنه وجد في البول واحداً في الألف من السكر . ولما جاء الدكتور فوكس سألته عن سبب الالتهاب وما ينشأ عنه ، فأجابني : « ينشأ عنه « اكسوداسيون » . فسألته : « وهل يتلف العين ؟ » قال : « بكل أسف نعم» فكان هذا الجواب ضربة شديدة على نفسي .

ثم بقيت بعد ذلك من يوم ١٦ إلى ٢٤ للتغيير ، وغادرت حجرة المصحة إلى الفندق حيث تقيم عائلتي .

وبعد عشرة أيام قابلت الدكتور فوكس ، ومعي الدكتور كاوتسكي وطلبت منه أن يدلني على ما يقوى نظر عيني اليسرى ، ففحصها ثم كتب ورقة لكاوتسكي بنوع من النظارات يساعدني على القراءة والكتابة .

العودة إلى السويسرة : وقد سافرنا في ٢٣ أغسطس فوصلنا إلى فلدكرش ومنها إلى بوكس ، ثم زوريخ ، ونزلنا في فندق ناسيونال .

وكانت حرمي قد شكت للدكتور كاوتسكي من آلام تعتريها في معدتها . فكشف عليها بأشعة رنتجن ، وأخذ صورتين لها ثم أوصاني أن أعرضها على طبيب نمساوي في زوريخ فلما بلغناها ذهبنا للطبيب فأشار بعملية ، ولكنها رفضت ، وبقي الألم يعاودها بعد ذلك .

ثم سافرنا إلى لوزان فقدمتها للبروفسور « رو » فقرر وجود حصاة في المعدة تستدعي عملية . ولكنها بقيت تتردد في إجرائها حتى يوم ٢٥ نوفمبر ، فاستشرنا « رو » للمرة الأخيرة فأصر على ضرورة العملية . وعلى ذلك رضيت بها وحجزت لها حجرة بالعيادة من أول ديسمبر . وفي اليوم التالي أجريت العملية . وبقيت في المستشفى إلى يوم ٢٤ ، حيث تقرر خروجها في ذلك اليوم معافاة ؛ فسررنا وأعددنا

المعدات لاقامة حفلة فى الفندق بحضور الأولاد ، ولكن الله لم يكن قد أراد انتهاء هـذا المرض إذ ظهر أخيراً أنه لا بد من عملية أخرى يوم ١٣ يناير سنة ١٩١٩ ومع ذلك قد خرجت معنا ، وأقمنا الحفلة وقضينا فيها وقتاً كنا خلاله فى فرح وسرور .

شؤوه مختلفة :

أسرار عن الثورة العرابية : فى ١٤ يناير حضر إسماعيل باشا فاضل ، من رجال الحربيه القدماء ، وكان مرافقا للسلطان عبد الحميد ، والتمس مقابلة الجناب الخديو بواسطة محمد عارف باشا رئيس الديوان التركى ، وكان سموه فى هذا الوقت فى فسحة بالجبل . فانتظر الباشا المذكور حتى رجعت . وفى هذا الاثناء تحادث معنا فى كثير من أحوال السلطان عبد الحميد فسألته عما يعلمه من أخبار داخلية الحرم الشهانى فأجابنى بأن الخدمة فيه موكولة إلى عدد كبير من القلفوات الجراكسة وكل قادن أفندى (أى أم أولاد) لها عدد معلوم من القلفوات المذكورة .

أما نفس السلطان فله محظيات فى العادة تشترى بواسطة أمهات أولاده . فكل قادن تشترى محظية وتقدمها للسلطان بصفة هدية وبشرط أن تكون جميلة ؛ وكل قادن تجهد فى أن هديتها تكون أكثر قبولا من هدية الأخرى .

والجلالته جناح مخصوص فى سراى يلدز ولكن غرفة النوم لا تكون معلومة بل تتغير حسب الارادة الشهانية خوفاً على حياته من مفاجأة خارجية بتدبير مؤامرة .

ويوجد عدد كبير من الأغوات لحفظ نظام العمل بين القلفوات وذلك بالتناوب . ومن بين هـؤلاء الأغوات بعض الممتازين يرجع إليهم فى حالة وقوع مخالفات من الآخرين .

أما الباش أغا فله دائرة مخصوصة خارج الحرم وله حرمة عند السلطان فيتقابل معه خصوصاً عند تناول القهوة بعد الطعام وله رتبة وزير .

وقد سألته عما إذا كانت أمهات أولاد وبنات السلطان من أصل جركسى مسلم لانه بلغنى أن من بينهن أرمنيات فائقات فى الجمال . فقال إنها اشاعات خارج السراى ومن المحتمل أن يكون ذلك ولكن هذا نادر جداً .

وقد قضينا مع فاضل باشا مدة طويلة وأخذنا منه معلومات كثيرة غير ذلك حتى رجع عباس من نزهته — وكان وقت تناول الغداء حينذاك — وطلب الباشا ودعاه معنا لتناوله . وبعد انصرافنا اختلى سموه به وتحادثا مدة طويلة .

راقنى حديثه فدعوته إلى غرفتى بالسلاملك وسألته عما إذا كان يعلم عن حوادث الثورة العرابية وسياسة السلطان التى اتبعها مع عرابى . فأجابنى بأنه يعلم بعض أسرارها وروى لى أن عبد الحميد كان على اتصال خفى مع العرابيين بواسطة الشيخ ظافر الذى كان يحبه السلطان وشيخه فى العهد ويأتمنه على أسراره . وكان المشاع أن الشيخ المذكور كان يحذر جلالته من أن يجاهر بعداوته للعرابيين ويحاربهم وهو خليفة المسلمين . وروى لى أنه عند ما ثار عرابى على توفيق باشا كانت الدولة عزمت على إرسال حملة لاخماد الثورة وصدرت الأوامر باستعداد عساكرها التى كانت فى كريت للسفر إلى مصر ، وأمرت فرقة من الأستانة بالذهاب إلى كريت لتخلفها . إلا أن يوسف رضا باشا ، رئيس لجنة سكان المهاجرين ، رفع تقريراً إلى السلطان يحذره من إخلاء العاصمة من العساكر لئلا يخلعه الشعب كما خلع السلطان عبد العزيز . فخاف على نفسه واستعاض عن الحملة العسكرية بارسال درويش باشا سعياً للوفاق بين العرابيين وتوفيق باشا .

في الأسرة الخديوية : فى يوم ١٩ ينـاير جاءت برقية من شديد يطلب فيها ١٥ ألف فرنك لمصاريف سفر جلال الدين باشا وعائلته ، فأرسل الخديو عارف باشا ليحصل على إذن المالية بارسال المبلغ المذكور .

وفى يوم ٢٨ منه تكلم الخديو مع جلال الدين باشا (وكان قد حضر) بلطف إنما طلب منى ومن عارف باشا أن نجرى حساباً عما صرفه وعما تسلمه من شديد بك قبل سفره وهو ٢٥ ألف فرنك سويسرى و٩ آلاف كورون أرسلت له فى فينا . فتكلمنا مع الباشا وكتب عارف وثيقة بتسليم المبلغين .

المصريون فى السويسرة : فى يوم ٣١ يناير حضر شتوان بك إلى بيك ، وأخبرنا أن الحكومة العثمانية سترسل مندوباً إلى سويسرة للقيام بتحقيق عن حالة المصريين

الذين يتناولون بها مرتبات من الدولة ، لمعرفة ميولهم نحو أعدائها ، وطلب من سموه أن يرسل له معلوماته عن هؤلاء المصريين لتقديمها إلى المندوب . وقد كلفنى أن أتعاون مع عبد الله البشرى على كتابة مذكرة بالمعلومات المطلوبة .

فأعددناها معاً يوم ٢ فبراير وهى تحتوى على ما يأتى :

أولا : المصريون فى سويسرة ينقسمون إلى طلبة وغيرهم : ومن الطلبة من يأخذ مرتباً من الدولة ، ومنهم من تأتى له نقود من مصر . أما غيرهم فنهم رجال ونساء ، وبعضهم يأخذ نقوداً من الدولة ومن مصر .

ثانياً : من المصريين خليل بك وهذا استحضر معه خادمة انجليزية من الاستانة بجواز سفر عثمانى ، وقد تزوجت بصف ضابط إنجليزى موظف الآن فى سفارة انجلترا فى برن وله علاقات ومخابرات مع قنصل انكلترا فى جنيف . وقد تمكن من استخدام مبارك بك ابن الصدر الأسبق فريد باشا مخبراً سرياً براتب يتقاضاه من الدولة ، مع أن مبارك هذا سافر لسويسرة والآن يتجسس لحساب الانجليز .

وكذلك فى الاستانة زوجة فريد باشا ، وهى تستحضر نقوداً من أحد بنوك ألمانيا وترسلها لابنها نور الدين بك .

وقد أرسلنا المذكرة لشتوان بك مع رسول بعث به فى طلبها .

وفاة السلطان عبد الحميد : فى يوم ١١ فبراير أعلنت الصحف وفاة السلطان عبد الحميد ، وعلم الخديو هذا الخبر فأبدى أسفه وحزنه . ولما كان نجله عبد الرحيم افندى قد زار الخديو قريباً فقد سألت سموه : « ألم يخبركم عن مرض والده ؟ » فأجابنى « لا ياشفيق ، لم يفاتحنى فى هذا الصدد ولا بد أنه غير سائل عن والده ولا يهتم بحياته أو موته » . فقلت بتأثر « كل شىء قسمة ونصيب » . وقد ذهب سموه للاشتراك فى تشييع الجنازة بالملابس الرسمية ، ومعه رئيس التشريفات ، والسرياور ، ورئيس الديوان التركى ، ولم أذهب أنا لعدم تكامل الملابس الرسمية عندى .

وفى المساء توجهت مع الخديو أنا ورمزى باشا طاهر ، وعارف باشا ويكن باشا إلى ضولمه باغجه وكتبنا أسماءنا فى سجل التعزيات ، ثم قابل عباس

السلطان فعزاه فى وفاة شقيقه . أما نحن فانتظرنا فى غرفة رئيس الحجاب ، وهناك حضر توفيق باشا الصدر قبل الأسبق وكان سفير الدولة في انجلترا قبل الحرب ، فقدمت نفسي وزملائى اليه وجلسنا نتحادث فسألنى عن البرنس محمد على باشا ،وعن حسين رشدى باشا حيث كانا فى حفلة تتويج ملك انجلترا ، عندما كان هو سفيرا بلندن .

مذكراتى فى يد الخديو : كنت قد تركت المذكرة التى أقيد فيها مذكراتى اليومية يوم ٢ مارس سهواً فوجدها منصور افندى القاضى ، وسلمها لأحمد بك فريد لايصالها إلى ، ولكنه سلمها للخديو لافتاً نظره الى خطورة ما أكتبه فيها ، فأخذها سموه وقلب بعض الصفحات ، ثم قال : « ولماذا يكتب شفيق كل مايسمعه أو يعلمه ؟ » وقد بلغنى ذلك من البشرى ، فأخبرته أننى تعودت تقييد مذكراتى منذ عهد بعيد ، وربما تنفعنا فى المستقبل. وقد علمت بعد ذلك أن مقالته نقل الى عباس فأبدى ارتياحه له .

ولما قابلنى بعدها نبهنى الى خطورة ترك مذكرات كهذه يطلع عليها الاخرون وكنت ألاحظ بعد ذلك أنه يكتم عنى كثيراً من الأخبار ، فاستنتجت أنه لايريد أن أطلع على الأسرار وأدونها !... وكانت هذه هى المرة الثانية فى سرقة مذكراتى فعندما كنا فى زوريخ أخذها نور الدين افندى خفية وأطلع الخديو عليها فبعد أن تصفحها أمره بردها في موضعها .

رأى الصدر فى حل المسألة المصرية . فى يوم ٢٤ مارس أوفد الخديو عارف باشا الى الصدر لتحديد ميعاد لزيارته ؛ وتقرر أن يكون الموعد ظهر يوم ٢٦ منه . وبعد عودة سموه كان يبدو عليه السرور من هذه المقابلة ، وأخبرنا أنه دار الحديث حول الصلح الذى عقدته الدولة مع روسية ، وعلى بعض الشئون الحربية فى القفقاس وغيرها .

أما مصر فقال الصدر : « إن مسألتها ستحل على منضدة مؤتمر الصلح ، لأنه من الصعب على الدولة استرجاعها ، بعد توغل الانجليز فى فلسطين » وأكد أن سموه فى نظر الحكومة العثمانية هو الخديو المعتبر شرعا ، ولا خديو غيره .

فقلت لسموه : « مادام الصدر يقول : « إن المسألة ستحل على منضدة المؤتمر » فيجب علينا إذن أن نفكر فيما سنقوم به من الأعمال لخدمة القضية المصرية ،تحت ارشاده » فأجابنى أن الشيخ جاويش يسعى ونحن نريد أن نتركه أولا حتى يظهر فشله نهائياً ، لأنه كما بلغنى قد سقطت قيمته لدى الألمان والأتراك ، وعندما يفشل نقول له : « إذن تخلف أنت ودعنا نحن نعمل !!! »

سنة ١٩١٩

بينى وبين البرنس محمد على — المخابرات بينى وبين سعد باشا — العلاقات بينى وبين عبد الله البشرى . أوامر بخصوص مهنة للاستاذ وفيق المحامى — مخابرات متنوعة مع عباس وحاشيته — حفلة تأبين للمرحوم محمد بك فريد — أخبار عن مصر

بينى وبين البرنس محمد على :

البرنس والحركة الوطنية : أرسلت يوم ٢٨ ديسمبر سنة ١٩١٨ رسالة الى البرنس محمد على ، أطلب منه أن يخبرنى عمن بعث بالبرقيات الى ويلسون طالباً استقلال مصر ، وهل هو على رأس المطالبين بهذا الحق ؟ وهل يستصوب ضم صوتى وصوت من معى من المصريين فى بودابست (حيث كنت قبل العودة الى السويسرة) الى أصوات المطالبين بهذا الاستقلال ؟

وقد جاءنى منه الرد بتاريخ ٢ يناير سنة ١٩١٩ ، يتلخص فى أنه لا يعلم شيئاً عن القائمين بهذه الحركة ، وكل مايعلمه أن المصريين بالسويسرة منقسمون الى حزبين: حزب برياسة محمد بك فريد ، والآخر برياسة اسماعيل بك لبيب .

بين أفراد العائلة الخديوية : وفي يوم ٣ نوفمبر سنة ١٩١٩ جاءتنى رسالة من الدكتور سيد كامل ورد فيها .

« أعرف سعادتكم أن المساعى المتعددة والمتنوعة الجهات ، التى قام ويقوم بها دولة البرنس الجليل محمد على باشا ، سواء لرجوعه الى مصر أولا ، أو لذهابه الى فرنسا ثانياً ، ليست مما انشرح له الجناب العالى الخديوى ، لا لاعتبارات ذاتية فيما يتعلق بمركز سموه ، بل لأن أمثال هذه المساعى ، دون التفكير فى الحضور لرؤية دولة والدته ، مما يجعل دولتها تتأثر وتحزن ، خصوصاً بعد غياب دولة البرنس عنها

خمسة أعوام ونصف عام ، وازدياد شوقها إلى مشاهدته يوما بعد يوم . قرب الله أيام اللقاء فى سرور وهناء »

وقد أرسلت للبرنس بعد وورود هذه الرسالة إلى كتاباً ، أشرت فيه الى مايراه شقيقه فى مساعيه للسفر ، قبل رؤية دولة الوالدة .

فجاءنى الرد منه بتاريخ ٢٩ نوفمبر وفيه يقول :

« قد وصل جوابك وتلوته . فأما رأى أخى العزيز فى مساعى وأعمالى ، فجاً له وأدباً لشخص كان كبيرى وكبير العائلة ، ورعاية للأخوة أحجم عن البوح بشىء مما فى نفسى . وأنكم لتعرفوننا منذ الصغر نحن الاثنين وتعلمون أحوالنا وسلوكنا فى الخمس السنوات التى نأينا فيها عن الأوطان . وأنا والحمد لله قدوصلت اليوم الى سن الخامسة والأربعين ، ومستجمع لكامل الصحة والعافية ، ولا أجهل كل واجب ، وبالأخص واجبات صاحبة الدولة والدتى ؛ والله يعلم ضميرى ، وإنى متوكل عليه ، وطالب منه الرحمة والعفو ؛ وكفانا أعداؤنا المعلومون ؛ فلا يعمل أحد على الايقاع بيننا لهلاك عائلتنا »

وبعد ذلك كتبت إلى سموه أعرض رأيى بأن يرسل إلى دولة الوالدة رسالة ، إذا كان لايستطيع رؤيتها .

فجاءنى الرد منه بتاريخ ٢٧ ديسمبر وهو فى « نيس » يقول فيه :

« أما من جهة كتابتى إلى دولة والدتى المحترمة ، معرباً عن إحساساتى الشريفة البنوية ، فقد أديت هذا الواجب قبل مبارحتى بلدة منترو ؛ وأنا أقوم بهذا الواجب كل خمسة عشر يوماً . وأما سمو أخى المحترم فنسأله تعالى أن يرضيه ويرضينا » .

ثم ذكر أنه من يوم حضوره إلى « نيس » لم تصل إليه ردود على رسائله لوالدته ؛ وهو يخشى أن تكون رسائله لم تصل إليها . ولذلك أرسل لى خطاباً باسمها ؛ وكلفنى أن ألقيه في صندوق البريد ففعلت .

مخابراتى مع سعد باشا : في يوم ٢٧ يوليو أرسلت برقية إلى سعد باشا رئيس الوفد المصرى بفندق « جران هوتيل » بباريس قلت فيها :

« بمجرد رجوعى إلى السويسرة أرسل لمعاليكم وإخوانكم أعضاء الوفد الكرام تحياتى القلبية ؛ وأضم صوتى إلى أصواتكم فى مطالب وطننا العزيز الحقة ؛ وإننى لأرجو الله أن يكلل مهمتكم السامية بالنجاح ، فان الله والحق في جانبنا »

وقد ورد لى الرد في برقية منه بتاريخ ٣٠ منه قال فيها :

« أعضاء الوفد وأنا نشكركم على تحياتكم القلبية » .

وفى ١٩ سبتمبر وردت لى الرسالة الآتية من معاليه ، رداً على رسالة منى اليه .

«عزيزى صاحب السعادة احمد شفيق باشا .

أشكركم جزيل الشكر على ماتضمنه خطابكم الأخير من عبارات التهنئة بحلول عيد الأضحى المبارك أعاده الله عليكم وعلى عائلتكم الكريمة بالصحة والهناء ، وحقق آمالنا جميعاً في استقلال مصرنا العزيزة .

تأثرنا لانحراف صحة السيدة حرمكم المصون ؛ ونرجو أن يكون قد زال ذلك العارض ، وإن حرمى تبلغها أزكى تحياتها ، وترجو لها دوام العافيـة ، ولسعادتكم منى فى الختام أحسن التحية ، وأزكى السلام »

وفى يوم ١٢ ديسمبر كتبت له رسالة جاء فيها :

« الآن وقد استراح فكرى قليلا من ناحية صحة حرمى أردت أن أكتب إليكم فى شأن وطننا العزيز

على الرغم من شواغلى كنت أطالع جرائدنا، وقد تألمت لما يلحق مواطنينا من الفتك بأرواحهم دون شفقة ولا رحمة؛ وخصوصا الشدة التى أعقبت وصول الجنرال اللنبى لمصر، وأنا آسف على رفض اقتراح العضو الديمقراطى فى مجلس الشيوخ الأمريكى بمنح البلاد استقلالها؛ فلم يبق أمامنا إلا ترقب حصول مشاكل جديدة فى أوربا، تسمح لنا بالاستفادة منها ، وعلى كل حال يجب علينا ألا نغفل عن كل احتمال، وأن نتكل على الله وعلى نهضتنا الوطنية التى بارك الله فيها ؛ لافرق بين صغير وكبير ، وغنى وفقير ، ورجل وامرأة

إنما أرى ياأخى القيام بأمرين ، أعرضهما على ثاقب فكركم

الأمر الأول : انشاء جريدة فى بلد محايد بعنوان « الاستقلال المصرى » أو « الأنباء المصرية » ، تعبر عن آمالنا الوطنية ؛ وتدافع عن حقوقنا المغتصبة، وتنشر اخبار بلادنا نقلا عن جرائدنا وجرائد أوربا ، وتنتقـد أعمال المحتلين . وبهـذه الطريقة نغذى الرأى العام الأوربى بما يجرى فى بلادنا على الدوام .

الأمر الثانى : السعى لاستمالة الباب العالى إلى أن يعلن في مذكرته التى سيقدمها بطلباته إلى مؤتمر الصلح ، نزوله عن سيادته على مصر لمصر نفسها . وطبيعى أن هذا الأعلان لاتعمل به انجلترا ، ولكنه يفيدنا أدبياً ، ويساعدنا فى طلباتنا . وإذا

راقكم هذا الاقتراح فأننى أخاطب من يقوم بهذا المسعى وعلى الله حسن التوفيق »
وكنت في إحدى رسائلى للدكتور سيد كامل أشرت بهذه الفكرة ، تمهيداً للبحث عمن يقوم بالمساعى لدى الباب العالى ، إذا وافق سعد باشا عليها .
وفى يوم ١٥ ديسمبر جاءنى منه رد على كتابى ، يقول فيه :
« إن إنشاء جريدة لمصر فى أوربا مسألة تستحق النظر ، وهى موضوع البحث لدينا من زمن طويل . أما مسألة تركيا فلا نرى من فائدة للسعى فيها . أولا : لأننا أعلنا من بدء النهضة الحالية ، أن علاقتنا بتركيا انقطعت وأصبحنا مستقلين عنها . ثانياً : لأن اللورد كرزون صرح في مجلس اللوردات حديثاً بأن انجلترا لاترى لتركيا حقاً على مصر ؛ ولا تعلق مستقبل هذه على مايحصل بينها وبين تركيا .
وبناء عليه فلا فائدة مطلقاً من السعى الذى أشرتم إليه » .
وفى ٢٣ منه جاءتنى رسالة منه ردا على رسالة منى إليه ومما ورد بها :
« إن ماقرأته فى الجرائد ليس إلا صورة مصغرة من نهضة مصر المباركة ، التى هبت من رقدتها ، مطالبــــة بحقها فى البقاء ، شاعرة بأن لابقاء لها بغير الحريات والاستقلال ، باذلة في سبيل ذلك أعز مالديها من الأرواح والأموال . ولقد أنابتنا فى المطالبة بحقوقها ؛ وكم صادفنا في طريقنا من الصعوبات ، ولكنها لم تثن عزائمنا ، فنحن مثابرون على المطالبة بحقوق بلادنا بكل الوسائل المشروعة الممكنة
« وإن المسائل المعضلة التى أشرتم إليها فى كتابكم لم يصعب علينا إيجاد الحل المناسب لها ، مع مراعاة مصالح الجميع ، كما ترونه فى الأوراق الحاوية لبعض أعمالنا المرسلة إليكم مع هذا . وفقنا الله إلى مافيه الخير لبلادنا . وإن ثقتنا فى الله لكبيرة لاستناد قضيتنا إلى الحق والعدل »

العلاقات بينى وبين عبد الله البشرى : سافرت الحرم من الأستانة تقصد السويسرة وبمعيتها عبدالله البشرى ، ولكنه انفصل منها واتصل بى وبعائلتى، فقابلناه بكل مظاهر المودة والعطف ، وبقى معنا حتى سافرنا من فينا للسويسرة ، فأرسل إلى عدة رسائل منها واحدة بتاريخ ٢٦ يوليو جاء فيها :
« أقدم لسعادتكم خالص تحياتى وشوقى ؛ وأقدم احترامى لحضرة السيدة المصونة ، وبعد فقد وجدت في صندوق بالبنك مبلغ أربعة آلاف كرون ؛ وهأنذا أرسلها لسعادتكم بيد الشكر والثناء . وتأكد ياسعادة الباشا أننى لا أنسى ماعشت فضلكم

على فى أيام الغربة ؛ وسأحفظ في قلبى تذكاراً جميلا لمروءتكم وانعطافكم ، وما احطتمونى به من العناية ، أنتم والسيدة المصونة المحترمة والأنجال ، حتى أنسيتمونى فى بعض الأحيان أنى غريب ، وأنى بعيد عن أهلى .

« كنت أعطيت السيدة المصونة سندا بالمبلغ المذكور فأرجوكم تمزيقه » .

وفى يوم ٢٢ نوفمبر أرسلت إليه كتاباً جاء فيه :

« إننى أنا وعائلتى لاننسى مطلقاً عشرتك الطيبة ، ولا مجلسك الأنيس ، ولا ضحكك ولا كلامك العذب ، ولا تأثر أعصابك في بعض الأوقات ولا . ولا . . . ومرارا ماقلنا : « ينقصنا عبد الله بك » فلا عدمناك أخاً وفياً ؛ وإننا حقيقة نحس بفراغ بيتنا لأنك كنت منا » .

أوامر بخصوص الاستاذ وفيق المحامى : وردت إلى رسالة بتاريخ ٢٢ نوفمبر من عبد الله البشرى ، وكان قد سافر للسويسرة ومنها عاد للاستانة جاء فيها :

« تعلمون أنه وصل من مصر إلى السويسرة حضرة أحمد وفيق المحامى ؛ وهو يقيم على ماأظن بجنيف والمطلوب أن تقابلوه بشخصكم ، وتحادثوه شفهياً بما يأتى :

« أن القضية المصرية تستفيد كثيرا من أن يكون لها محامون أحرار ، ليست لهم صلة بأى سلطة من السلطات ، يدافعون عنها في البلاد المتفرقة ، والممالك الأجنبية وإن لها الآن والحمد لله كثيرا منهم بالسويسرة وفرنسا وإيطاليا وغيرها من الممالك المتحالفة والمتحاربة والمحايدة ؛ ولكن ليس لها منهم أحد بالاستانة ؛ فاذا أراد حضرة أحمد وفيق أن يقوم بهذا الواجب المقدس المفروض ، الذى نرى أنه من خيار الأكفاء للقيام به ، فأننا مستعدون للقيام بكل مصاريف سفره من السويسرة إلى هنا فى الدرجة الأولى ، كما ندفع له كل مصاريفه هنا طول المدة التى يرى ضرورة إقامته بها ، حيث يشتغل حرا بعيدا عن الانتساب لنا ، نراه من وقت لآخر ، فيتسع له ميدان العمل وحريته ، ثم ندفع له كل مصاريف



الأستاذ احمد وفيق المحامى

عودته إما إلى السويسرة أو إلى مصر أو غيرهما من الممالك ، حسبما يريد

« وإننا نستحسن أن يكون حديث سعادتكم معه دون وسيط ؛ حتى لاينتشر ذلك فى الأندية والمجتمعات .

«وإذا أقبل كلفوه أن يطلب من قنصل إيطاليا الترخيص له بالسفر إلى الاستانة بالتلغراف ، بنفس الطريقة التى اتبعتها أنا ؛ وتعلمون سعادتكم تفاصيلها . ويظهر أن حضرته محبوب من حكومة إيطاليا ، بدليل أنها سهلت له طريق سفره إلى السويسرة وبهذه المناسبة أخبر سعادتكم أنى خرجت من السويسرة ، ووصلت إلى الاستانة بغاية الراحة ، دون أن تفتش حقائبي فى الطريق ، وأوصلت كل رسائلى مقفلة ، لم يطلع عليها أحد . ولما وصلت السفينة إلى الاستانة حضر ضابط إيطالى أمضى على جوازات السفر بالصالون ، دون أن يوجه إلينا أى سؤال ؛ ونزلنا إلى البر بعد ذلك دون أية إجراءات أخرى .

« وفي الوقت ذاته تقدرون مصروفات سفره وترسلونها الينا ، كى نبعثها لكم تلغرافياً .

« وإنى أذكر لسعادتكم ماصرفته أنا بالطريق على وجه الاجمال والتقريب ، كى تستنيروا به فى تقديركم لمصاريفه . (وذكر النفقات)

« وعليه فيمكن سعادتكم تقدير اللازم من الفرنكات السويسرية والطليانية ، فنرسله اليكم .

« واذا تم الأمر وقبل صاحبنا ما أخبرناكم به تطلبون النقود منا بالتلغراف على الوجه الآتى :

يرسل تلغراف من الموسيو شوفلبرجر يقول فيه : « أرسلوا لى مبلغ كذا على لوزان » ويكون معنوناً باسمى فى جبوقلى . عند ذلك نفهم نحن ، فنرسل المبلغ باسم سعادتكم تلغرافياً ؛ ومتى وصل اليكم تسلمونه لحضرة وفيق بك ، وتأخذون منه إيصالا بتسلمه ؛ وترسلون الايصال الينا بالبوستة ؛ ويستحسن تسليمه المبلغ بعد استخراج جواز السفر »

وقد رددت عليه بتاريخ ٤ ديسمبر برسالة جاء فيها :

« إننى سأنفذ الأوامر . والفكرة صائبة ؛ وماهى إلا واحدة من مبتكرات سمو الخديو ؛ والشيء من معدنه لايستغرب ؛ وإنى أشكرك ياصاحبي لهذه البيانات التفصيلية المفيدة عن رحلتك ؛ وسأستفيد منها عند سفرى »

وفي يوم ١٢ منه أرسلت له رسالة ثانية بأنني بحثت عن محل إقامة الأستاذ إحمد وفيق فلم أوفق ، ووجوده مجهول فى السويسرة ؛ وقيل لى أنه لم يحضر مطلقاً اليها ؛ وأنه رجع من إيطاليا الى مصر . وعند سفرى الى برن استعلم من مكتب بوليس الأجانب بها ، فاذا كان اسمه ليس مدوناً فيه تحقق لى عدم وجوده ، وبالفعل لم أجده

مخابرات متنوعة مع عباس وحاشيته : قضيت نصف العام الماضى الأخير والنصف الأول من هذا العام ، فى متاعب وآلام شديدة شرحت جانباً منها فى مذكرات العام الفائت ، وكانت لها ذيول وبقايا ؛ إذ أجريت لحرمى عملية جراحية أخرى ، وظلت صحتها سيئة ؛ وانقطع عنى مرتبى من الأستانة ، نظراً لانقطاع المواصلات بينها وبين النمسا بسقوط البلغار ؛ وبقينا فى النمسا ثم فى السويسرة نعانى كثيراً من هذه الحالة .

حالتى الصحية : وقد أرسلت للخديو رسالة يوم ٢٨ يوليو شرحت له فيها ما أصابنا ثم قلت : « إننى أنتظر أوامره فى البقاء بالسويسرة أو العودة الى الأستانة » ، وعزيته فى وفاة البرنس عبد القادر .

وفى يوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩١٩ وردت لى رسالة من موسيو كونستان شوفلبرجر سكرتير عباس السويسرى يقول فيها :

« إن خطابى وصل للخديو منذ ثلاثة أيام وأن سموه يشكرنى على التعزية ويهنئنى بالخلاص من الصعوبات الجمة التى لقيناها ، ولكنه يأسف لعدم نجاح العملية التى عملت لى ، ويرجو أن يكون هذا آخر مايصيبنى . وأنه كان ينتظر على الدوام رجوعى ، وكان يرسل عند وصول كل باخرة مندوباً للبحث عنى ؛ فكان فى بعض الأحيان يجد بعض المعارف فيطلعونه على أخبارى .

والخديو يلفت نظرى إلى أن الحكومة التركية منذ توقيع الهدنة قطعت نصف المرتبات حتى مخصصات سموه ، كما أنها قطعت نهائياً مرتبات الموظفين الذين تركوا الاستانة ماعداى ؛ ولكن النقود الخاصة بى لاتزال فى الخزانة التركية موقوفة لحين رجوعى »

وفى يوم ٢٧ سبتمبر وردت إلى رسالة من الدكتور سيد كامل جاء فيها :

« الحمد لله الذى كما ربط قلوبنا بروابط المحبة والرحمة وصل بيننا بنعمة المراسلة . وقد وصل إلى كتابكم المحرر فى أوائل هذا الشهر فتألمت لما جاء فيه وسجدت لله شكراً أن أخرجكم من أشد المضايق التى كنتم فيها سالمين ، لولا ما أصابكم فى نعمة

النظر، وجمعكم ببقية أنجالكم المحروسين رغم ما أصاب من كان معكم فى سفركم من دواعى التعب وأوصاب المرض، ورجوته سبحانه وتعالى أن يجعل ماعانيتموه من مشاق السفر وقلق الغربة وحيرة الحال نحو عام من الزمان آخر ماترونه من متاعب الأيام فى حياتكم، وحياة أولادكم الطويلة، وأن ينعمكم بعد الذى قاسيتمو براحة البال، وتحقيق الآمال جزاء وفاقا لما صبرتم ولما نويتم

« وقد تشرفت بتقديم مكتوبكم الخاص بتهنئة عيد الأضحى المعنون باسم الجناب العالى الخديو إلى سدته السنية ، فحاز لديها تمام القبول والارتياح وصدر لى الأمر بابلاغ سعادتكم تشكراته ، ثم عرضت بين أيدى سموه كتابكم إلى فتفضل بالاطلاع عليه ، فظهرت لى من ملامح سموه أمارات التأثر على ماقدره الله لكم من حرمان بعض النظر ، وعلى مالاقاه أولادكم ولاقيتموه من المصاعب والشدائد

« أما ماسألتمونى عنه بخصوص ماحررتم من مكاتيب إلى جهتنا فالذى أعرفه هو أن الذى وصل الجناب العالى من طرفكم طول السنة الماضية لايزيد عن كتابين أو ثلاثة كتب، وصل أولها أو ثانيها عن يد مسافر قام من بودابست إلى الأستانة ووصل ثالثها أخيراً إلى سموه عن طريق البريد من سويسرا، ثم كتاب وصل ألماس آغا حديثا ، ثم ماتفضلتم بكتابته فى أوائل الجارى . وهذا خلاف زيارة زارها مظهر لبيك حيث تشرف بالمقابلة فى وقت لم أكن فيه لمحادثته

« وأما ماأرسل من جهتنا إلى طرفكم فانى أعرف يقيناً أن الجناب العالى حفظه الله أمر موسيو شوفلبرجر السكرتير الخاص بكتابة الرد على جوابكم الواصل من سويسرا، وأعرف يقيناً أن هذا الرد أرسل إليكم منذ شهر من الزمان بعنوان أوتيل ناسيونال فى زوريخ .

« هذا وإنى أعرفكم أننا والحمد لله فى خير وعافية ، فالجناب العالى حفظه الله مازال كما تعرفون قوى العزيمة ، ثابت العقيدة ، صابرا على مايقدره الزمان .

واجب الخديو وواجب الوطن : ولقد ذكرتم أعزكم الله أن عليكم واجبين واجباً « شخصيا » وقد قمتم به . وواجباً « عمومياً » أنتم تشتغلون به الآن (يقصد بذلك اشتغالى بالقضية الوطنية ومخابراتى مع سعد باشا) .

ولعل التفرقة بين الواجبين سابقة قلم ، فأنتم ونحن قديما اشتغلنا بواجب « عمومى » كذلك لم نقصر فيه لحظة ما حسبما أوحت إلينا ضمائرنا ، وإنما إذا تعلقنا فى تأدية الواجب العمومى بأهداب سموه فلأن مسألة سموه الخاصة فرع كبير فى المسألة

العامة ، ولأنه لاتناقض بين الفرع والأصل كما يجب أن يعتقد بهذا كل مصرى .

« ولقد سرنى من كتاب سعادتكم ماأشرتم إليه من أن الأمل فى تحقيق المقصد يزداد يوما بعد يوم، وهذا ماأعتقده عن بعد، وأرجو سعادتكم أن تنيروا بصيرتى فيه بما تقفون عليه حتى أؤكد اعتقادى بالخبر اليقين »

المفاوضة في بيع شركة الأزبكية البلجيكية : كان يقيم فى جنيف موسيو نيقول وهو رجل اشتغل فى شركة عقارية لمشترى العقارات وبيعها فى مصر ولكنها أفلست فعاد للسويسرة ، وقد عرض على أنه يريد الاتصال بالخديو ليقوم بعملية الوساطة في بيع عقارات شركة الأزبكية البلجيكية فكتبت للخديو رسالة بمايعرضه موسيو نيقول فى يوم ١٣ اكتوبر

وفى يوم أول نوفمبر وصلت إلى رسالة من الدكتور سيد كامل جاء فيها :

« إن خطابكم المحرر في ١٣ الماضى باسم الجناب العالى الخديوى المتعلق بما دار بينكم وبين موسيو نيقول فى المفاوضة قد اطلع عليه سموه، وأمرنى بخصوصه أن أبلغكم مايلى :

« الحديث الذى حصل بينكم وبين موسيو نيقول بخصوص الشركة غير مطابق للكلام الذى دار بين موسيو هكسيوس ومسيو شو فلبرجر أخيرا فى جنيف ، فان هذا الأخير يقرر في رسالة منه بتاريخ ٢٢ الماضى أنه قرأ جوابا عند الأول يفيد أن الشركة فى بلجيكا وضعت تحت الحراسة من ابتداء الهدنة . وبما أن المفاوضة الجدية بخصوص احتمال بيع هذه الشركة لايمكن أن تحصل إلا بعد الوقوف على حالتها المالية الحاضرة ، وتقدير قيمتها على أساس قيم الأشياء بعد الحرب لاقبلها فوجود الشركة تحت الحراسة يمنع من الوقوف على هذه الحقائق ، وبالتالى لاتمكن المفاوضة في هذا الموضوع ، ولا تكون هناك ضرورة لحضور موسيو نيقول للاستانة . أما إذا كان يستطيع أن يحصل على المعلومات الكافية للوقوف على حقيقة مركز الشركة المالى ودرجة زيادة قيمتها عما كانت عليه قبل الحرب ، وكان فى وسعه أن يعرفنا بادىء ذى بدء عن الثمن الذى يتوقع إمكان البيع بمقتضاه فان الجناب العالى فى هذه الحالة ينظر فى المسألة ويمكن أن يستدعى موسيو نيقول للاستانة»..

وقد أرسلت الرد بأن نيقول سيعمل اللازم للحصول على صورة من حساب الشركة

وأخيراً لم يفلح في بيعها وتولى المسألة رجل يسمى موسيو رولان

المتأخرات من مرتبي في الأستانة : وفي يوم ٣ نوفبر وردت لي رسالة منه جاء فيها :

« أمرني سمو الخديو أن أعرفكم بأن عبد الله البشرى بك أرسل إلينا تلغرافا يفيد قرب وصوله إلينا، وأن أسألكم عن الميعاد الذي تنتظرون فيه أن يصل اليكم لترخيص للحضور لدينا

وإني لهذه المناسبة أرى من واجبي أن ألفت نظر سعاتكم إلى أن المساعي اللازمة عن حضوركم هنا للحصول على متأخراتكم من خزانة الدولة يستلزم وقتا من الزمن، وأنه من المفيد أن تتم وتنجح هذه المساعي قبل الميزانية الحالية وتنفيذ الميزانية الجديدة في شهر مارس القادم ، لأن التجربة في معاملة نظارة المالية العثمانية دلت على أن أمثال هذه الحقوق تسقط بمجرد الانتقال من ميزانية إلى ميزانية جديدة»

احتلال الحلفاء للأستانة : في يوم ١٨ ديسمبر وصلت إلي رسالة من الدكتور سيد كامل جاء فيها :

« يسرني أن أبلغكم أن الاحتلال العسكري الأجنبي الذي حل الأستانة بحلول الهدنة قد خف كثيراً بداعي تسريح الجيوش طبعاً . واستعداداً على ما أظن لترك الأستانة كما كانت عاصمة للحكومة التركية في حدودها الجديدة التي يرسمها الآن مؤتمر الصلح في لندره وباريس

أما المعيشة فمازالت غالية ، خصوصاً في الحوائج الملبسية، ومع أن الوارد من المواد الغذائية كثير ، ولكن أيدي المضاربين تعمل على مص دماء الناس، وسلطات الحلفاء عاجزة طبعا عن وضع حد لهذه الحالة، بل ربما كان من رجالهم من لهم مصلحة فيها. الطاعون منتشر في الأستانة والتطعيم يكاد يكون إجبارياً حيث أن الناس يوقفون في الطرق فان لم يكن معهم شهادة بالتطعيم يكرهون عليه . والحميات الخبيثة ظاهرة في بعض جهات الأناضول . وبالأمس قرأت في الجرائد أن الحمى الراجعة ظهرت في «اسكي شهر» بالأناضول .

حفلة تابين للمرحوم محمد بك فريد : أقام علي الشمسي بك واسماعيل لبيب بك والأستاذ فهمي وابرهيم بك راتب واحمد بك فريد حفلة تأبين للمرحوم محمد بك فريد حضرها نحو ٢٥ مصرياً وألقيت بعض الخطب من الشمسي واحمد فريد ومنصور القاضي وبعض طلبة لوزان .

وكان القائمون بها قد طلبوا منى أن أرأس الحفلة ، ولكننى رأيت لا كتفاء بحضورى .

وبعد انتهائها قرر المحتفلون إرسال برقيات لمندوبى الدول فى مؤتمر الصلح بالاحتجاج على قتل الأبرياء فى المظاهرات

اطلب الكثير تنل القليل : وكنت قبل وفاة المرحوم فريد بك قد زرته وهو مريض ، وصادف أن وردت جريدة الأخبار ، وبها بيان للحزب الوطنى يقول فيه : « أن لامفاوضة إلا بعد جلاء آخر جندى انجليزى عن الأراضى المصرية » فسألته مستفهماً : « لماذا نطلب هذا الطلب ؟ . وهل هو معقول ؟ وهل نحن انتصرنا فى حرب مع انجلترا حتى نملى عليها شروطنا ؟ » فقال : « المقصود من هذا أن نطلب الكثير ، حتى تنال خير مايمكن تحقيقه »

أخبار عن مصر : كنت فى السويسرة أقرأ الصحف وأطلع على مايرد فيها عن مصر ، وحالة الثورة بها ، وكنت فى بعض الأحيان أرسل لأصحابى بطاقات مفتوحة ، أسأل فيها عن صحتهم ، وذلك خوفاً من أن تمنع المراقبة تسليم الخطابات المقفلة

شجاعة أسرة تقلا باشا : ومن بين من كنت أخاطبهم وأجد منهم شجاعة محمودة فى كتابة بعض أخبار مصر أسرة تقلا صاحب الأهرام سواء فى ذلك جبرائيل تقلا أو والدته .



مدام تقلا باشا

ومن بين هذه الرسائل رسالة من مدام تقلا بتاريخ ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٩ جاء فيها .

« إننى ونجلى نبدى الشكر لكم على الاحساسات التى أظهرتموها نحونا ونحو الأهرام .

ولنا الحق فى القول بأننا سائرون على خطة فقيدنا مؤسس الأهرام التى ترمى إلى الدفاع عن الحق ضد القوة ، وأن نخلع عنا نير الأجنبى ، وإذا كانت سوريا هى منبت رأسنا إلا أننا نسكن مصر منذ خمسين سنة ندافع عنها ، فى هذه البلد تألمنا وفيها نأمل

أن ينالنا السعد . إذ نحن نعمل بأخلاص للصالح العام، وإن ولدى لايهمل أى تضحية مادية أو أدبيه لهذا القصد ، وهو يعترف بالجميل للرأى العام المصرى الذى لايزال يعضدنا . أما بخصوص حالة البلد فانا نشكر الله على أنها تتطور كل يوم من حسن إلى أحسن ، لأن الظروف تساعدها. أولا: أن صعود ثمن القطن يسمح بأننا لانجبر على بيعه بالبخس وهـذه نقطة مهمة . ثانياً : بالنسبة للحوادث فان الجرائد تنشرها بحرية والمراقبة عليها ألغيت غير أن جريدتى الأفكار والمحروسة قد صار إقفالهما وقد اتخذت الوسائل للضغط على الحركة الوطنيـة ، ولـكن طالما بقى المصريون متحدين بهذا الشكل فلا خوف علينا ، ومهما عمل الأنجليز فانهم لايصـــلون إلى استرداد مافقدوه من حالتهم الأولى، والعداوة قد تأصلت فى قلوب المصريين ضدهم ، ولـكن ليكن نصب أعيننا احتمال حصول عراقيل، والله يعلم إلى أى مدى لأن الخصم له جملة طرق يستعملها ولا يتأخر عن استعمالها وقت اللزوم ، غير أن التنظيمات المصرية الشابة ليست على مايرام، ويلزم لها الزمن والصبر »

وجاءتنى منها رســـالة بتاريخ ٧ ديسمبر ورد بها :

« المسألة تأخذ فى التطور والاتضاح ، والأفكار تتوجـه نحو الاستقلال بصفة عملية . والأنجليز سيعلمون أخيرا أن الأمور ليست كما يعتقـدون ، وندعو الله أن تنتهى المسألة بسلام » .

سنة ١٩٢٠

جهاد المصريين بالسويسرة واقتراح عقد مؤتمر — عودتى الى الاستانة — بينى وبين عباس — استقالتى وأسبابها — تصفية الحاشية — سعى عباس لاستغلال الحركة الوطنية — شئون مختلفة

جهاد المصريين بالسويسرة واقتراح عقد مؤتمر :

اختيارى رائداً للجمعية المصرية بلوزان : في يوم أول يناير سنة ١٩٢٠ زارني عبد الله شديد بك ، وعرفني أن المصريين فى لوزان انتدبوه ليبلغني أن المصريين فى باريس شكلوا جمعية باسم « الجمعية المصرية بباريس » تعمل لتحرير مصر بأشراف سعد باشا زغلول . وقد شكل مصريو لوزان جمعية مماثلة ، وتريد أن أكون رائداً لها ، فتستشيرنى فى خطتها ومنشوراتها ، وأنهم مستعدون للحضور كلهم أو وفد منهم لشكرى إذا قبلت هذا الأشراف . فأجبته بأنى وأنا مصرى لا أبخل بمجهودى فى خدمة وطنى ، ولمحت له بأن لا لزوم لانتخابى رئيساً ، وقلت : « إننا جميعاً جنود فى خدمة الوطن ، وإنى مستعد لمقابلة كل من يريد من الساعة ٥ إلى ٧ مساء كل يوم »

وبعد خمسة أيام حضر إلى منصور افندى القاضى ومحمد توفيق أفندى عبد الله وشكرانى على قبولى الاشتراك فى العمل ، وأخرج الثانى من جيبه مقالة يريد إرسالها لجريدة الأفكار بمصر وفيها فصل تحت عنوان « شفيق باشا فى لوزان » تكلم فيه عن مساعدتى للمصريين فيها ، وأننى كأب لهم ، ثم انتقد كبار المصريين فى باقى مدن سويسرة الذين لا يهتمون بشيء فطلبت منه حذف هذا الانتقاد ، وقلت : « إن واجبنا الآن لم شعثنا لا التفريق بيننا » فوافق منصور على هذه الفكرة ؛ ثم وعدتهم بالاجتماع معهم كل يوم فى الموعد الذى حددته .

إشاعة قبول سعد للنظارة وترك القضية الوطنية : وفي يوم ٦ يناير عرفنى شديد بأن هناك نبأ هاماً وطلب اجتماعنا فاجتمعنا عند منصور افندى وأخرج محمد توفيق

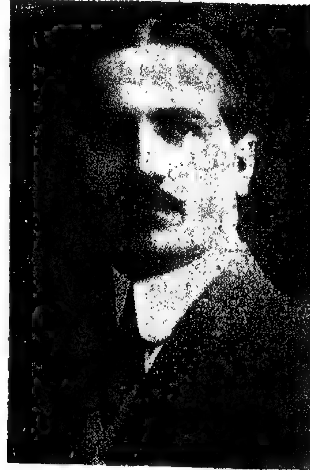
افندى عبد الله من جيبه جواباً قرأه علينا بأمضاء أحد الطلبة المصريين في باريس ، يقول فيه : « إن سعد باشا انفصل هو وعبد العزيز بك فهمى وأحمد لطفى السيد من الوفد، وامتنع عن مقابلة جماعة من الطلبة كانوا توجهوا ليسألوه عن إشاعة قبوله منصب الوزارة مع مظلوم باشا تحت رئاسة رشدى باشا ، ويظنون أن هذا الانفصال وهذا الامتناع هما من الأسباب التى تجعلهم يظنون سوءاً بسعد باشا ، وأنه انطوى مع الأنجليز ، واقترح إخواننا فى لوزان إرسال برقية له يهددونه ، ويستقبحون عمله ، فقلت لهم : « مهلا ، هذه الأشاعة تحتاج إلى استيقان فأنا أرسل خطاباً إلى سعد وأسأله عن الحقيقة ، فأمليت توفيق افندى ماملخصه :

« نشرت التيمس خبراً مفاده احتمال دخولك مع مظلوم باشا فى وزارة رئيسها رشدى باشا ، وأنك سترجع لمصر قريباً ؛ وجاءت أيضا أخبار من باريس إلى المصريين هنا تردد هذه الأشاعة ؛ أما أنا فلا أستطيع أن أصدقها لسببين : الأول كراهة المصريين لرشدى نظرا لأهماله الكبير فى واجباته نحو الوطن مدة الحرب ، وأنت أعلم منى بهذا الأهمال ، والثانى : ردك المشهور على التيمس لما اقترح مكاتبها تعيينك فى منصب الوزارة . اللهم إلا إذا كان قبولك لها الآن على أساس الاستقلال التام فاذا كان الأمر كذلك أرجوك أن تفيدنى حتى أهنىء نفسى وأهنئك بهذا الفوز الباهر ، وأطمن المصريين هنا » .

فجاء الرد بتاريخ ١٠ يناير يقول فيه : « لقد أصبتم فى عدم تصديقكم اشاعة دخولى الوزارة . إذ لايدخلها من كان فى قلبه ذرة من حب الوطن ، ولو لم يكن له فى البلاد شأن يذكر ولا في الاستقلال سعى مشهور ؛ فكيف بمن أجمعت الأمة على الثقة به كل الاجماع ، وعهدت اليه السعى فى الاستقلال التام ، وأنزلته من قلوب أبنائها منزلا لم يبلغه أمير ولا سلطان ؟ كيف يرضى هذا أن يستبدل بهذا المقام السامى أحقر مركز وأخطره في البلاد ؟ ولقد أحسنتم إذ ذكرتم ما نشرته التيمس عنى من عهد غير بعيد من انى أفضل أن أكون فردا في مصر المستقلة ، على أن أحتل فى مصر المحمية أعلى مقام ، وانا دائبون على السعى فى عملنا ، والأمة تؤيد باتحادها سعينا ، والله من فوقنا على كل شىء قدير » .

المخابرة لعقد مؤتمر مصرى في السويسرة: تخابرت مع حسين شيرين بك فى ترتيبه ، ومع على بك الشمسى في جنيف ، ومحمد بك راسم فى فريبورج ، وعزيز باشا عزت فى زوريخ ، وأرسل منصور القاضى لجماعة الحزب الوطنى فى برن ، لعقد مؤتمر يحضره

جميع المصريين فى سويسرة ، لتقرير مصير بلادهم ، وكنت اقترحت ذلك أيضاً على



حسين شيرين بك



محمد بك راسم

جماعة لوزان فوافق الجميع على فكرتى ما عدا برن فانه لم يردنى منها جواب قاطع ، واقترح على بك الشمسى تأليف لجنة لترتيب المؤتمر ، وأن يكون عقده فى جنيف لكثرة المصريين بها ، ولاعتيادهم اقامة مجتمعاتهم فيها ، ولأنها المدينة التى يختارها السياسيون لأعمالهم ، فأعلمت ترتيه وفريبورج وزوريخ بهذا الاقتراح ، كما أننى أظهرت للمصريين فى لوزان وغيرها موافقتى على اقتراح جنيف ، وطلبت تعيين مندوب من كل جهة لتأليف اللجنة التحضيرية ، وكتبت إلى على بك الشمسى بقبول اقتراحه ، وبالاستفهام عن المنتخبين للجنة من جنيف.



عزيز عزت باشا

ظهور عقبات: وبعد ذلك جاء من اسماعيل بك لبيب خطاب يقول فيه بأنهم فى جنيف لا يرون موجبا لهذا الاجتماع ، وحضر عندى فى ٢٠ يناير شديد وأحمد فريد ومنصور ومحمد توفيق عبد الله ففسر فريد هـذا الرفض بعد القبول باحتمال ظنهم أن وراء هذا الاجتماع شيئا في صالح الخديو ، بعدأن نشر جرنال لاتريبين دوجنيف « جريدة الغاياتى » قرب حضور عباس حلمى إلى سويسرة بناء على قول من يوثق بكلامه من حاشية سموه .

كما أن عوض البحراوى واسماعيل بك لبيب وعبد الملك حمزه في برن يأبون الاجتماع بهؤلاء « الذوات » وكبار المصريين (وكان منصور كتب لهم ذلك بدون ذكر اسمى وانما قال مثل عزيز عزت باشا ومحمد بك راسم وشيرين بك) لأنهم لم يحركوا ساكنا ولم يقدموا أى مساعدة مالية فى الحركة الوطنية ، ولهذا يكون من العيب على أمثالهم أن يجتمعوا مع هؤلاء الذوات؛ وكان قد خطر على بال أحمد بك فريد أن الشمسى يظن أننى سأتولى الرئاسـة فقال توفيق : « إن شفيق باشا يرفض أن يكون رئيسا وكذلك شديد بك »

وقد أشار شيرين وعزيز عزت باشا بأنه ما دام يوجد انقسام ما بين المصريين فى عمل الاجتماع فيكتفى بكتابة ورقة يمضى عليها المصريون، مضمونها ضم أصواتهم إلى أصوات اخوانهم فى مصر والغالب على ظن اخواننا في لوزان ، أن سبب هذا التردد اعتقادهم أن للخديو يداً فى هذه الحركة .

وقد ساء المصريين فى لو زان العدول عن فكرة الاجتماع ، فقالوا بعمل الجهد فى رفع سوء التفاهم مع شيرين أولا ومع الشمسى ثانيا ، فوافقتهم وأوفدنا محمد توفيق أفندى عبد الله إلى شيرين بك يوم ٢٤ يناير فقابله وتذاكرا فى موضوع الاجتماع وتنسـيق صورة الدعوة . ثم جاءنى تليفون من الشمسى يقول فيه : إن شيرين أخبره بعدم وصول رده الذى أرسله إلى من منذ ٤ أيام ، ويستغرب كيف لم يصل ؟ وقدعرفنى فيه بأن بعض المصريين فى جنيف قبلوا فكرة الاجتماع والبعض رفضوه وأنه يسعى فى لم شمل الجميع ، وطلب منى أن أعرفه بمندوبى لوزان فى اللجنة التحضيرية ، فقلت: « اننا لم نقرر شيئا ، وكنا ننتظر معرفة المندوبين من جنيف» وعلى كل حال فلوزان ستعين واحدا أو اثنين من ثلاثة هم توفيق ومنصور القاضى والدرديرى » فقال: « حينئذ ها نحن ننتظر انتخاب لوزان لنبدأ فى العمل .

وفى يوم ٣٠ يناير سافرت من محطة لوزان إلى ترتيه فقابلت الشمسى بك ، والأستاذ فهمى وشابا قبطيا متوجهين لتشييع جنازة عثمان غالب باشا فتكلمت معهما فى مسائل سياسية ولكنهما لم يفتحا باب المناقشة فى مسألة عقد المؤتمر وتحاشيت أنا الكلام وقتها ، وعند ما كنا فى مدفن ترتيه انتحى شيرين بفهمى جانبا ثم لم أر أحدا منهم بعد الدفن ، فتركتهم ورجعت إلى لوزان .

وفى ٣ فبراير ورد لى خطاب من على بك الشمسى يأسف لأننى لم أحضر إلى منزل شيرين بعد دفن عثمان غالب ، ويخبرنى بأن اجتماعا عقد هناك وشهده القادمون من برن من المصريين ، وبعد المناقشة تقرر بأغلبية الآراء ارجاء اجتماع المؤتمر إلى ما بعد معرفة رد لجنة ملنر على اقتراح سعد باشا :

وكنت قبل حصول هذا التردد كتبت إلى سعد باشا أعرفه بفكرة الاجتماع فجاء منه الرد يوم ٤ فبراير يقول فيه :

« يسرنى أن يعمل كل من يستطيع العمل ، لصالح القضية المصرية فاذا اجتمعتم أنتم ومن يرى رأيكم ويتحد معكم على القيام بعمل نافع لها كان ذلك من أفضل ما تعملون ، ومن أحسن ما يستوجب الشكر وحسن الذكر »

فأرسلت الى على بك الشمسى وشيرين بك وعزيز عزت باشا بهذا النص فى ١٣ فبراير وقلت للأول : « إننى ما كنت أعلم بعزمه هو وفهمى وغيرهما على الاجتماع عند شيرين بك ، وكتبت للثانى بهذا المضمون وأنه لم يخبرنى هو ولم يدعنى لهذا الاجتماع ، وفضلا عن ذلك فقد سمعت آنفاً من محمد توفيق افندى عبد الله نقلا عنه (عن شيرين) أنه كان يستحسن أن يدخل هو فى المخابرة مع جنيف وغيرها لترتيب الاجتماع ، لهذا رأيت الرجوع من ترتيه عقب حفلة الدفن الى لوزان .

ثم كتبت الى سعد باشا بتردد بعض المصريين فى عقد الاجتماع وأنى أرجو زوال هذا التردد قريباً .

البرنس محمد على والمؤتمر : وحررت خطاباً للبرنس محمد على باشا فى نيس أستعلم منه عما اذا كان سيضم صوته الى أصوات البرنسات في مصر ؟ وهل البرنس ابراهيم باشا حلمى الموجود فى نيس سيعمل ذلك ؟ إذ الأمة بأمرها قد أبدت رأيها ونحن نرجو أن يجتمع المصريون فى السويسرة قريباً لهذا الغرض فرد على يقول : « إنه مسرور من أن المصريين التفوا حولى » ، ولم يصرح بجواب على سؤالى ، وحررت

له خطابا آخر فى ١٥ فبراير أسأله عما اذا كان يريد أن يساعد مالياً فى عقد المؤتمر ان حصل ، فجاء الرد وليس فيه تصريح عن المساعدة .

طلبي مساعدة من عباس للمصريين: حررت لعبدالله البشرى جملة رسائل عرفته فيها بالتفاف المصريين بلوزان حولى وباقتراحى عقد المؤتمر لجمع كلمة المصريين فى مصير بلادهم ، ثم طلبت مساعدة مالية من الخديو تسمح لمن فى لوزان باستمرار طبع الجريدة التى كان يصدرها محمد بك فريد ، وعرفته بمخابراتى مع سعد باشا فى صدد الاشاعة التى شاعت عن قبوله منصباً فى وزارة يرأسها رشدى باشا ، وبالرد الذى جاءنى منه بنفى هذه الاشاعة ؛ ثم استحسنت أن يقدم الخديو شيئاً من المساعدة المالية للوفد فى باريس بصفة سرية؛ فلم يصل الى رد على ذلك.


الأستاذ مجد الدين حفنى ناصف

أخبار المصريين فى باريس: أرسل الى مجد الدين حفنى ناصف نجل المرحوم الشاعر حفنى بك ناصف خطاباً بتاريخ ٢٩ يناير يقول فيه حرفياً : « علمنا بمزيد السرور خبر اشتراككم مع الشبيبة كى تعقدوا المؤتمر ، وتعلنوا به أهل أوروبا وتشدوا به أزر مصر، وسيحضر وفد الجمعية عند أول أشارة فنرجو أن تتنازلوا بتكليف من يبادر باخبارنا قبل الموعد بثلاثة أيام ولسعادتكم الفضل فى هذا العمل الوطنى المجيد والسلام عليكم الخ »

فأرسلت له الرد الآتى بتاريخ أول فبراير : تلقيت بيد الممنونية والشكر كتاب حضرتكم المؤرخ فى ٢٩ يناير الماضى . نعم اشتركت بكل سرور مع الشبيبة هنا وأردنا أن نعقد اجتماعاً للمصريين لاعلان رأيهم فى مصير بلادهم ولضم أصواتهم الى أصوات مواطنينا واتصلنا باخواننا فى المدن الشهيرة بسويسرة فحبذ الجميع هذه الفكرة ، ثم تردد بعضهم أخيراً ؛ فاذا اتحدت الآراء وهذا رجائى لا أتأخر عن إخباركم بموعد الاجتماع ، ويسرنى أن أرى الشبيبة المصرية فى جميع الأقطار تجاهد

فى سبيل إنقاذ الوطن من يد الغاصبين له — فبارك الله فيهم وتوج جهادهم بالنجاح ومنى لكم ولجميع إخوانكم أزكى التحية والسلام .

عودتى إلى الآستانة : عزمت على الرجوع إلى الاستانة من شهر سبتمبر سنة ١٩١٩ مدة وجود البشرى معى في لوزان فأرسلت خطابا إلى سفير الدولة فى برن أطلب منه أمرين : الأول اعطائى جواز سفر سياسيا . والثانى عمل المساعى لرجوعى ، فأتانى الرد بأن الأمر الأول غير ممكن تنفيذه لأن هذا الجواز لا يعطى إلا لنظار الحكومة العثمانية ، وعن الأمر الثانى بعث إلى باستمارة لاملأها وأردها له وقد فعلت ، وانتظرت الترخيص ثلاثة أشهر بغير جدوى ؛ ثم كتبت إلى البشرى وطلبت منه أن يرشدنى إلى طريقة الرجوع فى أقرب وقت لأن راتبي ستتصرف فيه الحكومة العثمانية ، إن لم أرجع وأقبضه لغاية مارس ، ورجوته أن يرسل برقية بطلب الترخيص ، وكان ذلك فى فبراير سنة ١٩٢٠ ، فأتانى الرد بأنه أرسل برقية إلى نظارة الخارجية بطلبى ؛ ومن جهة أخرى طلبت من عباس اجراء مايلزم لتعجيل الترخيص سواء كان تحريريا أو برقيا بواسطة البشرى فوعد بذلك ؛ ولما لم يأت خبر فكرت فى مراجعة قنصلية جنرالية ايطاليا ، فأرشدنى القنصل إلى طريقة وهى طلب السفر إلى ايطاليا ومن هناك يسهل التصريح بالذهاب إلى الآستانة ، ولكن طلب منى ضامنا يعرفنى ، فأعطيته اسم موسيو دى مارتينو الذى كان عندنا معتمدا لايطاليا وهو الآن معتمد أول فى مؤتمر الصلح ، فقال لى أن أكتب اليه خطابا ، فكتبته ، وعلمت بعد أيام من القنصل أن دى مارتينو كلمه تليفونيا من لندن ليستعلم منى عن الجهة التى أقصد الذهاب اليها ، فقلت له : « إننى أريد الرجوع إلى الآستانة » فأبرق اليه بذلك وطلب منه أن يبرق إلى القوميسير الطليانى فى الآستانة كى يسمح للقنصل برقيا بالتأشير ثم انتظرت أسبوعين وقابلت القنصل وتناقشنا فيما يلزم لاستعجال ارسال الترخيص ، فانتهينا إلى كتابة برقية باسمه قال فيها : « إن موسيو دو مرتينو يوصى على » وفى العشرة الأخيرة من مارس جاء الرد بالترخيص إلى القنصلية ، فذهبت إلى جنيف ، واستخرجت جواز سفر عثمانيا بتاريخ ٢٥ مارس .

وقد سافرت يوم ٦ ابريل من لوزان إلى ميلانو ومنها إلى البندقية ومن هناك ركبت الباخرة فوصلت إلى الآستانة يوم ١٥ منه . وجاء مندوب من السلطة الايطالية لمراجعة جوازات السفر . ووجدت عبد الله البشرى والدكتور سيد كامل فى انتظارى .

مع عباس : وتوجهت إلى حصار عند عديلي مظهر بك ، وبعد الاستراحة ذهبت إلى بيك وقابلت عباسا ، فدار الحديث بيننا عن حالتي وحالة عائلتي الصحية

قبض مرتباتي المتأخرة : وفي يوم ٢٢ منه قبضت من المالية ١٥٠ جنيها قيمة مخصصاتي عن مدة سنة لغاية آخر فبراير سنة ١٩٢٠ .

استقالتي واسبابها :

نقود البير حمصي : البير حمصي صاحب محل للتسليف في حلب ، وكان قد قابلني في أواخر سبتمبر سنة ١٩١٨ في بودابست ، وسلمني ألفي ليرة انجليزية بنك نوت و ٢٨٧ ليرة ذهباً ، وسندات من البنك العقاري المصري ، لتوصيلها لعميله بالاستانة ولكني لم أتمكن من ذلك بسبب انقطاع المواصلات بين النمسا وتركيا كما تقدم ، فبقيت الأمانة عندي .

وكان الخديو قد أرسل سيدة ذات نفوذ كبير على ابنه البرنس عبد المنعم بسويسرة لتقرب شقة الخلاف بينهما ، ولكنها بقيت في فينا عند ما انقطعت المواصلات مدة أشهر طويلة . واحتاجت هي وبعض الحاشية الخديوية إلى نقود ، وكان القانون النمسوي يقضي بمصادرة نقود الأعداء . فصرفت الأمانة إلى كورونات ووزعناها علينا ، وكان الجانب الأكبر من نصيب هذه السيدة .

ثم كتبت للخديو بأن تدفع الخاصة (٢٢٨٧ جنيهاً) لعميل حمصي في الاستانة وصادف وجود البير حمصي في لوزان بعد عودتي اليها ، فسلمته سندات البنك العقاري وأخبرته بما حصل في النقود وبتحريري للخديو ، وبناء على طلبه أعطيته خطاباً لعباس ملتمساً دفع القيمة .

وفي أوائل يناير سنة ١٩٢٠ قابلني ، وأخبرني أنه لم يتمكن من السفر إلى الاستانة لتسليم خطابي وتسلم المبلغ ، وطلب أن أسدده له لحاجته إليه .

وكان قد بلغني أن الخديو أرسل إلى السيدة بعد وصولها للسويسرة أن تسعى لسداد هذا المبلغ من مواردها الخاصة ، فأخبرت حمصي بذلك ، ولكن هذا الحل لم يرضه ، فاضطررت أن أمضي له تحويلا على الخاصة بالاستانة وشفعته بخطاب .

وفي ١٠ فبراير جاءني نجله وأخبرني أن التحويل لم يدفع ، و « عمل عليه بروتستو » .

وقد بقيت المراسلات مستمرة بيني وبين عباس ، وبينه وبين السيدة في سويسر دون جدوى حتى رجعت إلى الاستانة .

مذكرة عن الموضوع : ثم حدث بعد ذلك سوء تفاهم بيني وبين الخديو من جراء هذا المبلغ ، فكتبت مذكرة وافية أرسلتها له فى يوم ٢٨ يونيو وضمنتها تفصيلات الموضوع كله ، وأنا أثبتها هنا مكتفياً بها عن ذكر هذه التفصيلات :

١ — أعتقد أنني لست مخطئاً فى إغاثة المتممين الخديو فى وقت حرج

٢ — جاءت الأوامر بقلم الدكتور سيد كامل بأنه كتب إلى السيدة الآنفة الذكر بالسويسرة أن تسعى لسداد المبلغ

٣ — اضطررت أن أمضى تحويلا لحصى على الخاصة رفض دفعه بناء على أسباب مبينة لشرف ناظر الديوان الخديوى .

٤ — وردتنى أوامر بقلم احمد بك صادق ، يقول فيها : انه بالنظر لكون القسم الأعظم من السلفة يرجع إلى السيدة فعلى أن أراجعها فيه ، أما القسم المختص بالحاشية فمنه ما حصلت التسوية فيه ، والباقى المختص بما أخذته ، وبما أخذه شديد بك فطلب منى تقديم حساب عنه .

٥ — راجعت السيدة وبينت لها أنه لم إذا لم تحصل التسوية دخلت المسألة فى منازعات قضائية

٦ — صعبت على نفسى إذ كنت كتنسول يمد يده يميناً ويساراً ولا منقذ له ، أنا الذى عملت خيراً وأغثت محتاجاً .

٧ — اقترح حصى أن أتنازل له عن حق على السيدة ليستطيع اتخاذ الاجراءات القانونية ، فقبلت على شرط أن لا يقيم الدعوى الآن ، وأن ينتظر وصولى إلى الأستانة وعرض المسألة برمتها على الجناب العالى ، فيأمر بحل موافق للطرفين

٨ — لما مثلت بين يدى سموه حصلت المذاكرة فى الموضوع ثلاث مرات بحضور عارف باشا وأحمد بك صادق ، فشرحته شرحاً وافياً ، خصوصاً نقطة المساعى التى بذلتها لتنفيذ الأوامر الواردة ، ومنها نقطة تنازلى عن حق لحصى .

٩ — أظهر سموه استعداداً لفض المشكل ، وأصدر أمره إلى أحمد بك صادق بأن يتفق معى على طريقة لتسوية الحساب ، وبالفعل حرر مشروع خطاب للسيدة باستحضار النقود اللازمة من مصر ودفع الحساب المذكور ، ووافق سموه عليه وأمر بترجمته إلى التركية ، فشكرت الجناب العالى على قبوله دفع هذا الدين .

١٠ — بعد يومين جمعني مع عارف باشا وأحمد بك صادق وعرفنا بأن حمصى طلب السيدة أمام قاضى الصلح ، فتكدر وتكدرت أنا أيضاً ، لا لأن هذا الطلب يعد اقامة دعوى؛ ولكن لأنه يخالف اتفاقنا، وعليه أمر سموه أن اجتمع بدومرتينو (الذى كان موظفاً بقلم قضايا الخاصة بمصر) وأحمد بك صادق لتحرير خطاب بطلب استعلامات من حمصى

١١ — فى ٨ مايو قدمت حسابى الذى كان قد طلبه منى أحمد بك صادق ، وقلت له « ليقبل منه الخديو مايقبل ويرفض منه مايرفض » وكان ملخصه : ٧٧ ألف فرنك سويسرى مافقدته في سياحتى فى انسبروك ، ١٢ ألف كورون لنفقاتى مع عائلتى وعائلة شديد بك لغاية اكتوبر سنة ١٩١٨ و ٢١٠٠٠ فرنك فى بودابست وفينا ، وخرجت ٥١٨ جنيها انجليزياً ماأخذته من نقود حمصى فكان الباقى ٩ آلاف فرنك

١٢ — فى ١٠ منه جمعنى د ومرتينو بك مع أحمد بك صادق وأعلنى الأول بأن الجناب العالى أوقف تنفيذ تسوية حساب حمصى ، لأننى بتنازلى عن حق له أعطيت فرصة للخصم باقامة الدعوى ، وأعلنى الثانى أن سموه يرفض قطعياً النظر فى الحساب الذى قدمته ، فأجبت بأنى ماتنازلت عن حق إلا لقصد واحد وهو الوصول إلى تنفيذ الأوامر ؛ وقلت عن الحساب إننى كنت أود أن أعرف مالا يرضاه سموه فأتركه .

١٣ — وردت برقيات من ارنست حمصى ابن الدائن وعرضت على الجناب العالى تؤيد عدم إقامة الدعوى وان طلب السيدة أمام قاضى الصلح ، ماهو إلا لمجرد الأرهاب ولا يعتبر فاتحة للدعوى .

١٤ — ورد خطاب من والده بحلب بواسطة مندوب من الكريدى ليونيه بالاستانة بأنه ينتظر الوصول إلى حل ودى كما وعدته ، ولكنى فهمت من المندوب أنه أرسل تعليمات للبنك بأقامة الدعوى فى حالة عدم الوفاق

١٥ — رفعت مذكرة بكل ذلك فجاءنى أحمد بك صادق وبيده صورة الاتفاق الذى بموجبه تنازلت عن حق لحمص ، كأنه سلاح جديد ، ثم قال : إن حمصى لما علم بعدم امكان اقامة الدعوى فى سويسره يريد الآن اقامتها هنا ، فأجبته بأنى سبق أن افهمت أفندينا من بادىء الأمر بهذا الاتفاق .

١٦ — اجتمع بى السيد محمد العتابى الموجود بضيافة الخديو وعبد الله البشرى

وقال لى : إن ماهر افندى أخبر الجناب العالى بأننى استشرته فى إقامة الدعوى ضد سموه ، فكيف يجوز لى أكل عيش سموه فى الوقت الذى أضمر له السوء ؟ فدهشت لهذه التهمة الجديدة ، وكذبتها قطعياً ، ثم طلبت مواجهتى بماهر افندى ، وقلت : إن الحقيقة انه سألنى عن الخديو فأجبته أننى لم أتشرف بمقابلته من مدة لسبب تافه يرجع إلى مسئلة نقود كانت عندى أمانة وتصرفت بتوزيعها عند انقطاع المواصلات عنا ، ولما حضرت وعرضت المسألة صدر الأمر بقبول الدين وبتسويته وأخشى من أن صاحب الدين يقيم الدعوى علينا ، وطلبت منهما عرض جوابى على سموه فى ذلك(١)

١٧ — يستخلص من ذلك أن الأسباب الظاهرة لهذا الغضب تنحصر فى ثلاثة أمور : الأول طلب السيدة أمام قاضى الصلح ، والثانى تنازلى عن حق للخصم ، والثالث استشارة ماهر أفندى ، فعن الأول أجيب بأن الدعوى لا تعد قائمة إلا إذا رفعها الخصم أمام المحكمة ، ودفع الرسوم عنها ؛ وعن الثانى أقول : إنه ما ورد على خاطرى أن أعطى سلاحاً ضد مولاى ، والدليل على ذلك أنه كان فى مقدرتى أن أترك الخصم يقيم الدعوى على وأدخل الخاصة، ولكنى بالعكس تحاشيت ذلك وبذلت جهدى في ارضائه بالانتظار ، وكان من السهل على كذلك أن أطلب من شديد بك وهو ناظر الخاصة أن يمضى التحويل ، ولكنى توقيت ذلك حتى لا أغضب سموه ؛ وأرد على الثالث بأنى آسف جداً لعدم احضارى أمام سموه حينما اتهمنى ماهر أفندى بما أنا براء منه ، ولهذا رجوت مواجهتى به سواء أكان فى الحضرة العلية أو أمام من تأمرون به فتظهر النتيجة

وبينما أنا أحرر هذه المذكرة إذ حضر عندى اليوم سعادة عارف باشا وأبلغنى نفس الأسباب الموجبة لتأثر سموه وقال : إنه كان الأولى ألا أستشير محاميه إلا بعد الاستئذان ، ولكنى أكرر غرضى الحقيقى من هذه الاستشارة وقال: انكم لا تقبلون منى عذراً ، وانكم تتركون لى البت فى أمرى ، فاذا كان غرض سموكم يرمى إلى تقديم استقالتى فأنا رهين أمركم الصريح الذى أتلقاه - إما رأساً أو بواسطة سعادة عارف باشا - وعندها لا أتأخر عن رفع هذه الاستقالة لأنى لا أريد أن يقال « إنى تركت سموكم من تلقاء نفسى »

شفيق

---

(١) الذى أخبر الخديو فى الحقيقة هو نور الدين بك بالوشاية بى

فرفع عارف باشا المذكرة وقال : « إن الخديو قرأها من أولها لآخرها ولم يصدر له أوامر »

ولم أذهب لسراى بيك بل اكتفيت بارسال كلمة لعارف باشا أسأله عما تم فأجاب بأنه سيمر على ليبلغنى الجواب .

وفى يوم ٢ يوليو بناء على موعد أعطاه لى الدكتور سيد كامل ذهبت عنده فوجدت البشرى ، وتكلمنا فى الموضوع فكان رأينا بالاجماع أن الخديو لا يريد بقاءنا نحن الثلاثة عنده بسبب انقطاع مخصصاته من حكومة تركيا ، وأن الدكتور سيد كامل سيستمر أسبوعاً على الذهاب إلى بيك بعد الظهر فقط ثم ينقطع لأن الخديو لا يقابله ولا يحادثه ولم يعد ينظر إليه . وأما البشرى فقال : انه يرافق سموه ولكن لا يكلمه بل فى أثناء وجوده معه فى الزورق يحادث نور الدين – إن كان معهما – أو البحارة .

وانه حصل كلام بينه وبين عباس فقال : إن اللازم انهاء مسألة النقدية مع شفيق بأن يقبل سموه ما يخص السيدة على سعر الجنيه الانجليزى بالكورون وقت أخذها المبلغ ويقول لشفيق : أنت وشأنك فيما دفعته لشديد ولبشرى ، وانى لا أقبل منك حساباً ، ولا أعتبرك فى ضيافتى وينتهى الأشكال .

فرد الخديو بأن كرومر لم يمكنه أن يخضع سموه فكيف أنه يخضع لارادة شفيق ؟ فلهذا كلف البشرى بأن يكلمنى ، ويأخذ منى استقالتى ، فالتمس أن يصحبه السيد محمد العتابى الذى كان حاضراً هذه المحادثة ليكون شاهداً على أنه سيبلغنى كل ما أمر به الجناب العالى .

قال البشرى : فلما لم آت له بالاستقالة احتد على وقال ضاحكا مستهزئاً : « أنا أكلف أحمد بك صادق وهو يفعل مالم تفعله أنت » ، ولكن على كلام البشرى أن المذكور تنحى عن هذه المهمة ، ولهذا عهد بها الخديو إلى عارف باشا .

وتكلمنا بعد ذلك فى موضوع استقالتى ، فكان من رأى صاحبى أن لا أقدمها ، بل أترك السراى حتى لا أقفل باب المسالمة ، واحتمال رجوعى إلى خدمة الخديو قلت : « غيرى يمكنه أن يعمل ذلك ولكن أنا لا أود أن يدعى على بأنى تركته بعد ٤٢ سنة قضيتها فى خدمة السراى » .

قال البشرى : « هو لا يريد أن يدفع نقودا ، ويبحث عن أسباب لذلك » ، قلت : « وأنا ليس من شأنى أن أساعده على مطلوبه » وعلى هذا راجعنا صورة الاستقالة ، وبعد تعديل خفيف فى التحرير اتفقنا على الصيغة الآتية :

نص الاستقالة : « مولاى الجناب العالى الخديوى

« فى يوم الاثنين ٢٨ يونيو الماضى رفعت إلى أعتاب سموكم مذكرة في موضوع النقود التى قدمتها فى فبراير ١٩١٩ للسيدة المحترمة ولبعض رجال الحاشية فى وقت ضاقت بهم سبل المواصلات حيث كانوا فى فينا وبودابست ، وما استطاعوا الوصول إلى سويسرة ولا العودة إلى الآستانة ، وكانوا لايجدون باباً للاستدانة من أى بنك من البنوك ، وحيث كان حقاً على أن أعمل مافى جهدى لاغاثتهم في هذا الموقف الحرج وكان حقاً لى أن أشكر على ما قمت به لا أن أجازى بالمعاملة التى عوملت بها حتى الآن .

« ومع أننى كنت ولازلت على تمام الاستعداد لارضاء الجناب العالى لا تمسكا بأهداب وظيفة بعد أن قضيت فيها حيناً من الدهر يستوجب راحتى ، وإنما ابقاء على الرابطة التى تربطنى بهذا البيت العلوى العظيم ، فأننى لاقيت من سموكم فى الأيام الأخيرة الأغضاء والأعراض اللذين انتهيا برغبه جنابكم العالى فى تقديم استقالتى وهى رغبة ظهرت من رفضكم النظر فيما التمسته فى ختام مذكرتى المتقدمة الذكر .

« هذه الرغبة ليست مبنية يامولاى على أسباب أرى نفسى فيها مخطئاً بوجه من الوجوه وما اعتذارى لسموكم من محادثتى مع ماهر أفندى أخيراً إلا من باب التأدب نحو سموكم ، ومع هذا لايسعنى إلا أن أطيع اشارة جنابكم العالى فأتقدم إلى أعتابكم ملتمساً قبول استقالتى من وظيفة ناظر الديوان الخديوى .

« مولاى : لى اثنان وأربعون عاماً قضيت ثلثها فى خدمة المغفور له والدكم وثلثيها فى شرف خدمتكم ، فكانت تصادفنى أحياناً ظروف أتحمل فيها من شدائد الحال فى العهد الأخير بين مصر والغربة ما لايتحمله غيرى ، وكم هممت بالاستقالة فتمثلت أمام عينى صورة المرحوم والدكم فتذكرت ما لأياديه البيضاء علىّ من الاحسان حيث ربانى صغيراً وشملنى بعطفه كبيراً ، فأرجع عن عزمى رغبة منى فى وفاء هذا الدين بدوام البقاء فى خدمة سموكم .

« انى لا أكون مبالغاً اذا اعتبرت نفسى قدوفيته بما قمت من خدمات فى أصعب الأوقات جمعت فيها بين واجب الاخلاص لبيتكم الكريم فى شخص سموكم العزيز وبين داعى الوطن المفدى ، حتى كان لى الحق فى مقاسمة جنابكم العالى شطراً متواضعاً فى فخار الجهاد السياسى المقدس الذى جاهدتموه .

« الآن أترك خدمتكم ذاكراً بالجميل ما أوليتمونى فيها ، ناسياً ما أصابنى فى أثنائها ، راجياً من سموكم العفو عن هفواتى التى لا تخلو الحال من وقوعها من غير قصد فى غضون مثل هذه المدة الطويلة ، داعياً لسموكم أن يفيض المولى سبحانه وتعالى عليكم نعماءه ، وأن يحسن لكم العاقبة ، ويرد لكم حقوقكم . وإنى ما زلت يا مولاى عبد سموكم الطائع . »

شفيق

وحررت للوالدة رسالة بالأسباب التى بنيت عليها استقالتى فأرسلتها للخديو .

وفى ٢٨ يوليو توجهت بعد الظهر إلى سراى بيك ؛ ودفعت باستقالتى لعارف باشا راجياً منه أن يقدمها للخديو . وبعد أن قدمها قال : « إنه تسلمها ، ولكنه لم يقرأها وأبقاها إلى ما بعد ، كما أنه لم يقرأ المذكرة وسيقرؤهما معاً ويعطينى خبراً ». (مع أنه سبق أن قال لى يوم أن عرض على سموه مذكرتى : إنه قرأها من أولها لآخرها) . وبذلك انقطعت صلاتى بعباس .

تسديدى دين حمصى : وبواسطة عبد الحميد شديد سددت هذا الدين ، بسحب حوالة لحمصى يسددها ابنى عز الدين بمصر .

تصفية الحاشية :

عبد الحميد شديد بك : زرت شديد بك يوم ٢ مارس قبل سفرى من السويسرة فعرفنى بأن عباس أرسل له فى خطاب حرره أحمد بك صادق يأمره بالرجوع إلى الأستانة بدلا من محرراته التى هى عبارة عن طلبات نقود وتألمات وتوجعات مما أصابه من الخسارات المادية ، فأجاب شديد على ذلك بأنه خدم سموه متطوعاً مدة سنتين ، فكان ينفق من ماله أجر السكك الحديدية ، ومصاريف الفنادق وغيرها ، وأنه كان قرر له بعد ذلك ألف فرنك شهرياً . ولما علم بوصول نقود له من مصر خفضها إلى خمسمائة ، وأخيراً لما عينه ناظراً للخاصة قرر له ١٣٠٠ فرنك ، وبناء على طلب شفيق زادها إلى ١٥٠٠ ، مع أن الذى كان سموه وعده به هو مبلغ ١٢٥ جنيهاً مصرياً .

ثم قال إنه فى مدة وجوده فى خدمة الجناب العالى قام بخدمات جليلة ، منها أنه لما احتاج سموه إلى نقود عقد له سلفة بمبلغ ثلثمائة ألف فرنك يأخذها على أقساط شهرية كل قسط عشرون ألف فرنك (وكان يصرف منها للحاشية ألفين) .

وأخيراً قال شديد إنه متمسك بالشروط التى أرسلها منذ شهر لقبوله القيام بأعماله الخاصة، ومنها تخصيص سيارة لركوبه، وترك الحرية له فى انتخاب المستخدمين، وعدم قبول أوامر إلا من سموه ؛ وله أن يفعل ما يشاء، وأن يخصص مسكناً له ولأولاده ولا يأخذ مرتباً ؛ وفقط عند الاستغناء عنه يعطى ألف جنيه انجليزى لمصاريف رجوعه إلى الآستانة ، وإنه ينتظر الرد لغاية مارس فان لم تقبل هذه الشروط فانه يقدم استقالته، ويطالب بحقوقه لغاية يوم الاستقالة.

وفى يوم ٨ مايو (وكنت قد حضرت إلى الآستانة) اجتمعت مع عباس . وكان فى حضرته عارف باشا وأحمد بك صادق، فدار الحديث عن شديد بك فقال إن المذكور كتب له وادعى أنه هو الذى أغاثه من الضيق الذى كان وقع فيه أثناء وجوده فى سويسرة فقال إنه يفتخر بأن الضيق قد بلغ به إلى هذه الدرجة، وهذا ليس بالشيء الذى يشينه ، لأنه يدل على عزة نفسه . (وخرج سموه بهذا الكلام عن الموضوع لأن شديداً لا يريد بما فعله لسموه أن يقول إن هذا العمل إهانة بل يقول : « إنى ساعدته على إيجاد النقود فى وقت احتياجه لها » .

ثم أنحى على شديد باللوم مدعياً أنه أفسد عليه عبد المنعم وعبد القادر أيضاً ثم قال إنه أرسل للمحامى بيكار فى السويسرة أن يطلب منه تقديم حسابه.

ولم أعلم ماذا تم بعد ذلك لانفصالى عن الخديو.



رمزي طاهر باشا

رمزى طاهر باشا : فى يوم ٢٠ أبريل تقابلت مع رمزى طاهر باشا السرياور الخديوى الذى استقال بعد رجوع عباس من ألمانيا ؛ فعلمت منه أن السبب هو أنه كان قد أعطى شهادة ممضاة منه ومن ابراهيم بك أدهم وتوفيق بك الياوران لحسين وصفى افندى الذى كان معاون القبوكتخدائية وفصله الخديو ، بأنه كان ضابطاً فى الجيش المصرى ، حتى يمكنه أن يستخدم فى الدولة ويعيش فعلم الخديو

بذلك وغضب على سر ياوره مدة ؛ وبعدها جاءه احمد بك صادق وكلفه برفع استقالته فلم يقبل ، ولكنه انقطع عن العمل فى بيته .

قال رمزى باشا : « ولكن جاءنى ذات يوم احمد بك صادق في منزلى ، وكان معه يكن باشا وابراهيم ادهم وتوفيق بك فهمى (أى الذين انفصلوا عن الخديو) وطلب احمد صادق منى أن أتوجه معه للسراى لمقابلة سموه ، وكان سبب هذا الطلب أنه كان نوى أن يترك الآستانة بعد الهدنة التركية ، ويهرب الى أوروبا ، وكان يرغب فى تسليمى السرايات فرفضت التوجه مع احمد بك صادق رغم إلحاحه » .

وسبب فصل وصفى افندى أن الخديو أخرجه من سراى جبوقلى التى كان يسكنها ويأكل فيها لأن راتبه كان ١٤ جنيها فقط ، والخديو على الرغم من إلحاحى مدة تقرير المرتبات لم يرض أن يعطيه علاوة ، لا هو ولا ابراهيم بك أو توفيق بك ، حتى غضب من إلحاحى ، فلما أخرجه من جبوقلى صار مبلغ ١٤ جنيها لا يكفى لمسكنه ومعيشته . وصادف فى هذا الوقت أن احمد بك فريد التشريفاتى استعفى ، فطلب وصفى بواسطة رمزى باشا أن يعين محله حتى يقبض ٦٠ جنيهاً تركياً شهرياً فتكفيه لمعيشته ، فقال الخديو : « أنا لا أخاف من تهديده » كأنه يقول : إن وصفى يهدده بالقتل إذا لم يرض بزيادة راتبه !! .

وعلمت من رمزى باشا أن الخديو كان يأمر بتعطيل إرسال الاذن بسفر عائلة شديد بك لأنه ما كان يريد أن يرجع إلى الآستانة قبل سفره إلى المانيا ورجوعه منها ، كما أنه عطل رجوعنا معه من بودابست .

وقال رمزى : « إنه لما وردت برقية منى بتعذر مواصلة السفر لانقطاع الطريق ، وأن عفشى ضاع ، كان يضحك كأنه حصل له السرور من ذلك » ثم قال : « وان الخديو كان ينوى إذا حضر شديد بك إلى الآستانة أن يسلمه إلى الحكومة انتقاماً منه ، ويظهر عنه أسراراً تدور حول مسألة طرابلس الغرب ، تكون سبباً للقبض عليه » .

الدكتور سيد كامل وعبد الله البشرى : فى يوم ١٩ يونيه كان الشيخ محمود المصرى (الذى كان فى المدينة وحضر الى الآستانة وساعده الخديو والآن فى

خدمته) فى غرفة احمد بك صادق مع الدكتور فريد طبيب السراى، فجرى الكلام فى مسأله مصر واحتمال رجوع الخديو ، فقال احمد صادق : ولو أن البعض هنا ينكرهذا الاحتمال ! . فقال الدكتور : أظن أنك تعنى بذلك السيد كامل ؟ قال : نعم . فأسرع الشيخ وأخبر الخديو بذلك ، فغضب من الدكتور سيد كامل . ولم يكتف الشيخ بذلك بل دس لعبد الله البشرى . فقال : وان البشرى يحامى عن الخونة (أى شفيق وسيد كامل) . فلما بلغ ذلك البشرى سفه الشيخ وشتمه وكان ينوى ضربه ، وأما سيد كامل فأراد أن يتواجه مع الدكتور فريد ، ولكن هذا كان يأتى السراى ولا يدخل غرفتى ، التى يأوى اليها سيد افندى ، والتى كان يدخلها الدكتور كلما حضر للسراى من قبل؛ وتقرر عمل تحقيق ، ولكن فريداً تهرب منه الى يوم ٢٤ يونيو . ولما اجتمعنا بحضور عارف باشا قال الدكتور : انه لم يكذب وألقى كل المسئولية على احمد بك صادق وعلى الشيخ محمود المصرى .

نور الدين : حدث فى أوائل أغسطس أن الخديو عهد إلى نور الدين بك فى مهمة فاعتذر لأن له قضية منظورة فى اليوم المذكور ، ويجب عليه أن يكون حاضراً فى المحكمة ، فلم يرق ذلك في عين الخديو ، فأنبه وكدره ، وقال له : « كيف لا تقضى مصالحى ، وأنت مأجور منى مع أنك تمضى نصف الشهر في مباشرة أشغالك الخصوصية ؟ » فكتب نور الدين خطاباً لسموه يقول فيه : « ان الذى يتقاضاه منه لا يقوم بمعيشته ، ولولا اجتهاده ومباشرة أشغاله الخصوصية التى تساعده على العيش لمات جوعاً . فاذا كان هذا لا يرضى الجناب العالى فانه يقدم استقالته » . وبعد أربعة أيام أرسل له عارف باشا يقول : « ان استقالته قبلت » وانتهى الأمر

مسعى عباس لاستغلال الحركة الوطنية : بلغنى فى أوائل ابريل سنة ١٩٢٠ أن عباس كلف البرنسيس شويكار بالسعى عند سعد باشا زغلول فى باريس لاجتذابه إلى جانبه ، وأن أمله كبير في الرجوع إلى مصر سلطاناً عليها . ولكن سعداً قابل البرنسيس بتحفظ ، وعادت بلا نتيجة .

وفى يوم ٢٤ منه علمت من عباس أن البرنسيس أخبرته أن صفية زغلول أثنت على حرمه ولم تثن عليه ، وأنه يعتقد باتصال المخاطبة بين حرمه وصفية هانم

ثم علمت من البشرى أن سموه يريد أن تكتب حرمى إلى صفية هانم لتـدافع عن الخديو عندها .

ومع وجود هذه الرغبة أراد أن يفهمنى أنه لا يهتم بأى شىء فقال : « أنا الآن صرت فيلسوفاً فلا يهمنى من هذه الدنيا شىء » .

وفى يوم ٧ أكتوبر قال الدكتور سيد كامل لى : « يحسن أن تقدم نفسك يا باشا للانتخابات القادمة لتشكيل الجمعية الوطنية التى ستنظر فى الاتفاق بين مصر وانجلترا » . ثم سألنى عن رأيى فيما إذا كنت أعطى صوتى للخديو عباس ؟ فأجبته نفياً قائلا : « إننى عرفت أنه لا يصلح للحكم ، وأن وطنى فى حاجة إلى الرجل الصادق المحب للمصريين ؛ وليس من يبغضهم . وهل نسيت يا سيد افندى ما كان يقوله عن المصريين ؟ إننى سجلت عليه كل أقواله كما فاه بها ، وإن حبى لوطنى أكثر من كل شىء » . قال : « ولمن حينئذ تعطى صوتك ؟ » قلت : « وقتها أفكر فيمن أصوت له ! » واسترسلنا فى أحاديث الحكومة والحكام فقال : « نحن وجدنا مع الخديو عباس — وخصوصاً أنت — من زمن بعيد ، فكيف نتركه الآن ؟ أفلا يقول الناس إن شفيقاً ترك عباساً مدعياً بأن سموه لا يصلح للحكم ، مع أنه خدمه المدة الطويلة ؟ » قلت : « إن هذا الانتقاد ظاهره منطقى ، ولكن عندى من الأسلحة ما يمكننى من المدافعة عن خطتى » قال : « أنت يا باشا تقول ذلك باللسان وليس بالقلب ، وأنا أرجو أن يزول ما بينكما وترجع المياه إلى مجاريها » .

وأضاف : « وأنا أقول هذا من عندياتى وليس مايعاز » . فأجبته : « أنا أريد وأنت تريد والله يفعل ما يريد » . وقد فهمت أن عباساً هو الموعز له بهذا الحديث

وفى يوم ١٩ أكتوبر حضر محمود أفندى زكى ، وأخبرنى أنه بناء على إلحاح عباس توجه هو وصفا بك صاحب جريدة العدل بالاستانة سابقاً إلى بيك . والأول قابل سموه فلامه على ما كتبه فى جريدة مصر ضده ، وطلب منه أن يصلح المسألة ويكتب ما هو فى مصلحته على شرط أن يرسله إليه ، وهو — أى الخديو — يبعث به لمصر . وقد وعده أحمد صادق أن يصرف له مرتبه الذى كان قد قطعه عنه سموه منذ ستة أشهر ، ولامه على ما كتبه من أن وفداً من المصريين ذهب لبيك ليسترحم عطف الخديو عليهم ، ولكن وسيط السوء أحمد صادق رفض قبول الوفد وإدخاله فى حضرة سموه ، وقال : « والله إننى لمظلوم » . وفهمت من محمود أفندى زكى أن سموه يجتهد

فى جمع المصريين حوله ، فقلت : « نعم ما يفعل ، وكنت نصحته قبل الآن ولكنه لم يسمع النصيحة إنما أدرك الآن غلطه فرجع عنه والحمد لله » . فقال : « ولكن نحن جميعاً نرغب فى أن تكون يا باشا فى مقدمتنا» . فقلت : « أنا الآن لا أريد أن أخطو خطوة إلى الامام ولا أتدخل فى شىء ، وغاية ما أرجوه أن أرجع إلى مصر ، وهناك أشتغل لصالح بلدى» فعاد يلح على بأن أغض الطرف عما حدث، فلم أجبه بشىء.

وفى يوم ٢٤ نوفمبر قابلت الكابتن دافيلد فى قلم المخابرات الانجليزية بالآستانة فعرفت منه أن محمد سعيد باشا وأحمد شوقى بك يقومان بالدعاية للخديو عباس . وسألنى عن رأيى فى ذلك فقلت: إن سموه له حزب ، فاذا كان محمد سعيد باشا على رأسه فانه قد خاب فى مسعاه ، لأن الأخبار التى وردت لى من مصر تدل على أن المصريين ناقمون على سعيد ، وعرفته أيضاً بالحزازات التى بين محمد سعيد وسعد باشا .

شوقى بين أبناء إسماعيل : وردت إلى رسالة من أحمد شوقى بك يوم ١٩ يناير سنة ١٩٢٠ وهو فى برشلونة يستعد للسفر إلى مصر بعد أن رخصت له السلطة فى العودة ومما جاء فيها : إن صديقنا السيد كامل دافع عنا كثيراً عند عباس عند ماذكروا (وأريد بهم الجهلة الأميين الذين لا علم لهم ولا أدب ولم يخلقوا لمجالسة الملوك والأمراء) أننى خرجت عن إخلاصى ومرقت من وطنيتى فى قصيدتى التى عملتها للسلطان حسين . وأنا يكفينى أن ألوفا من الشبان الراقين الذين يفهمون لغتهم فهموا مغازيها وأكثرهم يحفظها عن ظهر قلبه . فبالله ياسعادة الباشا سلم لى على السيد كامل إن قابلته أو اكتب إليه بذلك إن راسلته . هذا ما قالوه والله يعلم أنه لو كان بيسمارك فى مكانى فى تلك الأوقات التى كان هيجان السلطان حسين فيها لا يوصف لما خرج من مصر على الصورة التى تركتها بها من العز والكرامة .

من أسرار الحرب العظمى :

بلغنى من راقب نجل مظهر بك يوم ٢٩ يناير أن الانكليز كانوا عرضوا على الدولة بواسطة سفير إحدى الدول انسحاب العساكر العثمانية من الحرب نظير تأمينها على سيادتها على مصر وعلى أملاكها جميعها واسترداد الجزر بما فيها كريد ، وكفالتها فى الخمسمائة مليون جنيه (قيمة ديونها) ؛ وأمريكا تضمن للدولة تنفيذ هذه الشروط ، ولكن فؤاد بك سليم فى تقريره الذى أرسله مع اقتراح انكلترا هذا قال

رفضه ، لأن انجلترا لم تعرضه إلا لأنها تحققت من عدم نجاحها فى هـذه الحرب ، وأنها ستخسر ليس فقط مصر التى سيؤول أمرها إلى الدولة بل الهند أيضاً ، وأن انجلترا متحققة من انتصار ألمانيا .

وبلغنى منه أيضـاً أنه لمـا حصلت الهدنة مع الدولة تخابرت انجلترا مع الملحق العسكرى فى سفارة الدولة ببرن ، لا مع فؤاد سليم بك ، ولما تبرم للحكومة العثمانية من ذلك ، أجابته أن انجلترا لم ترد المخابرة معه لأنه مصرى .

رأى ضابط انجليزى فى الادارة المصرية المستقلة : تحادثت مع الكابتن دافيلد السابق الذكر عن الأخبار التى وردت من انجلترا خاصة بالمخابرات الدائرة بين سعد باشـا وملنر للوصول إلى اتفـاق بين الطرفين على استقلال مصر وتسليم إدارتها للمصريين وخروج الانكليز ، وأظهرت له سرورى من هذه الأخبار قائلا : « إننا سنكون أصـدقاء لكم إذا تم ذلك فنتعاون على مصالحنا المتبـادلة ، ولا بد أن ذلك يسركم كما يسرنا » . فأجاب بأنه يخشى إذا انسحب الانجليز من الادارة أن يفشو ظلم الحكام وتقع البلاد فى حالة أسوأ من حالة تركيا . فأجبته : « مهلا مهلا فإن المقارنة بين إدارة تركيا وإدارتنا غير صحيحة . والدليل على ذلك أن تركيا تعتقد أن رجال الادارة المصرية مشهورون بالكفاءة ، فطلبت إرسال البعض منهم وبالفعل عينوا فى تركيا فضلا على أن المصريين يشعرون بالمسئولية عنـد خروج الانكليز ليس فقط أمامكم بل أمام الدول جميعاً . فأجاب إنه متشائم فقلت : «وما السبب ؟ وهلا اكتسبنا منكم حسن الادارة فى مدة الأربعين سنة الماضية ؟ فاذا أجبتم بالنفى أقول لكم : إذن لم تحسنوا تدريبنا والمسئولية تعود عليكم ؛ وفى اعتقادى أنه يوجد فى مصر رجالات من خيرة الأكفاء وأهل التجارب يتولون الادارة ويحسنونها ، ويكفى أن تكون الرءوس الآن طيبة لتنتقى كبار الموظفين المشهود لهم بحسن الادارة لمعاونتهم ، والدليل على ذلك أنى أدرت الأوقاف العمومية بالذمة والصدق ولم يكن لى « جوكى » انكليزى فى مدة إدارتى للأوقاف يعاوننى كما كان الحال فى الوزارات الأخرى . ولا شك أنه يوجد فى مصر من هو خير منى إدارة . فأصر الكابتن على رأيه من التشاؤم مستشهداً بأنه عاشر الفلاحين وعرف أنهم ميالون للانكليز ويخشى أنهم بعـد خروج الانكليز يأسفون عليهم ؛ فقلت : « نعم . إنكم أحسنتم السياسة

مع الفلاحين لجذبهم إليكم بالمعاملة الحسنة والدفاع عن صوالحهم فالوا إليكم ، ولو استمرت هذه المعاملة لوافقتك على رأيك بأنهم يأسفون لخروجكم ، غير أنكم لم تستمروا على هذه السياسة ؛ وبعد أن كان الفلاحون حينما يشكون من أمر ما يولون وجوههم نحو الوكالة الانجليزية التى كانت تهتم كثيراً براحتهم وترسل عرائضهم إلى المصالح فتهتم بشكواهم ، فأنه بعد حادثة دنشواى تغير الحال ، وأبعدتهم عنكم . ودليلى على هذا أننا إذا جمعنا إحصاء عن عدد العرائض المذكورة قبل حادثة دنشواى وبعدها وجدنا الفرق عظيما ؛ وخصوصاً أن المحاكمة التى حصلت للفلاحين الذين صدر عليهم الأحكام بالاعدام والجزاءات القاسية وتنفيذها كان بكل فظاعة فأبعد هذا قلوبهم عن كل ميل وعطف نحوكم» . فقال : «صحيح ! كانت حادثة أليمة إلا أننا لو نظرنا إلى المسألة من وجوهها المختلفة لوجدنا أنه كان يجب تأديب المعتدين » .

اشتراكى فى جمعية خيرية عربية : فى يوم من أوائل نوفمبر دعانى عبد الرحمن بك العابد للغداء . وكان معنا الدكتور سيد كامل ومعمم من اللاذقية تلقى العلوم فى الأزهر ، فأخبرنى الأول بأنه قد تشكلت جمعية عربية من السوريين لتسفير أبناء العرب المحتاجين إلى بلادهم ، وأنه تقرر أخيراً انتخاب أعضاء آخرين من المصريين والبغداديين والطرابلسيين والحجازيين ، وأن الجمعية انتخبته وقبل العضوية ، وأنها تريد أن أشترك فيها .

وبعد أن اطلعت على قانونها وما يعلمه الدكتور سيد كامل عنها قبلت الاشتراك . فأرسلت لى الجمعية رسالة جاء فيها .

« بناء على ما هو معروف فى سعادتكم من نباهة الذكر والرغبة الصادقة فى عمل الخير وما هو متأكد لدى « الجمعية الخيرية العربية » بالآستانة من أنكم لا ترفضون تعضيدها إن هى دعتكم إلى الأخذ بناصرها ، أتشرف بابلاغ سعادتكم إجماع أعضاء مجلس إدارتها فى جلستهم المنعقدة يوم الخميس الموافق ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٠ على انتخاب سعادتكم ، مع مزيد سرورنا الشخصى فى التطلع إلى التشرف بطلعتكم يوم الخميس القادم ١٨ نوفمبر ، لحضور اجتماع مجلس الادارة الذى ينعقد عادة كل أسبوع فى مكتبنا الخاص ، ولسعادتكم منا مزيد السلام ووافر الاحترام » .

رئيس مجلس إدارة الجمعية الخيرية العربية

أحمد عبود

وقد توجهت فى الميعاد وتعرفت بالأعضاء ، وعرضت علينا جملة مسائل منها أنه تقدم لنا أحد الجراكسة ويحسن العربية وكان مفتيا فى القوقاز وهاجر منها هاربا من البلشفيكيين ، والتمس مساعدته ماديا هو وعائلته ، ولما كانت الجمعية لا تنظر إلا فى تسفير أولاد العرب رفضنا طلبه ، وانما تبرعت له بخمسة وعشرين جنيها ، فدعا وخرج .

واستمررت على الذهاب إلى جلسات الجمعية وتبرعت لها بخمسين جنيها واشتركت بخمسة عشر جنيها شهريا ، ولما أردت السفر من الآستانة إلى فينا وسويسرة تركت لها ثلاثين جنيها اشتراك شهرين .

سنة ١٩٢١

التحقيق فى ضياع المجوهرات — عودتى الى مصر — المساعى لعودة عبد الحميد بك شديد وعلاقاته بعباس — رأيى فى الاتفاق بين مصر وانجلترا — برنامجى للموضوعات الداخلية — الخلاف بين سعد وعدلى ومساعى التوفيق — حوادث الاسكندرية ودفاعى مع شكور باشا عن سمعة مصر — نوادر عن شح عباس .

التحقيق فى ضياع المجوهرات : علم القارىء من مذكرات سنة ١٩١٨ بالمتاعب والآلام التى لقيتها فى سفرى إلى السويسرة لاستحضار عائلتى، وعائلة شديد بك بناء على الأمر الخديوى، ومن بينها ضياع حقيبة بها نقود ومجوهرات، وادعاء أحد موظفى محطة انسبروك أن واحداً من طرفى حضر لتسلمها، وشكواى ضده وضد مصلحة السكة الحديدية

وقد حدد لنظر الدعوى أخيراً جلسة يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٢١ فى الاستئناف بعد أن حكم لى فى المحكمة الابتدائية بوجوب التعويض، فسافرت من الآستانة يوم ١٠ فبراير إلى فينا، وقابلت المحامى شونبرج الذى ترافع عنى فى الدعوى، فعلمت منه أن الاستئناف أيد الحكم الابتدائى بحقى فى التعويض، ولكنه يطلب ايضاحات عن الحقيبة، وأن المدعى العمومى أراد انهاء المسألة بدفع مليون كورون، فأبى المحامى لأن المبلغ قليل نظراً لانخفاض سعر العملة، وأن شونبرج سأل بعض الخبراء فى المجوهرات عن أثمانها الآن ووقت ضياع الحقيبة، فعلم منه أن ثمنها فى ذلك الحين يساوى خمسة أضعاف الثمن الحالى، وطلب من المحكمة أن تفصل فى هذه النقطة عند صدور حكمها حتى لا تستغرق الدعوى مدة طويلة . وهو يعتقد أنه إذا صدر حكم الاستئناف لمصلحتنا ، فان المدعى العمومى سيطلب ارسال القضية إلى محكمة النقض فى فينا ، وعلى فرض تأييد الحكم فان الصعوبة فى أن تدفع الحكومة النمساوية التعويض المطلوب ، بينما المسموع أنها تريد أن تعلن التوقف عن دفع ديونها وهى تفكر فى اصدار قانون بذلك .

ثم أخبرنى أن هناك مبدأ قانونياً يقضى بتثمين الأشياء الضائعة وقت ضياعها بسعر عملة البلد الذى ضاعت فيه ، وأنه إذا حصل ذلك نخسر خسارة كبيرة لهبوط سعر الكورون

وفى يوم الجلسة كنت مع المحامى فى المحكمة ، ثم حضر المدعى العمومى فتعارفنا وبعدها حضر القاضى والترجمان فتبادلنا التحية ، ولم تر المحكمة حاجة لحلف اليمين على المصحف الذى كنت استحضرته معى، وإنما دعانى القاضى أمامه وأجلسنى على كرسى بجانب الترجمان ، وحلفت أننى أقول الحق ؛ ثم ابتدأ الأسئلة وكلها ترمى الى غاية واحدة ، وهى: هل عندما كنا فى هوتيل بلودانس حتى ركبنا القطار ووصلنا الى أنسبروك كانت الحقيبة فى حرزمتين ، ولم تمسها يد خلاف يدىّ ويد حرمى؟ فكانت أجوبتى أن الحقيبة كانت فى حراستنا ولم تمسها يد أجنبية ؛ ثم سئلت عن إقفالها بالمفتاح لأننى قلت فى محكمة لوزان: إننى أقفلتها وأخذت المفتاح فى جيبى. قلت : نعم أننى متعود ذلك ، وعلى ظنى أننى لم أخلف هذه العادة ، لكن من الجائز أننى لم أقفلها كما يجب فى بلودانس، لأننى لم أمسها بعد ذلك حتى أعلم هل كانت حقيبة مقفلة أم مفتوحة وتمت الأسئلة على ذلك ؛ ثم ابتدأت المرافعة من جانب المدعى العمومى ؛ ثم من المحامى ثلاث مرات ، فالأول كان يدفع مسئولية السكك الحديدية ، والثانى يثبتها ؛ ثم كان يقول بأنه إن كانت مسئولة فتكون على أساس قيمة الكورون وقت ضياع المحفظة ، لكن المحامى قرر أن مقدار التعويض عن الجوهرات المفقودة هو ٢ مليون كورون بالقيمة الحالية على الأقل ، وطلب من المحكمة أن تقرر انتداب أحد الخبراء فى فينا لسؤاله عما يعلمه عن قيمة الجوهرات فى ١٨ سبتمبر ١٩١٨ وقيمتها الآن حتى اذا قال بزيادة عن ٢ مليون يكون لنا الحق فى هذه الزيادة ، وطلب فوائد المبلغ الذى ستحكم المحكمة به لغاية يوم الدفع، ثم حصلت مناقشة حول أثمان بعض الأشياء التى كانت داخل المحفظة منها النقود الذهبية فطلب دفع قيمتها وانتهت الجلسة ، وقد حكم لنا . ولكن الحكومة لم تدفع لأن الامبراطورية تجزأت وتعددت حكوماتها فلم تعد هناك حكومة معينة نطالبها (١)

---

(١) وقد علمت بعد ذلك أنه يوجد فى لندن لجنة للنظر فى توزيع ديون الامبراطورية النمساوية على الممالك التى تحولت اليها الامبراطورية أخيراً . وقد قيل لى بصدد ذلك أنه من الممكن تحويل القضية على هذه اللجنة بوساطة أحد المحامين هناك .

ولهذا أرسلت جميع أوراق القضية الى حضرة صاحب السعادة عبد العزيز عزت باشا — وكان وزيراً مفوضاً فى لندن وقتئذ — راجياً منه انتداب أحد المحامين ليقوم بما يلزم للوصول الى تنفيذ هذا الحكم .

وقد أودع الباشا ملف القضية لدى سكرتيره الخاص وكان سويسرياً . ومن سوء الحظ أن ذلك السكرتير انفصل من وظيفته عقب ذلك ، فضاعت أوراق القضية ، وانتهى أمرها عند هذا الحد .

عودتى الى مصر :

المساعى للعودة : سعيت فى العام الماضى كثيراً للعودة الى مصر ، فلم يأتنى الترخيص ، فظننت أن ذلك ربما كان من معارضة السلطات الانجليزية لتوهمها أننى لا أزال على اتصال بعباس ، وأن استقالتى ليست إلا مناورة يقصد بها تسهيل عودتى الى مصر لخدمته فيها .

وقد جاء الترخيص لحرمى وحدها بالسفر فسافرت من السويسرة فى ديسمبر سنة ١٩٢٠

وبقيت أنا بالآستانة أجدد المساعى ، بينما كانت حرمى تبذل مساعى أخرى فى مصر .

وفى يوم ٦ يناير وردت لى من حرمى رسالة جاء فيها : أن بعض السيدات من صديقاتها يشرن عليها بالكتابة الى السلطان ، رجاء الترخيص برجوعى الى مصر ، ولكنها لاتريد أن تعمل بهذه الاشارة ، وأنها ستطرق باباً آخر .

مساعى مظلوم باشا وتسويف السراى : وقد كتبت لى مدام تقلا باشا بأنها تقابلت مع عبد الفتاح يحيى باشا وكيل الداخلية، وحادثته فى الترخيص لى بالعودة ، فأجابها بأن المستشار الانجليزى لايرى مانعاً من عودتى بعد موافقة السراى كما هو المتبع مع المصريين ؛ فأرسلت الى مظلوم باشا (١) — لاتصاله بالسراى — ليقوم بالسعى اللازم .

وقد تكلم مع السلطان فؤاد بخصوص ذلك ثلاث مرات ، فقال له فى الأولى : « لماذا ياباشا تهتم برجوع شفيق ؟ » فأجابه : لأنى رأيته فى سويسرة ، وحالته الصحية تستدعى الشفقة . وعند ما كلمه فى المرة الثانية ، أجاب بأنه سينظر فى المسألة بعد ، وفى الثالثة ، قال : « إنه سينظر فيها بعد رجوعه من سياحة الصعيد »

وبعد ذلك سافرت أنا الى أنسبروك لحضور جلسة المحكمة كما سبق ثم واصلت السفر الى السويسرة اعتقاداً منى بأن وجودى فى الآستانة ربما كان معرقلا لهذه المساعى .

---

(١) صور ج ٢ ق ١ ص ٢٢

الترخيص بالعودة : ولما كنت فى فريبورج وردت لى برقية من حرمى بأن السلطة المصرية قد رخصت لى فى العودة ، وأنها أرسلت برقية بذلك الى السفارة الانجليزية فى برن .

وفى ٨ مارس كتبت إلى رسالة جاء فيها: أنها بعد التفكير وبدون أخذ رأى أحد لأن صاحباتها اختلفات فى اختيار المسعى الضرورى لرجوعى قررت الذهاب الى المارشال اللنبى القومسير العـــالى الانجليزى ، فحررت له خطاباً جاء لها رده بأنه يمكنها الحضور فى أى يوم أرادته ، وعليه توجهت ، ولكن المارشال كان غائباً فقابلها سكرتيره بلطف ؛ ولما وصلت الى دار الحماية كانت أعصابها متهيجة حتى انهمرت الدموع من عينيها ، وما كانت تقدر أن تفوه بكلمة ، وإنما هدأت حين جاءها السكرتير ، فأخبرته بتفصيلات القضية المرفوعة ضدى من الأوقاف (وقد عرفها القارىء فيما مضى) وعرفته بأنه تقرر اصدار الحكم دون النظر فى أوراق القضية ، وهى أوراق قديمة كانت استحضرت من المحاكم الأهلية حينما نظرت فى القضايا المرفوعة وقتها ضد احمد بك صادق وخيرى باشا وحسين باشا محرم ، وأن المحامى يريد تأخير القضية حتى تستحضر هذه الأوراق ، ويطلع عليها ؛ وأننى لو كنت موجوداً فى مصر لأثبت براءتى ، فطلب منها أن تستحضر من المحامى خلاصة للقضية بالافرنسية ، فاستحضرتها ثم علمت بعد بأيام بالترخيص لى فى العودة ، فأرسلت لى البرقية السالفة الذكر .

وفى يوم ٢٦ مارس كنت فى جنيف وقابلت موسيو جانيو مدير البعثة المصرية فى السويسرة ، وتحادثنا فى موضوع عودتى الى مصر ، فقال لى : « إن مفتش الجوازات الانجليزى فى سويسرة استعلم منه عنى ، وعرفه ببعض مسائل ليس لى دخل فيها ، وعلم جانيو أن هناك خطأ ، وأن الانجليز يظنون أننى يوسف صديق حتى أدى الحال الى أن أرسل له كراسات قضية بولو قائلا : إن جميع ما فعلته وارد فى هذه الكراسة ففحصها المفتش ولم يجد اسمى فيها ، فتأكد من خطأ الانجليز ، وأقنع المفتش الذى طلب منه بناء على أمر ورد له من مصر أن يعطيه معلومات عنى ، فحرر له مذكرة بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٩٢١ ، قال فيها: إنه لايدخل فى وظيفته إعطاء معلومات عن أشخاص لأنه موظف تابع للمعارف ، ولهذا لايعد ملزماً باجابة كل طلب من هذا القبيل ، ولا يحب أن يتجسس على الأشخاص ، وإنما لايتأخر عن إعطاء معلومات عمن يعرفهم بصفة خصوصية . بعد ذلك قال: إنه يعرفنى من منذ سنة ، وأنه اختلط بى

وتحادث معي في مواضيع شتى ، ولم يجد فى كلامى أو فى أفكارى مايدل على بغضى وحقدى على أشخاص الانجليز ، ولكنه وجد عندى احساسات وطنية شريفة تثبت حبي لوطنى . ولا يعرف أننى فى زمن الحرب تداخلت في مسائل Loucnles ولا كان لى يد فى مسألة علاقة الخديو مع الألمان ، بل كانت همتى مبذولة فى تعليم أولادى ، وأننى لاأدخر وسعاً في مراقبة دروسهم وسيرهم ، ولا أتأخر فى بذل المال وانتى أدقق فى مصروفاتهم ، ولم يكن لى من ذنب إلا الاستمرار فى خدمة الخديو إن كان هذا الولاء يعد ذنباً ، وعلى الجملة قال: إننى Gentelman وإننى على معلومات واسعة ، بعد ذلك مضى أكثر من شهر فأرسل له المفتش الانجليزى يقول إن السلطة فى مصر ترغب في الاطلاع على المذكرة السرية التى أرسلها له فى ١٧ يناير ، وأنه يستأذنه فى إرسالها ، وأجاب جانيو فى ٢٢ فبراير بأنه لايرى مانعاً من أن يبعث بها الى مصر . فالانجليز كانوا حينئذ يسيئون الظن بى ، وهذا سبب امتناعهم عن إجابة ملتمسى الذى قدمته للقومسيير العالى بالأستانة فى شهر اكتوبر الماضى . وقد بلغنى من ثريا بك متولى أعمال سفارة الدولة فى برن أنه لما كان فى قوميسيون الهدنة بنظارة الخارجية ، وجاء الطلب له برغبتى فى السفر من سويسرة للآستانة فى أوائل سنة ١٩٢٠ لاحظ بعض الصعوبة من المندوب الانجليزى؛ ولكنه انتهى بعدم المعارضة

السفر: كنت عازما بعد الترخيص لى بالعودة أن أبقى فى السويسرة إلى الصيف حتى تحضر حرمى إليها كما كان مقررا ، ثم نعود فى نهاية العام ، ولكننا أرسلت تستعجل عودتى لأمور عائلية

فذهبت يوم ٤ ابريل إلى قنصلية انجلترا بجنيف لاستخراج جواز السفر ، وقد دهشت حينما وجدت من القنصل تساهلا كبيراً ، إذ اكتفى بوجود جوازى العثمانى وقال بأنه سيؤشر عليه فقط ، وما على إلا احضار صورتين شمسيتين

وفى يوم ٧ منه تسلمت الجواز وأشرت عليه من قنصلية فرنسا بصعوبة ، حيث قيل لى: « كيف يكون جوازك عثمانياً وأنت مصرى؟ وكان يجب أن يكون انجليزياً ! » فأقنعتهم بأن القنصل الانجليزى هو الذى اقترح ذلك ، ولو كان هناك مانع لجاءت المعارضة من جانبه

الوصول إلى أرض الوطن : وقد سافرت يوم ٨ ابريل بالقطار إلى مرسيليـا ، وفي صباح يوم ٩ منه ركبت الباخرة ، فوصلت إلى الاسكندرية يوم ١٤ منه ، ثم

استأنفت السفر بالقطار إلى القاهرة . فوجدت في استقبالى بعض أفراد عائلتى وتوفيق بك فهمى، والدكتور سيد كامل، وحافظ بك عوض

مقابلاتى وزياراتى بعد العودة : في صباح اليوم التالى لوصولى إلى القاهرة زرت مدام تقلا باشا ، ولما رأيتها سالت الدموع من عينى ، فلم أتمالك نفسى من التأثر ، وشكرتها على حسن مودتها لنا فى أثناء غيبتنا ، ثم زرت مدام علوى باشا لتعزيتها فى وفاة زوجها ، وبعد ذلك ذهبت لزيارة البرنس محمد على فلم أجده

بين عابدين ودار الحماية : وقد استشرت مدام تقلا باشا فيما يجب عمله نحو عابدين ودار الحماية ، فكان من رأيها ألا أذهب لاحداهما ، ولكن تكلمت مع أمين باشا ي فكان رأيه ، أن اكتب اسمى فى سجل التشريفات بالسراى ، فتوجهت وقيدت اسمى ، وبعدها زرت سعيد ذا الفقار باشا فسلم على سلاماً عادياً ، وكان معه محمود شكرى باشا (الذى كان رئيساً للديوان التركى الخديوى) ، فاحتضننى وسلم على بحرارة ، وأشار على بأن أقيد اسمى فى دفتر التشريفات، فأجبته بأنى نشأت فى السراى وأعلم تقاليدها ، وقد قمت بالواجب . وبعد ذلك توجهت إلى دار الحماية ، وقيدت اسمى هناك .

في الأزهر : ثم ذهبت إلى الأزهر لصلاة الجمعة ، فاستقبلنى الموظفون باشتياق . وكذلك من كان هناك في انتظار البرنس محمد على ، ولما وصلت إلى القبلة أجلسونى في الصف الأول ، وحيانى كل من عرفنى من العلماء أحسن تحية ، ولما حضر البرنس تقدم نحوى وصافحنى ، وقال : « هأنت ذا يا شفيق باشا قد حضرت »

وهتف الأزهريون لسموه ، وبعد الصلاة خطب أحد العلماء فى عناية محمد على الكبير بالأزهر، ودعا للأمير الحاضر والأمير الغائب ، وعند خروج سموه ، هتف بعض الطلبة (يعيش عباس باشا) .

ما لقيته من حفاوة رجالات مصر : وفي صباح يوم ١٧ مارس زرت عدلى باشا رئيس الوزراء فاستقبلنى بكل لطف ، وتحدثت معه فى الترخيص للمصريين فى أوربا بالعودة؛ وقابلت رشدى باشا عند خروجى من غرفة عدلى باشا ، فلما رآنى صاح بصوت عال : « كيف حالك ياشفيق باشا؟ » ثم قابلت ثروت باشا أيضاً فلم يعرفنى أولا ، ولكن لما تكلمت معه قال : « ماهذا ؟ أنا ماعرفتك ياشفيق باشا »

وبعد ذلك قابلت جعفر ولى باشا وزير المعارف ، وكان عنده بعض الرؤساء فسألونى عن عباس . ثم زرت وزير الأشغال محمد شفيق باشا ، وكان معه المستشار ماكدونالد فعانقنى الأول وقبلنى ، فظهرت على وجه مكدونالد الدهشة من هذه المقابلة ، فعرفه بى ، فسأله المستشار : لماذا لم يحضر فى مدة السبع السنوات ؟ فأجاب : لأنه كان مع الخديو . فسألنى مكدونالد عن سموه


نجيب بطرس غالى باشا

وقابلت مدحت يكن باشا وزير الاوقاف فقال لى: «إنك كنت مظلوما وإن عزت باشا زوج فائقه خانم أخبرنى بكل ما حصل » وقابلنى نجيب بطرس غالى وزير الزراعة مقابلة لطيفة ، ولكن علمت منه أنه يخالف سعد باشا ، وقال عنه: إنه متلون ثم عاودت زيارة عدلى باشا ، فأظهر لى عطفاً ، فكلمته ثانية عن المصريين الذين في الخارج ، وأنهم ينتظرون من وزارته صدور الأمر بارجاعهم إلى أوطانهم؛ وقلت إن الحالة الآن تساعد على ذلك ؛ ثم حادثته فى رجوع عبد الحميد بك شديد فعلمت منه أنه طلب كشفاً بأسماء المصريين الذين فى الخارج فكان الجواب بأن السلطة تجهلهم ، فطلب كشفاً بأسماء الذين لا ترى السلطة دخولهم، فكان الجواب كذلك نفياً ، وأخيراً وعدته بأرسال كشف بأسماء من طلبوا الرجوع لمصر. قال : وسأنظر فى طلباتهم. وقال عن شديد: إنه متهم بعلاقات خفية مع الطليان ، ووعد بالنظر فى مسألته ؛ وقال ثروت باشا : إنه سينظر فى طلب رجوعه . وزرت مظلوم باشا وشكرته على مساعيه وأعلمته بمساعى حرمى فى دار الحماية فقال : وهاأنت ياباشا قد حصلت غرضك بدون تدخل السراى ، وأظن السلطان سيتأثر من حضورك بعد هذا لتقييد اسمك فى سجل التشريفات

ثم زرت عزت باشا وشكرته هو وحرمه على ما أذاعاه عنى من حقيقة ما حصل بينى وبين عباس

أما الذين حضروا لتهنئتى برجوعى فهم سعد زغلول باشا ومحمد باشا سعيد ومظلوم باشا وسابا باشا وحسن حسيب باشا ومحمد شفيق باشا وأمين باشا يحيى



محمد شفيق باشا



على فهمى باشا

ومحمد عرفى باشا وعبدالله باشا وهبى وعلى باشا فهمى (ضابط متقاعد) وحسن باشا رفقى وحسين باشا محرم وأحمد عزت باشا العابد ونجيب شكور باشا واسماعيل صبرى باشا واسماعيل باشا أباظه وخالد باشا لطفى ومحمود باشا أبو حسين وحمدى بك سيف النصر (مدير فى المعاش) وبشرى بك حنا وبسيونى بك الخطيب وجلال بك فهيم ومحمد بك المويلحى وحافظ بك عوض وتوفيق بك فهمى وعزت باشا زوج فائقة هانم وأحمد باشا فائق (مدير فى المعاش) والشيخ أبو الفضل شيخ الأزهر



أحمد عزت باشا العابد

والشيخ البنا رئيس المحكمة العليا الشرعية والشيخ حسونه النوآوى والسيد محمد البيلاوى والشيخ محمد زناتى سكرتير مجلس الأزهر الأعلى وغيرهم كثير من كبار الموظفين بالأوقاف .

المساعى لعودة عبد الحميد شديد وعلاقاته بعباس : فى أول إبريل حضر إلى جنيف من ميلانو عبدالحميد شديد ، وكنت أخبرته بحضورى اليها ، وقابل موسيو جانيو حيث كان رجاه أن يتوسط لدى السلطة الانجليزية فى سويسرة لتسهيل الحصول على إذن بالرجوع الى مصر ؛ وبعد مناقشة بين السلطة وجانيو اقتنعت بأن تسمع من شديد ما فعله فى مدة الحرب وبعد الهدنة ، وأن يكون جانيو هو الواسطة بدلا من أن يكون هذا التحقيق فى قنصلية انجلترا ؛ وقد ألقى عليه موسيو جانيو عدة أسئلة فرد عليها وهى :

أولا : عن خروجه من مصر إلى ايطاليا بعد أن التجأ إلى قنصليتها بمصر وسعيه المتواصل فى روما لرجوعه . ثانيا : انتقاله إلى لوسرن ومقابلته للخديو الذى كلفه بأن يمنع حسين زكى بك من مقاضاته فى سويسرة بخصوص مسائل مالية ادعاها على سموه ، وقد نجح شديد في التوفيق بين الطرفين . ثالثا : قال شديد انه لما ضاق الحال لنفاد ماعنده ، وفشلت مساعيه في لوسرن عند قنصل انجلترا أملا في العودة إلى مصر هو وعائلته التى كانت لحقت به في ايطاليا قرر فتح دكان فى برن ، وكان يورد للخديو ما يلزم له عند ما كان سموه سا كنا فى قصر كلاران ، فقلت النقود عنده ، فراجع الخديو ، ولكن سموه أجابه بأن حالته الاقتصادية هو أيضا سيئة فاتفقا على مراجعة سفارة انجلترا لعمل اتفاق بين الخديو وبينها ، وبذلك تنفرج الأزمة . وبناء على الأمر توجه شديد لمقابلة الكبتن بنز وهو فى مكتب المخابرات بسفارة انجلترا وأفهمه برغبة الخديو ، فأظهر عدم ثقة بمقاصد عباس ؛ ولكنه في يوم من الأيام توجه توا بدون إخبار أحد إلى كلاران وقابل الخديو ، وتكلم معه فى الموضوع ، وبذلك ابتدأت المخابرات بعد مراجعة لوندرة ، وقد أحالتها نظارة الخارجية على اللورد اكتون ، فقابل الخديو مرتين ، وتقررت نقط الاتفاق ، وعلى هذا كلف سموه أحد المحامين السويسريين بكتابة خطابين فى موضوع الاتفاق ، وبعد امضائهما من سموه أراد أزمرلى المحامى مواجهة السفير وتسليمه الخطابين ، ولكن السفارة أبت قبوله لأنها ما كانت تريد ادخال محام بين الطرفين طبعا ، وأرسلت تليفونا لشديد بهذا الرفض وبذلك انقطعت المخابرات .

قال وبعد ذلك قرر سموه الرجوع إلى الاستانة وترك شديداً لمباشرة أشغال تجليه في سويسرة . وعينه مديراً للخاصة الخديوية بمرتب ١٢٠٠ فرنك شهرياً وبوساطة شفيق باشا صارت ١٥٠٠ فرنك ، وقد راجع الكابتن بتز لقلة المبلغ وعدم كفايته لنفقاته مع اسرته ، فوعده بأن يرخص له فى استحضار ١٥٠٠ فرنك شهرياً من نقوده بمصر إن ترك خدمة الخديو ، وقد أراد شديد الانفصال ، ولكن سموه وعده بأشياء حملته على سحب استقالته ، وأمره بأن يحضر لمقابلته مع ابنه البرنس عبد القادر فى برلين ، وأن يرسل عائلته مع شفيق إلى الآستانة ، وقد حصل. ولما قام الخديو من برلين راجعاً إلى الآستانة أنزل شديدا فى بودابست حتى يستقبل قطار « البلقان زوج » ولكن انقطع الطريق، فبقى فى بودابست حتى تمكن من الرجوع إلى سويسرة وعندها استقال .

ومن ضمن ما قاله أيضاً : إنه كتب إلى اللورد هاردنج فى أمر عودته كما كتب إلى اللورد كتشنر، وأن عنده رسالة من الأخير يعده بالرجوع ، وأخرى من جراى بأنه تقرر ارسال نقود له ، ولكن بموت كتشنر انقطع أمله فى العودة

بعد ذلك وعده جانيو أن يقابل من يلزم فى سفارة انجلترا ببرن مجتهدا فى الوصول إلى نتيجة طيبة .

وبعد عودتى إلى مصر خاطبت عدلى باشا وثروت باشا فى شأنه كما ذكرت ثم عاودت السعى مرات فى الداخلية ، وسمعت من الوزير فى المرة الأخيرة أنه لا يمانع فى الترخيص له ، ولكن المسألة بين أيدى الانجليز . فيجب اتخاذ المساعى لدى الوكالة البريطانية أو عند مستر ريدر وكان ذلك يوم ٦ مايو سنة ١٩٢١ .

وقد ظللت أسعى حتى حصلت على وعد بعودته ، وأبلغت ذلك لحرمه ، فتقبلت هذا النبأ بالسرور والشكر . وقد عاد بعد ذلك .

رأيى فى الاتفاق بين مصر وانجلترا : بعد عودتى درست المقترحات التى عرضتها لجنة ملنر على مصر للاتفاق مع انجلترا وكونت لى رأيا عنها يتخلص فيما يلى:

١ — كنت أود أن يحصل الاتفاق بين الطرفين على الضمانات التى تقدمها مصر لمصالح انجلترا ، كما أن هذه تعلن رفع الحماية واعترافها باستقلال مصر بحيث لا ينص فى هذا الاعلان عن شىء من هذه الضمانات وأن يسجل هذا الاستقلال فى عصبة الأمم ، وتدخل مصر عضواً فيها .

٢ — أن تعقد معاهدة بين الطرفين تعترف مصر فيها بهذه الضمانات، وبمساعدة انجلترا عند نشوب حرب بينها وبين احدى الدول الأخرى، على شرط أن تقضى بذلك مصلحة مصر؛ وإلا فاننا نخسر كثيرا لأن أعداء انجلترا اليوم كثيرون، ونحن لا نود أن نخلق العداوة بيننا وبين دولة من الدول، إذ من الضرورى لنا أن نشتغل فى السنوات الآتية لترقيتنا وانماء ثروتنا وقوتنا، وينبغى أن ينص على مدة معلومة للمعاهدة

٣ — أن تسعى مصر المستقلة في الغاء الامتيازات الأجنبية رأسا مع الدول ولو بمساعدة انجلترا بحيث نطلب تشكيل لجنة دولية في مصر لهذا الغرض لأن ذلك اجدى لنا وللدول، أما أن تجرى المفاوضة فى ذلك مع انجلترا بعد قبول الدول ن تحل محلها، فان ذلك يضعفنا أمامها، وإذا كان من المحتم أن تكون انجلترا هى لواسطة بيننا وبين الدول فى هذه المسألة فعلى الأقل تشترك مصر معها فى المخابرات.

٤ — الضمانات تشمل أولا : ابقاء قوة عسكرية انجليزية فى القنطرة فيلزم تحديد هذه القوة ودائرة الاحتلال ومدته، وعدم جواز ارسالها فى جهة أخرى من القطر ولا لإرسال الطيارات الخ. ثانياً : لامانع من تعين المستشار المالى لمراقبة صندوق الدين بدلا من أعضاء الدول ذوات المصالح فيه مع عدم تدخله فى المسائل المالية المصرية الأخرى، ولا معنى لاستشارة الحكومة له. وتلغى هذه الوظيفة اما عند دفع مصر لجميع ديونها بأى طريقة كانت وفى أى مدة، أو عندما تتحقق الدول من حسن ادارة مصر لماليتها، أو إذا رغبت انجلترا فى ذلك. ثالثاً : تعيين المستشار القضائى ينشأ منه تداخله فى مصالح كثيرة مصرية وأهمها البوليس، فيلزم تحديد اختصاصاته بحيث لا يتعرض للادارة المصرية على قدر الامكان؛ وكذلك تحدد مدته بانقضاء القوانين التى ستطبق على الأجانب عند إلغاء الامتيازات، أو عند ما تثق الدول بحسن الادارة والأحكام المصرية.

٥ — يلزم أن تنص انجلترا فى اعلانها على إلغاء حمايتها واعلان استقلال مصر دولة ملكية دستورية ذات هيئة نيابية وسيادة داخلية وخارجية، وتعضدها فى طلب الدخول فى عصبة الأمم وتسجيل استقلالها فيها.

٦ — اعتراف مصر بمركز انجلترا الممتاز فيه شيء من خدش استقلالها خصوصاً وأن ممثل انجلترا سيتقدم على جميع ممثلى الدول الأخرى وسيكون له حق المعارضة عند

اللزوم للقوانين التي ستطبق على الأجانب . فماذا يكون لو عارض هذا الممثل وأصرت مصر على تنفيذ القانون ، وهل هناك محكمة عليا ؟

٧ — يكون الأفضل أن تذكر مصر فى المعاهدة بين الطرفين أنها تمنح بريطانيا العظمى الضمانات التى تلزم لصيانة مصالحها الخاصة ، وتقدم الضمانات للدول الأجنبية تحقيقاً لتخلى تلك الدول عن الحقوق المخولة لها بمقتضى الامتيازات ، فبهذه الوسيلة يكون الاستقلال اظهر ، ويكون من حق مصر المستقلة المخابرة رأساً فى شئونها مع الدول الأجنبية .

٨ — في نفس اليوم الذى تعلن فيه انجلترا استقلال مصر تمضى من الطرفين معاهدة محالفة تتعهد فيها انجلترا أن تساعد مصر فى الدفاع عن سلامة أراضيها بدون عوض ، لأن ذلك من مصلحة انجلترا ، وتتعهد مصر فى حالة دخول انجلترا فى حرب لها مساس بسلامة مصر — وهذا لابد منه لأن نقطة ضعف انجلترا هى مصالحها فى مصر — أن تقدم داخل حدود أرضها كل المساعدة التى فى وسعها تقديمها لانجلترا يعنى مالا ومؤونة وذخيرة ورجالا للدفاع عن حدودها ولكن كل هذا بعوض . لأن ذلك ضرورى لانجلترا أولا . ومما تسمح به مصر فى هذه الحالة استعمال مالها من الموانى وميادين الطيران ووسائل المواصلات والنيل والترع وإيجاد طرق مواصلات أخري — تستدعيها الحال — وأرى أن فائدة انجلترا كبيرة جداً من هذه النقطة لأن نفوذها بعد الحرب قد اتسع جداً بحيث أصبحت الدول حتى المحالفة لها تتخوف من هذا الاتساع ، وربما انتهزت أول فرصة للايقاع بانجلترا لتحصل الموازنة في أوروبا .

٩ — حق مصر فى التمثيل الخارجى محدود بأن لا تعقد معاهدة مع دولة أجنبية تمس بانجلترا ومصالحها ؛ ولكن يلزم أن يستثنى من ذلك المعاهدات التجارية بحيث تكون مصر حرة فى عقدها ؛ مع ملاحظة عدم تفضيلها على انجلترا . ثم هل لانجلترا امتيازات تجارية ؟ لابد من النص على ذلك ، بحيث لا يكون لمركزها الممتاز أى علاقة تجارية .

١٠ — بمجرد التوقيع على المعاهدة وإعلان استقلال مصر يلزم سحب العساكر الأنجليزية والموظفين من مصر ، ولا ينبغى ابقاؤهما حتى تتم المخابرات مع الدول فى مسألة الامتيازات

١١ — إذا لم تتمكن من الحصول على استقلال السودان باعتباره جزءاً متمما وادى النيل فاللازم أن تشترك مصر فعلا مع انجلترا فى إدارته بحيث تحدد الادارة

المصرية والأدارة الأنكليزية تحديداً لاينشب من جرائه نزاع فيما بعد بين الطرفين ويمكن إيجاد هيئة دولية تحت رئاسة المستشار القضائى لوضع القوانين التى ستسرى على الأجانب والأهالى معاً ويكون فى هذه اللجنة عضو مصرى .

١٢ — ماهى الهيئة التى ستضع القانون الأساسى للحكومة المستقلة المستقبلة ؟

١٣ — في المشروع أن الحكومة حرة فى تحديد قوتها البرية والبحرية فهل جرى البحث فى هذه النقطة بين لجنة ملنر والوفد المصرى ؟ وهل نحن أحرار فى تعيين الضباط ؟ من رأيي الاجتهاد فى الوصول إلى حل مرض وعدم قطع المخابرات

برنامجى للموضوعات الداخلية : ثم قررت لنفس برنامجاً للسير عليه يتلخص فيما يلى:

١ — لاتعطى مخصصات لأعضاء العائلة السلطانية من الآن فصاعداً إلا لمن حاز شروط الفضيلة والعلم وكان محتاجاً للأعانة .

٢ — تشكل لجنة من ثلاثة أعضاء من العائلة ومن رئيس الحكومة ورئيس مجلس النواب ومفتى الديار ويرأسها السلطان للنظر فى مسائل العائلة وليس لحكمها استئناف .

٣ — يجب أن تكون القوانين واللوائح مبنية على أساس ديموقراطى .

٤ — تعميم التعليم الأولى الأجبارى والمجانى وترقية التعليم فى جميع درجاته بما فى ذلك التعليم فى المعاهد الدينية ، وأن تنشأ فيها أقسام للتخصص بحيث يكون الأزهر جامعة دينية عصرية .

٥ — انشاء مصانع لاستعمال المواد الخامات التى توجد فى القطر .

٦ — تنشيط الزراعة وجعلها حرة وايجاد مواد زراعية جديدة .

٧ — تأسيس مصارف في المديريات . تكون لها شعب في المراكز لمساعدة الفلاح بفوائد قليلة .

٨ — السعى فى دفع ديون الحكومة بكل الوسائط الممكنة .

٩ — ايجاد طريقة لبيع محصولاتنا بدون وسطاء أجانب وايجاد غرف تجارية مصرية فى الخارج .

١٠ — اصلاح الأوقاف والاعتناء بتنظيم المخصص منها للفقراء وانشاء مصارف بنقود الوقف .

١١ — ابطال العادات المخالفة للشريعة .

١٢ — تنظيم البعثات العلمية فى البلاد الأجنبية ، وتشكيل مكتب مخصوص فى القاهرة . للنظر في حاجات القطر من الاخصائيين فى جميع الحـ ف والصنائع واستجلاب برامج المدارس في الأقطار الأجنبية لدراستها وتوجيه الطلبة إلى الأحسن منها

الخلاف بين سعد وعدلى ومساعى التوفيق : انتظرت أكثر من شهر أراقب حوادث البلاد ، فألفيت الاتحاد شاملا كل طبقات الأمة ، وشهدت الاحتفال بسعد باشا فاذا هو فوق ما يتصوره الانسان ولاحظت أن الخطب كلها كانت ترمى إلى توثيق عرى هذا الاتحاد لأن الأمة وعلى رأسها سعد باشا ، والوزارة وعلى رأسها عدلى يكن باشا كانتا تسيران جنبا لجنب ، ويد الأمة وزعيمها فى يد الوزارة ورئيسها .

خلاف بعد وفاق : ولكن انفجر البركان منذ أعلن سعد خلافه مع الوزارة بشبرا يوم ١٩ ابريل لأنها لم تف بكل شروطه التى اشترطها عليها ، وذلك أنه كان يطلب رئاسة المفوضين ؛ ثم بعد ذلك استرد ثقته من الوزارة ، وقال عنها شيئا كثيرا وقابلته بردود كثيرة ؛ ولهجة الطرفين مع الأسف الشديد خارجة عن حدود المباحثات السياسية . وفى هذا الوقت خرج على سعد أمين بك الرافعى مدير جريدة الأخبار ، لأنه خالف الزعيم فى قبول دخوله في المفاوضات قبل تعديل أسس المفاوضة، بالغاء الحماية ورفع الأحكام العرفية ومراقبة الصحافة ، واعلان انجلترا قبولها تحفظات الأمة . الأمر الذى كان يقول به سعد ولكنه غير خطته ، وقبل الدخول فى المفاوضات لأن انجلترا أعلنت بلسان معتمدها أن مشروع ملنر لا يكون أساسا للمخابرات ، وكل من الطرفين حر فى طلباته . وخرج أيضا على سعد أكثر أعضاء الوفد المصرى مثل على شعراوى باشا وعبد العزيز فهمى بك ، ومحمد محمود باشا



محمد محمود باشا



عبد العزيز فهمي بك



محمد علي علوبة بك



حمد باشا الباسل



الدكتور حافظ عفيفي

ولطفى السيد بك [1] وعبد اللطيف المكباتى بك ، ومحمد على بك علوبة ، ومحمد الباسل باشا ، والدكتور حافظ عفيفى بسبب صلابته ؛ وأعلنوا أنهم لا يرغبون دخول الوفد فى المفاوضات ، ويتركون للوزارة حرية العمل لأن برنامجها يطابق آمال المصريين .

والخلاف على الرئاسة سببه أن سعدا يعلن أنه لا يرتاح لمفاوضات عدلى فضلا عن أن الامة الانجليزية تريد المفاوضة مع المصريين أى الأمة المصرية ، وهو الموكل بالنيابة عنها . أما عدلى فجوابه على ذلك ان التقاليد السياسية تقضى بأن رئيس الحكومة هو الذى يرأس المفاوضات . واشتد الجدال بين الطرفين وسارت جموع المتظاهرين ضد الوزارة ، فتداخل البوليس بالعصى أولا ، ثم اضطر إلى استعمال السلاح عند ما نادت المظاهرات بسقوط يكن الخائن ؛ ثم كان الموظفون أرادوا اقامة حفلة تكريم لسعد ، ولكن الحكومة أعلنت ضرورة الغائها ، لأن سعدا ينادى بالعداء للحكومة التى يرأسها يكن . إلا أن الموظفين أقاموها ، فقررت الحكومة محاكمة رؤساء الحفلة ومن بينهم أحد القضاة ، ولكن الجمعية العمومية للمحاكم برأته ، بينما مجلس تأديب نظارة الحقانية حكم على أحد أساتذة مدرسة الحقوق السلطانية بقطع شهر من مرتبه

عمل اسماعيل أباظه للتوفيق : ثم أن اسماعيل أباظه باشا جمع بعض أكابر القوم برئاسة البرنس محمد على باشا للتوفيق بين الطرفين فلم يفلح ، وكان قد عرض على سعد أن ينتخب بعض من يثق بهم ليضموا إلى السبعة المفوضين الرسميين الذين صدر المرسوم السلطانى بتعيينهم ، أو أن توجد صفتان : صفة رئيس فعلى وصفة رئيس شرف ؛ ويقال انه كان اختار الصفة الأولى وترك الثانية ليكن ، ولكن لم يتم الاتفاق .

مساعى البرنس عمر طوسن : ولما حدثت المظاهرات التى هتفت بسقوط عدلى يكن الخائن ، وأطلق الرصاص على المتجمهرين ، وقتل واحد بالرمح فى مصر ، وثلاثة فى طنطا غشيت الأمه غاشية من الكدر ، واستقبحت قتل المصرى للمصرى ، وخشيت سوء العاقبة . وقد رأى البرنس عمر طوسون ، ثم الشيخ محمد بخيت ، والسيد عبد الحميد البكرى أن تجتمع لجنة وطنية لفض الخلاف بين سعد وعدلى ؛ وكان رأى البرنس

---

(١) صور ج ٢ ق ٢ ص ١٣٠

تختلف عن رأيهما ، فيقول الأول بأن الانتخاب يكون رسمياً كما هو مقرر في مشروع ملنر ، وبدلا من أن تعقد الجمعية بعد المفاوضات يكون انعقادها قبل ذلك . أما رأى الآخرين فانه يرمى إلى انتخابات غير رسمية ، وعلى كلتا الحالتين لم تحصل نتيجة . .

مساعى البرنس عزيز حسن : ولما اشتدت المظاهرات التأم اجتماع كبير فى سراى الخرنفش (بيت البكرى) وقرر الجميع برئاسة البرنس عزيز حسن رفع عريضة إلى السلطان باستنكار ماوقع من قتل بعض المتظاهرين ، والتماس إصدار الأوامر لمنع تكرار ذلك فى المستقبل ، وكنت ذهبت إلى هذا الاجتماع وسمعت بعض الحاضرين يملون اسمى بين أسماء أعضاء الوفد الذى سيذهب إلى سراى عابدين لرفع العريضة إلى السلطان ، وكان عدد الوفد أكثر من ٢٠ شخصاً من بينهم السيد البكرى والشيخ بخيت ، ولكن البرنس لم يكن معنا ، ولما وصلنا إلى السراى كتبنا أسماءنا في الدفتر ، وسلمنا العريضة لسعيد ذى الفقار باشا كبير الأمناء فى ٢٢ مايو .

عريضتى مع بعض الكبراء للسلطان : ثم إن شكور باشا فاتحنى فى أحد الأيام بحضور واصف بك غالى أحد أعضاء الوفد الباقين مع سعد باشا ، فى البحث عن حل فتناقشنا ، وقررنا كتابة عريضة إلى السلطان ، ملتمسين انتخاب جمعية مؤقتة برئاسة عظمته ، أو من ينوب عنه ، لابداء رأيها في ثقتها بسعد أو بعدلى ، وتعيين المفوضين والتقى شكور بموسيو بويل السكرتير الشرقى للوكالة البريطانية مدة كرومر ، وقد حضر أخيراً إلى مصر للاطلاع على مايجرى فيها ، فأطلعه على مشروعنا فوافق عليه وقال: إنه الحل الوحيد ، وعلى هذا تكلمنا مع واصف بك غالى ، وقال هو أيضاً : إن سعداً يقبل هذا الاقتراح ، فأرسلت إلى محمد بك المويلحى وأخبرته بالأمر ، فكتب المشروع الآتى :

« ياعظمة السلطان : إن سوء الحال السياسية الآن فى مصر وصل إلى درجة لاتدع لأحد عذراً فى الوقوف أمامها وقفة المتفرج ، بل هى تعين على كل فرد من أهل التفكير فى الأمة المصرية أن يبذل جهده لاستنباط رأى صائب فى حل عقدتها ، وقد تعددت الآراء فى وجوه الحل الذى يفصل الخلاف القائم مابين الوزارة وبين رئيس الوفد ، ونشر منها على الملأ ما يمكن الاعتماد عليه للوصول إلى النتيجة المطلوبة ، إلا أن

الوسائل فيها مختلفة ، والطريق إلى تنفيذها متشعب ؛ ولذلك رأى المتشرفون برفع هذه العريضة أن يلتمسوا لهذا الغرض طريقاً فعالا ، وسبيلا مستقيما ، ينزل الجميع على حكمه، وتطمئن النفوس إلى استقامة وضعه وشكله ، وذلك بأن تتولى عظمتكم الأشراف بتمسكم الكريمة عليه ، فيصدر الامر الكريم بتشكيل جمعية وطنيه موقتة ، بطريقة انتخابية ، تتألف من أعضاء الجمعية التشريعية بعد انتخاب جديد لهم ، ومن أعضاء مجالس المديريات ، ومجالس البلديات ، ومن مندوبين من أهل الصناعات الحرة مثل التجار والمحامين والأطباء والمهندسين وما أشبههم ، تحت رئاسة عظمتكم أو من تنيبونه عنكم ، فيطرح عليها وحدها هذا الخلاف القائم ، ليقر قرارها على حكم فاصل فيه ، يجرى العمل به للسير فى القضية المصرية ، ومسألة التفويض للمخابرة فيها على نمط مقبول ، تتكاتف حوله الهمم وتتحد العزائم للوصول إلى النتيجة المطلوبة من تحقيق أمانى الأمة المصرية ، وصيانة المصالح الأنكليزية خاصة ، ومصالح الأجانب عامة ؛ وبهذه الكيفية يمكن تلافى اضرار الحالة الحاضرة من غائلة الشقاق ، وإهراق الدماء ، وتعطيل المرافق والمنافع ، ومايتنج للبلاد عنها من الخراب والدمار ؛ ونحن على ثقة من أن عظمتكم تقابلون ملتمسنا هذا بحسن العناية ، وجليل الاهتمام ، فتنحل العقدة ويرتفع البؤس فى وقت قريب ، كما تقضى شدة الحاجة وهول الموقف ؛ ونسأل الله أن يجعل التوفيق رائدكم فى مصلحة الأمة على ماتحبونه لها من الخير والأسعاد ،

ولما أطلع شكور باشا موسيو بويل على هـذا المشروع وافق عليه ، ورفعه إلى دار الحماية لفحصه ، وكان يرى أنها ستوافق عليه ، ثم سأله عن الذين فكروا فيـه وسيوقعون عليه ؛ فقال له : أحمد شفيق باشا الذى كان رئيساً للديوان الخديوى وبعض العظماء . فقال : « إن شفيق باشا رجل عاقل ومخلص لبلده ولو كان الخديو عمل بنصائحه لما حل بسموه ماحل ، ولـكنه كان يسمع نصائح الرجال الآخرين » .

ولما قابله شكور فى ثانى يوم ، وكان يوم أحد أخبره بما وقع من المذابح في الاسكندرية يومى السبت والأحد ضد الأجانب ، وأنه سينظر فى هذه الحالة الآن ويهمل المشروع ، فتأسفنا كثيراً .

دعوة البرنس عزيز حسن لاجتماع بمنزل البكرى : ثم قرأت فى الجرائد أن البرنس عزيز حسن نشر دعوة عامة للاجتماع فى منزل البكرى بالخرنفش للاحتجاج على تشرشل وزير المستعمرات الذى أعلن فى اجتماع بانجلترا أنه نظراً لما حدث

فى الأسكندرية ، فانه يرى تأخير سحب الجنود الانكليزية من مصر؛ فتوجهت للاجتماع ولكن لم أجد إلا النفر القليل من الرجال المحروبين ، ولم يكن هناك أحد من النظار السابقين ، ولا من الوكلاء، ولا من العلماء المعلومين ، واقتصر الاجتماع على شباب من جميع الطبقات ؛ وعلمت أن سعد باشا سيخطب؛ ثم حضر ابراهيم باشا سعيد وفتح الله بركات باشا، وأخيراً سعد باشا ؛ وألقى كلمته ، ولم يكن فى خطابه من الانحاء الشديد على الوزارة مثل ماسبق فى خطبه ؛ وقرر الجميع الاحجام عن دخول المفاوضات الرسمية إلا اذا كانت الحكومة البريطانية تعلن بأن تشرشل يعبر عن رأيه الخصوصى .

الخلاف بين سعد وزملائه : ذكرت أنه كان قد انفصل عن الوفد حمد الباسل باشا وعبد اللطيف المكباتى بك ومحمد محمود باشا وأحمد لطفى السيد بك ومحمد على بك وحافظ عفيفى بك

فأصدر سعد باشا بيانا سماهم فيه بالمنشقين ، وقال فيه : إنه يمد يده لكل من يريد العمل لمصلحة مصر .

وفي مساء صدور هذا البيان ذهبت لسعد باشا فى منزله ، ودار الحديث بيننا فقلت : إننى جئت لسببين :

الأول : لأشكرك على زيارتى بعد حضورى من أوربا .

والثانى : لأهنئك على بيانك وترحيبك بكل من يريد العمل للمصلحة المصرية. وبما أنك أعلنت هذا فهلا ترى أن أعضاء الوفد المنفصلين هم من رجالات الأمة والواجب أن تفتح صدرك لهم ؟ فأجابنى بأنه يرحب بكل مصرى عدا هؤلاء . ولما ناقشته فى هذا مبينا أن الوقت وقت وئام لا وقت انقسام ، وانه يحسن تأجيل الحساب إلى فرصة أخرى . قال عنهم : انهم مجرمون ، وانه لايضع يده في أيديهم . فأسفت لهذا الاصرار

وفي ٢٢ يونيو انفصل عن الوفد جورج بك خياط ثم عبد الخالق مدكور باشا فى ٢٨ منه .

سفر الوفد الرسمى : وقد تألف وفد برياسة عدلى باشا للمفاوضة فاشتد نشاط الوفد المصرى فى الدعاية ضده ، حتى سافر فوصل لندن يوم ١٢ يولية . وفى يوم ١٥ منه ابتدأت المفاوضات ، وبقيت تتخللها فترات تشتد فيها الأزمة بين المتفاوضين ثم تنحل حتى أواخر اكتوبر .

وفي هذه الأثناء كان رسولان من رسل الوفد المصرى بلندن يبثان الدعاية ضد وفد الرسمي ، ويعلنان أنه لا يعبر عن رأى الأمة المصرية .

زيارة بعض النواب الانجليز لمصر : وقد دعا سعد زغلول باشا بعض أعضاء البرلمان الانجليزى من العمال والأحرار لزيارة مصر ودراسة الحالة بها ، فسافر هؤلاء الأعضاء يوم ١٣ سبتمبر فوصلوا يوم ١٩ منه ، وقوبلوا بحماسة شديدة فى الاسكندرية والقاهرة ، بينما أصدرت الحكومة أوامرها المشددة بمنع المظاهرات وأقيمت لهم عدة مآدب . ثم قفلوا إلى بلادهم يوم ٧ اكتوبر ونشروا تقريرا عن رحلتهم أشاروا فى نهايته إلى أن الاستقلال التام حق للمصريين ، بشرط عقد معاهدة تصون مصالح انجلترا والأجانب ، ونصحوا بالغاء الأحكام العرفية . واجراء الانتخابات فى الحال .

رحلة سعد باشا في الصعيد : وفى يوم ١١ اكتوبر قام سعد برحلة نيلية إلى الصعيد . ولما وصلت الباخرة التى تقله إلى أسيوط ، وقعت مشادة بين المستقبلين له والمتشيعين لعدلى باشا ، انتهت إلى معركة بلغ عدد الجرحى فيها خمسا وعشرين نفساً مات بعضهم ، وغرق ثلاثة فى النيل ، فمنعت الحكومة بالقوة نزوله إلى أسيوط وتابعت الباخرة سيرها حتى جرجا ، وهناك كان من المتوقع حدوث فتنة كالتى وقعت فى أسيوط ، فمنعته الحكومة من النزول ، ولكنه أتم الرحلة إلى أسوان .

قطع المفاوضات الرسمية : وفي يوم ١٩ نوفمبر قطعت المفاوضات بين عدلى باشا واللورد كرزون ، لأن عدلى لم يستطع قبول المشروع الذى عرضه عليه اللورد ثم عاد إلى مصر وقدم استقالته يوم ٨ ديسمبر .

نفي سعد ورفاقه إلى سيشل : بعد استقالة عدلى باشا كان الوفد المصرى ينشر دعاية قوية لاقامة العراقيل فى وجه كل وزارة ، بينما كان اللورد اللنبى يفاوض ثروت باشا فى قبول الوزارة على نظام جديد وهو نظام تصريح ٢٨ فبراير الذى أعلن فيما بعد . وكانت دعاية الوفد معطلة لتنفيذ هذه الخطة ، فنبهت السلطة العسكرية سعدا ورفاقه إلى الامتناع عن إلقاء الخطب وحضور المجتمعات العامة ، وأمرتهم بمغادرة القاهرة ، وأن يقيم كل منهم فى بلده تحت مراقبة المدير .

وقد رد سعد ردا قويا على هذا الأمر جاء فيه :

« إنى موكل من قبل الأمة للسعى فى استقلالها ، فليس لغيرها سلطة تخليني من

القيام بهذا الواجب المقدس . لهذا سأبقى فى مركزى مخلصا لواجبى ، وللقوة أن تفعل بنا ما تشاء أفرادا وجماعات » .

وكذلك كان رد بقية أعضاء الوفد تأمينا على رد رئيسهم .

وكان لهذا الحادث أثر كبير في ضم الصفوف ، فعاد بعض المنشقين إلى الوفد وحضرت الوفود الكثيرة من غير الوفديين إلى بيت سعد تعلن تضامنها معه وإعجابها برده .

وفى يوم ٢٣ منه قبضت السلطة على سعد باشا وزملائه إلى سيشل .

وكانت البلاد في غليان عظيم ، والمظاهرات مستمرة ليل نهار ، وأضربت غالبية الموظفين والمدارس جميعا ، واحتجت جميع الهيئات على اعتقال أعضاء الوفد المصرى وعاد جميع الذين انفصلوا عن الوفد إلى حظيرته .

حوادث الإسكندرية والدفاع عن سمعة مصر :

صدى حوادث أزمير : لما نشبت الحرب بين الدولة العثمانية واليونان وانتهت باحتراق مدينة أزمير وخروج الأروام منها ، واستقرار سلطة الأتراك فيها ، هاجت هذه الحوادث خواطر اليونان فى الشرق الأدنى ، وكان لها صدى خاص فى الأسكندرية حيث يكثر عددهم ؛ وتجلى استياؤهم فى مظاهر شتى لفتت الأنظار ، وشغلت الخواطر وكان من نتائجها أن استفزت العناصر المهيجة في الأسكندرية إلى مقابلة روح العداء الذى أبدته الطبقة السفلى من هؤلاء بمثله ، فوقعت حوادث باعثة على الأسف فى المدينة ، ولا سيما فى يومى ٢٢ و ٢٣ مايو سنة ١٩٢١ ، وهاج الرأى العام ، وذهب المتشائمون فى تأويل هذه الحوادث وتعليلها مذاهب شتى ، حتى خاف الأجانب على أرواحهم ؛ وبلغ من تأثير الوهم فى نفوس بعضهم أنهم ضربوا صفحاً عن الاعتبارات التى أدت إلى هذه الحوادث ؛ وصاروا يحسبون أنها نشأت عن التعصب الدينى وكراهية الأجانب ، وطيرت الأنباء البرقية إلى أوروبا مجسمة الحوادث ، ومعللة لها على وجه يثير الخواطر .

بيان بالدفاع عن سمعة مصر : وقد تحادثت مع شكور باشا فى هذا الخصوص وفى ضرورة كتابة مذكرة فى الصحف الأفرنجية بمصر وأوروبا ، ويوقع عليها أشخاص معروفون لأدحاض هذه التهمة ، فكتبت مذكرة بما عن لى فى الموضوع ، كما أن شكوراً أملى مارآه ، وأعطيناها لأحد المحامين المشهورين لصياغتها ثم أخذت منها نسخة واجتمعنا : شكور باشا وواصف غالى ويوسف باشا قطاوى وأنا وقرأناها

واقترح الأخيران بعض تعديلات لاتمس الجوهر، وبعدها بيضناها ، وأرسل شكور باشا نسخة منها إلى جعفر بك فخرى فى الأسكندرية للتوقيع عليها من مصريين وأجانب ، ثم توجهنا إلى البرنس محمد على وعرضنا الأمر عليه ، فقال : إنه كان قدخطر له عمل شيء لادحاض تهمة التعصب الديني ، وتكلم مع حسين باشا رشدى ، ولكن تركنا الأمر لأنهما لايريدان القاء مسئولية حادث الأسكندرية على المصريين خاصة ، ولا على الأجانب أو الأروام؛ فقدمت اليه نسخة من البيان الذى عملناه ، فقرأه واستحسنه ، وأشار بأن نعرضه أيضاً على حسين باشا رشدى ، ففعلنا ، فأشار بتعديل خفيف ، وبعدها بيضنا المشروع وتوجهت فعرضته ثانية على البرنس ، فوافق على التعديل ، وأمضاه حسن باشا عبدالرازق وعبد الله باشا وهبي وغيرهم ، وأبقى المشروع عنده .



نجيب شكور باشا



يوسف اصلان قطاوى باشا

وبعد ذلك اجتمعت لجنة للتوفيق بين سعد وعدلى عند البرنس محمد على باشا ، فعرض البيان عليها فأشار بعضهم بحذف كل مايتعلق بالحرب التركية اليونانية وهى السبب المباشر للحوادث ، وهم سابا باشا

وعبدالله وهبي باشا وموسى قطاوى باشا(١) ورابع؛ أما الآخرون فوافقوا على الأصل

ولما علم شكور باشا الذى كان غائباً عن مصر وحضر رأى أن ماحصل من التعديل ضد مصالحنا، إذ ورد فيه أن فى الأسكندرية كما فى باقى الثغور طائفة من أوباش الأجانب والمصريين ليس لهم مبدأ ولام متعلمون، وتوجد بين القسمين حزازات منبعثة من مزاحمة الأجنبى للمصرى تؤدى إلى انفجارات. وقال: إذن يمكن الأجابة علينا بأنه إذا كان الأمر كذلك، وأن الانفجار الذى حصل أخيراً هو نتيجة لهذا ولم تتمكن السلطة المصرية من قمع الانفجار، فحينئذ يلزم وجود قوة أجنبية دائمة كالقوة الأنجليزية لقمعه.



يوسف سابا باشا

وكنت أنا وشكور بين الحاضرين وكذلك موسى باشا قطاوى، فتباحثنا فى الخلاف، وبعد أخذ ورد اتفق الجميع على اضافة جملة فحواها أنه فضلا عن هذه المزاحمة المستمرة، فقد طرأ ظرف استثنائى بمثابة الشرارة التى تلهب النيران، ومن ذلك نجمت حوادث الأسكندرية. وعليه اتفقنا جميعاً، وأمضينا البيان بعد هذا التعديل وها هو ذا نصه.

«ان ما وقع من حوادث الاسكندرية فى شهر مايو الماضى قد ملأ نفوس الموقعين على هذا حزنا؛ فرأوا من واجبهم أن يعربوا علنا عن استيائهم من هذه الحوادث الشائنة، وعن الدهشة التى استولت عليهم عند ما شاهدوا فى بعض الأوساط الأوروبية بادرة شعور يميل إلى اسناد السبب فى وقوع هذه الحوادث إلى التعصب وكراهية الأجانب.

«ثم ردد لسوء الحظ عدد من الجرائد صدى هذا الشعور، حتى بالغت فأكدت بوجوده عند جميع المصريين على السواء.

(١) صور ج ٢ ق ١ ص ٣١٩

« اما وقد هدأت النفوس قليلا بعد الشعور الذى بدر اليها بكل أسف لأول وهلة فان الموقعين على هذا يعتبرون أن فى مقدورهم اليوم أن يوضحوا الأمور على حقيقتها بدون أى تحيز .

« صحيح ان التحقيق الذى يجرى الآن سيكشف الغطاء عمن هم المسئولون ، فيجازى المجرمون والخارقون والناهبون . إلا أن القضاء على الأشاعات الباطلة التى أذيعت بدون أن يفكر مذيعوها في ما تحدثه من ضرر للاجانب والمصريين على السواء يستوجب من الموقعين على هذا عرض الاعتبارات التى تسمح فى نظرهم بتقدير الوقائع على وجه الصحة .

« ليس من يجهل أن أهالى الثغور الواقعة على البحار مثل ثغر الاسكندرية هم على العموم خليط من أجناس مختلفة للغاية ، وأن من بينهم نسبة لا نصيب لها من التعلم ولا قسط من المبادىء ، تخلق بين أفرادها ضرورات المعيشة منافسات ومطامع تهدد فى كل وقت باثارة اعتداءات من جانب ، ورد اعتداءات من جانب آخر ، لاسيما إذا أضيف إلى سبب هذا التباغض وجود ظروف خاصة تلهب النار من مستصغر الشرر . إلا أنه مع بلوغ سكان الاسكندرية ٤٠٠ر٠٠٠ نفس فاننا نتمسك بتقرير هذه الحقيقة ؛ وهى أنه ليس بينهم إلا أقلية ضعيفة جدا من هذه الطبقة التى نشير اليها . وبالتالى لا يمكن أن يسند إلى جميع المصريين ما شوهد فى بلدة واحدة من بلدانهم .

« ومما يثبت أن القلاقل كانت محصورة الدائرة ان معظم الجرحى من أوروبيين ووطنيين كانوا من أفراد هذه الطبقة المشار اليها ، بحيث أنه إذا كان قد أصيب أحد من غيرها فأصابته استثنائية . ويمكن تعليلها بأنه فى مثل هذه الاضطرابات يسعى دائما الأشقياء الذين لا خلاق لهم فى انتهاز الفرصة السانحة .

« إن هناك آلافا من العائلات الأوروبية موزعة فوق متسع البلاد المصرية بحيث لا قرية إلا وفيها تاجرها الأوروبى يعيش مع عائلته عيشة هادئة وسط سكان كلهم من الأهالى ، ولا مدينة فى الأرياف إلا وفيها عدد من التجار الاوروبيين وسماسرة القطن ورجال الأشغال الذين يرون مدارسهم وكنائسهم وديورهم الخ ... تعيش وتنمو فى جوها الطلق . ومع هذا فانه بالرغم من حوادث الاسكندرية الدموية ، ومن المناقشات الجدلية الصحفية لم يحدث أى حادث اعتداء ، أو سوء رعاية ضد هذه الآلاف من العائلات المنشورة فوق أطراف القطر المتباعدة ؛ بل

على العكس استمرت علاقات الوداد على أوثق ما تكون . فهل يعقل إذا أن يسند إلى ١٣ مليونا من سكان مصر روح هذا التعصب وكراهة الأجانب التى تحدث بها المتحدثون ؟

« فى قلاقل سنة ١٩١٩ حيث انتزعت قضبان السكك الحديدية من مواضعها وقطعت خطوط التلغراف والتليفون بقيت عدة مدن فى الداخل معزولة تمام العزلة ومع هذا لم يبد من الأهالى وقتئذ أى شاهد على كراهة الأجانب عموما أو التعصب الممقوت .

وفى جميع المظاهرات السياسية الكبرى التى حصلت منذ ثلاثة اعوام لم يصب أى أوروبى بأى ايذاء ، بل كثيرا ما رأينا الأوروبيين يعطفون على المتظاهرين وشاهدنا ما هو فريد فى بابه ولا مثال له فى تواريخ الشعوب الأخرى ، وهو تآليف الهلال مع الصليب فوق راية واحدة ؛ فهل التعصب هو الذى أحدث هذه المعجزات ؟

« ان جعل أمة بأكملها مسئولة عن قلاقل وقعت فوق نقطة من أرضها لهو ظلم يتحتم على كل واحد منا واجب العمل على دفعه . وان ما أذاع كثير من الأوروبيين ونشروه من مشاهدات الأحوال التى رأوها وقرروا فيها كيف لزم المصريون العديدون فى تلك الأيام المحزنة خطة المحبة والتآخى لكاف لاقناع من لا يصدقون بأن احساسات الأمة المصرية لم يطرأ عليها أى تغيير .

« ان الموقعين على هذا يرجون ممن وقع فى نصابهم قيادة الرأى ، وارشاد الجمهور أن يعملوا باخلاص على تهدئة الخواطر تحقيقا لمصلحة العناصر المختلفة التى عاشت جنبا لجنب وفى كل زمان عيشة طيبة هادئة » .

فى يوم السبت ٢٥ يونيه سنة ١٩٢١ .

الامضاءات

سمو الأمير محمد على ، سمو الأمير عزيز حسن ، سمو الأمير محمد على حليم الشيخ محمد بخيت ، السيد عبد الحميد البكرى ، القمص يوسف غبريال ، أحمد مظلوم باشا ، يوسف سابا باشا ، أحمد حشمت باشا ، يحيى ابراهيم باشا ، حسن حسيب باشا ، موسى قطاوى باشا ، محمد شكرى باشا ، عبدالله وهبى باشا ، اسماعيل صبرى باشا ، اسماعيل أباظه باشا ، أحمد فايق باشا ، اللواء على فهمى باشا ، اسكندر فهمى باشا ، أحمد خيرى باشا ، حسن عبد الرازق باشا ، أفلاطون باشا ، عثمان مرتضى باشا ، أمين يحيى باشا ، خيرى بك ، عمر شريف بك ، عبد الحليم جندى ، نجيب شكور باشا ، أحمد شفيق باشا .



يحيى ابراهيم باشا



حسن حسيب باشا



أحمد فايق باشا



اسكندر فهمي باشا



محمد أفلاطون باشا



عثمان مرتضى باشا

ثم استحضر الأمير محمد على باشا عنده بعض الأوروبيين فكتب المحامى الشهير التليانى مانوزاردى الجملة الآتية :

« نحن الموقعين على هذا قد اطلعنا على البيان المتقدم الذكر ونقر ما فيه ، لأننا معتقدون تمام الاعتقاد بأن حوادث الأسكندرية التى يؤسف لوقوعها لم تكن قط نتيجة أى إحساس تعصب أو كراهة للأجانب » .

أ . مانوزاردى محام امام محكمة الاستئناف المختلطة ـ ج . ن . موصيرى بك بنكير ـ ج يوجن مدير بنك الاسكونت دو باريس ـ دكتور كومانوس باشا ـ البير مزراحى أحد مديرى بنك كوكس ـ الأستاذ الدكتور بول فالنتن مدرس بالجامعة المصرية .



أمين يحيى باشا

ثم قام الدكتور سيد كامل بترجمة البيان إلى اللغة العربية ، وأرسلت النسخ الفرنسية إلى الجرائد الأفرنجية في مصر والاسكندرية وبور سعيد ، وأرسلت نسخ عربية إلى الجرائد العربيــــة في مصر والاسكندرية ، وبعثنا للجمعيات المصرية وللمصريين في الخــارج نسخاً من الفرنـسية لنشرها في جرائد أمريكا وانكلترا وفرنسا وإيطاليا والنمسا وألمانيا وسويسرة والأسـتانة ، وفى المنتديات وغيرها ، ثم وزعنا من النسخ العربيـة على الأحزاب في مصر والغرف التجارية المصرية والنقابات والعلماء للتوقيع عليها ، ثم وزعنا بالفرنسـية نسخاً للمنتديات الافرنجية والغرف التجارية الأوربية والجمعيات وغيرها .

وكنا فكرنا في عرض البيان على مدير البنك الأهلي لتوقيعه فذهبنا : موسى قطاوى ، وشكور ، وأنا إليه ، وتكلمنا معه فقال إنه يظن أن هذا البيان يضر ولا ينفع ولمح إلى حوادث ١٩١٩ واعتبرها مثبتة للتعصب الديني مضافاً إليها ما حدث أخيراً في الاسكندرية ، وأنه يعتبر فوق ذلك حوادث الثغر من جرائر سياسة سعد باشا . وأخيراً قال إنه سيعرض الأمر على مجلس الادارة ويستطلع رأيه في التوقيع (يعني رفض) .

ثم إن الأمير محمد على دعا إليه المسيو هنرى نوس البلجيكي وحادثه في الموضوع فقبل مبـدئياً وطلب أن ترسل إليه نسخة من البيان ، ولكنه عدل وقال : إن إخوانه يستحسنون أن يكتبوا بياناً آخر لا يخرج في معناه عن البيان الحالي ، ولكن يكتب بأسلوب غير هذا الأسلوب الذى يعبر عن موقف المصريين . وقد اجتمعنا ، شكور وقطاوى وأنا ، به ، وتناقشنا معه في الأمر ، فقال في أثناء الحديث : إن البعض يظن أن وجود البرنس وشفيق في هذه المسألة دليل على أنها مسألة خديوية ؛ وقد كان سموه أنبـأنى أنه فهم من كلام نوس بك أن امتناعه راجع إلى اتجاه السلطان فؤاد الذى لا يرتاح إلى قيـام البرنس على رأس أى حركة . أما أنا فلمـا سمعت ماقاله نوس بك اعترضت على هذا الكلام ، وقلت: «إنني وطني قبل كل شيء ، وإنني لا أفعل إلا ما فيه صالح بلدى ولا علاقة لى بأى شخص» . وقام نوس بك من عندنا على نيـة الذهاب إلى الاسكندرية لمناقشة بعض أصحابه في الموضـوع ثم كتابة البيان ؛ ولكن لما رجع منها أخبر قطاوى باشا أنه عدل عن كتابة أى شيء

لما وجده من استياء الافرنج وتهيجهم ، كما أن مزراحى المحامى كان قد ذهب قبله إلى الاسكندرية ومعه نسخة فرنسية للسعى عند الأوربيين للتوقيع عليها فلم يفلح .

وجاءت لنا بعض الردود من الغرف التجارية بوصول البيان وبأنها لا تشتغل بالسياسة ، وكتب لنا بعض الممثلين السياسيين بوصول البيان وبالشكر ، ولكن قنصل فرنسا فى الاسكندرية خطب لمناسبة عيد ١٤ يوليو فقال فى خطابه إنه كان يتساءل عن أسباب سكوت المصريين عن حادث الاسكندرية ، ولكن فى هذه الأيام قام بعض الأمراء وكبار القوم وأعلنوا استياءهم لما وقع ، وفندوا تهمة التعصب الدينى وكراهة الأجانب ، وامتدح القنصل هذا القول وأتى ببعض الجمل من البيان فسررنا من ذلك.

هذا وقد وصل إلى جريدة الاخبار من احد المصريين بفينا برقية بنشر البيان فى جرائدها وبأنه وقع لديها موقع الاستحسان

شئون مختلفة :

معاكسة السلطان لرجال عباس : فى يوم ٢٢ فبراير قابلت نور الدين بك الذى كان يستخدمه الخديو فى خصوصياته بصفته معاوناً سواء كان ذلك فى الآستانة أو فى أوروبا ، ولما تكررت أسفاره اشتبه فيه رجال الدولة وخصوصاً فى هذه السنة ، فأبرز لهم جوازه الرسمى الذى لا يعطى إلا لمن يحمل الأوراق الرسمية للحكومة ، وقد كان فى الواقع يحمل أيضاً خطابات ونقوداً لبعض المصريين فى سويسرا ممن لهم علاقات معهم من المشتغلين بالقضية المصرية .

ولما وصل إلى حدود النمسا لم يلق صعوبات وكذلك عند وصوله سويسرا لانه كان معلوماً للمراقبين فى حدود المملكتين فلم يشتبه فيه ، وهكذا أتم مأموريته بسلام .

وعند رجوعه إلى الآستانة عرض على الخديو مالقيه فى حدود تركيا فارسلت وزارة الداخلية التنبيهات اللازمة للحدود بتسهيل مأمورية نور الدين بك ، وقد أخبرنى بأنه طلب الرجوع إلى مصر وقد رخص لعائلته بالرجوع إليها وهو يؤمل أن يحصل على التصريح أيضاً بعد أن ينفى عن نفسه أنه متصل بعباس.

مقابلة البروفسور هيس : قابلت فى زوريخ عزيز باشا عزت يوم ١٧ مارس ودعانى إلى الغداء مع البروفسور هيس . وقد عرفت منه أنه كان كلف من طرف سمو الخديو أن يبذل المساعى فى إخراج المرحوم يكن من الحبس .

وبالفعل قام بهذه المأمورية خير قيام وكان لسعيه شأن عظيم فى هذه المسألة .

وكثيراً ما كان يستدعيه الخديو مراراً إلى زوريخ للتكلم معه فى بعض المسائل الهامة

الاحوال السياسية وتصريح ٢٨ فبراير — الجرائم السياسية ضد الانجليز قانون وراثة العرش — قانون تصفية أملاك عباس — اشتغالي بالصحافة في الليبرتيه — مساعدة المنكوبين بالحريق في الاستانة — رحلتي في سوريا وفلسطين — مطلوباتي من عباس .

الأحوال السياسية وتصريح ٢٨ فبراير : من أول هـذا العام كان النـاس ينتظرون حضور اللورد اللنبي المعتمد الانجليزي في مصر ، بعد أن برحها إلى بلاده التفاهم مع حكومته على اتباع سياسة جديدة ، وهي سياسة تصريح ٢٨ فبراير الذي أعلن بعـد إيابه بالاتفاق مع عبد الخالق ثروت باشا . وقد كان الاحتفال بقدومه كبيراً وازدحم الـكثيرون في فناء المحطـة ، وعلى جانبي الطرق التي مرت مركبته بها ، وحيوه بالتصفيق .

الأغلبية والتصريح : وبعـد إعلان التصريح قابلته قلة من الشعب بالترحيب أما الكثرة السـاحقة ، فـكانت في حالة عصبية توحي إليها الحذر الشديد من السياسة الانجليزية ولا سيما وقد مهد لهـذا التصريح بنفي سعد باشا وزملائه ، فلم يكن من المستطاع إقناع هـذه الـكثرة بأن سياسة يمهد لها بنفي زعيم البلاد يكون فيها خير للأمة .


عبد الخالق ثروت باشا

موقف الصحف : وقد التزمت معظم الصحف المصرية جانب التحفظ في التعليق عليه ، ولـكنها اتفقت على

أمر واحد ، وهو أن السياسة الجديدة ، لم تحقق لمصر كل آمالها ، وإنما هي خطوة في سبيل تحقيق تلك الآمال .

الجاليات الأجنبية وسياسة التصريح : أما الجاليات الأجنبيـــة في مصر فقد



اللورد اللنبي

تخوف بعضها من النص على أن انجلترا تحتفظ لنفسها بحق حماية الأجانب . وكان أشد هذه الجاليات تخوفاً هى الجالية الفرنسية ، التى قررت أن ترسل احتجاجاً إلى الموسيو جايار الوزير المفوض والوكيل السياسى لفرنسا فى مصر جاء فيه :

« إننا لو افترضنا أضيق ماتحتمله الصيغة الواردة بالتصريح من المعانى ، لما استطعنا أن نتصور أن المصالح الفرنسية — عامة كانت أو خاصة — يمكن الدفاع عنها أو (حمايتها) بواسطة حكومات أخرى غير الحكومة الفرنسية

« على أن مجرد قبول مثل هذا النظام نزول غير مقبول ، لاسيما وأن انتصارنا قريب العهد منا .

« وفوق هذا ومن جهة عملية محضة ، يسوغ لنا أن نتساءل عما تئول إليه مصالحنا إذا كانت متناقضة مع مصالح رعايا الدولة الحامية » .

الأمراء والتصريح : وقد اهتم أصحاب السمو الأمراء ببحث الحالة الجديدة ، وموقف مصر السياسى بعدها ، وكانت آراؤهم متجهة إلى اعتبار هذا التصريح كسباً نظرياً فقط ، لم يغير شيئاً من الناحية العملية .

وقد كتبوا إلى عظمة السلطان فؤاد الأول كتاباً يشرحون فيه نظريتهم جاء فيه :

« إن بقاء الحالة الحاضرة مع وجود الجيوش البريطانية فى مصر مما يؤذى الاستقلال ، لأن هذه الأحوال لاتستوى هى ومبادىء الحرية الشخصية » .

وطلبوا إعلان استقلال مصر مع سودانها ، وسيادتها التامة فى الداخل والخارج وتأليف جمعية وطنية لمناقشة التصريح ، وتحضير مشروع الدستور ، وأن تجرى الانتخابات بكامل الحرية بعد إلغاء الأحكام العرفية ، وإعلان حرية الصحافة . والعفو عن المعتقلين السياسيين ، ودعوة المنفيين .

بدء تنفيذ التصريح : كان المنتظر أن يعرض التصريح على البرلمان البريطانى يوم يوم ٩ مارس ، ثم أجل إلى يوم ١٤ منه ، أما الحكومة المصرية فقد أخذت تنفذه فعلا من يوم إعلانه ، فعينت وكلاء مصريين للوزارات بدلا من الانجليز ، ثم امتنع المستشار المالى من حضور جلسات مجلس الوزراء ، كما كان المتبع منذ بدء الاحتلال

وفى يوم ١٤ مارس وافق البرلمان الانجليزى عليه واحتفلت الحكومة يوم ١٥ مارس بالاستقلال . أما الشعب فكان بعيداً عن الاشتراك مع الهيئات الرسمية ، بل

كان بعض الشباب يجتمعون ويهتفون للاستقلال التام ، فكان هتافهم هذا دليلا على عدم اقتناعهم بأن ماحصل هو الاستقلال الذى يطلبون .

رأى عباس فيه : قرأت حديثاً لعباس مع مراسل جريدة « بروجريه دى ليون » الفرنسية عن الحالة الجديدة ، ومما جاء فيه :

« إننى لاأعير اللعب الذى لعبته وزارة لندن أدنى أهمية . يكفى أن يقرأ الانسان بأى شروط اعترفت تلك الوزارة باستقلال مصر ، ليفهم أنه لم يتغير شىء من عهد الضغط الذى تعيش فيه بلادى منذ إعلان الحماية » .

وزارة ثروت باشا والرأى العام : لم تكن الوزارة على العموم موضع ثقة الرأى العام ، وكانت لذلك لاتسمح للشعب بابداء آرائه ، حتى أن الأمير يوسف كمال ، دعا إلى اجتماع يعقد فى بيت السيد أبى بكر راتب باشا يوم ٢٤ مارس فتصدت الحكومة لهذا الاجتماع ومنعته ، فزاد ذلك فى السخط عليها ، وعرضها لنقد كثير من العقلاء الذين كانوا على الحياد بينها وبين خصومها .

وقد زادت الحالة تعقداً حينما ألفت الحكومة لجنة لوضع الدستور ، دون أن تكون منتخبة من الشعب .

نعم إنها دعت جميع الهيئات إلى الاشتراك فيها ، ولكن لم يتقدم لها أحد من الوفديين وهم الكثرة الساحقة ، ولا من الحزب الوطنى . وزاد ذلك هوة الخلاف بين الشعب والحكومة .

تأليف حزب الأحرار الدستوريين : لهذا فكر المنتمون إلى ثروت باشا وعدلى باشا ، فى تأليف حزب يناصر سياسة الوزارة ، وسمى «حزب الأحرار الدستوريين» وكان ذلك يوم ٣٠ اكتوبر . وانضم إلى هذا الحزب كثير من مفكرى الأمة ، وأصحاب البيوت الكبيرة فيها .

وقد قوبل الحزب الجديد بالسخط الشديد ، وأذاع الوفديانا ً يتهمه فيه بالتخاذل وبشق وحدة الأمة ، وكانت أحاديث الانتقاد له تتداول فى كل مكان .

وفى مساء ١٦ نوفمبر وقع اعتداء بالرصاص على عضوين من رجال الحزب هما المرحومان حسن عبد الرازق باشا واسماعيل زهدى بك ، وكان المعتدون يظنون أن سيارتهما تحمل عدلى باشا رئيس الحزب .

وقد توفى العضوان متأثرين بجراحهما .

استقالة ثروت باشا وأسبابها : وفى يوم ٢٩ نوفبر قدم ثروت باشا استقالته . وأحاطت بهذه الاستقالة عدة إشاعات عن أسبابها الحقيقية ، غير أنه من المؤكد أنه كان من بين هـــذه الأسباب ، دسائس خصومه فى السراى ، ومرماها أن له



محمد توفيق نسيم باشا

اتصالا بالخديو السابق ، لأن اسماعيل الرزنمجي باشا والده كان متزوجا باحدى جوارى عباس باشا الأول والد إلهامى باشا جد الخديو السابق من والدته ، وأنه ساعد وفد الحزب الوطنى على السفر إلى مؤتمر لوزان ليعمل فى مصلحة عباس .

وقد ألفت بعد ذلك وزارة نسيم باشا فقوبلت بالترحيب من الرأى العام وأصدر الوفد بياناً يعدد فيه مساوىء الوزارة السابقة ، ويفهم منه الرضاء عن الوزارة الجديدة ، وإن لم يصرح بذلك .

الجرائم السياسية ضد الانجليز : وقعت فى هذا العام عدة جرائم سياسية ضد الانجليز نتيجة لتهيج الأعصاب الذى كانت الأمة معرضة له بين التقلبات السياسية ونفى الزعماء ، ومحاكمة بعضهم ، واعتقال فريق منهم .

وقد وقعت أولى هذه الجرائم يوم ٣٠ ابريل على اثنين من فرقة الطيران ، فجرحا جراحا بليغة ، وفر المعتدون قبل أن يتمكن البوليس من القبض عليهم

وفى يوم ٢٤ مايو وقع اعتداء آخر على البكباشى كيف مساعد الحكمدار بالقاهرة .

وفى يوم ٢٩ يوليو اعتدى مجهولون على المستر توماس براون مدير قسم البساتين بوزارة الزراعة ونجله ومربيته الانجليزية وسائق المركبة التى كانت تقلهم .

وفى يوم ٢ ديسمبر أطلقت خمس رصاصات على المستر روبسون المدرس بمدرسة الحقوق .

والذى كان يلفت النظر فى كل هذه الجرائم أنها وقعت فى شوارع مزدحمة بالسابلة ، وفى أوقات يكثر فيها المرور دون أن يقبض على الفاعلين .

قانون وراثة العرش : لما تولى السلطان فؤاد عرش مصر لم يكن له أولاد من الذكور ، وفى فبراير سنة ١٩٢٠ رزق عظمته نجله سمو الأمير فاروق (جلالة الملك) وقد أخبر اللورد اللنبى عظمته يوم ١٥ ابريل من السنة نفسها بأن الحكومة البريطانية تعترف بالأمير فاروق وبأعقابه من الذكور ، ورثة لعظمته .

وفى ١٣ ابريل سنة ١٩٢٢ صدر مرسوم بوراثة العرش ، ينص على ولاية

العهد للأمير فاروق ، وعلى حرمان عباس باشا الخديو السابق من ولاية الملك ، دون أبنائه وذريتهم .

قانون تصفية أملاك عباس : صدر بتاريخ ١٩ يوليو قانون باقرار ما قامت به السلطة العسكرية فى ظل الأحكام العرفية من تصفية أملاك عباس ونشر الاعلان التالى بالوقائع المصرية :

« بما أن أملاك الخديو السابق عباس حلمى باشا قد بيعت كلها تقريباً فقد استطلعت الحكومة البريطانية رأى الحكومة المصرية فيما يتبع فى أمر صافى المتحصل من تصفية الأملاك المذكورة ، فتم الاتفاق بين الحكومتين على أن يوضع تحت تصرف الخديو السابق ما نتج من هذه التصفية بعد خصم ما دفع وما يتوقع دفعه من الديون .

«وقد صدرت الأوامر اللازمة بذلك إلى الحارس الرسمى لأموال الأعداء ».

قد أظهر عباس عدم اعترافه بهذا القانون وعزمه على العمل للاحتفاظ بحقوقه .

اشتغالى بالصحافة :

مقالات تثير اهتمام الدوائر العليا : منذ أواخر العام الماضى دخلت فى زمرة الصحفيين ، فبدأت أكتب مقالات فى جريدة الليبرتيه عن عهد الأسرة العلوية المحمدية ، وكانت تظهر كل يوم أربعاء فى صدر الجريدة ، وقد أخذت تلفت الأنظار فى الأوساط الانجليزية وفى السراى .

وفى يوم ١٨ يناير سنة ١٩٢٢ قابلت موسيو ليون كاسترو صاحبها فأخبرنى أن قلم المطبوعات فى الداخلية أرسل إليه إشارة تليفونية ليستدعيه ، وهو يظن أنهم سيخاطبونه فى الكف عن معارضة تشكيل الوزارة الجديدة بعد وزارة ثروت باشا.

السراى تخشى الدعاية لعباس : وفى يوم ٢٠ منه قابلته ، ففهمت منه أن سبب استدعائه هو مقالاتى التى أنشرها بجريدته ، وذلك أن السراى تخشى أن يكون الغرض عمل دعاية لعباس حينما أصل إلى الكلام عنه . وقد طلبوا منه أن يخبرهم عما إذا كان فى مقالاتى الآتية شىء من هذا القبيل ، فقال لهم : « إنه يكتب مقالاته واحدة واحدة ، وأنا لا أعلم ماذا سيكتب بعد ذلك ، ولكننى لا أظن أنه يقصد القيام بالدعاية لعباس » .

عندئذ قلت لكاسترو : « إننى لا أقصد الكلام عن عباس فى مقالاتى هذه إلا

عرضاً ، لأنى أنوى نشر كتاب خاص عن تاريخ آخر الخديويين ، ثم أضفت : وإن عباساً له صفات طيبة وأخرى معيبة، وعلى كل حال أنا على الحيدة من جهته ، وإذا كنت قد خدمته هذه المدة الطويلة بنية صادقة ، فذلك دين على لوالده توفيق رأيت أن أفيه

النهضة النسوية : وقد حدث أثناء اشتراكى في تحرير هذه الجريدة أن دعا صاحبها المحررين بها لحفلة عشاء برياسته ، ثم كانت حفلة ثانية برياستى . وكانت المجلة قد خصصت قسما لشئون المرأة ، ومن بين ما كان ينشر فيه مقالات لكاتبات من بينهن سيدة باسم (حياة) تؤيد فيها حرية المرأة ونهضتها بأسلوب رشيق . فى هذه الحفلة تحدثت عن النهضة النسوية الجديدة ، وأثنيت على هذه الكاتبة المجيدة ، وعلى زميلاتها ، وانتصرت لحرية المرأة ، وقد ردت على هذه الكاتبة رداً لطيفاً وذكرت فيه أن والدها يعرفنى ، ويعرف عنى أشياء كثيرة . .

انقطاعى عن التحرير : وأخيراً رأيت أن أنقطع عن التحرير في هذه الجريدة بعد كتابة خمس وثلاثين مقالة ، تجنباً للاحتكاك بالدوائر العليا التى كانت لاترتاح لنشر مقالاتى .

مساعدة المنكوبين بالحريق فى الاستانة : في يوم ٢١ يونيو سافرت إلى الاستانة لقضاء فصل الصيف بها . وفى يوم ١١ أغسطس قابلنى الحاج حسين مانع زاده أحد التجار المشهورين وأخبرنى أنه حدث حريق كبير فى بعض احياء الاستانة، وقد تشكلت لجنة برعاية السلطان ، ورياسة توفيق باشا الصدر الأعظم لمساعدة المنكوبين ، وستقوم ببناء منازل للفقراء الذين أصابهم الحريق فدمر بيوتهم ، وأن السلطان قال بوجوب وجود عضوين فى اللجنة من غير الأتراك وأنه (أى مانع زاده) قال فى الاجتماع انه يعرفنى عندما حضر لمصر ، وكنت أنا مديرا للأوقاف، وأثنى على؛ فقررت اللجنة سؤالى عما إذا كنت أقبل الدخول حتى أروج اكتتاب المصريين لاعانة فقراء المنكوبين بالحريق ، فقلت: « يلزم سؤال الانجليز عن رأيهم في الموضوع ، فاذا لم يجدوا مانعا يسألون عن رأيهم فى دخولى عضوا فى اللجنة، حتى لايظنوا أنى أتداخل فى مسائل سياسية » .

وبعد بضعة أيام قال : إنه تقرر استدعائى عند الصدر لمباحثتى فى المسألة

وفي يوم ١٦ منه وردت إلى دعوة لمقابلته يوم ١٩ ، ولما قابلته بالصدارة

قال لى: «ان لجنة الحريق أمكنها باعانات مالية من الجمهور أن تبنى بيتين كبيرين يحتويان على مساكن متعددة، وانها شرعت فى بناء بيت ثالث، والايجارات التى تأتى من هذه البيوت تنفق فى بناء بيوت للفقراء المنكوبين بالحريق؛ وستشرع في فى طبع تذاكر بفئات مختلفة لعرضها على المحسنين من المسلمين أتراكا وعربا، ومن شتى الأجناس للمساعدة على بناء البيوت المذكورة، فهل يتيسر تنظيم هيئة فى مصر لهذا الغرض؟ ».

قلت: «إن الذى يتولى الآن جمع الأموال لمساعدة الأناضول هو الأمير عمر طوسون». قال: « وهل يمكنك أن تكاتبه فى هذا الصدد لمعرفة عدد التذاكر التى يمكن توزيعها ومقدار قيمتها؟ ». قلت: «انى على وشك السفر إلى مصر والأحسن أن أكلمه شفهيا فى الموضوع. ولكنى يادولة الصدر أجهل تفاصيل غرض اللجنة؟ فهل لها لائحة لأطلع عليها، وهل توجد خريطة تبين الأماكن المحترقة واحصاء عن عدد البيوت ومساحاتها، والتى منها للفقراء، وما هى المعلومات عن طريقة بنائها؟ ».

فقال: «إنه سيطلب من اللجنة هذه الايضاحات؛ والفكرة السائدة هى أن تقسم الأرض إلى جملة أقسام، وتستدعى شركات البناء ونعطى كل شركة قسما» قلت: «وهل الشركات، تقبل مشترى الاراضى وبناءها وتأجيرها وهى محكورة؟»، ولفت نظره إلى هذه النقطة وأن اللازم استبدال أحكارها أولا. ثم استأذنت منه على أن أكون تحت أمره في أى وقت؛ فأجاب بأنه لا يستطيع أن يقدم لى كل المعلومات التى طلبتها، وأخيرا جاءنى منه مندوب، وترك لى في المنزل خريطة استامبول، والأراضى المحترقة ملونة بالأحمر، وعليها معلومات عن عدد المبانى المحترقة، وهى ١٠ آلاف منزل

وفي يوم ٢ سبتمبر زرت الصدر مودعا، وتحادثنا فى موضوع إعانة المنكوبين. ثم قدمت له الاقتراح الآتى:

قلت: «علمت من سليمان أفندى البستانى أن جلالة الملك فؤاد أرسل لكم بواسطته تحياته، وانكم كلفتموه أن يبلغه شكركم، وبما أن العلاقات ودية بينكم وبين جلالته فربما يكون من الموافق كتابة خطاب ودى غير رسمى بهذه المناسبة ومن ضمنه استعطاف جلالته لمساعدة هذا المشروع» فوافق على الفكرة. ولكن قال: «حيث أننا لم نعقد الصلح مع الحلفاء، فالأصوب تبليغ جلالته شفهيا من قبلى»

قلت : « وانى لا أخفى عليكم أن الأزمة المالية لم تزل موجودة فى مصر خصوصا لانخفاض ثمن القطن ، فالمصريون معذوزون الآن ، ومع كل فانى سأقوم بالمأمورية في السراى وعند الأمير عمر طوسون »

وفى يوم ٥ سبتمبر غادرت الاستانة عائدا ، فوصلت الاسكندرية يوم ١٠ منه . وتوجهت مباشرة إلى سراى رأس التين ومعى الخريطة السابقة الذكر . فكتبت اسمى فى سجل التشريفات ، ثم قابلت حسن نشأت بك (باشا) أحد كبار رجال الديوان وسلمته الخريطة ، وبلغته ما كلفنى الصدر ، فتسلمها وأخذ عنوانى .

ثم قابلت الأمير عمر طوسن وأخبرته بالمهمة فقال : « إنه تقرر عدم ارسال نقود للاستانة لأن حكومتها ضد الكماليين ، وأن كل ما يجمع من النقود يرسل إلى الأناضول » وبذلك انتهت المسألة .

رحلتى فى سوريا وفلسطين :

إعجابى بالتعليم فى الجامعة الأمريكية ببيروت : سألت كثيراً ممن لهم وقوف على الجامعة الأمريكية في بيروت ، فوجدت أنهم مجمعون على القول بأنها تفضل مدارس مصر فى التعليم والتربية ، وعلمت من أحد أصحاب المقطم أن المسلمين لهم معلم للديانة السمحة ، واليهود والنصارى لهم معلمون في دياناتهم ، وأنه سيحضر عن قريب مندوب من الجامعه ، لمرافقة التلاميذ الذين سيذهبون اليها للدراسة ، لهذا صممت على انتظاره ، وأخذ المعلومات منه ، ثم السفر بولدى احمد وراشد اليها .

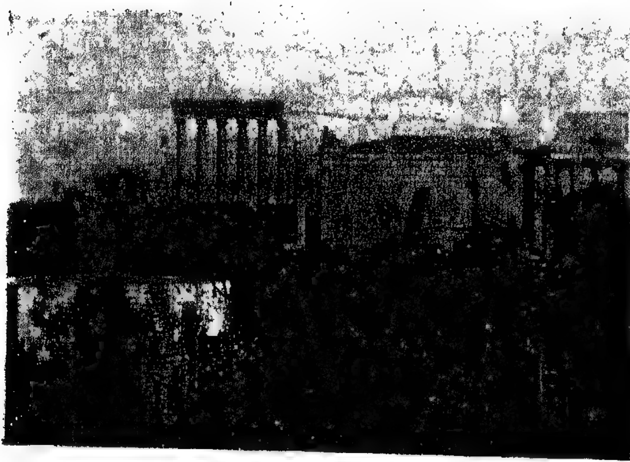
وفى يوم ١٣ اكتوبر — وكنت قد حصلت على المعلومات المطلوبة — سافرت معهما ، فوصلنا إلى الحدود المصرية يوم ١٤ منه ، وفى اليوم التالى وصلنا إلى بيروت فذهبنا للكلية ، وهناك قابلنا الأستاذ حامد ثابت مدير قسم الأولاد الصغار ، فسلمته الولدين ، ودفعت نصف المصروفات السنوية لهما ، وهى مائتان وثمانية جنيهات سورية

وقد علمت أن من أخص الصفات التى تعنى الكلية بغرسها في نفوس طلابها ، الاعتماد على النفس ، فالطالب هو الذى ينظم غرفته بنفسه ، كما أن الطلبة الفقراء يشتغلون بالخدمة فى الكلية نفسها مقابل إعفائهم من المصروفات .

رحلتى فى بعض البلاد : وفى يوم ١٧ اكتوبر اتفقت مع شركة مصايف لبنان على القيام برحلة لبعلبك ودمشق ، فركبت السيارة وصعدت الجبل ، ومررت على عاليه وبحمدون وصوفر ؛ ثم نزلنا إلى شتوره ، وتغديت عند صاحبي القديم سليم افندى

بولاد، وله هناك أراض واسعة، ومعمل نبيذ وسط كروم كثيرة .

ومن هناك ذهبنا إلى بعلبك فزرت والدة الشاعر الكبير خليل بك مطران ، فأعجبت بثقافتها وحسن إدارتها لشئون العائلة .



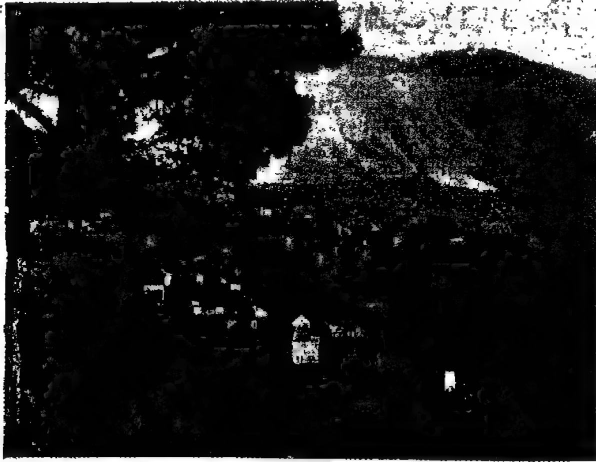
معبد بعلبك

ثم شاهدت معبد بعلبك ، وهو معبد رومانى قديم مبنى بأحجار ضخمة يبلغ طولها ١٩ مترا وعرضها أربعة أمتار وارتفاعها ثلاثة . ومنها أعمدة قطرها ثمانية أمتار .

وبعد ذلك قمنا إلى دمشق ، والطريق يشبه فى بعض جهاته بلاد السويسرة صخوراً ووديانا وأشجارا .. وقد قابلنى على المحطة وكيل محمد على العابد بك لغيابه فى حلب فركبنا مركبة ونزلت بفندق فيكتوريا فى ضيافة حرمه ، وقد حضرت لزيارتى؛ ثم أرسلت مركبتها فذهبت بها لزيارة حقى بك العظم الحاكم العام الذى أرسل معى مدير الأوقاف لمشاهدة المعاهد الدينية والمساجد ، وقد زرنا الجامع الأموى وبيت أسعد باشا العظم الأثرى الذى اشتراه الفرنسيون بستين ألف جنيه سورى ، وفيه قاعات عربية جميلة ، وشاهدنا دار الأيتام وفيها ١٥٠ بنتاً وهى متسعة ونظيفة ، والحكومة هى التى تنفق عليها مع دار أخرى للأولاد؛ وأخيراً زرت معمل تلسان لشغل الخشب المنزل بالسن والصدف ، وبين الصناع كثيرون من اليهود والأرمن.

أما المسلمون فقد لاحظت أن ليس لهم نصيب كبير فى الصناعات على العموم .

وقد رددت الزيارة لحرم العابد بك ؛ ثم غادرت المدينة إلى المعلقة وزحلة



ظهور الشوير

فظهور الشوير على ارتفاع ١٦٠٠ متر تقريباً ، ثم نزلت إلى بورمانة حيث المنظر جميل بين أشجار الصنوبر ورائحته ، وعدنا إلى بيروت .

وفى صباح ٢٥ سافرت بالسيارة إلى حيفا ومنها إلى القدس ، فزرت حاكمها موسيو « ستورس » وكان من قبل فى مصر سكرتيراً شرقياً لكرومر ، ثم زرت منزل المفتى الحاج أمين الحسينى .

وفى اليوم التالى حضر شيخ الحرم بناء على أمر المفتى لمرافقتى فى الزيارات ، فزرنا الحرم وقبته مزينة بالفسيفساء الفاخرة الدقيقة ، وهى قائمة على اثنى عشر عموداً ، وأربع اسطوانات ، والصخرة المقدسة فى الأسفل ؛ ثم تفرجنا على قبة تسمى محكمة داود ، وهى صغيرة ومصنوعة من القيشانى . ومحمولة على ثمانية عشر عموداً على نظام القبة الكبيرة

ثم توجهنا الى المسجد الأقصى ورأينا المحراب العظيم الذى بناه صلاح الدين الأيوبى ، وبجانبه منبر على طراز عربى متقن ، وصانعه « حميد بن ظافر الحلبى » ثم صلينا فى جامع سيدنا عمر ، ثم خرجنا ونزلنا الى المسجد الأقصى القديم ، ومنه الى محل

سرير عيسى . فاصطبل سليمان ذى الحجارة الضخمة ، ثم خرجنا فرأينا باب التوبة وباب الرحمة ، وهما عظيمان معلقان منذ القدم ، وعلى جانبهما كرسى سليمان (للحكم) وخرجنا من الحرم الشريف ودخلنا الصلاحية (المدرسة) وفيها كنيسة، ويقال: إن فيها قبر حنا والدة مريم، وهى صغيرة ، ويشاع أن سيدنا عيسى كان يبرىء الأبرص بادخاله فى مياهها، وهذه المدرسة كانت فى مدة الحرب كلية لتخريج المبشرين المسلمين من كل أطراف العالم الاسلامى ، وكان يديرها الشيخ عبد العزيز جاويش ، وكان فيها أساتذة أفاضل ، ولكن بعد الحرب أقفلت وسلمت الى جماعة من الفرنسويين .

ثم توجهنا الى مدرسة روض المعارف . ويديرها شيخ يظهر على وجهه الذكاء والنشاط، وشاهدنا التدريس فى الفصول والمطبخ؛ وأعطونى أجزاء من مجلة يصدرونها اسمها . وأخيراً توجهنا الى كنيسة القيامة وزرنا قبر المسيح والأماكن الدينية التى داخل الكنيسة التابعة لأقوام مختلفة ، وهى على جانب عظيم من الفخامة، وبعد الغداء رجعنا الى هذه الكنيسة ، وتفرجنا على الآثار القديمة والهدايا النفيسة والمجوهرات الثمينة وكتب الانجيل النسخة المزخرفة ومن بين مارأينا صورة لمريم فى أطار زجاجى مطرزة بالجواهر الكريمة، ومنها لؤلؤة على الجبهة ثمينة ، ويقال: إن قيمة المجوهرات فى هذه الكنيسة تبلغ ٨ ملايين من الجنيهات وكثير منها لطائفة الروم الارثوذكس التى لها نفوذ عظيم وعقارات كثيرة فى القدس، أما مفتاح كنيسة القيامة فهو فى يد عائلة اسلامية من قديم الزمان ، لمنع الاختلافات بين الطوائف المسيحية المختلفة .

وبعد ذلك ركبنا سيارة ، وتوجهنا الى مدينة الخليل، ورأيت فى الحرم الابراهيمى من الخارج قطعاً كبيرة من الحجارة ، وقيل لى : إن سيدنا سليمان هو الذى بنى هذا المسجد. ولكنى لاحظت أن حجارته صلبة جداً ، ولا أظن أنه من بناء زمان سليمان — وفى هذا الحرم قبر سيدنا ابراهيم الخليل وقبر زوجته سارة ، ثم قبور اسحق وزوجته رفقة، ويعقوب وزوجته لائقة، ويوسف، وبه الغار الشريف ويتدلى فيه قنديل لانارته، وله فوهة، يجلس عليها شيخ، فيكشف هذا الغطاء عن الفوهة ليرى الزائر عمق الغار .

ومن مدينة الخليل توجهنا بالسيارة الى بيت لحم، وتفرجنا على كنيسة المهد، وزرنا موضع مولد المسيح ، وموضع النخلة التى أمر الله سيدتنا مريم أن تهزها فيتساقط منها الرطب ، وهو لا يبعد عن محل الولادة الا بخمسة أمتار تقريباً ، ومسقوف

الآن ببناء؛ ومدينة بيت لحم بيوتها صغيرة مبنية بالحجر ونظيفة؛ وحاراتها ضيقة إلا أن أمام الكنيسة ميدانا متسعاً. وبعد هذه الزيارة رجعنا إلى القدس وشكرت المفتى على حفاوته ثم عدت لمصر.

مطلوباتى من عباس: فى يوم ٥ نوفمبر علمت من محمد شفيق باشا أن عباساً وكل حسن بك صبرى المحامى (باشا) فى تصفية أملاكه مع الحكومة المصرية.



حسن بك صبرى (باشا)

وكان سموه قد جمع لجنة من المحامين المختلفى الجنسية وشاورهم بالسويسرة فى قضاياه ضد السلطة فى مصر، فكان قرارهم أن له الحق فى مقاضاة السلطة، ولكن حسن بك صبرى رأى أن هذه القضايا لا يمكن البت فيها قبل مضى سنة من وقت صدور الدكريتو الذى يقضى بمصادرة ما له من المال بعد التصفية إن لم يتسلمه فى هذه المدة، وعليه رأى أن الأصوب قبول تصرفات السلطة وقبض ما يكون من المال وهو بين نصف مليون وستمائة ألف جنيه، فيشترى به أراضى فى الأناضول فيعوض ما خسره فى مصر. فقبل هذا الرأى، ووكله فى تنفيذه.

فلما علمت بذلك عزمت على أن أقابله، وأتكلم فى موضوع مطلوباتى من الخديو.

وفى يوم ٧ قابلته ، وعلمت منه أنه سبق أن دار كلام بينه وبين الخديو فى أوربا فى موضوع مطلوباتى ، وأن سموه يظن بأننى رفعت دعوى ضده ، وأنه قال : « أما مطلوب شفيق من النقود فسيرد لكن ما معنى هذه الدعوى ؟ » ولما علم صبرى بك بأن هذه الدعوى لا توجد إلا فى مخيلته ، قال : « الحمد لله » . وأخبرته بملخص حكاية هذه المطلوبات ، فقال : « إن المبلغ لا يستحق التردد فى دفعه » . وطلب منى أن أسلمه مذكرة به ، ووعد أن يتوسل إلى الخديو لدفعه ، فشكرته ووعدته بعمل المذكرة .

وفى يوم ١٠ اجتمعت بالدكتور سيد كامل وتكلمت معه فى المسألة ، فرأى معى أن لا بأس من تحرير مذكرة فحررناها وسلمتها لحسن صبرى بك ووعدنى برفعها للخديو .

وفى يوم ١٣ زرت عبدالحميد باشا سليمان وكيل وزارة الأشغال ، فوجدت عنده حسن بك صبرى الذى أخبرنى بأنه تسلم خطابى ، وأنه وجده فى تحريره ومحتوياته جيداً جداً ، وأنه سيرسله مشفوعا بتعضيد منه . قال : « وربما سافرت إليه بعد أسبوعين أو ثلاثة لأنهى المسألة » . فشكرته . وقد سافر بعد ذلك . وبعد عودته أخبرنى أن عباساً تسلم مذكرتى وقرأها ثم لم يعطه جواباً .

وقد سبق أن سلمت مذكرة لحضرة الأستاذ أحمد بك لطفى فعرضها على الجناب العالى الذى أمره أن يبلغنى رد سموه بأنه سيأمر بدفع مطلوباتى .

وفى يوم ٢٨ يوليو سنة ١٩٢٣ قابلت توفيق نسيم باشا وزير المالية ، وقدمت له عريضة أرجوه فيها النظر فى مطلوباتى من سموه حتى إذا تبين للوزارة أحقيتى فيها أمر بصرفها فأحالنى إلى اللجنة المشكلة فى المالية لتصفية أملاك الخديو .

وفى يوم ٢٨ أغسطس ورد لى من اللجنة خطاب بأن المبالغ المذكورة دخلت ضمن أعمال التصفية التى قام بها الحارس لأملاك الأعداء ، والتى أقرها القانون وحرم المطالبة بها أمام القضاء . عندئذ أرسلت لمصفى أملاك الأعداء طلباً لصرف هذه المبالغ بما أنه مكلف دفع ديون الخديو ، فأحالنى ثانياً على لجنة المالية . ولكن بكل أسف لم أصل إلى حل مرض . وأخيراً راجعت فكرى وقلت إن الصبر مفتاح الفرج ، واعتمدت على وعود سمو الخديو بصرف مطلوباتى .

أما مطلوباتى فهى : أولا ٢٦٣٣ جنيهاً مصرياً قيمة ما أخذ من نقود المسيو حصى مع الفوائد لغاية السنة الجارية . ثانياً ٩٤٣ جنيها مصرياً الباقى من سلفة الشيخ على يوسف وقدرها ٢٠٠٠ جنيه التى عقدها بضمانة الخاصة مع الفوائد ؛ فتكون الجملة ٣٥٧٦ جنيهاً مصرياً . وقد سبق أن سلمت مذكرة لحضرة الأستاذ أحمد بك لطفى

سنة ١٩٢٣

عمارة المسجد الاقصى — السماح للوالدة بالعودة الى مصر
الحكم ضدى فى قضية الاوقاف — بين مؤلفاتى وعضوية البرلمان — شئون مختلفة

عمارة المسجد الاقصى : فى يوم ٩ فبراير علمت بحضور مفتى القدس السيد محمد أمين الحسينى ، رئيس المجلس الأسلامى الأعلى ؛ وكنت تعرفت به فى القدس عند زيارتى لها فى العام الماضى ؛ وهو شاب يبلغ الثلاثين من العمر تقريباً ، ذكى يتحدث بعقل ورزانة ويعرف التركية



السيد محمد أمين الحسينى
رئيس المجلس الأعلى الأسلامى ومفتى القدس

وقد توجهت إلى فندق الكونتننتال لزيارته فلم أجده ، وتركت له بطاقتى

وفى يوم ١٣ دعيت عند السيد عبد الحميد البكرى لتناول الشاى فى حفلة أقامها تكريماً للمفتى، وكان معه كمال بك المعمارى التركى الشهير . المكلف هو ومن معه من المهندسين الأتراك بترميم قبتى المسجد الأقصى والصخرة ، والحاج سعيد بك الشواء عضو المجلس الأسلامى الأعلى ومدير بلدية غزه سابقاً ، وخليل افندى سكاكينى ، وعادل افندى جبره مدير المكتب الأقصى ، والشيخ محمد بخيت ، والقمص يولس غبريال ، وغيرهم .

وعلمنا أن الغرض من حضور الوفد الفلسطينى جمع إعانات للقيام بالتعمير المطلوب ، الذى تبلغ نفقته مائة وخمسين ألفاً من الجنيهات .

وفي ١٥ منه حضرت حفلة غداء أقامها أحمد زكى باشا للوفد ، وكان معنا شيخ الأزهر ، والمفتى والشيخ محمد بخيت ، والسيد عبدالحميدالبكرى، والسيد رشيد رضا وسليمان شفيق باشا وزير الحربية السابق فى تركيا ، وتناقشنا فيما يجب عمله لجمع التبرعات المطلوبة ؛ وتقرر أن أعرض الأمر على الأمير محمد على ، وألتمس رياسته للهيئة التى ستشكل لجمع الاعانات ، وأن يقدم الوفد لسموه غداً بواسطة السيد عبد الحميد البكرى والشيخ بخيت .

وفي يوم ١٦ قابلت الأمير ، وعرضت عليه المسألة فقبل مبدئياً ، على أن يستطلع رأىاللورد اللنبى . ثم حضر الوفد الفلسطينى وقدمه السيد البكرى والشيخ بخيت لسموه ، ودار الكلام فى الموضوع ، فأظهر ارتياحه وقبل بتحفظ ، وقال : إنه عند ابتداء العمل يسافر مع اللجنة التى ستشكل إلى الوجه القبلى لجمع التبرعات . ويطلب من سمو الأمير عمر طوسن أن يقوم بهذا العمل فى الاسكندرية والوجه البحرى ؛ فخرج الوفد شاكراً لسموه ، مستريحاً لما بذلته من المساعى .

وفى يوم ١٩ دعوت الوفد لتناول الشاى ، ومعه السيد البكرى والشيخ بخيت والسيد رشيد رضا وزكى باشا ، والقمص بولس غبريال . رئيس الكنيسة القبطية بحارةالروم ومندوبالبطريركية والأستاذ نسيم صيبعة ، وابرهيم بك نجار صاحب « لسان العرب » .


القمص بولس غبريال

وفي يوم ٢٠ انعقد مجلس إدارة الرابطة الشرقية ودارت المناقشة حول المساعى التى قمت بها لدى الأمير محمد على ، فتقرر اعتماد هذه المساعى من الجمعية .

وفى يوم ٢٥ قابلت الأمير بناء على طلبه فى نادى محمد على ، فأخبرنى أنه حظى بمقابلة جلالة الملك فؤاد ، وعلم منه ما دار بينه وبين مفتى القدس من الحديث حول جمع التبرعات ، فلاحظ جلالته أن الوقت غير مناسب للبدء بهذا العمل نظراً للازمة الاقتصاديه ؛ ثم قال للامير : إنه لم يكن

يعلم أن الوفد الفلسطيني طلب من سموه أن يرأس لجنة الاكتتابات ، بل علم أنه لجأ إلى الشيخ محمد بخيت . فسألت الأمير عما إذا كان الملك يكره الشيخ بخيت ؛ فقال بالفرنسية مامعناه : « نعم له ثأر عنده » .

وبعد أن تركته قابلت الوفد ، وأخبرته بما كان بين الملك والأمير ، فتقرر أن يزور المفتي اللورد اللنبي ، ويخبره بما حصل .

ولما قابله قال له : « الحقيقة أن الملك مشغول الفكر الآن بالحالة السياسية ، والأفضل الانتظار حتى تشكل الوزارة [١] . أما الأزمة المالية فلا عبرة بها ؛ ثم أوصى المفتي أنه عندما يعلم بتشكيل الوزارة يكتب إلى اللورد ، وهو يقابل الملك وينهي المسألة .

وفي يوم ٢٧ سافر الوفد الفلسطيني ، فودعه على المحطة كثير من أعضاء مجلس الرابطة الشرقية ، وغيرهم .

وفي يوم ١٠ يونيو عاد مفتي القدس لاعادة الكرة فيما يختص بجمع الاكتتاب فنصحت له بأن يسير حسب رغبات جلالة الملك ؛ فيبدأ بالكلام مع الوزارة ملتمساً أن يكون العمل تحت رعاية جلالته ، على أن يعين هو اللجنة التي تقوم بالعمل في الوقت الذي يختاره . بحيث لاتكون هناك صلة بين المشروع ، وبين البكري ، أو الشيخ بخيت أوصاحب المذكرات ، وذلك أدعى إلى رضاء جلالته .

وقد رافقته فقدمته لرئيس الوزراء ، فتكلم معه حسبما اتفقنا ، ووجد منه عطفاً على المشروع ، وقال : « إن اللورد اللنبي حادثه في هذا الصدد ، وأنه سيعرض الامر على جلالة الملك ويحبذه »

وفي يوم ١٢ منه اجتمع مجلس إدارة الرابطة الشرقية ، وقرر المساعدة في جمع الاكتتابات ، سواء باشتراك بعض أعضـــاء الرابطة في اللجنة التي سيأمر الملك بتشكيلها ، أو بتخصيص هيئة من الأعضاء لتعمل على انفراد .

وفي يوم ١٤ منه قابل المفتي سعيد ذوالفقار باشا كبير الأمناء ، فوعد بالمساعدة لدى جلالة الملك ، وقد قبل جلالته رعاية المشروع ، وتقرر ابتداء العمل في الخريف القادم .

وبلغت التبرعات ٣٠٦ جنيهات و ٨٦٠ مليما . وبعد ذلك تبرع جلالة الملك فؤاد بمبلغ خمسة آلاف جنيه وتبرعت وزارة الاوقاف بخمسة آلاف أخرى .

---

(١) بعد سقوط وزارة ثروت باشا

السماح للوالدة بالعودة الى مصر : فى يوم ٩ ابريل حضر إلى منزلنا الأمير محمد على ، وتكلم مع حرمى فى ارسال خطاب من السيدات المصريات إلى اللورد اللنبى ، بشأن عودة دولة الوالدة ، يتلخص فى أن الأحكام العرفية هى التى تمنع عودتها ؛ ولذلك يطلبن وساطة جنابه لرفع هذا القيد ، وتذليل الصعوبات ، التى ربما تعوق رجوعها

فحررت هذا الخطاب بالفرنسية ، وأطلعت عليه شكور باشا ، وطلبت منه كتابته على الالة الكاتبة . ولكن السيدات عدلن عنه ، وقررن إرسال رسالة باللغة العربية يطلبن فيها تحـــديد ميعاد لمقابلة اللورد للتكلم معه فى الموضوع ، ووقعته السيدة شريفة هانم رياض

وحتى يوم ١٨ منه لم يرد الرد . وقد اتفق أن كان شكور باشا فى هذا اليوم عند مستر كار سكرتير اللنبى ، فسأله عما إذا كان اطلاق سراح أعضاء الوفد المعتقلين فى قصر النيل قد أحدث أثراً طيباً عند المصريين ؟ فأجابه الباشا بالايجاب . ثم أظهر المستر كار امتعاضه من تمسك السراى بمسائل غير هامة .

ففهم شكور أنه يعنى بذلك توقفها عن الاذن لوالدة الخديو بالرجوع ، فقال كار : « نعم إننى أعنى ذلك ، لأن اللورد قابل الملك موفداً من قبل حكومته التى لاترى مانعا في عودة دولتها ، وطلب منه أن يوضح أسباب عدم السماح لها بالعودة فأجاب الملك ، بأنه يرى الأفضل الانتظار حتى يعلن الدستور وينعقد البرلمان تحضر فى شهر ديسمبر ، وكان الأصوب أن يقابل طلب حكومة انجلترا بالقبول »

فقال شكور باشا : إنه على استعداد للكلام مع السراى فى هذا الشأن ، فسمح له كار بذلك ، وتوجه فى يومه إلى السراى ، فأقنع سعيد ذا الفقار باشا بأن الأصوب السماح لدولتها بالعودة الان ، لأنه حين يعلن الدستور لا يكون هناك مانع من رجوعها ؛ فلا يكون للسراى رأى فى ذلك . فوعد بالتكلم مع الملك فى هذا الشأن .

وقد أعلمنى شكور باشا بمسعاه فشكرت له

وفى يوم ١٩ ابريل تمكن سعيد ذوالفقار من اقناع الملك بهذا الرأى ، فأرسلت السراى برقية للوالدة بذلك . وأرسلت باسمى واسم حرمى برقيـة لدولتها بالتهنئة ، وأعلمت الأمير بمساعى شكور باشا

الحكم ضدى فى قضية الأوقاف : ذكرت فى سنة ١٩١٦ ما نمى إلى من الأخبار وأنا فى تركيا عن رفع قضية ضدى من الأوقاف السلطانية .

وأذكر هنا تفصيلا لهذه القضية من مبدئها إلى نهايتها . ذلك أنه فى أواخر سنة ١٩١٤ عينت الأوقاف اثنين من موظفى المالية ، وهما جورج بك طلاماس والمستر جون هلبرت لفحص أوراقها ، فاتضح لهما أن هناك أموالا سحبت لانفاقها فى وجوه خيرية ، ولكنها صرفت فى وجوه أخرى . فتولت النيابة التحقيق ، وكان المحقق هو محمد زكى الابراشى أفندى (باشا) فأتم تحقيقه ولم يجد شيئاً فى مكتبى بعابدين ولكنه وجد فى منزل أحمد بك صادق وكيل الأوقاف الخديوية سندات بالمقادير التى صرفت باسم الفقراء ، بينما ذهبت فى وجوه أخرى . فقدم القضية إلى محكمة مصر الابتدائية فى يوم ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٥ . ونظراً لوجود صالح أجنبي فى القضية ، وهو الحارس القضائى على أموال الخديو فى الخاصة الخديوية معيناً من البنك العقارى الذى يداين دائرة عباس ، فقد حولت القضية إلى محكمة مصر المختلطة ؛ وكان ذلك عقب صدور أحكام بالبراءة من المحاكم الأهلية فى قضية أقيمت على خيرى باشا مماثلة لقضيتى ؛ وكانت الأوقاف تطالبنى بالتضامن مع الخديو بمبلغ ٧٨٠٦ جنيهات و ٩٦١ مليماً وقد حجزت على أموالى المودعة فى بنك دى رومه وقدرها عشرة آلاف جنيه تقريبا دون الحجز على أموال الخاصة الخديوية



زكى الابراشى باشا

وكانت وقائع الدعوى كما يأتى : « أننى كنت أودع باسمى المبالغ الخاصة بالديوان ليتسنى لى صرفها كما أشاء » « وأننى صرفت المبالغ التى رفعت بها الدعوى دون إذن من الخديو لعدم وجود أوامر كتابية منه بذلك » « وأن تحقيقات النيابة تثبت أن البيانات التى فى أذون الصرف غير حقيقية » .

وقد رد وكيلى عن النقطة الاولى بأن المبالغ المودعة في المصارف على قسمين:

الاول . وهو رءوس الاموال ، وهذه مودعة باسم الاوقاف ، والثانى وهو فوائد رءوس الاموال؛ وقد أودعت بأسمى كرئيس للاوقاف ؛ وذلك كراهة لان يظهر أن الأوقاف تتعامل بالفوائد المحرمة شرعاً ؛ وقد جرى هذا العرف من قبلى . وعن النقطة الثانية ، بأنه لم يكن يتصور أن أتأخر عن صرف المبالغ حتى يصدر لى أمر كتابى من الخديو ، لأن العادة جرت بأن تكون هذه الأوامر شفوية ، وحسبى أننى كنت أتأكد من الخديو نفسه أنه أمر بصرف المبالغ . وعن النقطة الثالثة بأنه لم يكن من المتيسر أن أتجسس وأستقصى عن المبالغ التى تصرف لا عرف مواضع صرفها ، وأتأكد من أنها صرفت فى وجوهها ، ووظيفتى لاتسمح لى بذلك ، وما أنا إلا وكيل عن الخديو (الناظر) وله كل الحرية فى صرفها .

وكان هذا الدفاع أمام المحكمة الابتدائية يوم ٨ مارس سنة ١٩٢١ ، ولكنها حكمت ضدى بأن أدفع مبلغ ٤٥٥٦ جنيهاً ، وعلى الخاصة وحدها بدفع مبلغ ١٣٥٠ جنيهاً مع دفع فوائدها باعتبار ٥ فى المائة من وقت رفع الدعوى . وبرفض طلبى الرجوع منى على الخاصة الخديوية ، وبدفع مصاريف الدعوى و ٨٠٠ جنيه لمحامى الأوقاف .

وقد استأنفت هذا الحكم أمام محكمة الاستئناف المختلطة .

وفى يوم ٢٦ ابريل سنة ١٩٢٣ كان موعد المرافعة أمامها ، فترافع أولا محامى الأوقاف ، ثم أعقبه مستر بادوا محامى الخديو ، ثم ترافع عنى البستانى بك ، وأخيراً وقفت فقلت : إن محكمة الاستئناف قررت أنه لايمكننى أن أعصى أوامر الناظر (الخديو) على شرط ألا أقوم شخصياً بعمل لايجوزه القانون ، وهذه النقطة على ماأظن هى أساس القضية ، والأستاذ البستانى فند أقوال الأوقاف فى هذه النقطة ، وقال إن الدليل على أن الأوقاف لم تكن مقتنعة بأننى تداخلت فى أمور لايجوزها القانون ، أنها طالبتنى مدنياً فقط ، وطالبت خـيرى باشا المدير الذى سبقنى فى الأوقاف جنائياً مع أن القضيتين متشابهتان تماماً ؛ ولا شك أن المحكمة تحب أن تعرف ماهو سبب هذا الاعتقاد ، فلو كان عفيفى باشا خلفى فى هذا المنصب على قيد الحياة لأعلمكم . ولكن لعدم وجوده اسمحوا لى أن أعرفكم به .

فى مايو سنة ١٩١٤ عندما كنت أرافق عائلتى المسافرة من الاسكندرية إلى الاستانة قابلت السلطان حسين كامل فى القطار ، ودار الحديث عن أعمال الأوقاف الخديوية ، فقال لى : « ياشفيق أظن أنه تجرى أعمال عندك بدون علمك » ، فدهشت

لهذا الكلام ، لأنه حينما كان يصدر لى أمر من عباس وفى الغالب عن طريق أحمد بك صادق بصرف مبلغ لتوزيعه بمعرفته وهو وكيلى . كنت أرجع لسموه لأتأكد من صحة الأمر ، وعندها فقط كنت أصرفه بحسن نية . فكلام السلطان حسين لى يثبت أنى كنت بعيداً عن الألاعيب التى لا يجيزها القانون . وهو السلطان حسين ولا شك الذى أمر عفيفى باشا بألا يطالبنى إلا مدنياً

« وإنى ابن موظف شغل مناصب هامة ، فكان فى عهد الخديو اسماعيل باشا رئيساً لقلم العرضحالات فى السراى ، ثم انتقل إلى إدارة المالية المصرية ، ولكن لما عين على رأس هذه النظارة اسماعيل صديق باشا لم يلبث أن استقال ، لأنه لم يشأ أن يوافق على أعمال رئيسه ، فلو أطلع ولده على أى شك فى إدارة المصلحة التى كان يديرها ما تأخر لحظة عن اتباع خطة أبيه

« إن لى فى خدمة الحكومة ما يزيد على الأربعين عاماً ، أدرت فيها الديوان الخديوى ثم الأوقاف قبل أن أنتقل إلى الأوقاف الخصوصية ، وإنى مرتاح الضمير من ناحية أعمالى ، لأنى أحس بأنى قمت بواجباتى بكل صدق وأمانة ، ولذا أرفع صوتى قائلا : إنه في هذه المدة الطويلة لم يجسر أحد أن يدعى على فى نزاهتى أو إدارتى اللهم إلا الأوقاف الملكية ، والآن وقد اتضح لها كل شىء فأرجو أن تحنى رأسها أمام الحقيقة وتوافقنى على طلباتى .

« وعلى كل حال فانى أنتظر من محكمة الاستئناف آخر ملجأ للعدالة ، لا رفض دعوى الأوقاف فقط ، بل أيضاً الحكم عليها بتعويض لى نظير الضرر العظيم الذى نالنى من جراء حجزها على مالى بدون حق فوق الثمانية الأعوام » وقد أجلت الجلسة بعد ذلك للنطق بالحكم

وفى يوم ١٢ يونيو أخبرنى البستانى بك تليفونياً أن النائب العام للمحاكم المختلطة تشرف بمقابلة جلالة الملك ، وأنه يظن أن لهذه المقابلة علاقة بموضوع قضيتى

وفى يوم ١٦ قابلت شكور باشا ، وأعلمته بهذا الحديث ، فأشار على بالذهاب إلى مقر المندوب السامى ، والتكلم مع أحد السكرتيرين فى الموضوع . وقد حدث فعلا أنى قابلت السكرتير الشرقى ، وأخبرته بما يجول فى خاطرى ، وبتخوفى من هذه المقابلة ، ورجوته – إن لم يكن هناك مانع – أن يستفهم عن سبب تأخر النطق بالحكم فوعدنى بذلك

وبعد هذا قابلت مرزباخ المحامي، فقال لى : إن هذه القضية من القضايا الهامة ومعلوم أمرها للمستشارين ، وإنه ظهر من كلام المستشار فامباس معه ، ان تيار الأفكار في صالحي، فاطمأننت قليلا

وفى يوم ٢١ يونيو أصدرت المحكمة حكمها وهو مبنى على الحيثيات الآتية :

« حيث ان شفيق باشا كان مديراً للأوقاف الخصوصية الخديوية فكان يلزمه أن يتحقق من أن المبالغ المنصرفة دفعت فى أعمال الخير

« وحيث ان مسئولية الخاصة واقعة عليها بناء على الحكم الصادر فى ٨ يناير سنة ١٩٢١

حكمت المحكمة بمسئولية الخاصة وشفيق باشا بدفع مبلغ ٢٠٢٥ جنيهاً بالتضامن ، مع دفع الفوائد ابتداء من رفع الدعوى أى ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٥ »

وقد كان لهذا الحكم وقع سيء شديد الأثر فى نفسى

بين مؤلفاتى وعضوية البرلمان : فى يوم ١٣ مايو دعوت للافطـــار بعض معارفى من أهل منشية الصدر والقبة من العمد والمدرسين وغيرهم حسب عادتى كل عام .

وبعد تناول الطعام وقف احمد بسيونى عمدة حدائق القبة ، وطلب من الحاضرين أن يضموا أصواتهم الى صوته فى أن أرشح نفسى للبرلمان ، لأننى لم أقبل الترشيح حتى الآن على الرغم من أن بعض كبراء الحى أمثال شكور باشا دعونى الى ترشيح نفسى . فوافقه جميع الحاضرين وألحوا علىّ فى القبول . فشكرت لهم هذه الثقة وقلت: إنى إزاء هذا الالحاح سأفكر فى الأمر؛ ثم تكلموا فى تنظيم لجنة للقيام بعمل الدعاية اللازمة ، وقرءوا الفاتحة على ذلك ثم انصرفوا .

وفي يوم ١٩ منه زرت الشيخ حسونة النواوى شيخ الأزهر الأسبق مهنئاً بالعيد، وأطلعته على ماقاله بعض أهل الحى لحبذ اقتراحهم ، وألح على بقبوله ، وذكر أنه موافق عليه ، وقد فكر فيه من قبل ، وأشار على بعض من حضر عليه للمعايدة بذلك .

وفي يوم ٢٠ منه عيدت على مصطفى بك الديب فى مصر الجديدة ورويت له ماحصل من أهل الحى ومن الشيخ حسونة، فعرفنى أنه عضو فى لجنة الوفد الانتخابية في مصر الجديدة ، وأنه سيجس نبض من معه فى ترشيحى .

وفي يوم ٢٣ منه حضر إلى وقال : إن اللجنة اجتمعت ودار الكلام فيمن

يرشحونه ، فقال : إنه يرى فى قسم الوايلى ثلاثة أشخاص جديرين بالانتخاب ، وهم حسن حسيب باشا ، ومحمد شفيق باشا ، واحمد شفيق باشا ، فوافقوا بالاجماع ؛ ثم انبرى منهم اثنان فأثنيا على ، وقالا : إننى مجرب وسوابق حسنة ولى دراية بالتاريخ وأجيد اللغة الفرنسية .

وفي يوم ٣ يونيو زرت الوفد فى بيت المصرى بك السعدى ، وتكلمت مع على بك الشمسى في موضوع ترشيحى عن قسم الوايلى ، فقال: إنه سيسجل اسمى فى سجل المرشحين من قبل الوفد لعضوية مجلس الشيوخ ، لأن الترشيحات لمجلس النواب قد انتهت .

وأخيراً راجعت نفسى ، فوجدت أمامى عملا تاريخياً أهم بالقيام به ، وهو إصدار حوليات مصر السياسية، واخراج «مذكراتى فى نصف قرن» ، وأن هذا العمل التاريخى يتطلب منى أن أقف على الحياد بين الأحزاب المختلفة لاتفرغ للحقيقة وحدها ، بينما ترشيح نفسى لعضوية البرلمان ، سيعرضنى للانغماس في الحزبية .

فكان أمامى أن أوازن بين مؤلفاتى وعضوية البرلمان ،فاخترت الأولى وعدلت عن الترشيح .



السيد مصطفى الادريسى

شئون مختلفة :

تعرفي بالمستر كراين الأمريكى : في أواخر سنة ١٩٢٢ دعيت لتناول الشاى عند السيد عبد الحميد البكرى ، وكان من بين المدعوين المستر كرين سفير أمريكا فى الصين سابقاً ، وقد تعرفت به فى السنة الماضية عند السيد نفسه ، وكنت وعدته بأن أحصل له على توصية للامام الأدريسى ليتمكن من زيارة العسير فى طريقه الى زيارة بن السعود والامام يحيي ، ثم دعوت الحاضرين لأخذ الشاى عندى فى أول يناير الحالى ، وكان من بين المدعوين السيد

مصطفى الأدريسى، فتعرف بالمستر كرين ووعده بالتوصية ، كما أنه تعرف بسليمان شفيق باشا ناظر الحربية العثمانية سابقاً والذى هو ضيفى الآن بمصر ، وله معرفة تامة بالبلاد العربية السابق ذكرها ، فضلا عن البصرة والعراق ودمشق وسوريا ، وقد تم الاتفاق على أن يرافق المستر كرين ، وتقرر أن تكون الرحلة فى سبتمبر القادم لأنه وقت ملائم .

وقد دعانى المستر كرين مع سليمان شفيق باشا والبكرى والتفتازانى والدكتور رضا توفيق الفيلسوف التركى لتناول الغداء فى فندق مينا هاوس ، وقد أهديت له مجموعة مقالاتى فى جريدة الليبرتيه .



الدكتور رضا توفيق الفيلسوف التركى

وفى يوم ١٠ يناير سافر لزيارة الحجاز

وفى يوم ٢٤ رجع من رحلته بعد أن قابل ملك الحجاز ، فحضر لزيارتى مودعاً قبل سفره الى الأستانة :

مشروع اقتصادى : عرفت من السيد مصطفى عبد العال الأدريسى وهو ممثل صاحب العسير فى مصر أنه يهتم منذ السنة الماضية بمسألة معدن البترول فى جزيرة فرسان أمام الحديدة التابعة لعسير ، وقد تقدمت له جملة عطاءات من ثلاث شركات انجليزية ، فاختار أحسنها، وهو مقدم من أحد الأنجليز بمصر وآخر بانجلترا ، وقد قرأنا شروط العطاء معاً ؛ ولاحظت على بعض المواد ، وهى تتلخص فى أن المستر باركر الأنجليزى بالأصالة عنه وبالنيابة عن آخر فى لندن طرف أول ، والسيد مصطفى والسيد الأمام الأدريسى طرفاً آخر، يطلبون أخذ امتياز معدن البترول وما يوجد من المعادن الأخرى فى جزيرة فرسان لمدة خمسين سنة ، ولهم الحق فى مد هذه المدة خمسين سنة أخرى عند اتفاق الطرفين ، وقبل مضى المدة الأولى بسنة واحدة . وأن كل الأدوات اللازمة للعمل لايؤخذ عنها جمرك ، وأن الأرض تبقى فى ملكية الامام ، وعليه أن يحمى العمال بحراس فى نظير ثلاثة آلاف جنيه سنوياً

تدفع مقدماً ، وله أن يعين مأموراً ليقيد في دفتر خاص الصادر من المعادن ، وأن يخصص مندوباً لحضور الجمعية العمومية ، ويحث ميزانية الشركة أو الشركات التى يؤسسها طالبا الامتياز، وذلك على مصاريف الشركة ، وللامام الحق في ربع الأسهم مجاناً ، وللاهالى أن يكتتبوا بعشرة في المائة توضع تحت تصرف السيد مصطفى .

وكانت ملاحظاتى ، خاصة بأن الشروط لاتبين الجهة التى تحسم الخلاف إذا وقع بين المتعاقدين ، ولم تحدد المدة التى فى خلالها يبتدىء العمل، ووعدته أن أتكلم مع بعض الماليين الأمريكيين الذين سيفدون إلى مصر قريباً ، بواسطة سفير أمريكا وكان الأمير محمد على قد وعدنى أن يقدمنى له مع توصية منه . ولما قابلته وحادثته فى الموضوع قال لى : إن مدير شركة البترول الأمريكية قدم إلى مصر ثم سافر إلى فلسطين وسيعود لمصر فى ١٤ مارس فأقابلك معه .

ولكن هذه المقابلة لم تتم، وأهمل المشروع كله بعد ذلك بسبب بسط نفوذ ابن السعود على بلاد الادارسة .

أسرار عن مسألة طابه : ورد ذكر هذه المسألة فى القسم الأول من حكم عباس وفى يوم ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣ أخبرنى عزت باشا العابد أنه كان قد بلغ الانجليز أن الدولة ستحدث تعديلا فى الحدود بين مصر وفلسطين نظراً لما كانت تنويه من إعطاء امتياز للالمان بأنشاء سكة حديدية فى فلسطين ، فأوعزت لندن إلى كرومر أن يستعلم من الغازى مختار باشا عن ذلك فأجابه بخشونة قائلا : « وهل الدولة العلية غير مستقلة ؟ — أو ليس لها الحق فى عمل ماتريد »

وعندئذ انتقلت المخابرات إلى الآستانة . وقد وافق عزت باشا العابد ، وزكى باشا مشير الطوبخانة ورضا باشا السر عسكر على جعل رأس محمد الحد الفاصل بين البلادين .

ولكن أبا الهدى الصيادى ويوسف رضا باشا رئيس قومسيون أسكان المهاجرين وكان ميالا للروسيا ، أرسلا تقارير سرية للسلطان عبدالحميد ، بأن رأس « محمد » رمز معناه أن محمد رشاد الخامس سيقتسم الحكم مناصفة مع جلالته ! فذعر عبد الحميد لهذا ! وحنق على عزت باشا ومن معه ،

الملك فؤاد لايأذن لى بالمقابلة : فى يوم ٢٩ سبتمبر عدت من الآستانة إلى

الأسكندرية فذهبت إلى سراى رأس التين ، وطلبت من التشريفاتى النوباتجى أن يحدد لى ميعاداً لمقابلة جلالة الملك

وفى يوم ٣ اكتوبر تكلمت تليفونياً مع سعيد ذى الفقار باشا فى هـــذا الموضوع ، فقال: إن جلالة الملك مشغول كثيراً ، وسألنى عما اذا كنت قد سافرت الى القاهرة بعد عودتى من الأستانة، فقلت لا . فأجاب : حينئذ يمكنك السفر وعند رجوع جلالته لمصر سينظر فى طلب المقابلة

وبعد ذلك لم يأتنى خبر !

وقد علمت من مصدر أثق به نقلا عن الملك انه قد وصل الى علمه اننى أقوم بدعاية لعباس فى جمعية الرابطة الشرقية (سيأتى فصل خاص بها فى ملحق)

ملحقـــــات

جمعية الرابطة الشرقية — مطاوماتي من عباس
صلات عباس الشخصية — تحليل شخصية عباس

جمعية الرابطة الشرقية : تألفت هذه الجمعية سنه ١٩٢٢ وبقيت حتى سنة ١٩٣١ وقد آثرت جمع أخبارها فى فصل واحد حتى أعطى القارىء صورة كاملة عن أعمالها

مهد الجمعية : دعا ميرزا مهدى رفيع مشكي بك سر تجار ايران جماعة من أصدقائه الأفاضل بمنزله ، وكان منهم المصرى والسورى والعجمى والتركى . وبعد العشاء أخذوا بأطراف الحديث ، فقال احمد زكى باشا أحد المدعوين : ها نحن أولاء اجتمعنا ونحن من أمم شرقية مختلفة ، فهلا يستطاع القيام بعمل نافع من هذا الاجتماع ؟

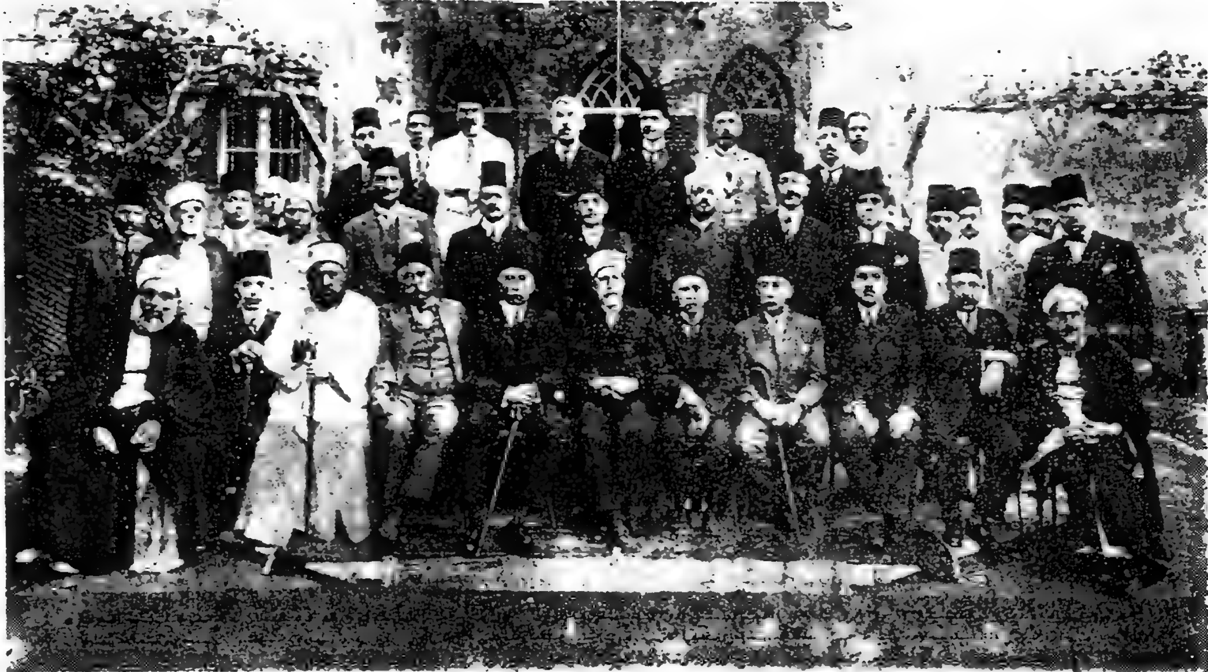
ثم هداهم التفكير الى انشاء جمعيه تربط أفراد الشرقيين وتقوى ما بينهم من العلاقات أسموها « جمعية الرابطة الشرقية » واختاروا للرياسة السيد عبد الحميد البكرى أحد الحاضرين وللسكرتيرية احمد زكى باشا



النبيل اسماعيل داود

انضمامى لها : ولما سمعت بهذه الفكرة مما نشر عنها الصحف كتبت لكاتم السر أحبذها ، وأعلن رغبتى فى الانضمام فجاءنى الرد باعتبارى عضواً بها مع الترحيب والسرور

الاجتماع الأول : وفى يوم ١٩ فبراير اجتمع الأعضاء في دار الرئيس بسراى الخرنفش ، وحضر الاجتماع أكثر من خمسين بينهم الأمير يوسف كمال ، والنبيل اسماعيل داود ؛ وألقى السيد البكرى خطبة قيمة . وقد اقترحت اسناد رياسة الشرف الى الأمير يوسف كمال ، ولكن



أعضاء جمعية الرابطة الشرقية

سره اعتذر ، وطلب ان تظل الرياسة للسيد البكرى ، ثم جرى الانتخاب لمجلس الادارة ، فانتخب السيد عبد الحميد البكرى رئيساً ، والشيخ محمد بخيت والسيد رشيد رضا نائبين ، واحمد زكى باشا كاتم سر ، ومعه ثلاثة مساعدين أحدهم عربى ، والثانى تركى ، والثالث فارسى ، وميرزا مهدى رفيع مشكى بك أميناً للصندوق والسيد محمد الغنيمى التفتازانى . وصالح جودت بك القاضى ، وحبيب لطف الله بك والأستاذ أميل زيدان ، والشيخ عبد المحسن الكاظمى ، والدكتور محجوب ثابت والشيخ مصطفى عبد الرازق ، وصاحب المذكرات أعضاء

أغراضها : أما أغراض الجمعية ، فقد حددها قانونها بأنها توثيق الروابط بين الأمم الشرقية بالتعاون الفكرى بينها ، ودرس حضارة الشرق ، وما يناسب اقتباسه لنهضته من الحضارة الغربية ؛ وأن تتوسل الى ذلك بالوسائل العلمية والاقتصادية — وبث دعوتها بالقلم واللسان ، وايفاد بعض رجالها الى البلاد الشرقية للتعارف والتآلف وانشاء شعب فيها ، وعقد مؤتمرات دورية فى جهات متعددة لتبادل الأفكار وللبحث فى شؤون الجمعية ومراحلها العملية وتكوين نادٍ للاجتماعات والقاء الخطب والمحاضرات واستقبال الوافدين على مصر من كبراء الشرقيين وفضلائهم ، واصدار مجلة تنشر المباحث العلمية والاقتصادية والأدبية ، وتحيى بواسطتها آثار السلف ولتقوم مقام السفير بين أمم الشرق

اعتقال عضو فى الجمعية والأفراج عنه : وفى يوم ٢٣ ابريل قرر مجلس الادارة السعى للافراج عن الدكتور محجوب ثابت[1] الذى اعتقل بالواحات الداخلة . وقد أنتج هذا السعى وأفرج عنه

مهمتى لدى عظماء الأستانة : وفى يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٢٣ قرر المجلس انتدابى من الجمعية لدى عظماء الأستانة بمناسبة سفرى إليها للسعى فى سبيل نشر اسم الجمعية لخدمة الشرق والشرقيين مع تفويضى فى التصرف بما يناسب أغراض الجمعية

وبعد عودتى عرضت على المجلس فى جلسة ٦ نوفمبر نتيجة مهمتى وهى :

مقابلتى للخليفة وحديثى معه عن الرابطة : قابلت جلالة الخليفة فعرضت عليه قانون الرابطة ولائحتها الداخليـــة ، فقابلنى ببشاشة وقال : إنه يتذكرنى من أيام وجودى بالأستانة عند ما كنت أقابله مندوباً من الخديو لابلاغه تحياته ، وإنه

(١) صورته مع أعضاء مجلس الادارة وستأتى

مسرور برؤيتي . واستعلم مني عن الرابطة فقدمت له قانونها مجلداً تجليداً فاخراً فاطلع عليه جلالته ، وقرأ مقدمة قانونها وشكرني على تعريفه بها ، وكان يجهلها ، وتمنى نجاحها ، وكلفني تبليغ أعضاء مجلس إدارتها شكر جلالته على تقديم القانون.

ثم قلت لجلالته : « إن غرض الجمعية غير سياسي ولا ديني ، فهي جامعة لعموم الشرقيين من جميع الأديان، وبقانونها مادة تحرم الاشتغال بالسياسة وإنما غرضها التعارف والتآلف بين أمم الشرق بتقوية الصلات الودية والاقتصادية » : فسر جلالته بذلك .

ثم قلت : « إن مما يحقق هذا الغرض إنشاء فرع لبنك مصر بالاستانة » فقال : « إنني أفكر في دعوة أمم الشرق التي لها مصارف إلى إنشاء فروع لها بالأستانة ، وفي اقتراحك بتقوية العلاقات الاقتصادية بين تركيا ومصر » . قلت : « إن الصلات الاجتماعية قديمة وباقية وأن التجارة يحسن تقوية روابطها بين مصر وتركيا فان بعض البلاد التركية كأزمير المشهورة بمتاجرها تأتي منها المتاجر على مراكب غير تركية ، وبعضها قد لا يمر بأزمير ، ولهذا يفكر المصريون في إنشاء وابورات بحرية لسفر الركاب والمتاجرة ببحار الشرق ، وكم يكون من المستحسن إيجاد روابط بين مصلحة السفائن التركية والشركة المزمع إنشاؤها » فتمنى جلالته أن يتم ذلك .

مقابلة ممثل أنقرة : وبعد هذا قابلت عدنان بك ممثل أنقرة الرسمي بالاستانة وحادثته بخصوص الرابطة ، وقدمت له قانونها ونسخة أخرى لرفعها إلى الغازي مصطفى كمال فوعد بتقديمها إليه . وقد كنت عازماً على السفر لأنقره لولا ماعلمته من أن الغازي مشغول ، فاكتفيت بأن أترك له مع عدنان بك رسالة لفخامته كانت معي من الأمير عمر طوسن يعرفه بي فيها .

وعند خروجي من الباب العالي قابلت أحمد جودت بك الصحفي التركي المشهور فدعاني إلى إدارة جريدته إقدام . وقد عرضت عليه فكرة الرابطة فاستحسنها .

مقابلة الحاكم العسكري للاستانة : ثم زرت رأفت باشا الحاكم العسكري وتحادثنا في شأن الرابطة فقال : « إن تركيا مشغولة الآن بشئونها الداخلية » وقد استحسن فكرة إنشاء فرع لبنك مصر بالاستانة .

دعايتي لها في الاستانة : ثم حضر عندي عمر رضا بك مراسل الأخبار ، وهو

معلم اللغة الأنجليزية للخليفة ، وحادثني في جملة موضوعات تتعلق بمصر والدولة وسألني عن الرابطة الشرقية ، وعما فعلته للان ، فأجبته بأن أغراض الجمعية عظيمة أما ماصنعته فشيء قليل نظراً لحداثتها ، فهي تستقبل عظماء الرجال الشرقيين عند مرورهم بمصر ، وتؤلف بينهم وبين المصريين ، والمخابرات متبادلة بينها وبين عظماء الشرق؛ ويهم الرابطة أن تنشيء لهاشعباً بالدول الشرقية لتقوية الصلات بينهما . وأن الرابطة ستقوم قريباً بعمل تظهر به وهوالسعي في جمع الاعانات للمسجد الأقصى .

ووزعت عدة نسخ من قانون الرابطة على الصحف المهمة وكبار رجال الدولة .

وقد استنتجت أن مسألة إيجاد شعبة للرابطة متعـــذرة بسبب اضطرابات الأحوال ، وكان سليمان البستاني الوزير السابق وعد بالمساعدة في إنشائها . ولكنه أشار بتأجيلها .

وسالة شكر إلى الخليفة : وبعد أن عرضت هذه التفصيلات على مجلس الادارة قرر إرسال الخطاب الآتي للخليفة :

« حضرة صاحب العطوفة كبير أمناء جلالة الخليفه الأعظم » .

« السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فقد عاد إلى مصر حضرة صاحب السعادة احمد شفيق باشا أحد أعضاء مجلس إدارة جمعية الرابطة الشرقية ، فأبلغ ذلك المجلس أنه طبقاً لما عهد إليه قد تشرف بأن رفع إلى سدة مولانا الخليفة ـ أيده الله ـ خبر إنشاء جمعية الرابطة الشرقية بمصر ، وأبان لجلالته أغراضها السلمية العمرانية ، التي ترمي إلى تأييد روابط التعارف والتآلف بين أمم الشرق وشعوبه بلا تمييز بين الأجناس والأديان ، وأن جلالته تفضل بأظهار عطفه العالي على تلك المقاصد ، وتكرم حفظه الله فكلف سعادته تبليغ ارتياحه مع سلامه السامي إلى أعضاء مجلس الأدارة ، فتقبل أعضاء المجلس المجتمعون اليوم لذلك تحيات جلالته وعطفه الكريم برفع أكف الدعاء بطول حياة جلالته مؤيداً للمبادىء الكريمة معضداً للمجهودات القويمة ؛ وقرر بالأجماع تحرير هذا الخطاب . راجين من عطوفتكم رفع فروض شكرهم بالنيابة عن جميع أعضاء الرابطة الشرقية مختلفي الأجناس والمذاهب إلى سدته العليـا .

« أدامه الله مظهراً للعناية الربانية ، مؤيداً بالرعاية الصمدانية »

إحياء ذكرى جمال الدين بالرابطة : وفي يوم ٩ مارس سنة ١٩٢٤ أحيت الرابطة بسراي البكري ذكرى وفاة المرحوم السيد جمال الدين الأفغاني ، فتكلم

ميرزا مهدى بك عن تاريخه والأستاذ مصطفى عبد الرازق عن نظريته فى ربط الشعوب الشرقية .

تدخل الجمعية فى الحرب الحجازية العمومية : وفى يوم ٥ اكتوبر وردت للرابطة برقية من السيد أمين الحسينى جاء فيها :

« أبرقنا لنجد لحقن الدماء ، وصون الأماكن المقدسة فنرجو ابراقكم بمثل ذلك ، ونقترح إرسال وفد منكم لجدة ليشترك مع سائر الوفود الاسلامية بالسعى لحقن الدماء ، وصون حرية البلاد المقدسة ، والتوسط فى حل المشكل بما يضمن المصالح الأسلامية والعربية »

فعقدت جلسة لمجلس الأدارة فوق العادة وتقرر إرسال برقية لجلالة ملك الحجاز ، وعظمة سلطان نجد على يد جناب الحاج ميرزا محمد على قنصل ايران بجدة ، وعضو الرابطة الشرقية هذا نصها :

« قنصل ايران بجدة . أبلغوا باسم الرابطة الشرقية النص الآتى للجلالة الهاشمية والعظمة السعودية : إن الخلاف القائم بينكما يسوء الرابطة الشرقية التى لها شرف العمل على توثيق الروابط السلمية بين أمم الشرق جميعاً ، فنناشدكم باسم الأنسانية ، العمل بروح الوئام لفض الخلاف ، وتقرير السلم حقناً للدماء الزكية ، وصوناً للبقاع المقدسة ، كما هى أمنية الشرق والشرقيين »

فرد جلالة ملك الحجاز بأنه يشايع الرابطة الرأى في العمل على حقن الدماء والوصول إلى السلم

ولم يرد عظمة السلطان ابن السعود .

افتتاح نادى الرابطة : وفى يوم ٩ يناير افتتحت دار الرابطة بشارع سامى بالقرب من المالية ، فدعا مجلس الأدارة عدداً من العظماء والعلماء ومحررى الصحف

وبعد ما أديرت أقداح الشاى وأطباق الحلوى أخذت صورة للمدعوين مع أعضاء الرابطة ، ثم ألقى السيد عبد الحميد البكرى كلمة الافتتاح فبين فيها ضرورة اتصال البلاد الشرقية وترابطها ، وأعلن افتتاح دار الرابطة .

ثم تكلم السيد الغنيمى التفتازانى عن جهود الجمعية الثقافية والعلمية وقرأ نص برقية أرسلتها الجمعية إلى سراى عابدين بمناسبة افتتاح دارها

وتحدث ميرزا مهدى بك عما رآه فى الجمعية من غيرة على الشرق والشرقيين وتمنى لها مستقبلا سعيدا فى جمع شمل الشرق

وأخيرا ألقيت كلمتى ، وفيها شبهت مصر بقلب الشرق النابض ، وأنه ليس بعجيب أن تتألف الرابطة الشرقية فيها ، فترتبط جميع الأطراف وتجمعها

عطف الرئيس ولسن : وفى أول ابريل أصدرت الرابطة مجموعة من خطب الرئيس ولسون ورسائله فى السنوات من ١٩١٣ إلى ١٩١٩

وهذه المجموعة أرسلها الدكتور ولسن للرابطة بواسطة صديقه الحميم مستر تشارلس كراين سفير الولايات المتحدة فى الصين سابقاً ، ورئيس اللجنة الأمريكية التى طافت الشرق الأدنى لسؤال أهله عن رغائبهم قبل أن يبت مؤتمر الصلح فى تقرير مصيرهم .

وكان قد مر بمصر سنة ١٩٢٢ كما ذكرت ، فسمع بالرابطة الشرقية فزارها فى سراى الخرنفش ، ثم سافر إلى الولايات المتحدة ، وكان مما حدث به صديقه الحميم الدكتور ويلسون خبر الرابطة ، فأعجب بها وأحب أن يشجعها فى أعمالها ، فانتخب هذه المجموعة وكلف مستر كراين أن يوصلها للجمعية لترجمتها إلى بعض اللغات الشرقية ونشرها فى الشرق ، ووعد بأن يكتب لها مقدمة بقلمه .

وقد عاد مستر كراين سنة ١٩٢٣ وسلم هذه المختارات للرابطة ، وبلغها عطف الرئيس ولسن وإعجابه .

ولكن الموت حال دون كتابة المقدمة التى وعد بها إذ توفى قبل طبعها .

مساعدة الجمعية لجرحى الريف بمراكش : فى يوم ٩ يونيو عرضت على مجلس إدارة الرابطة رسالة وردت إلى من الأمير عمرطوسون ، بخصوص مساعدة جرحى الريفيين بمراكش ، فتقرر أن تقوم الجمعية بعمل نداء لاستنداء الأكف لمساعدة هذا المشروع ، وتبرع الأعضاء الحاضرون بمبلغ ١٣٨ جنيهاً وقد كتب الأمير شاكراً للجمعية عملها .

تدخلها فى حوادث دمشق : وفى جلسة ٢٧ اكتوبر عرضت برقية من موسى كاظم باشا رئيس اللجنة التنفيذية بفلسطين ، تصف الفظائع التى ارتكبت فى دمشق وغيرها من مدن سوريا ؛ فقرر المجلس الاحتجاج لدى عصبة الأمم ورئيس وزراء فرنسا ورئيسى مجلس الشيوخ ومجلس النواب بها وبعض صحفها .

وهذا هو نص الاحتجاج :

« إن جمعية الرابطة الشرقية تحتج بكل قواها باسم الانسانية لدى عصبة الامم على الفظائع الواقعة في سورية وهى فظائع تستوجب أشد الاستنكار من الشعب الفرنسي نفسه .

« إن أكثر المدن عمرانا من مدن سورية قد أصبح معظمها فى هذا اليوم ركاما من الخرائب والاطلال ؛ أما مدينة دمشق المقدسة فقد كان نصيبها أكثر هولا وأشد مصاباً ولاسيما فى أحيائها التاريخية والآهلة بالسكان والتجارات ، فقد أصبح الألوف من النساء والشيوخ والأطفال ـ عدا القتلى ـ بلا مأوى يعانون نهاية الآلام من الفاقة البالغة ؛ وفوق هذه النكبة فغير مسموح للنساء بأن يخلصن بأنفسهن من هذا الجحيم

« إن العالم المتمدن لا يمكنه أن يبقى ساكناً ، أو أن يغمض الطرف بازاء هذه الفظائع التى يعجز عنها الوصف ، وأن جمعية الرابطة الشرقية أمام هذه الأهوال تناشد العصبة عواطفها الخيرية ، وتضامنها الانسانى ، لتضع نهاية سريعة لهذه الاعمال التى تثير الغضب فى سريرة كل انسان »

مساعدتها للنكوبين فى سوريا : وكذلك وجهت الرابطة نداء لجمع التبرعات للنكوبين في سوريا وتبرع المجلس بمبلغ ٨٢ جنيها ، وبلغ مجموع التبرعات التى جمعتها الرابطة ١٢٠٠ جنيه تقريباً

وأرسلت الجمعية برقية لحكيم أجمل خان الزعيم الهندى الكبير فى دلهى وهذه هى صورتها :

« ضرب مدينة دمشق آثار عطف العالم الشرقى والآثار الاسلامية التاريخية تهدمت . كذلك كان حظ حماه . تدمر المدن والقرى . وتفرض الغرامات الباهظة . والأهالى غير قادرين على الدفع ، الشتاء يقترب بقره مهدداً بالجوع عشرات الألوف من النساء والأولاد والشيوخ .. والأرض لم تزرع . الرابطة الشرقية ترجو مساعدتكم لدى الشعب الهندى الكريم ، وصحافته الشريفة ، لاعانة السوريين وللاحتجاج على المظالم . قد افتتحنا الاكتتاب هنا »

وقد جاء الرد بالبرق بالصورة الآتية :

« نشكركم على برقيتكم . كل الجهود مبذولة فى الهند وفى الخارج . لنا الثقة أن كل الأحزاب المصريه تتعاون لتخفيف مصاب إخواننا المنكوبين . نرجو اهداء تحياتنا إلى أحمد شفيق باشا »

بحث فى الأزياء والتقاليد الشرقية : فى يوم ١٢ ابريل سنة ١٩٢٦ دعوت أعضاء الرابطة لتناول الشاى بدارها ، وبعد ذلك عرضت أن يكون موضع سمر الليلة مناقشة الأزياء والتقاليد الشرقية ، وطرحت عليهم الأسئلة الآتية :

١ — هل يجب أن نستمر نحن الشرقيين على تقاليدنا ومظاهرنا كما هى . أو أننا ندمج في العوائد والأخلاق الغربيـــة . أو أننا نحتفظ بتقاليدنا وعوائدنا الحسنة ونستبدل بعض الظواهر والتقاليد القديمة بأخرى غربية مما يفيدنا ولا يتنافى مع العادات القومية الصحيحة ؟

٢ — وإذا قررنا التجديد فما هى المظاهر القديمة التى يلزم تغييرها بمظاهر جديدة تنطبق على قواعد الصحة والاقتصاد .

٣ — وهل ينبغى إذا تقرر تجديد الزى أن تتميز كل فئة فى الشعب بزى مخصوص يناسب حالتها وطقوسها الذاتيـة ؟ .

دارت المنـاقشة فى هذه الأسئـلة وتناولها سماحة الرئيس وسعادة الوكيـل وعبد الرءوف بك زكى والشيخ محمود أبو العيون وصالح بك جودت والدكتور منصور فهمى والأستاذ نسيم صيبعه ، وظلت المناقشات إلى ما يقرب من منتصف الليل .

وقد ألفت بعد ذلك جمعية للنظر في الموضوع من جميع جهاته الاجتماعيـة والاقتصادية والصحية ، وعقدت عدة جلسات لهذا الغرض ، وعرضت عليهـا زياً مبتكراً قليل النفقات ومناسبا للطقس في مصر ، نال استحسان الكثيرين ، ولكن لم تنته المسألة إلى شىء عملى

صلة الرابطة بالجمعيـات فى الشرق : وفى ١٧ نوفمبر اقترحت إيجاد صلات بين الرابطة والجمعيات بالشرق ، فتقرر بعد تلاوة المذكرة المقدمة منى للمجلس في هذا الشأن ، أن ترسل جمعيتنا للجمعيات العلمية والأدبية فى الشرق بطلب قانونها ومطبوعاتها تمهيداً لعقد الصلات معها

وفى ١٠ ابريل سنة ١٩٢٧ اقترحت تأليف لجان داخلية للرابطة لدرس شئونها ولجان لمعرفة أحوال البلاد الشرقية .

وقد تقرر تأليف لجنة تنفيذية ولجنة مالية . ثم لجنة عربية للبحث فى شئون بلاد العرب والعراق وسوريا ، ولجنة تركية للبحث فى شئون تركيا ، ولجنة فارسية للبحث فى شئون فارس وأفغانستان وبلوخستان وشمال الهند ، ولجنة هندية لدراسة

شئون الهند ، ولجنة الشرق الأقصى لدراسة حال الهند الصينية وبلاد الملايو والصين واليابان ، ولجنة المغرب لدراسة شمال افريقية واللجنة الافريقية لدراسة الحبشة والسودان ، على أن يعجل بتأليف اللجان الثلاث الأول ، ويترك الباقى للظروف .

وفى ١٥ ديسمبر قدمت اقتراحا بطريقة استقبال الرابطة لجلالة ملك الأفغان وتقرر نشر تحية من الرابطة لجلالته يوم قدومه بالصحف ، وارسال تلغراف تهنئة له مع الجنرال غلام جيلانى خان سفير جلالة الملك بأنقرة .

اصدار مجلة الرابطة ومقالاتى بها : وفى جلسة ٥ ابريل سنة ١٩٢٨ تقرر فتح اكتتاب لاصدار مجلة تعبر عن أغراض الرابطة ، وتنشر مبادئها ، فتبرع سمو الأمير يوسف كمال بمبلغ خمسين جنيها ، وسمو الأمير عمر طوسن بمبلغ عشرين جنيها ، والسيد على بك الرفاعى بعشرين جنيها ، والسيد البكرى بعشرة جنيهات ؛ وتبرعت بمبلغ ستة جنيهات وربع الجنيه شهريا . وقد أسندت إلى ادارة المجلة .

وقد صدر العدد الأول منها يوم ١٥ اكتوبر ، وكتبت به مقالة بعنوان : « جمعية الرابطة الشرقية . ماضيها . حاضرها . مستقبلها » ومما جاء فيها :

« منذ أكثر من جيل استيقظ الأمل فى قلوب الشرقيين ، ودب النشاط فى نفوسهم ، فظهرت فى الشرق نهضات مشورة ، لم تزل تعالج العوائق المحلية ، وتكافح المناهضات الخارجية ، وأخذت تبدو لها آثار تقوى الأمل .

« لفت ذلك أنظار بعض المفكرين من أفذاذ الشرقيين الى تنظيم هذه الجهود ، وتوجيهها وجهة صالحة متكاتفة متضامنة .

« ترددت هذه الفكرة فى الأذهان ، وألحت على الرءوس ، حتى اختمرت في مصر قبل باقى الأقطار الشرقية . ولاغرو فمصر بالنسبة للشرق منارة ، ولأهله قبلة ، إذ ليس بين بلدان الشرق اليوم من لها مميزات مصر ، وذلك لتوسطها بين القارات ، ولما لأهلها من دماثة تجعلهم يعتبرون كل شرقى بالنسبة لوادى النيل وطنياً . ومعاهدها العلمية ــ الأزهر والجامعة ومختلف المدارس ــ مازالت ترحب أكرم الترحيب بجميع رواد العرفان من شباب الشرقيين . حتى نبغ منهم عدد ليس بالقليل ، ومنهم من انتظم فى سلك خدمتها الحكومية ، فأدى لها خدمات عظيمة .

« ومصر ، فوق ذلك ، قنطرة الشرق الى الغرب ، وواسطة عقد الثقافتين ، ونقطة اتصال الحضارتين .

« ثم عرضت برنامج الجمعية وما قامت به من الأعمال العامة منذ نشأتها ، وختمت الكلمة بما يأتى :

« الى هـذه الوسائل الأدبية ينبغى أن تشجع الجمعية المشروعات الاقتصادية التى يقوم بها أبناء الشرق مجتمعين ، كتأسيس شركات برأسمال شرقى ، لاستثمار الأراضى بريها ، واستخراج ما تحتوى من كنوز ثمينة ، ومعادن نفيسة ، وإنشاء الطرق ، وتحسين المواصلات ، لاستخدامها في نشر التجارة وتعميمها ، متبعة فى ذلك الأساليب الفنية الحديثة . وليس لدينا شك فى أن « بنك مصر » لايتباطأ فى تقديم العون الممكن لجميع الشرقيين فى هذا السبيل .

« اذا حققنا ذلك البرنامج ، ووصلنا الى هذه الغايات المحددة ، انتظم حالنا ، واستطعنا أن نرفع رءوسنا ، شاعرين بمجدنا الشرقى ، وكبريائنا القومى ، وسايرنا الغرب فى مدنية تضارع مدينته ، وحضارة تناسب حضارته .

« عندئذ يكون الشرق حقاً للشرقيين . والله ولى التوفيق »

وفي العدد الثانى كتبت مقالة بعنوان : « الشرق غنى فى أرضه . فقير فى أهله » وبما جاء بها :

« تكاتفت دول الغرب على أمم الشرق فوضعت فيما بينها نظاماً حددت فيه مناطق النفوذ لكل واحدة منها حتى لايطغى بعضها على بعض .

أحست الأمم الشرقية بالضغط والارهاق المادى الذى كاد يذهب بثروتها ، فأخذت فى الذود عما بقى بيدها ، واسترداد ماذهب منها .

« وهى في نهوضها هذا فقيرة فى بعض نواحيها يعوزها المال مقفرة فى النواحى الأخرى ينقصها العلم والنبوغ . لهذا فواحدة منها لاتستطيع النهوض وحدها بكل مايوصل الى تحقيق الأغراض المرجوة ، والآمال المرموقة .

« من أجل ذلك نرى التضامن بين هذه الأمم الشرقية ، وعقد حلف معنوى اقتصادى مقرباً لهذه الغايات البعيدة

« قد لايكون يسيراً عقد حلف رسمى بين أمة وأمة ، والحال كما هى الآن فى الشرق فلادخال المسألة فى حيز الامكان والعمل ، نقترح بادى الرأى إنشاء شركة مساهمة ذات رأس مال لاتشترط ضخامته أولا ، بل يزاد عند الاقتضاء ، توزع أسهمها بين الشرقيين في مختلف البلدان . وتكون أسمية ، كى لاتتسرب الى الأيدى الأجنبية ويكون مركزها فى مصر — لتوسطها بين القارات الثلاث ولأنها البلد الذى يعيش

فيه أكثر عدد من مختلف الاخوان الشرقيين — ويكون من أغراض هذه الشركة

(أولا) درس وتحضير البحوث الوافية فى المشروعات المالية والاقتصادية فى كل قطر من أقطار الشرق، سواء أكان لحسابها الخاص أم لحساب غيرها من أبناء الشرق أم بالاشتراك معه؛ ويحسن أن تقوم بهذا العمل هيئة مصرية فنية تجوب الاقطار الشرقية تدريجياً وتتفق مع حكوماتها وأهلها على الأعمال الضرورية لها.

(ثانيا) السعى فى إيجاد رءوس الأموال لتنفيذ ما يتقرر من هذه المشروعات.

والابحاث المشار اليها هى التى يقصد بها إلى احياء موات أرض البلاد وتنمية ما فيها من بركة من نواحى الزراعة والصناعة مثل مشروعات الرى لشق الترع وإيجاد الأحواض والسدود والخزانات والآبار الارتوازية وتوليد الكهرباء؛ ثم مشروعات استقلال الصناعات بتأسيس المصانع واستثمار المناجم والمعادن من فحم حجرى ومنابع زيت البترول واستخراج الزمرد والياقوت والفيروز والمرجان واللؤلؤ والزبرجد الثمين القيمة. وكل ذلك موجود فى جزيرة العرب. نضيف إلى ذلك وإنشاء السكك الحديدية، وتسيير الترام والبواخر وغيرها من وسائل النقل.

« وأشد البلاد حاجة لهذه الشركات هى الواقعة على شواطىء البحر الأحمر، وأهم المشروعات فى الوقت الحاضر التى تفتقر اليها هذه البلاد هو انشاء شركة بواخر مشتركة بينها وبين مصر تديرها أيد شرقية، يعلم أصحابها حاجات المسافرين من اخوانهم حجاجاً وتجاراً، فيجد هؤلاء الراحة متوفرة على الصورة التى ألفوها وتجارتهم مصونة من كل عبث.

« ولعلنا نجد قريبا (لشركة مصر للنقل والملاحة) أسطولا تجاريا يقوم بهذا الغرض الضرورى العظيم بزيادة رأس مالها تخفظ للبلاد الواقعة على شواطىء البحر الأحمر حصصاً فى أسهمها؛ وبذلك يتحقق التضامن، وتتقوى ناحية من نواحى الرابطة الشرقية.

«تلك فكرة عرضت اطرحها على القراء الكرام رجاء بحثها وتمحيصها ونقدها بكل صراحة واخلاص حتى إذا ما وضح الرأى وجدنا الآخذين به من الدائبين على خدمة الشرق والشرقيين، ويد الله مع الجماعة».

تمثيلى للرابطة فى افتتاح المسجد الاقصى: انتدبتنى الجمعية لتمثيلها فى حفلة افتتاح المسجد الاقصى. وقد ألقيت كلمة شكرت فيها اللجنة التى قامت بتعمير هذه المقدسات لحفظها من التداعى والزوال.

ثم شرحت للحاضرين أغراض الرابطة التي انتدبتني عنها ، وما قامت به من جلائل الأعمال . ودعوت الى عقد مؤتمرات دورية في بلاد الشرق تضم مندوبين عنها للتعارف والدراسة والتقريب بين الجميع

وفي ١٤ أكتوبر تقرر أن تصدر الرابطة بيانا للحكومات والشعوب بمناسبة اعتداء اليهود على البراق تبين فيه حق المسلمين التقليدى فى هذا المكان ، وأن اعتداء اليهود عليه يسبب كثيراً من المشاكل وسفك الدماء ، وتدعو هذه الحكومات لمنع حدوث هذه المشاكل .

تدخل الجمعية للاصلاح بين الأحزاب فى جاوه : وفى ١٨ ديسمبر تقرر إنشاء شعبة للجمعية فى جاوه ، وأن تتدخل الجمعية لحسم النزاع القائم بين بعض الأحزاب فيها ، وقد نجحت فى تدخلها .

تقدير الملك فيصل لمجلة الرابطة : وفى ٢٣ فبراير سنة ١٩٣ ورد خطاب من ديوان الملك فيصل يبلغنى فيه تقدير جلالته لمجلة الرابطة وأنه تفضل بالاشتراك فيها وأرسل ١٠ جنيهات مقابل ذلك ، فتقرر كتابة رسالة بالشكر وهذا نصها :

« حضرة صاحب السعادة رستم بك حيدر — البلاط الملكى . بغداد .

« تشرفت لجنة مجلة الرابطة الشرقية بكتابكم المؤرخ ١٦ فبراير سنة ١٩٢٩ المتضمن أمر جلالة الملك بالاشتراك فى مجلة الرابطة الشرقية .

« ولقد قدرت اللجنة أحسن تقدير ذلك العطف الملكى السامى على المجلة ، ورأت تفضل صاحب الجلالة بالاشتراك فيها اشارة سامية إلى رضا جلالته عنها ، وذلك مما تغتبط المجلة به أكبر اغتباط ، ويحفز من همم الناهضين بها والقائمين فى خدمتها .

« وقد أنهت اللجنة إلى مجلس ادارة الجمعية تلك المبرة الملكية ، فاستقبلها بما هى أهله من جزيل الحمد والثناء وكلفنى أن أنوب عنه فى رفع آيات الشكر الوافر إلى عرش صاحب الجلالة مع عظيم الاجلال والاحترام .

« فأرجو أن تتفضلوا برفع ذلك إلى السدة الملكية العالية والسلام عليكم ورحمة الله . »

معونة الجمعية لعرب فلسطين المتهمين فى حوادثها : وفي ٣٠ أكتوبر ورد للجمعية كتاب من سكرتير اللجنة التنفيذية للمؤتمر السورى الفلسطينى ، يستنهض فيه بواسطة

مجلس إدارة الرابطة الشرقية سنة ١٩٢٩



من اليمين: احمد شفيق باشا. الشيخ محمد الغنيمي التفتازاني المساعد العربي. السيد محمد رشيد رضا نائب ثان. السيد عبد الحميد البكري (رئيس الجمعية) . الشيخ محمد بخيت نائب أول. الشيخ عبد المحسن الكاظمي احمد زكي باشا كاتم السر العام — وقوف، من اليمين: نور الدين مصطفى بك المساعد التركي. محمد رضا قزويني المساعد الفارسي. الدكتور محجوب ثابت بك. صالح جودت بك. ميرزا مهدي رفيع مشكي بك أمين الصندوق

همة المحامين المصريين للدفاع عن عرب فلسطين المتهمين أمام المحاكم الفلسطينية في المحاكمات الخاصة بحوادث فلسطين الأخيرة مع اليهود .

وقد أبلغ المجلس هذا الخطاب إلى نقابة المحامين الأهليين لانتداب من يتبرع منهم لهذه المهمة.

وقد تبرع للدفاع كثيرون من بينهم محمد على باشا وتوفيق باشا دوس والأستاذ مكرم عبيد (باشا).

الرابطة تقدم لى تذكارا : فى جلسة ٧ مايو سنة ١٩٣٠ اقترح السيد التفتازانى أن يقوم مجلس ادارة الرابطة بتقديم تذكار لى بمناسبة بلوغى سن الستين وتقرر أن يكون هذا التذكار اطارا ثمينا على الطراز العربى ، كتب به اسم الرابطة وتوقيعات أعضاء مجلس الادارة .

استقالتى من لجنة المجلة : وفى يوم ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٠ عرضت لستقالتى من لجنة المجلة ، بعد ان كف بصرى ، لعجزى عن القيام بهذه المهمة ، فتقرر استبقائى لعدم الاستغناء عن جهودى ومشورتى ، وحرصاً على راحتى تقرر اختيار محمد بك عبد الرسول كشميرى للقيام بادارة المجلة مالياً

فتور الرابطة ثم انقطاعها عن العمل : وبكل أسف بعد هذه المجهودات وبعد اتساع أعمال الرابطة ، وانتشار سمعتها فى الشرق والغرب حتى أمريكا . انتهت إلى فتور عن العمل ، أعقبه انقطاعه ، وانفراط عقدها

بعض عظماء الزائرين للرابطة : وبهذه المناسبة أذكر هنا بعض عظماء الزائرين الذين زاروا الرابطة في حياتها وهم :

من الهند حضرات السيد سليمان الندوى من أعظم كره — الشيخ عبد القادر القصورى من لاهور — الشيخ عبد الماجد القادرى بدوان — ابو المختار أمين احمد — الزعيمان للدكتور أجمل خان — « رحمة الله عليه » والدكتور انصارى من دلهى — السيد عبد الكريم الحسينى والدكتور عبد الحق وظهير الدين احمد من حيدر أباد الدكن وسمو الأمير لوهار والفيلسوف الكبير طاغور والسيد أبو المظفر احمد وبندت موتيلال نهرو الزعيم الهندوسى وظفر على خان صاحب جريدة زمندار فى لاهور والحاج اسماعيل من لاهور والكاتب أبو سعيد العربى الصحفى والسيد أمير على



السيد أمير علي

ومن كابتاون بجنوب أفريقيا الامام عبد الرحمن قاسم جمال الدين رئيس مدرسة مسجد الأزهر ، والشيخ أحمد بن محمد بهاء الدين ، مدير العلوم الشرعية بمدرسة البرهامية الشافعية .

ومن حضرموت سمو الأمير صالح بن عوض القعيطي ، والسيد أحمد العطاس خليفة السادات ، والسيد محمد بن عقيل ، والسيد محمد بن هاشم ، وآل السيد أحمد بن عمر بن يحيي .

ومن نجد والحجاز الأمير سعود بن عبد العزيز والأمير عبد العزيز بن عبد الله والشيخ فوزان السابق ، معتمد جلالة ملك الحجاز ونجد والشيخ حافظ وهبه المستشار ، والشيخ يوسف يس مدير مطبوعات الحجاز ، والشريف يحيي عدنان ، والشيخ عبد الله سراج ، والشيخ صالح شطا ، والسيد محمد سعيد الدردير .

ومن الأفغانيين غلام حسين السفير فوق العادة، وعلى أحمد خان والى مدينة كابول ، وسلطان أحمد خان ، والجنرال غلام جيلانى ، وشير رضا وغيرهم .

ومن العراقيين جلالة الملك فيصل ، والشيخ عطا الله الخطيب مدير الأوقاف ، وفهمى بك المدرس ، أمين جامعة آل البيت .

ومن القدس الحاج أمين الحسينى ، مفتى القدس ورئيس المجلس الاسلامى الأعلى ، والأساتذة إسعاف النشاشيبى ، وجبر عادل ، وبندلى الجوزى ، وخليل بك الخالدى .

ومن سومطرا الحاج عبد الكريم أمر الله رئيس معلمى الدين الاسلامى بالمدرسة العليا ، ودرويش زكريا بمجلس سومطرا .

ومن مراكش سعادة قدور بن غبريط وزير السلطان .



السيد عمر بن أبي بكر

ومن تونس الزعيم الكبير السيد عبد الحميد الثعالبى بجامعة آل البيت ببغداد . وقد اختير عضواً بمجلس الادارة .

ومن جاوه السيد أبو بكر العطاس ، والسيد حسن بك أحمد العطاس ، ومختار لطفى رشيد .

ومن بولونيا يعقوب شنكر مفتيها .

عود الى الرابطة الشرقية :

بين الشيخ رشيد ومجلة الرابطة : فى يوم ٢٥ يناير سنه ١٩٢٨ قرأت للشيخ رشيد رضا نقداً مراً لمجلة الرابطة ، فى جريدة كوكب الشرق ، يتهمها فيه بنشر الالحاد ، لأنها نشرت مقالات لطه حسين ، وسلامه موسى ، وأحمد أمين ، مخالفة لمبادىء الرابطة وللدين الاسلامى .

وفى يوم ٢٣ فبراير ظهر العدد الثالث من المجلة وفيه رد شديد بقلم الأستاذ على عبد الرازق رئيس تحريرها على السيد رشيد رضا .

ولما اطلع عليه الشيخ تألم وتحادث مع السيد عبد الحميد البكرى قائلا إنه لا يسكت على ماورد بهذا الرد ، ولا سيما وصفه بأنه « دعى » لأن معناها الطعن فى نسبته لأبيه .

وعلمت يوم ٢٦ أنه أعد مقالة سيرسلها إلى كوكب الشرق ، قائلا : « إنها القنبلة الأولى ؛ وستتبعها قنبلتان أخريان ! » .

وفى يوم ٢٨ زارنى الحاج أمين الحسينى مفتى القدس ، وأكد لى أن الشيخ أرسل مقالة للكوكب . وطلب منى العمل على حسم الخلاف ، وأنه مستعد للتوسط . فحددت معه ومع الشيخ الزنكلونى موعداً للتفاهم .

وفى هذا الموعد علمنا أن المقالة نشرت فأرجأنا الحديث حتى نطلع عليها .

وكنا فى هذا اليوم مدعوين للافطار فى رمضان عند إسماعيل بك شيرين . وهناك قرأنا الكلمة فاذا هى شديدة اللهجة . وقد قر رأينا على الاجتماع بالشيخ رشيد . فقام التفتازانى ومحمد على الطاهر للبحث عنه ثم تحادثا معنا تليفونياً بأن الاجتماع سيكون عند الحاج أمين الحسينى حيث ينزل فى ضيافة بنك مصر .

وكانت النتيجة بعد العتاب وتصفية الموقف أن تقف هذه المناقشات من الجانبين ، وأن يعرض التفتازانى اقتراحين على مجلس الادارة : أولهما بتعديل قرار كان أصدره باستنكار خطة الشيخ رشيد ضد المجلة مع أنه عضو فى الرابطة ؛ وثانيهما بألا تخرج المجلة عن مبادىء الجمعية فلا تتناول المسائل الدينية ، وأن تعرض لجنتها على المجلس المقالات التى يحتمل أنها تثير ثائرة المسلمين .

وبناء على هـــذا الاتفاق تقرر أن أرسل لكوكب الشرق فى الصباح الباكر برسالة كتبها الشيخ بخطه ، يطلب فيها عدم نشر المقالة التالية ، وأن يذهب هو فى الساعة الثامنة صباحا إلى الجريدة ليؤكد عدم النشر .

وعلى الرغم من هذا نشرت الكلمة بدعوى أن الكوكب لم تقبل عدم النشر بعد صف حروفها . واعتذرت عن قبول تعويض مالى عرضه السيد أمين الحسينى مقابل فك الحروف . وهى تتناول الطعن فى السيد عبد الحميد البكرى لأنه رد فى العدد الثالث من المجلة رداً ضعيفاً على سلامة موسى ، وأظهر احترامه الشديد له .

وعند هذا الحد وقفت المعركة .

كلمتى فى حفلة عشاء جماعة الرابطة الشرقية : قررنا إقامة حفلات عشاء يجتمع فيها أعضاء الرابطة ليزيد التآلف بينهم ، وتكون فرصة للسمر وقضاء سهرات لطيفة . وكانت الحفلة الأولى فى صالة جروبى يوم ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٨ ؛ وحضرها بعض ممثلى البلاد الشرقية الرسمية . وقد ألقيت الكلمة الآتية :

« أصدقاءنا المحترمين ، زملائى الأوفياء :

« سنة مباركة تلك التى تجمعنا حول موائد دورية تضم عشيرتنا وأصدقاء فكرتنا ، لا يقيدها أى نظام ، فنتبادل الآراء بكل بساطة وود وإخلاص .

« سنة تعودتها مذ كنت طالباً فى مدرسة العلوم السياسية بباريس ، فكنا نجتمع مرة فى الشهر مدة الدراسة فى أحد المطاعم : طلبة ومتخرجين وبعض الأساتذة — حول موائد رفعت عنها الكلفة ، ولا يسود الحفـــل غير شىء واحد ، هو المساواة والإخاء .

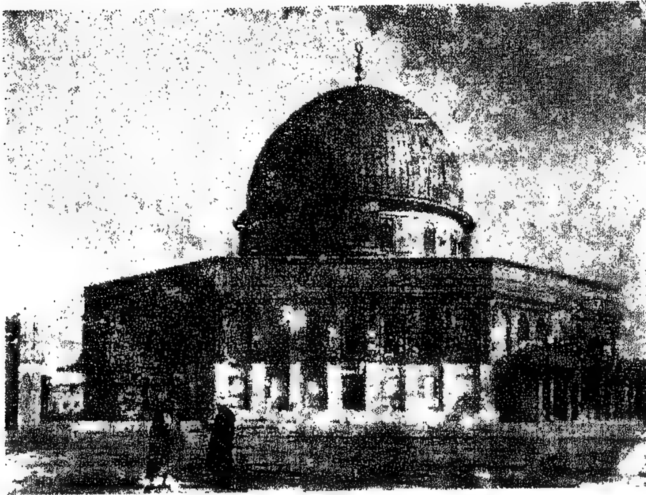
« لهذا فانى مغتبط جداً لقرار جمعيتنا الأخذ بهذه السنة الجميلة ، فأعادت إلىّ ذكرى الشباب ، وردت إلىّ متاعا غالياً ذلك هو متاع الانس بالأحباب .

« وقد سبقتنا صاحبة الجلالة الصحافة ، فنقلت هـذه العادة الحيدة عن البيئات المثقفة فى الغرب . ولا عجب ، أليست الصحافة هى دائماً واسطة نقل كل طريف مستحسن ، وجديد مرغوب فيه ؟ فلها منا مزيد الشكر .

« أيها الاخوان :

« إن سروري الليلة باجتماع شملكم لا يقدر ، وخصوصاً بتشريف حضرات أصحاب السعادة الممثلين لبعض ممالك الشرق ، وأرجو أن يتزايد في اجتماعاتنا المقبلة عدد من يتفضلون بقبول ضيافتنا من عظماء الشرق وأنصار الرابطة الشرقية ، لأن الجمعية تجد في هذا وسيلة حسنة للتعارف والتآزر وتوثيق عرا الصداقة والاتحاد بين إخواننا الشرقيين . سدد الله خطانا » .

كلمتي في حفلة افتتاح المسجد الأقصى : أشرت فيما سبق إلى انتدابي من جمعية الرابطة لتمثيلها في حفلة افتتاح المسجد الأقصى ، وإلقائي كلمة بالنيابة عنها . وها هو ذا نص الكلمة :



القبة المشرفة

« السلام عليكم ورحمة الله .

« أيها الشرقيون ، إخواني الأعزاء :

« جديرة أن نسميها أعياداً تلك الأيام السعيدة التي تجمعنا مواسمها عند ما نقوم بعمل من أعمال الاصلاح والتجديد .

« إن نهوض الشرق اليوم لاستعادة ما كان له من مكانة محترمة ومركز ممتاز أمر لا بد منه لمن يشعر فى أعماق نفسه بقيمة الحياة وخطر الوجود .

« وإنى لسعيد إذ منحتنى جمعية الرابطة الشرقية شرف تمثيلها فى الاحتفال بافتتاح الحرم القدسى الشريف بعد تعميره ، وحملتنى إليكم وإلى جميع إخواننا الشرقيين الذين تنبض عروقهم بدم واحد ، وتفيض نفوسهم باحساس واحد ، أبلغ ما يهدى من التحايا وأجمل ما يرجى من السلام .

« كما كلفتنى أن أنوب عنها فى تقديم شكرها الجزيل وثنائها العاطر إلى اللجنة الموقرة التى أشرفت على عمارة « بيت المقدس » ، والتى سجلت أولا بعملها الخالد مبلغ الاهتمام ببيوت الله المقدسة ، وأتاحت ثانياً الفرصة لأن نجتمع كشرقيين من مختلف الديار والأقطار ، فنتناجى على القرب بما نحن به نحو وطننا العام ألا وهو « الشرق » .

« لهذه اللجنة الموقرة من الرابطة الشرقية ومنى أبلغ عبارات الثناء ، ولرئيسها الوطنى الغيور السيد محمد أمين الحسينى أسمى ما يكتب فى صحف العاملين من آيات الذكر الحسن والشكر الجميل .

« والآن اسمحوا لى أيها الاخوان بكلمة عن جمعية « الرابطة الشرقية » ، فهى جمعية تأسست عام ١٣٤١ الهجرى فى مدينة القاهرة من مصريين وغير مصريين ؛ وكان من أول أغراضها نشر علوم الشرق وآدابه ، والبحث فى شئونه الاجتماعية والاقتصادية ، وتكوين صلة بين أرباب الرأى والقلم منهم على اختلاف أجناسهم لتبادل الآراء والمعلومات فى هذا السبيل ، ثم لتكون رسول سلام بين الأمم الشرقية التى لها من سوابق تواريخها المجيدة وحضارتها القديمة وتقاليدها القويمة ومدارك أفرادها العالية وموارد ثروتها الثمينة ما تستطيع به أن يخدم بعضها بعضا وأن تتضامن فى سبيل إسعاد المجتمع الانسانى وتوجيهه لخير جميع الأجناس والأديان .

« أصبحت هذه الجمعية — بفضل ما بذلت وتبذل من جهود — محط رحال الشرقيين . فكثيرون منهم قد شرفوا ناديها ، وسجلوا أسماءهم فى سجل الزيارة ، واندمجوا بسرور فى عضويتها ، ووعدوا بتعضيدها ؛ فانتشر اسمها فى الشرق قاصيه ودانيه ، حواضره وبواديه ، وصارت مناط آمال الجميع .

« على أن الجمعية بعون الله لم تقصر فى تلبية نداء الواجب كلما دعاها الواجب .

« ولقد شعرت منذ نشأتها بحاجتها إلى مجلة تقوم مقام السفير الأمين الذكى —

يحاول أن يزيل ما قام بين أمم الشرق من حجب وعقبات ، ليرى بعضها بعضا ، ويسمع بعضها بعضا — فتتعارف فتتقارب فتصبح بنعمة الله إخوانا .

« وقفت الجمعية أخيراً إلى ذلك عالمة ما يتطلبه هذا المشروع من جهود مادية وأدبية ، متوكلة على الله وعلى تشجيع الاخوان الشرقيين ، متقبلة ما يبذلونه من عون للمجلة مادياً وأدبياً بالكتابة فيها ومراسلتها ، فاتحة صدرها للجميع ، فى حدود أغراضها التى هى ، على وجه الاجمال ، إزالة ما تمكن إزالته من الفوارق غير الطبيعية التى أقيمت سداً بين بعض الأمم الشرقية وبعضها ، ومحاولة التقريب بين هذه الأمم حتى يتيسر لها أن تتعارف . فاذا ما تعارفت تآلفت ؛ وإذا ما تآلفت تساندت وتعاونت ؛ وإذا ما تعاونت وتساندت استطاعت أن تعيش حرة قوية ، وضمنت لحياتها أن تكون سعيدة كاملة ، ولمدنيتها الناهضة أسباب الرقى والنجاح — فيتساوى عند ذلك الشرق والغرب ، ويصبح كلاهما عضداً للآخر فى مجال العمل النافع لخير البشرية كلها .

«على أن التعاون الذى ننشده ، أيها الاخوان ، لا يكفى أن يكون من جهة واحدة بل لا بد أن تشترك فيه جميع الأمم الشرقية ، بأن تمد يدها إلى أيدى رجال الرابطة فى مصر ، فتتأسس شعب للجمعية تخدم المبدأ الذى نوهنا عنه .

« وإن لى لأملا كبيراً أن تبدأ البلاد العربية القريبة منا ، والتى لها اتصال عظيم مباشر بالقيام بهذا العمل ، فيد الله مع الجماعة .

« أيها الاخوان :

« إن التعاون الفكرى والاقتصادى لهو أسمى الوسائل الموصلة إلى أمانينا ؛ وهو العلاج لما يشكوه الشرق والشرقيون .

« أما التعاون الفكرى فرسوله الصادق هذه الصحف التى تسعى بيننا ، وتحمل خفقات قلوبنا فنقرؤها جميعاً فى مختلف الديار ، كأنما نحن على صعيد واحد . ولى رجاء عظيم فى اتحاد الصحف بالبلاد الشرقية ، أو على الأقل فى البلاد العربية ، لخدمة هذه المبادئ دون تحيز لقطر دون قطر ، ولا انتصار لطائفة دون أخرى .

«ولقد اقترحت فى آخر يوم للمؤتمر العربى الذى أقمناه بالقاهرة فى العام الماضى لتكريم صديقنا أمير الشعر أحمد شوقى بك : عقد مؤتمرات دورية فى مختلف البلدان العربية للنظر فى توحيد الثقافة العربية ، فحاز هذا الاقتراح قبولا ؛ ثم أشير علينا بعقد المؤتمر المقبل فى مصر ، وأن يكون اجتماعه بصفة رسمية ، ويكون من

عمله البحث فى برامج التعليم ، والنظر فى خير الوسائل الموصلة إلى انتشار العلم والعرفان بين الأمم العربية ؛ إذ بالعلم وحده يسمو الشرق ناشراً لواء الحضارة من القديم ؛ وبتوحيد الثقافة يشعر أبناء العربية بمتانة الإخاء ، وثقة الألفة والاتحاد .

« الله يعلم أنى لم أقصر فى ذلك بل سعيت سعياً حثيثاً متواصلا لتحقيق هذا الغرض ، الذى إن وقفت دونه ظروف خاصة كانت تجتازها بلادنا فى سبيل تبوئها مكانها العالمى الجدير بها ، فانى لم أدفن هذا الأمل فى تربة اليأس ، بل سأستأنف المسعى متى حانت الفرصة ، مؤملا أن يتم ذلك فى الربيع القادم إن شاء الله .

« وأما التعاون الاقتصادى فوسائله متعددة ، وخير هذه الوسائل هو الوصول إلى تقوية الانتاج الشرقى ، والتشجيع على استهلاك ما تنتجه الأيدى الشرقية .

« وأجمل مظاهره « بنك مصر » الذى لاشك فى أنه متى تهيأت الأسباب سيمد يده إلى الجارات المحبوبة ، فينشئ فيها بمعونة أبنائها فروعاً لاستثمار أراضيها ومساعدة أهاليها فى التجارة والصناعة والزراعة .

« أيها الاخوان :

« لعلى لا أكون قد أطلت عليكم فأمللتكم . وإنما هى نجوى أردت أن أنتهز هذا الظرف السعيد فأبثها لكم ؛ رجاء أن يكون لها أثرها فى النفوس ومظهرها فى الأعمال .

« فلينهض الشرق ، وليحى الشرقيون ! »

حديثى مع الصحافة التركية : فى أثناء وجودى بالاستانة صيف سنة ١٩٢٣ حضر إلى مندوب « الصحيفة المشتركة » (التى كانت تصدر باسم ثمانى صحف تركية نظراً للأزمة) ، وأخذمنى حديثاً نشرته فيما بعد جريدة « الأخبار » المصرية فقالت :

« نشرت « الصحيفة المشتركة » حديثاً لسعادة أحمد شفيق باشا الذى يتردد على الاستانة لقضاء فصل الصيف فيها . وقد لخصت تلك الصحف تاريخ حياة شفيق باشا فى مقدمة حديثها معه فقالت : إنه خريج كلية الحقوق وجامعة العلوم السياسية فى باريس ، وإنه تقلد وظائف عدة فى حكومة مصر . ولنبوغه فى اللغة الفرنسية تولى رياسة الديوان العالى الخديوى ؛ وكان أول مصرى تقلد ذلك العمل . وأدار بعد ذلك الأوقاف العمومية ، ثم استقال . ولما عاد إلى مصر بعد الحرب الكبرى اشتغل بالتحرير فى صحيفة الليبرتيه الفرنسية ، ونشر فيها مقالات بقلم بليغ تحت عنوان « مصر الحديثة ونفوذ الأجنبى فيها » . وشهد سعادته فى الاستانة هذا العام حفلة

زواج نجله عز الدين بك بحفيدة ناظر المالية الأسبق رشاد باشا ، ووزع بهذه المناسبة على دار الشفقة الاسلامية ، وجمعية حماية الأطفال ، والجمعية الخيرية العربية ، وجمعية الفقراء ، وجمعية تشغيل المرأة المسلمة، وصندوق عمال الشركة الخيرية ، وبعض العائلات الفقيرة المصرية والتركية ، ألفاً ومائتى جنيه تركى ، تقرباً إلى الله سبحانه وتعالى وتيمناً بهذا الزواج . وقد كانت الأسئلة التى ألقيت على سعادته ، وأجاب عنها كما يأتى :

النهضة المصرية :

س — ما هى أهم آثار النهضة المصرية ؟ .

ج — الجواب المفصل على هذا السؤال لا تسعه صحيفة سيارة ، فأقتصر منه على بيان موجز من الوجهتين السياسية والعلمية . أما من الوجهة السياسية فان المبادئ الأربعة عشر التى أعلنها مستر ويلسون أثارت فى أمم الشرق جذوة حب الوطن التى كانت كامنة فى النفوس ؛ وقد طالبت مصر باستقلالها وضحت فى سبيل هــذا الطلب كثيراً من دماء أبنائها كما هو معلوم . وكان مسلم مصر وقبطيها وجميع أهلها على مختلف أديانهم كتلة واحدة سائرين متحدين فى مقصدهم هـذا تحت لواء سعد باشا زغلول وصحبه النائبين عن الأمة ، وهو ما بهر العالم أجمع ؛ وكانت نتيجة هـذه الحركة المباركة أن التزمت انكلترا إعلان استقلال مصر ؛ وأعقب ذلك صدور الدستور وهو الآن فى دور تنفيذه توصلا إلى تشكيل البرلمان المصرى . أما من الوجهة العلمية فأثر النهضة بارز جداً بالحاح المصريين على حكومتهم لنشر التعليم فى المدن والقرى ، وبفضل الجهود التى تبذلها الجمعيات الخيرية المنتشرة فى أنحاء القطر وفى مقدمتها الجمعية الخيرية الاسلامية . فزادت المدارس والمعاهد على اختلاف أنواعها ، وكان مليك البلاد قدوة حسنة فى هذا السبيل ، إذ أمر بانشاء مدارس عدة فى جهات كانت حاجتها إليها شديدة ، وأوجد بفضله مدرسة للخطاطين . ويوجد الآن فى معاهد أوربا وأمريكا بعثات علمية فى مختلف العلوم والفنون حتى العسكرية والبحرية ، بعضها من قبل الحكومة والآخر من قبل الجمعيات الخيرية عدا من يتعلمون على نفقتهم الخاصة فى تلك المعاهد وهم ليسوا بقليلين . والمأمول أن يوجد بهذه الواسطة من الفنيين المصريين العدد الكافى من الأكفاء ليحلوا محل الأجانب فى إدارة شئون البلاد فى وقت قريب .

عناية المصريين بالاستقلال الاقتصادى :

س — هل يعنى المصريون بنيل استقلالهم الاقتصادى ؟

ج — لم يعن المصريون فيما مضى باستقلالهم الاقتصادى لأن الحكومات الماضية لم تشجعهم على ذلك . وقد حاول المصريون منذ عشرين سنة إنشاء مصرف لهم يكون أساساً لهذا الاقتصاد ، فلم ينجحوا إلا منذ ثلاث سنوات إذ أسسوا بنك مصر بأسهم لا يحملها غيرهم ؛ وهو يديره مصرى كفء، وعماله كلهم من المصريين ؛ وكان من أول آثاره فى الحركة الاقتصادية أن أوجد شركة للطباعة على آخر طراز . وهو يسعى الآن لتأسيس شركة مصرية لصناعة الورق ، كما أنه حصل على مبلغ من الحكومة لمساعدة الصناع ؛ وزادت عناية المصريين باستقلالهم الاقتصادى ، فأسسوا نقابة عامة لمزارعى القطن تحت رياسة الأمير يوسف كمال . كما أن الجمعية الزراعية الملوكية تحت رياسة الأمير كمال الدين باشا تشتغل فى توزيع الأسمدة وعمل التجارب وتحسين نتاج الحيوانات . ويقدر رأس مال هذه الجمعية بنصف مليون من الجنيهات . وإذا أضفنا إلى ذلك جهود النقابات الزراعية فى الأقاليم ومصانع الغزل التى انتشرت فى مصر حديثاً كان من ذلك دليل واضح للنهضة الاقتصادية المصرية .

الروابط الاقتصادية بين مصر والشرق :

س — هل يعنى المصريون بإيجاد رابطة اقتصادية بينهم وبين البلاد الشرقية ؟ وما هى الوسائل التى يتوسلون بها لذلك ؟

ج — إن الظروف الحاضرة تحتم على الشرقيين عموما تبادل المنافع المادية ولهذا يفكر المصريون فى إيجاد شركة ملاحة تكون واسطة لمبادلة هذه المنافع ويتمنون أن يتعاضد معهم فى ذلك الاتراك وغيرهم من أمم الشرق . ولما كانت المصارف المالية خير الوسائل لتوثيق هذه الرابطة فمن المحتمل أن يفكر بنك مصر فى إيجاد شعبة له فى الاستانة .

الرابطة الشرقية ومقاصدها :

س — سمعنا بجمعية الرابطة الشرقية . فهل تمكنت من القيام بأى عمل من الأعمال المحققة لمقاصدها ؟

ج — تأسست هذه الجمعية من عهد قريب ؛ وغايتها إيجاد الروابط بين أمم الشرق ؛ وليست لها صبغة سياسية ولا دينية ، بل هى جمعية علمية ، اجتماعية اقتصادية . ولهذا فأعضاؤها مختلفون فى الأديان والأجناس ، من أمراء وعلماء ومحامين وكتاب

وشعراء، يرأسهم السيد عبد الحميد البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية بالقطر المصرى . ولحداثة عهد الجمعية لم تستطع إلى الآن غير التعارف بالذين وفدوا على مصر من بلاذ الشرق والتعارف أيضاً بعظماء رجاله بواسطة المكاتبة ، وستسعى إن شاء الله لنشر الدعوة إلى تعمير المسجد الأقصى ، خصوصاً وأن جلالة الملك فؤاد تفضل فوعد بجعل الاكتتابات تحت رعايته السامية .

هل تنشأ سفارة لمصر فى تركيا ؟ :

س — شرعت الحكومة المصرية فى تعيين سفراء لها فى الخارج ، فهل لديكم معلومات عما إذا كانت ستتأسس سفارة مصرية فى تركيا ؟

ج — نعم تقرر تعيين سفراء فى لندن وروما وباريس وواشنجطن . ونظراً لتأخر الصلح بين تركيا والدول العظمى أظن أن الحكومة المصرية لم تفكر إلى الآن فى تأسيس سفارة لها هنا ؛ ولكن بالنسبة للتنافع المتبادلة بين البلادين من المحتمل أن تتفق الحكومتان التركية والمصرية على إيجاد ممثلين لهما فى القطرين .

نتائج الانتخاب فى مصر :

س — ترى من يفوز فى المعارك الانتخابية المقبلة ويحوز الأكثرية فى البرلمان المصرى ؟

ج — لا أشك مطلقاً فى فوز السعديين فى الانتخاب . ولا عجب فى ذلك لأن الأمة تثق بمعالى سعد باشا ومبادئه كل الثقة .

س — هل تنتظرون وقوع حوادث سياسية مهمة بعد عقد البرلمان ؟

ج — إن أكبر حادث ينتظر وقوعه بعد انعقاد البرلمان هو انتخاب هيئة من أعضائه لمفاوضة الانكليز فى النقط الأربع التى احتفظوا بها عند إعلانهم استقلال مصر . وسيكون ثمت مشادة ومعارضة ، لكن أتمنى أن يحل فى النهاية الوفاق بين الطرفين بحسن نية لما فيه من المصلحة لهما .

المصريون وتملك الأراضى بالاستانة :

س — يوجد الآن فى دار السعادة أملاك ذات إيراد عظيم معروضة للبيع بسبب الحالة الحاضرة ، فهل يرغب المصريون فى الانتفاع بشراء بعضها ؟

ج — يقبل الآن بعض المصريين على شراء الأملاك فى دار السعادة . فامتلكت

عائلتنا وعائلة مظهر بك ثلاثة مساكن من أحسن مساكن « بويوك دره » وأفخمها . واشترت دولة الأميرة قدرية هانم أفندى مسكناً فخماً جــداً فى « طرابيه » كانت لمكة معمل « كروب » . وابتاع احسان بك المصرى سرايا كانت لأحد أنجال السلطان عبد الحميد فى « يكى كوى » . ولراسم بك المصرى فابريقة للنسيج فى « طرسوس » وأراض زراعية شاسعة في ولاية أطنه ؛ وآخرون يملكون أراضى زراعية فى جهات مختلفة يستغلونها . وحبذا لو عنيت الحكومة بانشاء مركز للاستعلامات عما يوجد لديها من الأملاك والأراضى المعروضة للبيع والنشر عنها باللغات المختلفة .

هذا ولو وجد فى دار السعادة من يتولى النشر بترغيب الشرقيين عامة ، وخصوصاً المصريين ، فى قضاء فصل الصيف على ضفاف بوسفورها الجميل ، وتسهيل أسباب الراحة لهم كما يفعله الغير فى البلاد الأجنبية التى تختلف أخلاقاً وعادات ومأكلا ومشرباً عما تعوده الشرقيون — لكان من وراء ذلك فائدة مزدوجة وهناء للمصطافين.

موقف مصر فى معاهدة لوزان :

س — كيف تلقت مصر معاهدة لوزان ؟ وعلى الأخص موادها الخاصة بها ؟

ج — إن المصريين يمتدحون عصمت باشا لأنه قد راعى مصلحة بلاده . وهم مسرورون لنصر الأتراك عسكرياً وسياسياً ، لأنهم يعدونه انتصاراً شرقياً ، ولا يعترضون على شيء سوى تلك المساومة التى جرت فى شأن مصر .

س — ما رأيكم فى مستقبل تركيا ؟

ج — إنى أتوقع مستقبلا باهراً لتركيا إذا لم يحدث فى داخل البلاد أو خارجها ما يعوق سير الاصلاحات التى تنوى إجراءها لاسعاد أهليها . ولدولة الغازى مصطفى كمال باشا الحق كله فى اهتمامه العظيم بالمسائل الاقتصادية فانها هى عماد الاستقلال الحقيقى . وإن أراضى تركيا والحمد لله كفيلة باستخراج ما تحتاج من أنواع المحاصيل عامة ، وفيها من المعادن والمواد الأولية الضرورية كفاية وغنى لرقى البلاد وإسعادها .

مبايعة علماء الازهر للخليفة عبد المجيد الثانى : قبل مبارحتى للاستانة سنة ١٩٢٣ علمت من أحد أبناء السلطان عبد المجيد الثانى بورود برقية من علماء

الأزهر وقع عليها مائة واثنان وخمسون من كبارهم ، وعلى رأسهم فضيلة الشيخ عبد المجيد اللبان ، ومن بينهم حضرات أصحاب الفضيلة المشايخ : محمد حسنين العدوى ، ومحمد فريد الضرغامى ، ويوسف الدجوى ، وعلى سرور الزنكلونى ، ومحمد الحسينى الظواهرى ، وفرغلى الريدى .

وقد أعلنوا فيها تهنئة جلالته بارتقائه عرش الخلافة ، وقدموا ولاءهم وإخلاصهم لمقام الخلافة ، ودعوا الله أن يجعل عهد جلالته عهد حرية وعدالة ورقى وسعادة للدين والأمم الاسلامية المتعلقة بعرشه المجيد فى مشارق الأرض ومغاربها .

وقد كان لهذه البرقية وقع طيب لدى جلالته ، فأمر صاحب العطوفة رئيس كتابه بالرد عليها باسم فضيلة الشيخ اللبان بتاريخ ٥ مارس سنة ١٩٢٣ .

وهذه ترجمة الرد :



فضيلة الشيخ عبد المجيد اللبان

« حضرة صاحب الفضيلة الشيخ عبد المجيد اللبان من علماء الأزهر الشريف :

إن العريضة التى رفعتموها باسمكم وباسم حضرات الأساتذة علماء الأزهر الشريف الموقعين على تلك العريضة بواسطة الدكتور محمد أمين بك إلى الأعتاب السنية ، أعتاب مقام الخلافة العظمى لمبايعة جلالة مولانا أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين ، وتهنئة جلالته على ارتقائه عرش الخلافة الاسلامية المنير ، قد شملها جلالته بأنظاره السنية ، وحلت لدى مكارمه محل القبول ، وأدت إلى سرور جلالته وابتهاجه .

« وقد ابتهل جلالته إلى الله تعالى راجياً أن يكلل بالنجاح وبالتوفيق الالهى مايقوم به من الخدم الجليلة حضرات السادة العلماء حراس الشرع الشريف وورثة الأنبياء الأكرمين (أكثر الله عددهم) ، تلك الخدم التى ترفع شأن العالم الاسلامى

وتغدق عليه البركة ، وتصل به إلى الفوز والسعادة فى الدارين . كما أن جلالته قد أهدى إلى فضيلتكم ، وحضرات زملائكم المحترمين سلامه المبشر بكل سعادة .

« هذا ما أمرت به فأتشرف بتبليغه » .

* * *

تحليل شخصية عباس : مما تقدم فى المذكرات يستطيع القارئ أن يتصور شخصية عباس ، بمحاسنها وعيوبها ، فهى واضحة فى تصرفاته وأعماله ، داخل الحكم وخارجه .

ومع هذا قد آثرت أن أفرد لذلك فصلا خاصاً ملخصاً ، أرسم فيه الصورة التى تركتها فى نفسى صحبتى الطويلة لعباس مبيناً فيها ما له وما عليه .

جاذبية عباس : كل الذين اتصلوا بعباس ، لفت نظرهم فيه قوة جاذبيته ولطف حديثه ، واستطاعته أن يستميل محادثه إلى صفه . وكان لهذا أثر كبير فى التفاف المصريين حوله عند توليه العرش ، مضافا إلى ما كان معروفا به من الوطنية ومعارضة السلطة الانجليزية . وكثيراً ما شهد له بهذه الصفة مراسلو الصحف الأوربية الذين حادثوه ، ورجال السياسة الذين حضروا مجلسه .

فضله على الحركة الوطنية : ليس من ينكر أن تبوؤ عباس العرش كان من المنبهات القوية للروح القومية فى مصر ، إذ وجد الشعب فيه رمزاً لثورته على تغلغل السياسة الانجليزية فى عهد والده الخديو توفيق .

ومن الأعمال التى انتفعت بها البلاد فى عهده معونته للزعيم الشاب مصطفى كامل ، فانهما والحق يقال أوقدا نار الحماسة فى نفوس المصريين ، ولم يبخل الخديو بالمساعدات المادية للزعيم فى جهاده ، كما عاونه بانشاء هيئة سرية من بعض الشبان الذين درسوا فى أوربا ومن موسيو روليه سكرتيره ، وبعض الفرنسيين وعلى رأسهم موسيو جافيو عميد الجالية الفرنسية بمصر للاتصال به ، وتغذيته بجميع المعلومات مع تغيير وكيل شركة هافاس بمصر ، ليساعد الوكيل الجديد على نشر أخبار الحركة المصرية .

عمله على حفظ حقوقه الشرعية : ولم يأل عباس جهداً فى محاربة النفوذ الانجليزى فى أول عهده ، والوقوف للمستعمرين بالمرصاد ، والمحافظة على كرامته معهم . ومن ذلك أنه لما لاحظ أن الضباط الانجليز فى الجيش المصرى لا يؤدون له التحية العسكرية عند مروره بهم ، أصدر أمره باجراء تحقيق فى ذلك ، وكانت النتيجة أن

أرسلت الأوامر من السردارية بالانتباه إلى أداء هذا الواجب . كما أنه سمع بأن موظفاً انجليزياً أهان مرءوسه المصرى ، فأمر باجراء تحقيق دقيق حفظاً لكرامة الموظفين المصريين .

وأوضح من هـذا موقفه فى حادثتى إقالة النظارة الفهمية والحـدود ، ومحاولته استعمال كامل سلطته الشرعية فيهما ، ولو أنه وجـد فى كلتا الحادثتين نظاراً حوله يؤيدونه بحكمة ، ولا يبالغون له فى تصوير الأخطار التى تحيط بمركزه ، أو لو أنه وجد من السلطان بعض المساعدة ، لتغير تاريخ الاستعمار البريطانى فى مصر ، ولكنه مع الأسف وقف وحيداً أمام قوة انجلترا فاضطر للإستسلام .

على أنه رغم فشله فى الاحتفاظ بسلطته الشرعية ، ظل يناضل كرومر ، ولكن فى حذر ، وقد اشتد النزاع مرتين بينهما حتى هـــدد سموه العميد بالتنـازل عن العرش — فتراجع كرومر خشية أن تتدخل الدول فى هذا الأمر الخطير .

مهارته السياسية : كانت لعباس مهارة سياسـية ظهرت فى بعض المشروعات التى فكر فيها ، مثـال ذلك : أنه لما علم بعزم إمبراطور ألمانيـا على زيارة مصر فى طريقه لفلسطين فكر فى انتهاز هـــذه الفرصة ، لانشاء علاقات ودية بين فرنسا وألمانيا ، باستدعاء مجلس شركة قناة السويس لاستقبال الامبراطوار . وقد خابر الفرنسيين فى هذا ، فوعدوه بالموافقة . ولو تم هذا المشروع لكسب من هذه السياسة أعظم نصيب . غير أن السلطان وانجلترا حالا دون إتمامه .

ومثل هـذا يقال عن المشروع الذى قام به فى إبان الحرب العظمى ، لفصل فرنسا عن انجلترا بأموال ألمـانية ، وبمشاركة موسيو بولو . ولكن حال دون نجاحه المطامع المالية من كليهما .

وتبدو هذه المهارة السياسية ، فى مناوراته سـنة ١٩١٧ مع الانجليز والأتراك قبل عودته إلى الآستانة . ففى الوقت الذى كان يرسلنى فيه بمهمة إلى برن مع فؤاد بك سليم سفير الدوله ، كان يتصل بالسفير الانجليزى و ملك البلجيك لتسوية موقفه موهماً كل فريق أنه معه ، وأن الفريق الآخر راغب فى استمالته إليه .

وتبدو كذلك فى إشاعة عزمه على زيارة منشآت نهر الطونة التى أنشأها حلفاؤه عند ما رأى منهم فتوراً من ناحيته وهو بالسويسرة ، وبذلك استعاد اهتمامهم به .

وكان يستخدم مهارته هـذه فى بعض الشئون الداخلية ، فمثلا حينما أراد تغيير محمد سعيد باشا ، نقمة عليه لأنه لم يساعد سموه فى بيع سكك حديد مريوط بالثمن .

الذى يريده ، لوح لكتشنر بأنه يفضل مصطفى فهمى باشا عليه ، فكان هذا داعية لقبول كتشنر تغيير النظارة .

عباس لا يكتم السر ولا ينتصح : من أظهر صفات عباس أنه لم يكن يكتم السر وكذلك كان سكرتيره الذى اختاره معه من النمسا وهو أستاذه موسيو روليه .

وقد جنت عليه هذه الخلة كثيراً فى حياته السياسية ، ذلك أنهما اتفقا فى طريقهما لمصر على اتباع سياسة عدم استسلام الخديو للانجليز والمحافظة على حقوقه الشرعية فى حكم البلاد .

ولما وصلا ، لم يستطيعا كتمان هذه الخطة ، ولا المحافظة على ما يدور فى السراى من الأسرار . فكنا إذا جلسنا نحن رجال الحاشية على المائدة الخديوية لتناول طعام الغداء مع سموه ، باح لنا بما دار بينه وبين كرومر من الحديث ، أو بما دار فى مجلس النظار .

وقد حدث فى مسألة الحدود ، أن الخديو كان قد أعرب ونحن على المائدة عن عزمه على إبداء ملاحظاته على الجيش باعتباره قائداً أعلى له . ووصل الخبر إلى السردار كتشنر من أحد ياوران عباس، وكان لذلك أثره السيء فيما وقع بعد ذلك .

وعند ما تولى أراد أن يتعرف بكبار الموظفين والأعيان ، فخصص لهم أياماً معينة لمقابلته فى السراى ، والتحدث إليهم فى شتى الأمور ؛ وكان بعضهم يطلعه على أسرار المصالح ؛ ولكنه لم يحافظ عليها فكان يرددها فى أحاديثه ، فتنتقل إلى الانجليز فيحاسبونهم عليها . ولذلك امتنعوا عن إمداده بالمعلومات .

وكذلك كان روليه قد اصطفى قنصل الروسيا فى مصر . فكان يجتمع به ، ظنا منه أنه يناوئ سياسة انجلترا فى مصر ، ويبوح له ببعض أسرار السراى وبمعاضدته هو لسياسة عباس ، فتصل هذه الأخبار إلى كرومر . وفى إحدى زيارات روليه للعميد حادثه فى عدائه للانجليز ، ونصح له بألا يتدخل فى السياسة ؛ وانتهى الأمر إلى أن يطلب كرومر عزل روليه ، ثم يكتفى بمنحه أجازة طويلة بناء على تدخل الخديو على أن يبتعد عن الشئون السياسية .

وكثيراً ما كان عبد العزيز بك عزت (باشا) يلاحظ على أحاديث عباس ، وإفشائه الأسرار ، بكل إخلاص ، فيتضايق الخديو من ملاحظاته . وقد انتهى الأمر بتقديم استقالته من خدمة سموه.

وكذلك أبعد عنه الرجل المخلص له محمود شكرى باشا لمجرد أنه كان يقول عند الضرورة « أنصح لكم يا أفندينا » فكان يثقل عليه ذلك ، وكأنه يقول فى نفسه : « وهل أنا لا أدرك الخطأ والصواب حتى يكرر لى هذه النصائح ؟ ! » .

ومن أغرب ما يروى عن خلة إفشاء السر عند عباس أنه وهو يشتغل بمشروع فصل فرنسا عن انجلترا سنة ١٩١٥ كلف يوسف صديق باشا ألا يذكر اسم «بولو» أمام البارون أو بنهايم الألمانى ، بل يكتفى بأن يقول عنه « الرجل الواسطة » فى حين أنه هو نفسه قد راح يذكر الاسم صريحاً للبارون !

هل عباس دستورى ؟ : تمكن الاجابة على هذا السؤال بالايجاب والنفى فى آن واحد ؛ وإن كان جانب النفى هو الذى يغلب عند التطبيق العملى .

ففى ظروف كثيرة كان يصرح بأنه راغب فى سن دستور لبلاده ؛ ولكن فى بعض الظروف كان يرى منه النفور من أعمال قانونية منافية لرغائبه الشخصية ، فسخط على الامام الشيخ محمد عبده عندما أراد سموه أن تعطى كسوة التشريف العلمية لامام المعية . فرد عليه الشيخ بأن مجلس الادارة أعطاها لمن هو أحق منه ، مستخدماً فى ذلك السلطة التى يخولها إياه القانون .

وكذلك عندما عارض الشيخ وحسن عاصم باشا فى استبدال أرض مشتهر بالقيمة التى كان يطلبها ، فانه غضب عليهما ، وأسرها فى نفسه لهما ؛ فعاكس الشيخ عبده كثيراً ، وأقال عاصم باشا من خدمة الديوان .

ومثل ذلك موقفه من بعث قانون مطبوعات سنة ١٨٨١ لمجرد أن الصحف انتقدت سموه بشدة .

مطامع عباس المالية : بعد أن رأى عباس أنه لا فائدة من الاصطدام مع الانجليز ، وأن السلطان عبد الحميد لم يعاونه أية معاونة فى نضاله معهم حتى ساءت العلاقات بينهما ، قرر زيارة لندن سنة ١٩٠٠ . وتعد هذه الزيارة بدء الهدنة بين عباس والانجليز .

وعند ذلك جنح إلى ملاحظة منافعه الشخصية وعمل على تكوين ثروة خاصة ؛ واندفع فى إيجاد موارد مالية جديدة ، يحقق بها هذه الرغبة . واضطره هذا الاندفاع إلى الدخول فى أعمال تجارية كانشاء سكة حديد مريوط ، التى سمح الانجليز ببيع بعض أدواتها له بأثمان بخسة ، حتى يشتغل بها عن مناوأتهم .

ومثل اشتراك الخاصة الخديوية مع السيد بك يس فى استغلال بعض المحاجر .

ثم اتسعت هذه الأعمال التجارية فلجأت الخاصة إلى الدخول فى المزايدة على « معدية » الوايلى ، وأخذ امتيازها وحرمان الرجل الفقير الذى كان يعيش منها .

ولما لم تكف هذه الموارد الظاهرة لسد حاجات عباس ، أخذ فى تجارة أخطر وهى الرتب والنياشين ؛ ثم التجارة فى استبدالات الأوقاف ، وفى المناصب الكبيرة . ويرى القراء ذلك تحت عنوانات : « صفقة طيبة . مدير الأوقاف يباع ويشترى . عباس يصيب عصفورين بحجر » فى القسم الثانى من حكم عباس ؛ وكذلك اهتم باستخراج معادن طاشيوز وسواها وتحمل فى ذلك ما تحمل من السلطان عبد الحميد.

وتتضح مطامعه المالية فى تصرفاته بنقود ألمانيا ومماطلته فى ردها ، مجازفا بفقد الثقة من حلفائه به ، وانفضاض رجال حاشيته عنه ، حتى لقد قرروا عدم الاعتراف بخديويته ، والالتفاف حول ولى عهده لولا أن عاد فرد هذه النقود .

كما يتضح ذلك من إضرابه عن دفع نقود حصى التى صرفت لسد نفقات بعض المتصلين به ، وفى عدم دفعه لبقية مطلوباتى منه ؛ وكلها قد أنفقت من مالى الخاص فى ظروف حرجة بأمره أو بسببه .

نوادر عن بخل عباس : ولقد بلغ من بخل عباس أن يكون بعضه من النوادر الطريفة التى لا يتمالك الانسان نفسه أمامها من الدهش والابتسام !

من هذه الطرائف أنه كان بعد تلاوة الرسائل الواردة إليه ، يقتطع منها الصفحات البيضاء فيها ، ليستعمل لكتابة مذكرات صغيرة .

ومنها ما رواه البروفسور هيس عند ما استدعاه عباس ليحادثه فى إخراج يكن من السجن وحدد له يوم السبت للحضور ، لحضر مساء الجمعة ليكون تحت أمره ، فاستكثر عباس أن يتحمل نفقاته ليلة .

آداب عباس وأخلاقه : مما لاشك فيه أن آداب عباس فى أول عهده كانت آداباً راقية . وقد كنت أخجل عند مايطلب منى أمراً فيقول «ألتمس منك كيت وكيت». وقد أخرج من موظفى المعية من كان يعلم عنهم تعاطى الخمور والجلوس فى المشارب والاستخفاف بالدين والأخلاق ، حرصاً على كرامة حاشيته ، وأمر بمراقبتهم لمعاقبة من يخالف هذه الأوامر .

ولكن هذه الآداب العالية لم تستمر حتى نهاية حكمه ، نظراً لوجود بعض أصاغر الموظفين الذين لاأخلاق لهم ، فاقتبس منهم عادة السب والشتم ، والكلام الذى لا يصح صدوره من مثله .

وكذلك تغيرت أخلاقه فكان لايتورع عن طرد موظفين فى سن الشيخوخة ، وعقاب بعضهم عقاباً بدنياً بيده ، أو عقاباً مادياً لأتفه الأشياء .

وقد برزت من خلاله خلة الأنانية ، فكان الذين يخدمونه أشبه شيء بالليمونة يعتصرها حتى آخر نقطة ؛ ثم يقذف بها بعيداً عنه ، من ذلك تصفيته لرجال الحاشية فى سنة ١٩٢٠ ، ومعاملته قبل ذلك ليوسف صديق بالحجز على أمواله فى بنك زيوريخ ، ومعاملته ليكن بعد القبض عليـــه ، ولمحمد بك فريد بعد ما قبل أن يعمل معه وينسى معاكساته ومضايقاته . وأخيراً بموقفه معى مما اضطرنى للاستقالة بعد ما قمت له به من الخدمات فى محنته بكل إخلاص .

ثم إنه كان يهتم بأشياء صغيرة لايصح أن يشتغل بها حاكم مثله ، فكان يسره أن يوقع الشقاق بين أفراد حاشيته ، كما أوقع الخلف بين فريد بك والشيخ جاويش ، فقرب الأخير منه لهذا الغرض ، حتى إذا تم غضب عليه بحجة أنه من رجال سعيد حليم .

ولا يعدم الباحث تصرفات كثيرة لعباس غير مناسبة . وفى أول ذلك مواقفه مع رجال تركيا الفتاة أيام السلطان عبد الحميد ، فانه كان يستميلهم إليه ، ويوهمهم بالحماية ، ثم يضحى بهم فى سبيل التقرب للسلطان قضاء لمآربه الخاصة .

ولايقل عن هذا امتناعه عن معاونة محمد بك فريد بالمال فى أثناء غربته بأوربا مع أنه قبل العمل معه فى مسائل خطيرة .

ويمكن ملاحظة ذلك فى كل ما يختص بمطامعه المالية وبخله الشديد .

تردد عباس : ومما يلاحظ على عباس أنه كان كثير التردد بين الاقدام والإحجام ، ولم يكن هذا لأنه كثير الأناة والروية ، بل لأنه يتوهم مخاوف كثيرة فى كل خطوة يخطوها . وكثيراً ما كانت هذه المخاوف مبعثها الحرص المادى . وأشد ما يظهر ذلك فى تردده بين الانجليز والأتراك سنة ١٩١٧ ، حتى تغلب الرأى القائل بعودته لتركيا بعد فترة طويلة ومناقشات مملة .

* * *

وبعد فهذه هى الخطوط البارزة فى صورة عباس ، وتتلخص فى كلمتين قلتهما مندوب « البورص إجبسيان » إدجار جلاد عند ما سألنى عن رأيى فى شخصية عباس بعد عودتى من أوربا وهما : « مادى منتهز للفرص » .

وقد رسمتها دون تفريط أو إفراط ، للحقيقة والتاريخ . ويجد القارئ صداقها فيما مر به فى الحوادث فى الجزء الأخير — والله على ما أقول وكيل .

كلمة ختامية : الآن وقد انتهيت من طبع « مذكراتى فى نصف قرن » أستشعر راحة في نفسى ، واطمئناناً فى بالى ، لأنى تمكنت من تحقيق أعظم أمانى فى الحياة وهو إخراج هذه المذكرات .

وكثيراً ما كانت تهجس فى نفسى الهواجس ، فأتساءل : ترى يمد الله فى أجلى ، ويمنحنى الصحة الكافية ، لاتمام هذا العمل الذى وقفت عليه جانباً من حياتى ؟ ثم أدعو الله أن يحقق هذه الرغبه ، حتى تحققت أخيراً والحمد لله .

لقد عشت حياتى كلها معتزاً بهذه المذكرات أعظم اعتزاز ، وكنت أستصحبها فى أسفارى خوفاً عليها ، ثم أودعها في احدى خزائن بنك من البنوك مدة إقامتى فى أوربا ، خوفاً أن تمتد اليها يد النسيان أو السرقة ، حتى أنه عند ما قطعت المواصلات بين تركيا والسويسرة وأنا عائد مع عائلتى ، وكنا فى نيس كما مر ذلك سنة ١٩١٨ ، كنت حائراً بهذه المذكرات وأنا أحملها كحيرتى بعائلتى وأبنائى .

وعند ما ظهر الجزء الأول ، وفيه تحليل لشخصية الخديو اسماعيل وبعض الأخبار التى عرفتها عنه ، وكان ذلك فى عهد ضيق فيه على الحريات العامة ، وأولها حرية النشر ، وسن قانون استثنائى للصحافة ، خفت أن يقع لهذا الجزء حادث ، ولكنه مر بسلام ، فحمدت الله .

وكذلك عند ما ظهر الجزء الثانى الخاص بعباس بقسميه ، وفيه ما فيه عن أخباره وحوادثه ، عاودنى الخوف والقلق ، رغم أنه صدر فى عهد أكثر حرية ، ولكن الله سلم .

وهأنذا أخرج الجزء الثالث والأخير في عهد مليكنا المعظم فاروق الأول : عهد الحرية والاستقلال ، وقد ضمنته بعض ما حذف من القسم الثانى لظروف خاصة ، ورائدى في ذكر ما ذكرت الحق والتاريخ .

ولئن كنت قد رحبت بالنقد عند صدور الجزء الأول ، فأنا اليوم أشد ترحيباً به ، بعد تمام المذكرات ، وإننى أتقدم لحضرات القراء راجياً أن يبدو آراءهم بصراحة فى هذه المذكرات كلها ، حتى تتمحص الحقائق للاجيال القادمة ، ولا تتهمنا بالمحاباة أو التقصير .

والحمد لله أولا وآخراً على حسن توفيقه .

الفهارس

فهرس

القسم الثالث من مذكراتى فى نصف قرن

صفحة

صفحة

سنة ١٩١٦

صحيفة

سنة ١٩١٨

سنة ١٩١٩

سنة ١٩٢٠

سنة ١٩٢١

صحيفة

سنة ١٩٢٢

سنة ١٩٢٣

ملحقات

فهرس الأعلام

(ب)

(م)

فهرس الصور

الموجودة بالجزء الثالث

فهرس الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطــأ	الصواب	الصفحة	السطر	الخطــأ	الصواب
٤	٣	والمغنين	والمعنيين	١٥٩	٢٧	ودأعته	ودعته
٥	٢٧	بناء	أبناء	١٥٩	٢٧	وامره	أوامره
٣٢	٢٦	حسين حلى باشا	حسين حلمى باشا	١٧١	٢	قبد لها	فعد لها
		الصدر الأعظم	سفير الدولة فى فينا	٢٠٥	١٢	السنوسين	السنوسيين
٥٢	٢٦	الا اد	الاتحاد	٢٠٦	١	أوبنهايم	أوبنهايم
٦٣	٢٠	ونجهايم	ونجنهايم	٢١٢	٢٥	حادثة	حادثه
٨٥	٢٧	ءأخبار لى	على أخبار	٢٣٦	٢	لاكتفاء	الاكتفاء
١٠١	٣	المتحادثين	المحادثين	٢٣٨	٦	عبد الله شديد	عبد الحميد شديد
١٠١	١٣	مذ	قبا	٢٤٢	٢٥	بأمرها	بأسرها
١٠١	٥	ملاكى	أملاكى	٢٤٥	٣٦	سويسر	سويسرة
١١٣	١١	ذكرا	ذكر	٢٤٧	٢٤	لحص	لحصى
١٢٠	٢٠	أوجدا	أوجدوا	٢٦٥	٩	ى	يحيى
١٢٥	٨	يكن	به	٢٦٦	٢٧	فى	يفى
١٢٨	٢٤	قلبها	قلبيهما	٢٧٠	١٠	ن	أن
١٣١	٧	الاع اف	الاعتراف	٢٧٠	١١	لواسطة	الواسطة
١٤١	٢٤	قالنبأ	بالنبأ	٢٧٨	٢٧	لمتفاوضين	المتفاوضين
١٤١	٢٥	بيل	قبل	٣٢٢	٣	العمومية	التجدية
١٤٢	٢٥	١٧ منه	١٧ مارس	٣٢٣	٣	عجيب	عجيبا
١٤٧	١٣	إذ	إذا	٣٢٣	٢٠	عبد الحميد الثعالبي	عبد العزيز الثعالبي

صدر فى هذه السلسلة

---

١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية،

محمود فوزى، ١٩٨٧ .

١١ ـ مائة شخصية مصرية وشخصية،

شكرى القاضى، ١٩٨٧ .

١٢ ـ هدى شعراوى وعصر التنوير،

د . نبيل راغب، ١٩٨٨ .

١٣ ـ أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان: رؤية تاريخية ،

د . عبدالعظيم رمضان، ط ١ ١٩٨٨ ، ط ٢، ١٩٩٤ .

١٤ ـ مصر فى عصر الولاة، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،

د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٨ .

١٥ ـ المستشرقون والتاريخ الإسلامى،

د . على حسنى الخربوطلى، ١٩٨٨ .

١٦ ـ فصول من تاريخ حركة الإصلاح الاجتماعى فى مصر: دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ـ١٩٥٢) ،

د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٨ .

١٧ ـ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى ،

د . محمد نور فرحات، ١٩٨٨ .

١٨ ـ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية،

د . على السيد محمود، ١٩٨٨ .

١٩ ـ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين،

د . أحمد محمود صابون، ١٩٨٨ .

٢٠ - دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبدالرحمن فهمى،

د . محمد أنيس، ط ٢، ١٩٨٨ .

٢١ - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ١ ،

د. توفيق الطويل، ١٩٨٨ .

٢٢ - نظرات فى تاريخ مصر،

جمال بدوى، ١٩٨٨

٢٣ - التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى جـ٢ ، إمام التصوف فى مصر: الشعرانى،

د. توفيق الطويل، ١٩٨٨ .

٢٤ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩-١٩٣٦) ،

د . نجوى كامل، ١٩٨٩ .

٢٥ - المجتمع الإسلامى والغرب،

تأليف: هاملتون جب وهارولد بووين،

ترجمة : د . أحمد عبد الرحيم مصطفى، ١٩٨٩ .

٢٦ - تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثة،

د . سعيد إسماعيل على، ١٩٨٩ .

٢٧ - فتح العرب لمصر جـ١ ،

تأليف : ألفريد ج. بتلر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩ .

٢٨ - فتح العرب لمصر جـ٢ ،

تأليف : ألفريد ج. بتلر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد، ١٩٨٩ .

٢٩ - مصر فى عهد الإخشيديين ،

د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٨٩ .

٣٠- الموظفون فى مصر فى عهد محمد على،
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٨٠.

٣١- خمسون شخصية مصرية وشخصية،
شكرى القاضى، ١٩٨٩.

٣٢- هؤلاء الرجال من مصر جـ٢ ،
لمعى المطيعى، ١٩٨٩.

٣٣ - مصر وقضايا الجنوب الافريقى: نظرة على الأوضاع الراهنة ورؤية مستقبلية،
د . خالد محمود الكومى، ١٩٨٩.

٣٤ - تاريخ العلاقات المصرية المغربية، منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،
د . يونان لبيب رزق، محمد مزين، ١٩٩٠.

٣٥- أعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة،
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٠.

٣٦- المجتمع الإسلامى والغرب جـ ٢،
تأليف : هاملتون بووين، ترجمة : د. أحمد عبدالرحيم مصطفى، ١٩٩٠.

٣٧ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد: تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن،
تأليف : د . سليمان صالح، ١٩٩٠.

٣٨- فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى،
د . عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ١٩٩٠.

٣٩- قصة احتلال محمد على لليونان (١٨٢٤-١٨٢٧) ،
د. جميل عبيد، ١٩٩٠.

٤٠ـ الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨،

د . عبدالمنعم الدسوقى الجميعى، ١٩٩٠.

٤١ـ محمد فريد: الموقف والمأساة، رؤية عصرية،

د . رفعت السعيد، ١٩٩١.

٤٢ـ تكوين مصر عبر العصور،

محمد شفيق غربال، ط ٢، ١٩٩٠.

٤٣ـ رحلة فى عقول مصرية،

إبراهيم عبد العزيز، ١٩٩٠.

٤٤ـ الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر، فى العصر العثمانى،

د . محمد عفيفى، ١٩٩١.

٤٥ـ الحروب الصليبية جـ ١،

تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتقديم: د . حسن حبشى، ١٩٩١.

٤٦ـ تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ : ١٩٥٧)،

ترجمة: د . عبدالرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩١.

٤٧ـ تاريخ القضاء المصرى الحديث،

د . لطيفة محمد سالم، ١٩٩١.

٤٨ـ الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الإسلامى،

د . زبيدة عطا، ١٩٩١.

٤٩ـ العلاقات المصرية الإسرائيلية (١٩٤٨ـ١٩٧٩)،

د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢.

٥٠ـ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية(١٩٤٦ـ١٩٥٤)،

د . سهير اسكندر، ١٩٩٣.

٥١ - **تاريخ المدارس فى مصر الإسلامية،**
(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، فى إبريل ١٩٩١)،
أعدها للنشر: د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٢ .

٥٢ - **مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين فى القرن الثامن عشر،**
د . إلهام محمد على ذهنى، ١٩٩٢ .

٥٣ - **أربعة مؤرخين وأربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة ،**
د . محمد كمال الدين عز الدين على، ١٩٩٢ .

٥٤ - **الأقباط فى مصر فى العصر العثمانى،**
د . محمد عفيفى، ١٩٩٢ .

٥٥ - **الحروب الصليبية جـ٢ ،**
تأليف : وليم الصورى ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٢ .

٥٦ - **المجتمع الريفى فى عصر محمد على: دراسة عن إقليم المنوفية ،**
د . حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٢ .

٥٧ - **مصر الإسلامية وأهل الذمة،**
د . سيدة إسماعيل كاشف، ١٩٩٢ .

٥٨ - **أحمد حلمى سجين الحرية والصحافة ،**
د . إبراهيم عبدالله المسلمى، ١٩٩٣ .

٥٩ - **الرأسمالية الصناعية فى مصر، من التمصير إلى التأميم (١٩٥٧-١٩٦١) ،**
د . عبد السلام عبدالحليم عامر، ١٩٩٣ .

٦٠ - **المعاصرون من رواد الموسيقى العربية،**
عبد الحميد توفيق زكى، ١٩٩٣ .

٦١ - تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث،

د . عبد العظيم رمضان، ١٩٩٣ .

٦٢ - هؤلاء الرجال من مصر جـ٣ ،

لمعى المطيعى، ١٩٩٣ .

٦٣ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر الإسلامية ،

تأليف: د. سيدة إسماعيل كاشف، جمال الدين سرور، وسعيد عبدالفتاح عاشور، أعدها للنشر: د. عبدالعظيم رمضان،١٩٩٣ .

٦٤ - مصر وحقوق الإنسان ، بين الحقيقة والإفتراء: دراسة وثائقية ،

د . محمد نعمان جلال، ١٩٩٣ .

٦٥ - موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧-١٩١٧) ،

د . سهام نصار، ١٩٩٣ .

٦٦ - المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى ،

د . نريمان عبد الكريم أحمد، ١٩٩٣ .

٦٧ - مساعى السلام العربية الإسرائيلية: الأصول التاريخية ،

(أبحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة، بالإشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس، فى إبريل ١٩٩٣)، أعدها للنشر د. عبدالعظيم رمضان، ١٩٩٣ .

٦٨ - الحروب الصليبية جـ٣ ،

تأليف : وليم الصورى

ترجمة وتعليق : د . حسن حبشى، ١٩٩٣ .

٦٩ - نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦-١٩٥١) ،

د . محمد أبو الإسعاد، ١٩٩٤ .

٧٠ـ **أهل الذمة فى الإسلام،**

تأليف : أ. س. ترتون

ترجمة وتعليق: د. حسن حبشى، ط ٢ ، ١٩٩٤ .

٧١ـ **مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤-١٩٤٦)،**

إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة : د. عبد الرؤوف أحمد عمرو، ١٩٩٤ .

٧٢ـ **رؤية الرحالة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر فى العصر الفاطمى (٣٥٨-٥٦٧هـ)،**

د . أمينة أحمد إمام ، ١٩٩٤ .

٧٣ـ **تاريخ جامعة القاهرة،**

د. رؤوف عباس حامد، ١٩٩٤ .

٧٤ـ **تاريخ الطب والصيدلة المصرية، جـ١ ، فى العصر الفرعونى،**

د . سمير يحيى الجمال، ١٩٩٤ .

٧٥ـ **أهل الذمة فى مصر، فى العصر الفاطمى الأول،**

د . سلام شافعى محمود، ١٩٩٥ .

٧٦ ـ **دور التعليم المصرى فى النضال الوطنى (زمن الإحتلال البريطانى)،**

د . سعيد إسماعيل على، ١٩٩٥ .

٧٧ـ **الحروب الصليبية جـ٤ ،**

تأليف : وليم الصورى، ترجمة وتعليق: د . حسن حبشى، ١٩٩٤ .

٧٨ـ **تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣-١٨٩٩)،**

نعمات أحمد عتمان، ١٩٩٥ .

٧٩ـ **تاريخ الطرق الصوفية فى مصر، فى القرن التاسع عشر،**

تأليف : فريد دى يونج، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال، ١٩٩٥ .

٨٠ - قناة السويس والتنافس الاستعمارى الأوربى (١٨٨٢-١٩٠٤)،
د. السيد حسين جلال، ١٩٩٥.

٨١ - تاريخ السياسة والصحافة المصرية من هزيمة يونيو إلى نصر أكتوبر،
د. رمزى ميخائيل، ١٩٩٥.

٨٢ - مصر فى فجر الإسلام، من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية،
د. سيدة إسماعيل كاشف، ط ٢، ١٩٩٤.

٨٣ - مذكراتى فى نصف قرن جـ١،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٤.

٨٤ - مذكراتى فى نصف قرن جـ٢ - القسم الأول،
أحمد شفيق باشا، ط ٢، ١٩٩٥.

٨٥ - تاريخ الإذاعة المصرية: دراسة تاريخية (١٩٣٤ - ١٩٥٢)،
د. حلمى أحمد شلبى، ١٩٩٥.

٨٦ - تاريخ التجارة المصرية فى عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ - ١٩١٤)،
د. أحمد الشربينى، ١٩٩٥.

٨٧ - مذكرات اللورد كليرن، جـ ٢، (١٩٣٤ - ١٩٤٦)،
إعداد: تريفور إيفانز، ترجمة وتحقيق: د. عبدالرؤوف أحمد عمرو ١٩٩٥.

٨٨ - التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية،
عبدالحميد توفيق زكى، ١٩٩٥.

٨٩ - تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى،
د. عبدالحميد حامد سليمان، ١٩٩٥.

٩٠ - معاملة غير المسلمين فى الدولة الإسلامية،

د. تريمان عبدالكريم أحمد، ١٩٩٦.

٩١ - تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط،

تأليف: بيتر مانسفيلد، ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال، ١٩٩٦.

٩٢ - الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ - ١٩٣٦)،

جـ ٢، د. نجوى كامل، ١٩٩٦.

٩٣ - قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ - ١٩٥٨)،

د. نبيه بيومى عبدالله، ١٩٩٦.

٩٤ - الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ - ١٩٥٤)،

د. سهير إسكندر، ١٩٩٦.

٩٥ - مصر وأفريقيا الجذور التاريخية للمشكلات الأفريقية المعاصرة (أعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة)،

إعداد أ. د. عبد العظيم رمضان

٩٦ - عبدالناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ - ١٩٧٠)،

تأليف: مالكولم كير، ترجمة د. عبدالرؤوف أحمد عمرو.

٩٧ - العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر،

د. إيمان محمد عبد المنعم عامر.

٩٨ - هيكل والسياسة الأسبوعية،

د. محمد سيد محمد.

٩٩ - تاريخ الطب والصيدلة المصــرية (العصر اليونانى - الرومانى) جـ ٢ ،

د. سمير يحيى الجمال

١٠٠ - موسوعة تاريخ مصر عبر العصور: تاريخ مصر القديمة ،

أ. د. عبد العزيز صالح، أ. د. جـمال مـختـار، أ. د. مـحـمـد ابراهيم بكر، أ.د. ابراهيم نصحى،

أ. د. فاروق القاضى ، أعدها للنشر: أ. د. عبدالعظيم رمضان

١٠١ - ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،

اللواء/ مصطفى عبدالمجيد نصير ، اللواء/ عبدالمجيد كفافى،

اللواء/ سعد عبدالحفيظ، السفير/ جمال منصور

١٠٢ - المقطم جـريدة الاحـتـلال البـريطانى فى مـصـر ١٨٨٩ - ١٩٥٢

د. تيسير أبو عرجة

١٠٣ - رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره

د. على بركـــات

١٠٤ - تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ - ١٩٥٢)

د. فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ - السلطة السياسية فى مصر وقضية الديموقراطية ١٨٠٥ - ١٩٨٧ .

د. أحمد فارس عبدالمنعم

١٠٦ - الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد (تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن.

د. سليمان صالح

١٠٧ - الأصولية الإسلامية.

تأليف: دليب هيرو: ترجمة: عبدالحميد فهمى الجمال.

١٠٨ - مصر للمصريين جـ ٤.

سليم النقاش

١٠٩ - مصر للمصريين جـ ٥.

سليم النقاش

١١٠ - مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ١.

د. البيومى اسماعيل الشربينى.

١١١ - مصادرة الأملاك فى الدولة الإسلامية (عصر سلاطين المماليك) جـ ٢. ١

د. البيومى إسماعيل الشربينى.

١١٢ - إسماعيل باشا صدقى

د. محمد محمد الجوادى.

١١٣ - الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى)

د. عز الدين إسماعيل.

١١٤ - دراسات فى تاريخ مصر الاجتماعى

تأليف أحمد رشدى صالح

١١٥ - مذكراتى فى نصف قرن جـ ٣.

أحمد شفيق باشا.

١١٦ - أديب اسحق (عاشق الحرية)

علاء الدين وحيد

١١٧ - تاريخ القضاء فى مصر العثمانية

عبد الرزاق إبراهيم عيسى (١٥١٧ - ١٧٩٨)

١١٨ - النظم المالية فى مصر والشام

د. البيومى اسماعيل الشربينى

١١٩ - النقابات فى مصر الرومانية

حسين محمد أحمد يوسف

١٢٠ - يوميات من التاريخ المصرى الحديث

لويس جرجس

١٢١ - الجلاء ووحدة وادى النيل (١٩٤٥ - ١٩٥٤)

د. محمد عبد الحميد الحناوى

١٢٢ - مصر للمصريين جـ٦

سليم خليل النقاش

١٢٣ - السيد أحمد البدوى

د. سعيد عبد الفتاح عاشور

١٢٤ - العلاقات المصرية الباكستانية فى نصف قرن

د. محمد نعمان جلال

١٢٥ - مصر للمصريين جـ٧

سليم خليل النقاش

١٢٦ - مصر للمصريين جـ٨

سليم خليل النقاش

١٢٧ - مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ - ١٩٥٨)،

ابراهيم محمد محمد ابراهيم .

١٢٨ - معارك صحفية،

بقلم/ جمال بدوى.

١٢٩ - الدين العـام (وأثره فى تطور الاقتـصـاد المصـرى) (١٨٧٦-١٩٤٣).

د. يحيى محمد محمود

١٣٠ - تاريخ نقابات الفنانين فى مصر (١٩٨٧-١٩٩٧).

سمير فريد.

١٣١ - الولايات المتحدة وثورة يولية ١٩٥٢م.

ترجمة/ د. عبدالرءوف أحمد عمر.

١٣٢ - دار المندوب السامى فى مصر جـ١ . د. ماجدة محمد حمود.

١٣٣ - دار المندوب السامى فى مصر جـ٢ . د. ماجدة محمد حمود.

١٣٤ - الحملة الفرنسية على مصر فى ضوء مخطوط عثمانى للدارندلى.

بقـلم/ عزت حسن أفندى الدارندلى

ترجمة/ جمـال سـعيد عبد الغنى.

١٣٥ - اليهود فى مصر المملوكية

(فى ضوء وثائق الجنيزة)

(٦٤٨ - ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م) د. محاسن محمد الوقاد

١٣٦ - أوراق يوسف صديق

تقديم/ أ. د. عبد العظيم رمضان

١٣٧ - تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى

د. محمد عبد الغنى الأشقر

١٣٨ - الإخوان المسلمون وجذور التطرف الدينى والإرهاب فى مصر

السـيد يوسـف

١٣٩ ـ موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين
بقلم محمد قابيل

١٤٠ ـ سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ ـ ١٢٦٥هـ / ١٨١١ ـ ١٨٤٨م.
طارق عبد العاطى غنيم بيومى

١٤١ ـ وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك.
لطفى أحمد نصار

١٤٢ ـ مذكراتى فى نصف قرن جـ٣
أحمد شفيق باشا ط٢، ١٩٩٩.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٥٨٣٨/١٩٩٩

I.S.B.N 977 - 01 - 6125 - x

إن صورة عباس واضحة فى خلال هذه الصفحات وضوحاً لا يشوبه أقل لبس أو تمويه: واضحة من وراء المراسم والمظاهر ودواعى الحيطة والتجمل، واضحة فى علاقاته بشعبه وحكومته، وعلاقاته بأبنائه وإخوته وآله، وعلاقاته بأصحابه وأتباعه وأعوانه وموظفيه، وعلاقاته بمن يرجوهم ويخشاهم من ذوى الجاه والسلطان. ولا نظن أن كتاباً من الكتب يعرض لنا صورة نفسية لعباس الثانى أوضح ولا أوفى من صورته فى هذا الكتاب.

كذلك الرجال الذين عاشرهم وعاشروه واتصل بهم واتصلوا به ولو لحظات معدودات. فإن الحديث المروى فى هذه الصفحات بين عباس وغليوم يعرفنا بالشئ الكثير من دخائل غليوم ومطامعه الاستعمارية وأساليبه فى مخاطبة الناس واستمالتهم إلى ما ينويه ويفكر فيه.

وعلى هذا المنوال نعرف كثيراً عن الصدر الأعظم سعيد حليم وعن طلعت وأنور وجمال، وعن فريد وجاويش ولبيب، وعن سائر الرجال المصريين وغير المصريين الذين عرض ذكرهم هنا فى حادث من الحوادث أو مناسبة من المناسبات.

وعلى هذا المنوال أيضاً نعرف ما أحاط بالحملة التركية على مصر من أسباب الفشل والتعطيل.

٦٠٠ قرش

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب